من القصر إلى القبر!!

مجدي كامل

لعنة العائلة

قصص أشهر العائلات المنكوبة في عالم السياسة



لعنة العائلة



اسم الكتاب: لعنة العائلة
اسم المؤلف: مجدي كامل
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٤٨١٢/ ٢٠٠٨
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-414-1
التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف
الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف
الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال- فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني- ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠٠٨



دمشق - القاهرة
سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
E-mail: darkitab2003@yahoo.com - daralkitab-nassif@hotmail.com

من القصر إلى القبر !!

لعنة العائلة

قصص أشهر العائلات المنكوبة فى عالم السياسة

مجدي كامل

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

تقديم

في عالم السياسة حلت على أفرادها ما اصطُلِحَ على تسميته بـ " لعنة العائلة"، وتعني تعرض أسرة الحاكم لمآسٍ بالجملة، لا يسلم منها معظم أفرادها، وفي مقدمتهم رب الأسرة نفسه، أو عميد العائلة !

ويشير مصطلح " لعنة العائلة " لفاجعة كبرى تحل برب الأسرة الحاكمة أو عميدها، أو أهم أفرادها نفوذًا و تأثيرًا، ثم امتداد هذه اللعنة لتضرب جيلاً، أو اثنين أو ثلاثة من نسله، فيدفعون ثمن الإرث المأساوي، الذي تركه لهم الملك أو الملكة، الرئيس أو رئيس الوزراء، الأمير أو الأميرة، فتكون بانتظارهم نهايات كارثية، يظل التاريخ يتوقف عندها كقصص مثيرة، تحمل الكثير من الدروس و العبر .

ويدلنا التاريخ على عشرات الأسر الحاكمة، التي حلت عليها " لعنة العائلة " فأصابتها في مقتل، وقضت على حياة أصحابها، أو أحالت حياتهم إلى عذابات لا تتوقف، وآلام لا تنقطع !!

وفي هذا الكتاب سنطالع قصصًا وحكاياتٍ يندى لها الجبين لأشهر العائلات المنكوبة في عالم السياسة، ومنها اللعنة، التي أصابت عائلات كيندى في أمريكا، وغاندي في الهند، وبوتو في باكستان، ورينيه وجريس كيلي في موناكو، والبرامكة في الدولة العباسية، ونيقولا الثاني في روسيا، ولويس السادس عشر وماري أنطوانيت في فرنسا، والملك فاروق والملكة نازلي، والأميرة فتحية والأميرة فوزية في مصر،

وجـورج الثالث والأمـيرة كارولين والأمـيرة إيميليا، وصدام حسين و ولديه عدى وقصى، وأخيه برزان، وصهره حسين كامل، وابن عمه عدنان خير الله، وغيرها من العائلات التي حلت عليه لعنة أطاحت بها فسقطت معها !!

هذا الكتاب أشبه بشريط سينمائي طويل يروي الوجه الآخر لعالم السياسة عندما يتحول النفوذ والثروة والسلطة لكارثة لأصحابها، ومن يأتي بعدهم من نسلهم !!

مجدي حسين كامل

1

الفصل الأول

لعنة آل كيندي

١ - جون كيندي

من هنا بدأت اللعنة !!



•• جون كيندي بدأت اللعنة باغتياله، وامتدت لتطال عائلته فتختطف منها الواحد تلو الآخر !!

رغم مرور ما يقرب من نصف قرن على سقوطه مدرجاً في دمائه على مرأى ومسمع العالم كله، إلا أن أحدا لا يعرف على وجه الدقة حتى الآن حقيقة ما حدث يوم ٢٢ نوفمبر في مدينة دالاس الأمريكية عام ١٩٦٣، فقد كانت عملية اغتيال الرئيس الأمريكي جون كيندى أكثر الأحداث غموضا في القرن العشرين.

و قد تعددت منذ ذلك الوقت النظريات التي حاولت فك طلاسم جريمة الاغتيال، والغريب أن لكل نظرية مؤيديها، ولكل نظرية أدلتها، وتبقى الحقيقة المطلقة بعيدة المنال .. ربما تكون هناك حقيقة واحدة مطلقة بعد مرور كل هذه السنوات على سقوط جون كنيدي، ألا و هى أن مقتله كان نقطة البداية لخروج لعنة آل كيندى من القمقم، لتمتد إلى أفراد آخرين من العائلة المنكوبة، التي كان الأمريكيون ينظرون إليهم كأساطير، أو ككائنات من كوكب آخر، أو كرجال من فصيلة " سوبرمان " !!

جون كيندى (يسمى أيضاً جون فيتزجيرالد كينيدي أو جون إف. كينيدي أو جاك كينيدي هو الرئيس السابق (الخامس والثلاثون) للولايات الامريكية المتحدة. تولى الرئاسة خلفًا للرئيس دوايت أيزنهاور وقد خلفه نائبه ليندون جونسون ولد في ٢٩ مايو، ١٩١٧ وتوفي مقتولاً في ٢٢ نوفمبر، ١٩٦٣ في دلاس، تكساس وقد أُتّهم لي هارفي أوزولد باغتياله.

تولى رئاسة الولايات المتحدة منذ ١٩٦١ وحتى اغتياله في ١٩٦٣. وقد كان يمثل ولاية ماساتشوستس من ١٩٤٧ وحتى ١٩٦٠ بدايةً كعضو في مجلس النواب ولاحقاً في مجلس الشيوخ. وقد انتخب لرئاسة أمريكا بالنيابة عن الحزب الديمقراطي وعمره في ذلك الوقت ٤٣ عاماً في انتخابات عام ١٩٦٠ والتي واجه فيه خصمه الجمهوري ريتشارد نيكسون، وقد ربح جون كينيدي في تلك الانتخابات بفارق ضئيل.

تجدر الإشارة هنا إلى أن جون كينيدي هو الرئيس الأمريكي الكاثوليكي الوحيد. وهو أصغر رئيس أمريكي منتخب.

لقد تبوأ الرئيس جون كيندى سدة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية في فترة رهيبة وحرجة من الصراع في الحرب الباردة، وكان جون كندي صاحب مواقف قوية في مواجهة السوفيت في كافة المجالات سواء العسكرية منها (بشكل غير مباشر) أو السياسية من خلال مجلس الأمن أو الإعلام أو القنوات الدبلوماسية. الأمر الذي جعله أحد أكثر رؤساء أمريكا شعبية وأحد أكثرهم أهمية.

وكان من أهم الأحداث في فترة ولايته عملية اقتحام خليج الخنازير وأزمة الصواريخ الكوبية وبناء جدار برلين والإرهاصات الأولى لحرب فيتنام وحركة الحقوق المدنية الأمريكية وسباق غزو الفضاء حيث إنه صاحب الوعد الشهير بإنزال إنسان على القمر.

قتل جون كينيدي عندما كان في زيارة رسمية لمدينة دلاس وذلك بإطلاق الرصاص عليه وهو مار في الشارع بسيارة مكشوفة برفقة زوجته جاكلين كينيدي كما كان يرافقه في نفس السيارة حاكم ولاية تكساس جون كونالي الذي أصيب في الحادث.

لي هارفي أوزوالد أدين بارتكاب الجريمة، وقد قتل هو نفسه بعد يومين على يد اليهودي جاك روبي وذلك قبل انعقاد المحكمة، وقد توفي روبي فيما بعد عقب إصابته بسرطان الرئة بشكل اعتبره البعض مريباً وذلك قبل إعادة محاكمته هو الآخر.

وقد توصلت لجنة وارن عقب التحقيق إلى أن أوزوالد قام بعملية الاغتيال منفرداً، بينما توصلت لجنة أخرى إلى أن هناك احتمال وجود مؤامرة. وقد بقيت عملية الاغتيال مثار جدل عام على الدوام.

ولا تزال تثار شكوك بأن لوكالة المخابرات الأمريكية سي .آي .إيه أو لجهاز استخبارات الاتحاد السوفييتي السابق (كي.جي.بي) يد في مقتله.

الغريب أنه منذ مقتل جون كيندي ونظريات مختلفة، وبيانات وتقارير وكتب مختلفة ومتضاربة تظهر كل عام حتى في هذا العقد من القرن الواحد والعشرين لتفسير ما حدث في شوارع " دالاس " في ذاك اليوم الدامي !!

وقبل الدخول بعرض بعض سيناريوهات المؤامرة التي أودت بحياة جون كيندي لابد من الإشارة إلى أنه قد تبوأ هذا الرئيس الأميركي سدة الحكم في بلاده في فترة حرجة ورهيبة من الصراع عبر ما يسمى بـ الحرب الباردة ما بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي (أميركا والاتحاد السوفياتي السابق).

هذا وكان جون كيندي صاحب مواقف قوية في مواجهة السوفيات في كافة المجالات سواء العسكرية منها وبشكل غير مباشر أو السياسية من خلال مجلس الأمن أو الإعلام أو القنوات الدبلوماسية .. الأمر الذي جعله أحد أكثر رؤساء أميركا شعبية وأحد أكثرهم أهمية .

وكان من أهم الأحداث في فترة ولايته للرئاسة الأميركية هي العملية العسكرية لاقتحام خليج الخنازير ضد كوبا، ثم أزمة الصواريخ السوفياتية في كوبا الموجهة ضد أميركا، ثم بناء جدار برلين، الإرهاصات الأولى لحرب فيتنام، وحركة الحقوق المدنية الأميركية، وسباق غزو الفضاء، حيث إنه صاحب الوعد الشهير بإنزال أول انسان على سطح القمر.

وعودة بنا إلى اللغز العجيب والصعب والذي لا يزال الناس وأجهزة الإعلام في كل مكان منشغلة في التحليل والتقصي والمتابعة لخفايا وأسرار هذا الاغتيال والذي مرّ عليه نحو ٤٥ عاماً .

فقد طالعتنا وسائل الإعلام مؤخراً في نبأ جديد حول إعادة التحقيق مرة أخرى وذلك عبر الإفراج عن ١٢ صندوقاً مليئة بمجموعات من الوثائق والأدلة المتعلقة باغتيال الرئيس الأميركي السابق جون كنيدي.

وتلك الصناديق كانت مخزنة في إحدى المحاكم في تكساس منذ عقود حيث قامت السلطات الأميركية بالإفراج عنها لمحاولة معرفة الحقيقة أو وضع نظريات أخرى لمؤامرة الاغتيال الرهيبة.. والتي ربما تنفض الغبار عن أسرار جديدة أو ربما تزيد الأمر غموضاً.

أما عن السيناريوهات التي عرضت سابقاً خلال الـ ٤٥ عاماً السابقة لاغتيال جون كيندي فقد تعددت جداً واختلفت، حتى صدرت آلاف المقالات حولها، ومئات الكتب أيضًا، وعشرات الأفلام السينمائية.. لكن أكثرها دهشة وغرابة وفنتازيا خيالية كانت ما يلي:

***سيناريو المخلوقات الفضائية** : ففي العام ١٩٩٩ ذكرت وكالة الأنباء البلغارية (صوفيا) في خبر لها بعنوان (مخلوقات فضائية اغتالت الرئيس كيندى ما يلي:

ذكرت صحيفة (ترود) البلغارية أن أغرب وأحدث رواية عن حادث اغتيال الرئيس الأمريكي الأسبق جون كيندى تقول : إن الذين اغتالوه في دالاس عام ١٩٦٣ هم مخلوقات فضائية كانت قد وصلت إلى الأرض .

وتؤكد الصحيفة أن هذه الرواية معروفة في المستويات العليا في البيت الأبيض والبنتاغون ولم يجر تنفيذها حتى الآن وأن سياسيين وعسكريين كباراً وخبراء في الفضاء والأطباق الطائرة يؤمنون بهذه الرواية تماماً.

أما عن سبب قيام المخلوقات الفضائية باغتيال الرئيس الأميركي، فتقول الصحيفة إن كيندى كان ينوي في نفس يوم اغتياله اطلاع الرأي العام الأميركي على وجود اتصالات أميركية مع غرباء قادمين من الفضاء الخارجي مما كان يترتب على ذلك عواقب وخيمة على الولايات المتحدة.

ونقلت الصحيفة عن البروفيسور الأميركي لورنس مريك أن الرئيس كيندى كان قد عزم على الكشف عن ذلك السر في يوم اغتياله بالذات غير أن القتلة سبقوه في إسكاته إلى الأبد.

ولم يمض وقت طويل على اغتيال كيندي حتى قتل أو مات في ظروف غامضة كل من كان مطلعاً على سر هذه المخلوقات الفضائية واتصالاتها مع أهل الأرض.

وتعيد الصحافية البلغارية " نينا اندنوفا "جذور هذه الرواية إلى سنوات الخمسينيات وتؤكد في الصحيفة نفسها أن المختص المشهور في شؤون الأطباق الطائرة (تشارلز بيرلتس) يشير إلى زيارة في غاية السرية قام بها الرئيس الأميركي الأسبق أيزنهاور يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٤ إلى قاعدة " إدوارزد " الجوية في كاليفورنيا لرؤية مخلوقات فضائية كانت هبطت هناك في خمسة أطباق طائرة قادمة من برج الجوزاء.

وقد اجتمع الرئيس أيزنهاور بتلك المخلوقات الغريبة وأبرم معها اتفاقاً يحق لها بموجبه الإقامة على كوكب الأرض والاطلاع على مستندات وأوراق أميركية .

واتفق الجانبان أيضًا على تبادل ١٦ شخصاً من الطرفين لإجراء فحوصات مشتركة عليهم. وأكد العميل السابق لجهاز المخابرات المركزية ويليام كوبر عام ١٩٨٩ أن مثل هذه الفحوصات جرت على أشخاص من الطرفين فعلاً في ذلك الحين.

***سيناريو فيدل كاسترو :** يقال إن اغتيال جون كيندى قد تم باوأمر من الرئيس الكوبي فيدل كاسترو وذلك رداً على محاولة التسميم الفاشلة التي نفذتها الاستخبارات الأميركية ضد الزعيم الكوبي وذلك ردًّا على خلفية أزمة خليج الخنازير بين أميركا وكوبا المتحولة إلى النظام الشيوعي.. حتى إن نظريات الاغتيال (المؤامرة) لم تنج منها الاستخبارات الأميركية نفسها وكذلك الروسية والمافيا الكوبية والمافيا الإيطالية.

ويقال حول ذلك أيضاً إن " أوزوالد " المتهم الرئيسي بالقيام بإطلاق الرصاص على جون كيندى واغتياله كان عميلاً مزدوجاً للأمريكان وللكوبيين حيث إنه

افشى سر مخطط تسميم كاسترو إلى الكوبيين وإنه كانت له علاقة مع الكوبيين وبالاستخبارات الكوبية عبر المكسيك التي سافر إليها عدة مرات.

وفي كتابهما الصادر حديثا "تضحية مطلقة: جون وروبرت كيندى - خطة انقلاب" يعود الكاتبان لامار والدرون وتوم هارتمان للموضوع المثير ذاته، وهو اغتيال الرئيس الأمريكي الأسبق جون كيندى. ويشيران بوضوح إلى أن الرئيس الأمريكي الشاب كان يعد خطة لاغتيال الزعيم الكوبي فيديل كاسترو، فاغتالته "المافيا".

ولعل هذا الكتاب الصادر حديثا، لا يختلف كثيرا عن الكتب والروايات التي سبقته بشأن "مقتل الرئيس"، غير أنه وللمرة الأولى يتحدث عن موضوع مهم وجدير بالاهتمام وهو عن سبب عدم رغبة الحكومة الأمريكية التنقيب والتحقيق بشكل عميق في الأحداث التي أحاطت وتحيط بمقتل كيندى. هذا السبب يوضحه المؤلفان، مستخدمين ملفات قُلّل من شأنها في السابق، إضافة إلى عشرات المقابلات التي أجريت وهي تتحدث عن وجود خطة سرية وخاصة لدى كيندي لأحداث تغيير في كوبا من خلال انقلاب يحمل الاسم السري "أموورلد"، تم تحديد موعد له في مطلع كانون الأول ١٩٦٣، أي بعد ٩ أيام فقط من اغتيال كيندى. وكان معروفا، ومنذ بداية توليه منصب الرئاسة عام ١٩٦٠، أن سياسة كيندي الخارجية تهدف إلى إطاحة نظام فيديل كاسترو في كوبا التي لا تبعد سوى ٨٠ ميلا عن البر الأمريكي.

لهذا الغرض جرت العديد من المحاولات الانقلابية التى قادتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومنها ما تضمن محاولات اغتيال جميعها باءت بالفشل، إضافة إلى الاجتياح الفاشل لخليج الخنازير الذي تم من قبل المنفيين الكوبيين في ١٩٦١.

بعد هذه المحاولات، ساد الاعتقاد العام بتوقفها، خاصة بعد أن توصل كيندى إلى حل ناجح لأزمة الصواريخ الكوبية في ١٩٦٢، حينما وعد الروس بعدم اجتياحه كوبا في حالة سحبهم للصواريخ من الجزيرة. وهذا ما تم فعلا ولكن بشرط أن تتم عملية سحب الصواريخ من قبل مفتشي الأمم المتحدة. مع ذلك بدا لاحقا أن كيندي لم يتوقف عن استمراره في التآمر على كاسترو.

كانت خطة "أموورلد" تختلف كلية عن كل الخطط التي سبقتها وتم الكشف عنها لإحداث تغيير في كوبا، لأنها خطة تعتمد على "انقلاب القصر" حيث تتضمن اغتيال كاسترو وشقيقه راؤول من قبل رجال رفيعي المستوى في الحكومة الكوبية الذين سيشكلون حكومة مؤقتة بقيادة منفيين كوبيين، وعند الضرورة استدعاء القوة الجوية الأمريكية للمساعدة في إعادة الأمن إلى البلاد. بيد أنه ولسوء حظ كيندي اكتشفت الخطة من قبل عرابي المافيا : كارلوس مارسيلو، وسانتو ترافيكانتي وجوني روزيللي الذين كانوا جميعا على صلة مع وكالات المخابرات بسبب مشاركاتهم الدائمة في خطط المخابرات المركزية لاغتيال كاسترو.

من هنا، كان رجال المافيا هؤلاء قادرين على استخدام معارفهم في خطة "أموورلد" وتوجيهها في الاتجاه المعاكس، أي اغتيال كيندي نفسه في أسلوب يتعذر فيه إجراء تحقيق حكومي شامل وحماية خطة المحاولة والمشتركين فيها والأمن القومي. كانوا واثقين كما يكتب المؤلفان "بأن أي كشف للخطة يمكن أن يدفع أمريكا إلى حافة حرب مع كوبا والاتحاد السوفيتي". وبعد اغتيال كيندي وجد هؤلاء الرجال أنه من الأفضل القاء التهمة على ضحية (شيوعية) هو لي هارفي أوزوالد.

وكما اتضح لاحقا فإن أوزوالد كان شخصا معاديا للشيوعية ومدعوما من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وكان رجال المافيا يعرفون ذلك جيدا ويعرفون أيضا بأن أوزوالد سوف لن يعترف خوفا من كشف خطة "أموورلد". لهذا كان على أوزوالد التزام الصمت بعد اعتقاله، لكن عندما شك رجال المافيا بأنه سيتحدث ويعترف تم تصفيته على يد جاك روبي الذي كان مقرباً من المافيا ومريضا في ذات الوقت بسرطان الرئة.

والمثير للتساؤل هنا أن عملية التصفية تمت أثناء تواجد أوزوالد في قبضة الشرطة، فكيف نجح روبي بالدخول مسلحا بالمسدس؟ والآن من قتل كيندي حقا؟ المؤلفان غير متأكدين تماما، رغم أنهما يشكان في مجموعة تتألف من أربعة قتلة:

اثنين منهم كانا يعملان في مستودع للكتب في تكساس (حيث كان اوزوالد يعمل وتم اكتشاف وكر "الصياد") واثنين كانا في الهضبة العشبية، وكما يستخلص الكاتبان فإن الرصاصة القاتلة لا بد أنها انطلقت من المكان الأخير، أي من الهضبة العشبية، ومن المحتمل من قبل تاجر مخدرات فرنسي وقاتل مأجور يدعى ميشيل فكتور ميرتس.

* **سيناريو الرئيس جونسون :** مما قيل في تلك الجريمة الكبرى من نظريات المؤامرة العديدة نذكر هنا ما قرأناه في مجلة " روز اليوسف " المصرية بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/٢٥ عبر مقال مترجم ما يلي ومؤخراً اعترف المستشار السياسي للرئيس الاميركي ليندن جونسون أن جونسون هو القاتل، أو بمعنى أدق كان وراء الجريمة جاء هذا الاعتراف ليفجر مفاجأة جديدة تضاف إلى العديد من المفاجآت والسيناريوهات المتعلقة بحادث اغتيال الرئيس الأميركي السابق جون كيندى.

والاعترافات الجديدة جاءت على لسان بيلي سول استيه الشاهد الأخير الذي أكد في حوار له مع مجلة " لوفيجارو " الفرنسية أنه في العام ١٩٧١ قبل وفاة كليف كارتر المستشار السياسي للرئيس جونسون قد اعترف بأسرار عملية اغتيال كيندى إذ قام بيلي سول بتسجيل تلك الاعترافات على شرائط لا تزال بحوزته حتى الآن حيث اعترف كليف كارتر في تلك الشرائط بتفاصيل عملية الاغتيال معرباً عن أسفه لقيام جونسون بإعطاء أوامر الاغتيال.

وعندما سألته المجلة الفرنسية عما إذا كان " ماك والاس " هو القاتل رد سول نعم فهناك الكثير من كلام " كليف كارتر " وكذلك تاريخ ماك وبصمة الأصابع التي عثر عليها على صناديق كراتين الكتب في الطابق الخامس الذي أطلقت منه الرصاصات على كيندى.

وهناك تم العثور أيضاً على بصمات " لي هاري أوزلد " لأنه كان الشريك الثاني معه.. كما أن اعترافات المستشار السياسي للرئيس جونسون تؤكد أن قاتل كيندى

هو جونسون نفسه.. وأن الأموال التي حصل عليها هي الأموال التي تم دفعها للقاتل المحترف الذي لا يعرف أحد ما إذا كان على قيد الحياة أم لا.

هذا ويقال إن إدجار هوفر مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية آنذاك كان على علاقة جيدة بـ جونسون وبعصابات المافيا للتجسس على الشيوعيين، وكذلك فقد جند الممثلة العالمية الفاتنة مارلين مونرو لكي تتجسس على جون كيندى مما يوحي ذلك أن قصة اغتيال كيندى كانت جريمة مشتركة!!

أما لي هارفي أوزوالد والذي وجهت له التهمة الرئيسية في اغتيال كيندى فقد قتل بسرعة وقبل محاكمته ومعرفة الأسرار الحقيقية للاغتيال، فقد أطلق عليه النار شخص اسمه " جاك روبي " وبذلك ضاعت الحقيقة يومها وربما إلى الآن.

والآن : من قتل جون كيندى، لا زالت الحقيقة غامضة جداً وصعبة، فهناك كما قلنا العديد من السيناريوهات المحتملة عن هذه المؤامرة والجريمة الغريبة والتى مر علهيا حوالي نصف قرن.

وهناك من يحلو له أن يربط بين عملية اغتيال جون كيندي وبين الثلاثاء الأسود في إشارة لهجمات سبتمبر، و بالتحديد دور المباحث الفيدرالية الأمريكية " أف . بي . آي "، والمخابرات المركزية الأمريكية " سي . آي . إيه " في طمس الحقائق، وتلفيق التهم، و فبركة الأدلة، أو سياق أدلة دون أن تدقق في مصداقيتها حتى رغم سذاجتها وتفاهتها في أحيان كثيرة .

ويرى هـؤلاء أن هناك شبه تطابق بين أهـداف " اغتيال كنيدى " الـذي يعد "الانقلاب الأول " فى السلطة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية وتفجيرات ١١سبتمبر التي تعد الانقلاب الثاني داخل المؤسسات الأمريكية المتعارضة!

وقبل أن نحاول فهم السبب الحقيقي لإغتيال " جون كيندى " سنحاول أن نعرض لمؤسسات السلطة الأمريكية المعروفة والسرية حيث من المعروف أن مؤسسي الدستور

الأمريكي أنفسهم قد صاغوه منذ البداية بطريقة تجعل الكونجرس أشد قوة من الرئيس الأمريكي، رغم أنهم وضعوا عبارات غامضة فى مواد الدستور تعطي الرئيس دورا أكبر والغريب أن المادة الأولي من الدستور الأمريكي تعمل على إستمرار الصراع بين الطرفين الذى توج بانتصار الكونجرس فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى مما أدى إلى ظهور سياسة " الانعزال " التي خرجت منها فقط إثر هجوم "بيرل هاربور " .

ثم بدأت مرحلة سيطرة مؤسسة الرئاسة التي دعمها إنشاء الرئيس " ترومان " مؤسسات المعلومات للمساعدة في دعم القرار ومنها " مجلس الأمن القومي " الذي تأسس عام ١٩٤٧ والذي ظهرت فاعليته بوضوح في عهد الرئيس " جون كيندي " الذى أبدي قدرا كبيرا من الاستقلالية حتى أنه تصادم مع أهم أجنحة السلطة ومنها وزارة الدفاع و وكالة المخابرات المركزية " سي . آي . إيه " و مكتب التحقيقات الفيدرالي " أف . بي . آي " والمافيا وهيئة الصناعات العسكرية التي تشمل أصحاب الشركات التسليحية والمسئولين التابعين لها والنواب والممثلين لها فى الكونجرس والتي وصل نفوذها إلى حد وصف الرئيس الأمريكي، أيزنهاور لمدي تغلغلها قائلا:

"إن التأثير الكامل للنفوذ السياسي للبنية الصناعية العسكرية ..واضح في كل مكتب وكل مدينة ..وهي تعد خطرا كبيرا لأن قوتها الهائلة تعمل على انهيار التوازن السياسي والأهم من ذلك أن " كيندي " تصادم مع "المؤسسة الشبحية" أو المؤسسة " × " وهي المؤسسة التي تضع الأهداف الحقيقية للاستراتيجية الأمريكية والتي لها رجالها في المناصب العليا سواء مؤسسة الرئاسة ..أو الكونجرس أو " سي.آي .إيه " و " إف . بي . آي " وفيما بعد وكالة الأمن القومي وأخيرا وكالة الاستطلاع القومي هذا بالإضافة إلى البنتاجون والبحرية الأمريكية إلخ !!

فهي المؤسسة الحاكمة فعلا في الولايات المتحدة لذا كان يجب أن يموت " كيندى " ولعل هذه المؤسسة هي التي وضعت أشهر وثيقة للأمن القومي فى مرحلة ما بعد

الحرب العالمية الثانية وهي وثيقة " الأمن القومي ٦٨ " والتي صاغها " بول نتيز" الذي خلف "جورج كينان " في رئاسة إدارة التخطيط السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية وهي وثيقة سرية أقرت في ١٤ أبريل ١٩٥٠ لم يفرج عنها سوي عام ١٩٧٥ والتي تصر على احتواء الاتحاد السوفيتي وكل ما يهدد فاعلية الهيمنة الأمريكية التي تسيطر على ٥٠٪ من ثروات العالم ..وهذا ما ثبت فشله فى بداية الستينيات حين ظهر بوضوح عجز الميزان التجاري بين الولايات المتحدة وحلفائها كما أن تفوق النموذج الاقتصادي الألماني الأوربي، والياباني أدى لزيادة اعتماد الولايات المتحدة لتفوقها العسكري كأداة لفرض نفوذها فى العالم .

وهذا ما اعتبره " مكورميك" فى كتابه " ما بعد أعراض حرب فيتنام " إصرارا أمريكيا على الانفراد بالهيمنة العسكرية على حلف الناتو .. وعلى جنوب شرق آسيا بعد معاهدة الدفاع المشترك مع اليابان .ولذا كانت حرب فيتنام مصلحة عسكرية ..ليس فقط بل إن " جون لويس جاديس" أكد في كتابه " مستقبل السياسة الخارجية الأمريكية " أن تراجع الاقتصاد الأمريكي أمام الاقتصاد الياباني والألماني والأوروبي، في بداية الستينيات أدى لأن تتجه الولايات المتحدة إلى الحفاظ على إنفاقها العسكري المرتفع على حساب حلفائها الاقتصاديين السياسيين، بمعنى أن الولايات المتحدة استخدمت الإنفاق العسكري لتدعيم الاقتصاد الأمريكي على حساب حلفائها لحمايتهم من الخطر الشيوعي حتى في لاوس وفيتنام .

ومرة أخرى فإن حرب فيتنام أصبحت هدفا عسكريا وإقتصاديا في نفس الوقت إلا أن " كيندي " كان قد فعل العكس إثر قضية الصواريخ الكوبية التي كادت أن تتسبب في نشوب حرب نووية بين روسيا والولايات المتحدة ..حيث اتجه إلى إعلان سعيه لإنهاء الحرب الباردة والبدء في التعاون مع خورشوف ..وإنهاء الحرب في جنوب شرق آسيا . لذا فقد بدأ فى العمل مع مؤسسات عدة من أهمها مخابرات البنتاجون وصلت في سبتمبر ١٩٦٣ إلى تجهيز خطة تهدف إلى سحب القوات الأمريكية من فيتنام حتى نهاية العام ١٩٦٥م .وكانت تهدف إلى البدء بسحب ١٠٠٠ جندي حتى نهاية ديسمبر ١٩٦٣ ولكن بعد أسبوع من قتل الرئيس الفيتنامي في " سايجون " .

وقبل أسبوعين من قتل " كيندى " تم إلغاء الأمر في ٧ يونيو ١٩٦٣ ولكن كيندي أصر على إكمال الخطة ولم يخضع للتهديدات التى حذرته بقتل الرئيس الفيتنامي ..فكان لابد من التخلص منه وكان لابد أن يحدث الانقلاب ضد الحكم الشرعي فيما يسمي " بالديمقراطية الأمريكية "

الغريب أننا حين دققنا في أدلة سلطات التحقيق فيما يتعلق باغتيال كيندى وجدناه يتشابه فى عدة نواح مع أدلة قضية تفجيرات ١١ سبتمبر رغم الاختلاف الكبير والجذري في أسباب الانقلابين والغريب والطريف في نفس الوقت أن قضية اغتيال " كيندى " كلها تم تحميل مسئوليتها كلها لشخص واحد فقط هو " لي هاريفي أوزوالد " والذي قالت عنه سلطات التحقيق العام أنه قام بقتل الرئيس بإطلاق ٣ رصاصات فقط على الرئيس من نافذة مخزن الكتب الذي يعمل به في الدور السادس من على ما يزيد عن ٤٠ مترا .

الأكثر طرافة أنهم قالوا إنهم وجدوا " البندقية الآلية " التي استخدمها " لي هاريفي أوزوالد " ملقاة في مخزن الكتب وبجوارها ٣ رصاصات تماما كما قالوا عن كتاب " كيف تتعلم الطيران في ٢٤ ساعة " في السيارة فى مطار بوسطن أو رسالة محمد عطا التي بقيت وحدها رغم احتراق الركاب وجسم الطائرة أو وجود جواز سفر في طائرة المركز التجاري العالمي رغم أنه قيل أن درجة الحرارة وصلت بعد الانفجار إلى أكثر من ١٠٠٠ درجة مئوية حتي إن الحديد قد انصهر مما دمر المبني تماما كما أنهم زعموا أن " أوزوالد " كان قد اشترى البندقية باسم " آ .هايدل" على صندوق بريد في ولاية " تكساس " وأن الخط هو خط أوزوالد ..تماما كرسالة محمد عطا.

ولإثبات ملكيته للبندقية جاءوا بصورة مزيفة نشرتها مجلة " لايف " الأمريكية على غلافها وهي لصور " أوزوالد " وهو يمسك البندقية ويبتسم للكاميرا ليؤكدوا أنها بندقيته وإذن فهو القاتل ولكن " أوزوالد " حين رأى الصورة صرخ قائلا " لست

أنا من في هذه الصورة " نعم إنها صورة وجهي ولكن هذا ليس جسدى إنني أفهم في التصوير جيدا ..إن هذه الصورة تعرضت لمونتاج واضح "!

والغريب أن الخبراء أثبتوا أن الصورة مركبة بسبب بسيط وسهل جدا وكان يجب ألا تقع فيه أجهزة أمن في حجم " إف . بي . آي " و " سي . آي . إيه " حيث ثبت أن اتجاه الظل عند أنف أوزوالد يشير إلى أن وقت التقاط صورة الوجه كان حوالي منتصف الظهر لأن ظل الأنف كان عموديا، بينما يشير اتجاه ظل الجسم الذي تم تركيبه على وجه أزوالد ..إلى أن وقت التقاط الصورة للجسم كان إما بين ٨ أو ٩ صباحا أو بين ٤ و٥ عصرا، لأن الظل كان مائلا بصورة واضحة .

والغريب أن التحقيقات التي أدانت أوزوالد وقعت في التناقض عدة مرات حيث أثبتت وجوده في ٣ أماكن في وقت واحد مثل كوبا والمكسيك والولايات المتحدة وهو نفس ما حدث مع بعض المشتبه في قيامهم بتفجيرات ١١ سبتمبر، من ناحية أخرى فإن هناك من شكك في أن تكون بصمات أوزوالد وضعت على البندقية بعد وفاته، خاصة أن محققي " إف . بي . آي " أسرعوا بنقل البندقية إلى واشنطن، بينما بقيت بصمات أوزوالد في دالاس .

وبذلك فقد تم فقد سير الأحداث تماما، بل إن محقق" إف . بي . آي " "جيمس ليفستون" اعترف بأن هناك أكثر من ٣ خصائص تعود إلى ٣ أشخاص وليس أوزوالد فقط ويضيف " إن مجموعة البصمات لم تنسب كلها لمكتب إف . بي . آي".

والمثير للدهشة هو إنكار أوزوالد لارتكابه أي تهمة قائلا أنا لم أرتكب أية جريمة وقد اعتقلوني فقط لأنني عشت في الاتحاد السوفيتي فشكلي لا يوحي بالثقة ولا نخفي ما لهذه العبارة من دلالة حيث إن هذا هو نفس ما يحدث مع المشتبه فيهم من العرب المسلمين . . .والذين اعتقلوهم فقط لأنهم عرب، ولأن أسماءهم وأشكالهم شرق أوسطية لا توحي بالثقة، بل إنها تحتوى على نفس العداء والاتهامات ولكن للإسلام بدلا من الشيوعية !!

ومما يثير الشك فى نزاهة التحقيقات أن ٥١ من شهود العيان الذين كانوا في شارع "هيوستن" يشاهدون موكب "كيندي" من أمثال "جين هيلين" و"جيسي برايز"، . "أبراهام سرفورد" و"تشارلز برنس" و"ماري مورمان" و "ريتشارد روج" "ولم لوكي وولديه الصغيرين" وغيرهم أكدوا انهم سمعوا أصوات ٧ طلقات جاءت من ٣ اتجاهات :

١- مخزن الكتب

٢- وراء سور خشبي محيط بالشارع الرئيسي .

٣- موقف للسيارات بصورة تجعل الرصاص جاء من ٣ اتجاهات مختلفة لتتقاطع معا لتصيب الرئيس وحرسه وذلك على يد قناصة محترفين .كما أن بوني روي ويليامز في مبني مجاور واثنين آخرين من مساجين سجن مقابل لمخزن الكتب رأوا رجلين يراقبان الطريق من النافذة التي قيل إن أوزوالد وحده قام بقتل الرئيس منها، من ناحية أخرى فإن رجل الشرطة "تيبيت" الذي قيل إن أوزوالد قد قام بقتله بعد أن قتل الرئيس ذكرت سيدة تدعي "أكيلا كليمنز" أنها رأت رجلين يقتلان "تيبيت" وليس رجلا واحدا .

والغريب أن لجنة التحقيق التي رأسها المدعي العام "جيم جاريسون" بعد ٣ سنوات من قتل الرئيس أثبتت وجود انتهاكات شديدة من لجنة التحقيق التي تلت اغتيال "كيندى" حيث اكتشف أن هناك شخصين قاما بمصادرة كاميرا فيديو كانت تمسك بها سيدة لتصور الرئيس واستطاعت تصوير عملية الاغتيال والأشخاص الموجوين بالمنطقة، وذكرا له أنهما من رجال الأمن ثم اختفت هذه الكاميرا والشريط الذي بداخلها للأبد، كما ثبت أن محققي "إف . بي . آي "أجبروا الشهود على قول أنهم لم يسمعوا سوى ٣ رصاصات .

هذا بالاضافة إلى التغاضي عن بعض الشهادات، حيث أكدت شاهدة أنها كانت قد رأت سيارة نصف نقل زرقاء نزل منها شخص يحمل بندقية محاطة بغطاء

بلاستيك بل وصل الأمر إلى قتل ٣ اشخاص بسبب شهاداتهم ..أولهم امرأة كانت قد حذرت من قتل كيندي قبل قتله بيوم واحد وثبت أن لها علاقة بقاتل أوزوالد فيما بعد - وهو جاك روبين - أو بالأحرى " جاكوب روبينشتاين " .

وكذلك تم قتل عامل مزلقان كان يعمل فى المنطقة بعد أن أدلى بأوصاف دقيقة لاثنين من المشتبه في مشاركتهم في القتل كانا يقفان بجوار السور الخشبي الذي انطلقت منه الرصاصات من ناحيته كما أورد بعض الشهود وقد تم قتله في حادث سير .. في طريق خال تماما !

كما أن لجنة التحقيق الأولى كانت قد تغاضت عن إصابة أحد المواطنين بحالة صرع فى الساعة ١٢,١٥ ظهرا حيث تم استدعاء سيارة إسعاف لنفس المنحني الذي قتل فيه " كيندى " وظلت ما بين ١٢,١٨ إلى ١٢,٢٥ دقيقة وقيل إنه كان لها دور هام في عملية تأمين قتل الرئيس خاصة أن القتل تم في تمام ١٢,٣٠ ظهرا، كما أن " كيندي " كان قد قتل فورا، ولم يمت في تمام الواحدة ظهرا كما قيل، لأن د. "بيتزر" الذي فحص " كيندى " أكد أن أكثر من نصف " مخ " كيندى " لم يكن موجودا بعد أن تفتت تماما، وأن التهتك وصل إلى ١٢٠ ملم عرضا و٧ سم عمقا، وصل وزن المخ ٦٥٣جم فقط، إلا أنه أكد أن رجال " إف . بي . آي " أجبروا الأطباء على إنهاء الفحص، حيث أخبرهم " الأدميرال كيني " أنها بناء على أوامر عسكرية عليا فتم إرسال الجثة إلى واشنطن فورا، ولكن الغريب أن د.بيترز أكد أن جسد كيندى كان به على الأقل ٣ رصاصات واحدة هشمت مخه، والثانية في عنقه، والثالثه في ظهره، بينما حارسه الأول " كونان " كان بجسده ٥ رصاصات (أي ٨رصاصات) هذا بينما أصر محققو" أف . بي . آي " على قيام أوزوالد وحده بإطلاق ٣ رصاصات فقط استمرت لمدة ٥-٦ ثوانٍ، وقد أثبت " جاريسون " فى تحقيقه أن هذه المدة غير كافية لإطلاق ٣ رصاصات من بندقية عادية حتى لو كان القناص محترفا، بالإضافة إلى وجود شجرة تقف حائلا أمام التصويب كما أنه كان من الأسهل أن يصوب أزوالد على الرئيس في بداية شارع " هيوستن " وليس بعد مرور السيارة إلى شارع " مين " .

ولعل ما ركز عليه " جاري جاريسون" هو إثبات تهافت فكرة " قيام أزوالد " بإطلاق جميع الرصاصات الثلاث التي قتلت الرئيس بينما هناك ٨ إصابات على الأقل في جسدي " كيندى " و " كونان " وهو تغير " إف . بي . آي " الطريف الذي أطلق عليه جاريسون " الطلقة السحرية " وأكد كذبه في التاريخ والتي تقول فيه "إف . بي . آي " إن هناك طلقة دخلت في ظهر الرئيس وسارت بميل ١٧ درجة حتى خرجت من عنق الرئيس في معجزة أولى بعد أن انحرفت لليسار ثم استمرت في الهواء ٦ , ١ ثانية لتتجه في معجزة ثانية إلى اليمين ثم إلى اليسار لتدخل في ظهر كونان لتنحرف إلى اليسار ٢٧ درجة لتخرج مرة أخرى من صدره بعد أن تحطم الضلع الخامس في معجزة رابعة ثم تحطمت يده وتخرج فى معجزة خامسة، ثم تتجه يسارا إلى فخذه الأيسر فى معجزة سادسة، والأخطر أنها تخرج من فخذه وهي سليمة تماما وكأن الرصاصة خارجة لتوها من المصنع !!

حيث أكد جاريسون أن تكذيب هذه الفكرة السخيفة التي لا يستطيع الأطفال تصديقها ليس لها إلا معنى واحد وهو أن هناك قاتلا آخر على الأقل اشترك أو قام هو وآخرون بقتل كيندى خاصة أن الرصاصة القاتلة جاءته من جانب السور الخشبي ..من الأمام على اليمين لأن رأسه ذهب إلى الاتجاه المعاكس إلى الخلف واليسار وهو ما يؤكد المؤامرة !!

والغريب أن هذا يشبه إلى حد كبير حكاية الرسالة السحرية لمحمد عطا والتي أكد الصحفي الأمريكي الشهير " بوب وود ورد " صاحب فضيحة ووترجيت " أن بعض العبارات المستخدمة في الرسالة لا تستخدم في التعبيرات الإسلامية مثل متفائل وعبارة ١٠٠٪ .

ومن المعروف أنها عبارات عن النص الأجنبي ليس هذا فقط بل هناك عبارة "وإذا ذبحتم فاسلبوا من تقتلونه لأن ذلك من سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم" ولا ندري ماذا سيفعلون بالأسلاب ..وهم من المفترض أنهم سيفجرون أنفسهم في

الطائرة وعبارة " ثم طبقوا سنة الأسر وأسروا منهم " ولا ندري ماذا سيفعلون بالأسرى أو بالأسلاب طالما أن الطائرات كلها ستنفجر في أهدافها !!

وهذا ما يدل على أن الذين كتبوا الرسائل هم أمريكيون يتحدثون العربية ولكنهم والحمد لله حين زوروا الرسائل أخطأوا بصورة فاضحة تشبه ..ما حدث في أدلة اغتيال " كيندي " .

ونعود هنا إلى تقرير " جيم جاريسون" الذي يتساءل فيه ..إذا أردت أن تعرف من قتل " كيندى " ؟ فإسأل من هو المستفيد ؟؟ ومن لديه السلطة والقدرة على تغطية ذلك ؟!

لماذا لم تتم حماية كيندى رغم ورود تحذيرات تفيد بحدوث الاغتيال ؟! ولماذا كان مقصوداً الا تتم حماية " كيندى " سواء بتكثيف الشرطة في الشوارع أو تفتيش المنازل المجاورة لخط سيره، وأكثر من يمكنهم فعل ذلك هم رجال المخابرات خاصة مخابرات وزارة الدفاع !! من هو الذى قام بقطع جميع الاتصالات عن واشنطن لمدة ساعة ونصف أثناء وبعد الاغتيال لماذا لم يتم طرد حاكم ولاية دالاس أو رئيس شرطتها ؟ من لديه السلطة للسيطرة على شرطة دالاس لإخفاء المعلومات..أو منع التحقيقات ؟ من لديه الهيمنة على الإعلام ليجبره على إغلاق عينيه ؟ وينهي " جاريسون " أدلته مؤكدا أنها " عملية عسكرية من البداية وحتى النهاية، هدفها قيام حرب فيتنام !!

بل وصلت المواجهة بين " جاريسون " وهذه القوي إلى حد قتل ٣ اشخاص أثناء قيامه هو بنفسه بالتحقيق حيث اشتروا سكوت بعضهم ثم قتلوهم فيما بعد ومنهم "بنيثون " و " كاريل" أما قصة قيام " جاكوب روبنشتاين " إما بالقتل أو بتصوير الأمر على أنه إنتحار !! أو جاك روبي بقتل أوزوالد ثم قتل روبنشتاين نفسها فيما بعد فلا تحتاج إلى تعليق، إلا أننا نشير فقط إلى علاقة روبنشتاين كمخبر للشرطة بجهاز " إف . بي . آي " من ناحية وعلاقته بالمافيا من ناحية أخرى حيث كان

صديقا مقربا لكل من جان كامبينر وجوكاميزس اللذين كانا ضابطين لدي رئيس المافيا، " كارلوس مارشيلو " بل وصل الأمر لإعلان الشرطة أنه سيتم نقل أوزوالد في صباح يوم الأحد إلى سجن المقاطعة في العاشرة صباحًا..هكذا علانية !! ثم جاء " روبنشتاين" وأطلق الرصاص على أزوالد لإخفاء السر في حراسة الجميع ودون أي مقاومة، بل إن البعض يشير إلى أن " أوزوالد " تم الإجهاز عليه في سيارة الإسعاف.. ولم يمت فقط برصاص روبنشتاين ...!

ليس ذلك فقط بل إن روبنشتاين (جاك روبي) نفسه أكد أثناء التحقيقات أن هناك الكثيرين لا يريدونني أن أقول الحقيقة، وطلب منهم إرساله إلى واشنطن قائلا " حياته هنا في خطر " !! ثم قال عبارة واضحة " في أمريكا هناك ناس آخرون تماما سيحصلون على السلطة " !! وقد أكد جاريسون أن حرب فيتنام كانت هي السبب في قتل كيندى ..لأن تجار السلاح والشركات الكبرى والمافيا و " سي . آي. إيه" و "إف . بي . آي " ووزارة الدفاع و"ليندون جونسون" نفسه الذي تولى الرئاسة بعده (وحصل ما يزيد على مليار دولار من تجار السلاح، في ولاية تكساس) .

كل هؤلاء كان يهمهم أن تستمر الحرب، وتستعر ليستمر تدفق الأموال ودوران مصانع الأسلحة وفرض النفوذ العسكري والسياسي الأمريكي، في حرب فيتنام التي تكلفت ٢٢٠ مليار دولار وفقد ٥ آلاف طائرة هليكوبتر، وقصف فيتنام ب ٦,٥ مليون طن من القنابل وأدت لمقتل ٥٨ ألف جندي أمريكي، وما يزيد على ٢ مليون فيتنامي وآسيوى !!! أي إن الولايات المتحدة ساعدت على قتل رئيسها و٥٨ ألف جندي من جنودها مقابل هيمنة ونفوذ ورواج اقتصادي وتعاون ..بين الأجهزة الحاكمة والأجنحة المتصارعة .

ويتساءل أصحاب هذه النظرية : هل نتعجب أن قامت بعض هذه الأجنحة بالتضحية بـ ٧ آلاف قتيل في مركز التجارة العالمي والبنتاجون وراكبي الطائرات مقابل الإنقلاب على سلطة الرئيس الأمريكي بوش التي اتجهت إلى اتباع سياسة

انعزالية، والتي وصلت إلى السلطة بعد معركة سياسية لم تشهد لها مثيلا بين المعسكر الديمقراطي بزعامة " آل جور " والمعسكر الجمهوري بزعامة " بوش " وقد وصل تكسير العظام بين المعسكرين إلى حد أن تصور حدوث انقلاب عسكري حقيقي كدول العالم الثالث صار أمرا غير مستبعد بعد الحديث عن تزوير الانتخابات والعد اليدوى وتمسك المعسكرين بالأحقية في الحكم ولعل الصراع لم يكن في حقيقة الأمر بين " آل جور " وبين " بوش " بل كان بين القوى والأجنحة المتصارعة التي تستخدم هذا أم ذاك، ورغم أن المعسكر الذي كان يؤيد ثنائي " آل جور " ونائبه اليهودي "جوزيف ليبرمان " والذي كان يفضل السيطرة المباشرة على الحكم والبدء في فرض الهيمنة الأمريكية على القارة الأفريقية، ووسط آسيا بالقوة العسكرية المباشرة بدلا من الضغوط الاقتصادية والهيمنة السياسية لإمكان استغلال فرصة التفوق الأمريكي على روسيا والصين بل وعلي روسيا نفسها، وهو ما حذر منه المحلل الألماني الشهير "جوزيف جوفه " في أن الأوروبيين يريدون دعم الولايات المتحدة ومنعها في نفس الوقت من أن تتحول " آخر قوة عظمي " إلى قوة أكثر تجبرا وغطرسة بعد أن صارت تتعامل حتى مع حلفائها الأوروبيين بطريقة الآمر النهائي، وعلي الجميع إطاعته حتى إن " جوفه " وصفها بأنها تتصرف كأنها " أمريكا التي لا شريك لها".

وهو ما يطالب به التيار الأصولي المسيحي الذي يسعي لاستغلال الفرصة لإحداث مزيد من الإضعاف للقوى المتصارعة معها .وهذا ما وضح في عمليات المضاربات التي قادها الملياردير اليهودي "جورج سوزي" وأدت إلى انهيار البورصات في جنوب شرق آسيا عام ١٩٩٧ بالإضافة إلى وضع الولايات المتحدة قدمها في وسط آسيا لمنع أي تحالف محتمل بين الصين وروسيا وباكستان أو الهند من ناحية ..ومع إيران وبعض الدول العربية في حلف معارض لأمريكا من ناحية أخري ..وكذلك استغلال مكافحة الإسلام ..أو ما أسموه " التطرف الإسلامي " تماما كما كانوا يكافحون الشيوعية، أو ما أسموه بالتطرف الشيوعي، كما أن حرب " كوسوفا " قد انتهت بعد حرب البوسنة والهرسك ومن قبلها حرب الخليج ..ولذا فالحروب يجب أن تستمر

ومصانع الأسلحة يجب ألا تتوقف طالما أن كل ذلك يتم على حساب الآخرين، سواء كانوا الأوربيين أو اليابان ..أو حتى الدول العربية النفطية !!

والغريب أن نفس سيناريو تحقيقات " كيندى " وإعلان الحرب على فيتنام يتكرر ولكن بصورة مخالفة فقد تم اغتيال " أحمد شاه مسعود " على يد عملاء للمخابرات بعد رفضه التام لأي محاولة للتحالف مع الولايات المتحدة أو غيرها لإسقاط طالبان.. فتم قتله ..ليفتح الباب أمام من هو مستعد للتحالف ..وهو ما حدث بالفعل !!

كما أن الحديث الأمريكي عن سرية الأدلة في قضية تفجيرات ١١ سبتمبر بدعوى حماية الأمن القومي هو نفس ما وصفه " جاريسون " بأنه يمثل الفاشية الكبرى.. حيث يتم تأجيل الكشف عن أسرار اغتيال " كيندى" حتى عام ٢٠٣٨ ثم تم تقديمها وصارت عام ٢٠٢٩ بدعوى حماية الأمن القومي، كما أن مفهوم العدالة الأبدية أو المطلقة هو مفهوم إلهي يشير إلى أن أمريكا فقط هي التي ستحدد ما هو العدل وما هو الظلم، ما هو الحق وما هو الباطل، ما هو الخير وما هو الشر، وهذه هي بداية الكارثة !

والغريب أن البروفيسور، " أوجست براديتو" الأستاذ في جامعة القوات المسلحة الألمانية في مدينة " هامبورج " قد ركز على السؤال الأهم وهو " من المستفيد ؟" مؤكدا أن الأمر أكبر من بن لادن لأن الأمر لا يتعلق بغضب أعمي هدفه الدمار، بل بحسابات دقيقة لأهداف محددة، فالهجمات التي تعرضت لها أهم رموز القوة العظمى الوحيدة في العالم هي " استفزازات مقصودة " ومن له دراية بعمل المخابرات يعرف ردود فعل الخصم مسبقا ..ولذا فمن وراء ذلك قد يكون الهدف استفزاز حلف الناتو وجره إلى معركة مع العالم الإسلامي، وبالتالي يكون قد تم جرنا إلى الوقوع في مصيدة مخيفة " !!

ولعلنا لا نحتاج لأن نشير إلى هوية الجناة الحقيقيين بعد أن عرفنا أهدافهم ولعل العبارة الخطيرة التي أنهى بها المخرج الأمريكي " أوليفر ستون " فيلمه الرائع

" من قتل كيندى " يكون لها أكثر من مغزى بحيث تجيبنا عن الأسباب الحقيقية لتفجيرات ١١ سبتمبر دون تفكير طويل حيث كانت العبارة تقول " الماضي ما هو إلا مقدمة "١

وفي شهر يونيو عام ٢٠٠٨، أدى كشف المسئولين في ولاية تكساس عن أوراق ومستندات جديدة تتعلق بالاغتيال إلى اعادة فتح باب النقاش والجدل حول نظرية التآمر في اغتيال الرئيس .

وأكد كيريج واتكنز المدعي العام بمقاطعة دالاس أن الوثائق الجديدة ستدعم نظرية التآمر. وأكثر الوثائق أهمية نسخة من محادثة تمت بين لي هارفي أوزوالد- المتهم بقتل كيندى وجاك روبي صاحب ملهي ليلي والذي قتل أوزوالد قبل محاكمته- كانا يتفقان فيها على قتل كيندى لصالح بعض زعماء المافيا.

وإن كان واتكنز غير متأكد من صحة هذه المحادثة حيث لم يتم بعد عرض الوثائق على الخبراء، إلا أن الوثائق ستفيد بصفة عامة في فتح النقاش حول وجود مؤامرة لاغتيال كيندى.وبعد أن تكشف العديد من الوقائع على مدى الزمن وتوافر المعلومات حول ما حدث في دالاس عام١٩٦٣ أصبح شبه مؤكد أن أوزوالد المتهم الوحيد في حادث الاغتيال لم ينفذ الجريمة بمفرده.

واستنادا إلى أدلة علمية مؤكدة يجزم الخبراء. بنسبة٩٥٪ . أن كيندى أطلق عليه أربع طلقات من جهات مختلفة ولذلك فلا شك أن اغتياله كان نتيجة مؤامرة وليس تصرفا فرديا من شخص مختل عقليا كما أعلنت التحقيقات.

وفي محاولة لتجميع أجزاء اللغز الغامض يعتقد الخبراء أن النظرية الأقرب للمنطق هي أن اغتيال كيندى كان نتيجة مؤامرة دبرها جهاز المخابرات الأمريكية سي آي إيه لتصفية فيدل كاسترو- رئيس كوبا الذي تنحى مؤخرا- ولكن السحر انقلب على الساحر. فالخطة السرية لاغتيال كاسترو أقرها كيندى بنفسه مستعينا فيها ببعض زعماء المافيا وعدد من المنفيين الكوبيين.

ومن المرجح أن معلومات خاصة بهذه الخطة تسربت إلى كاسترو الذي استغل بدوره علاقاته القوية بالمافيا وتمكن من استمالة عدد من المشاركين في المؤامرة وحول دفة الأمور لصالحه.ومما يجعل هذه الفرضية منطقية هي أن زعماء المافيا كان لديهم أسبابهم الخاصة لإزاحة كيندى من مسرح الأحداث.

ففي عام١٩٦٠ طلب جوزيف كيندى مساعدة مافيا شيكاغو لمساندة جون في الانتخابات الرئاسية، وقبل ذلك استخدم المغني الشهير فرانك سيناترا كهمزة وصل مع المافيا للتأثير على نتائج الانتخابات التمهيدية في فيرجينيا.

ثم استعانوا مرة أخري بزعماء المافيا لتصفية كاسترووبالرغم من كل هذه الخدمات الجليلة التي قدمتها المافيا لجون كيندى إلا أن أخاه روبرت وزير العدل في ذلك الوقت كان يحاكم بعض زعمائهم في إطار حملة شعبية لمكافحة الجريمة المنظمة. وعلي المستوى الشخصي كان جون على علاقة بجوديث إكزنر عشيقة سام جيانكانا زعيم المافيا في شيكاجو مما جعل الجميع في بداية التحقيقات يعتقد أن اغتيال كيندى كان ثأرا شخصيا.

ولكن مع مرور الوقت وتقدم التحقيقات والكشف عن أدلة جديدة بدأت أصابع الاتهام تشير إلى تورط كاسترو بعد اتفاقه مع زعماء المافيا في شيكاجو ونيو أورليانز الذين تمكنوا من استمالة ثلاثة من الكوبيين المشتركين في خطة السي آي إيه لتصفية كاسترو وإرسالهم مع أوزوالد إلى دالاس لمساعدته في خطة الاغتيال.

والسؤال الذي يتبادر إلى أذهان الجميع هو: لماذا بعد كشف هوية ودوافع المتورطين في المؤامرة تسترت عليهم الحكومة الأمريكية؟ الإجابة هي: لو كان كاسترو متورطا بالفعل في اغتيال كيندى إذ لأصبحت الحرب العالمية الثالثة واقعة لا محالة لو أعلنت الحكومة الأمريكية تفاصيل المؤامرة، لأن الجماهير الغاضبة كانت ستطالب بالهجوم على كوبا انتقاما لمقتل رئيسهم وبالتالي كان الاتحاد السوفيتي سيتدخل للدفاع عن حليفته.

وكل ذلك يجرنا إلى سؤال افتراضي آخر: لو لم يتم اغتيال كيندى هل كانت روسيا ستقف مكتوفة الأيدي أمام خرق كيندى لاتفاقهما السري بعدم التدخل في شؤون كوبا (فكيندى كان قد أبرم اتفاقا سريا بعدم غزو كوبا أو التدخل في شؤونها الداخلية وذلك لتجنب حرب نووية مع الاتحاد السوفيتي بعد أزمة الصواريخ مع كوبا) وبالطبع أنباء خطة تصفية كاسترو كانت قد تسربت إلى جهاز المخابرات السوفيتية كي جي بي مما يعني خرق كيندى لاتفاقه مع السوفيت ولا شك أن روسيا كانت ستتدخل في كل الأحوال لمساندة كوبا لو تم اغتيال رئيسها، وإجابة هذا السؤال تشير إلى احتمال تورط الحكومة الأمريكية نفسها في اغتيال كيندى لحماية البلاد.

وفي كل الأحوال كيندى كان هو الضحية فجأة وجد نفسه في موقف لا يحسد عليه غضب شعبي يتزايد تجاهه بسبب موقفه المهادن تجاه كوبا مما أثر على شعبيته وهو على أعتاب خوض الانتخابات لفترة رئاسة ثانية عام١٩٦٤.

وبالطبع من وجهة نظره كان الحل الأمثل تصفية كاسترو عن طريق زعماء المافيا وعدد من المنفيين الكوبيين وبذلك تكون الحكومة الأمريكية في منأى عن أي شكوك. ولكن :كيف انقلبت المؤامرة ضد كيندى؟ لا أحد يعلم الإجابة على وجه التحديد هل هو كاسترو؟ هل هي الحكومة الأمريكية؟ هل تصرف زعماء المافيا من تلقاء أنفسهم؟ هل تآمر كل هؤلاء ضد كيندى؟

الإجابة المؤكدة هي أن اغتيال كيندى حجم الخطر السوفيتي ضد الولايات المتحدة بعد تسرب أنباء خطة تصفية كاسترو مما يعني خرق كيندى للاتفاق السري مع روسيا، ومن ناحية أخرى حجب الحكومة الأمريكية للحقائق وإعلان لجنة وارين المكلفة بالتحقيق أن اغتيال كيندى كان مبادرة فردية من أوزوالد جنب الحكومة الغضب الشعبي والمطالبة بالثأر من الاتحاد السوفيتي.

وفي عام١٩٧٩ انتهت لجنة الكونجرس المختصة بالاغتيالات إلى أن اغتيال كيندى كان في الغالب نتيجة مؤامرة متعددة الأطراف وقررت حفظ الوثائق وكشفها

بعد٥٠ عاما، ولكن تم تعديل التاريخ بعد ذلك إلى عـام٢٠١٧، وحتي حلول هذا التاريخ سيظل كل ما يقال عن اغتيال كيندى مجرد نظريات تحتمل الصواب أو الخطأ.

وفي المحادثة ناقش الرجلان خطة قتل كيندي قبل شهر من اغتياله في دالاس، حسب الإعلام الأميركي. ونقل عن تيري مور كبيرة مساعدي واتكينز قولها لصحيفة "دالاس مورنينغ نيوز"، إنها تعتقد أن نص المحادثة هو جزء من فيلم، كان مكتب الادعاء وقت الاغتيال يعمل على إنتاجه. وأضافت أن " المحادثة ليست حقيقية. فالمحتالون لا يتحدثون بهذه الطريقة".

وتتضمن مجموعة الوثائق التي تم الكشف عنها، اقتراحا بانتاج فيلم عن اغتيال الرئيس موقع من المسؤول القضائي في ذلك الوقت هنري ويد.

ومن بين محتويات الصناديق ملابس أوزوالد. كما تتضمن سجلات رسمية عن محاكمة روبي بعد إلغاء الحكم الصادر بحقه ووفاته بالسرطان في عام ١٩٦٧ قبل بدء محاكمته الثانية.

وكان روبي قتل أزوالد بإطلاق النار عليه بعد يومين من اغتيال الرئيس في كراج تحت الأرض أثناء قيام الشرطة بنقله من سجن إلى آخر، في حدث سجلته كاميرات التلفزيون.

و من بين ما تم الكشف عنه مؤخراً ما يتعلق بعلاقة الرئيس كيندي بنجمة هوليوود مارلين مونرو الذي تم اتهام الرئيس الراحل و شقيقه روبرت " بوب " بقتلها !!

وتقول الرواية إنه وجه إليها ذات يوم دعوة عشاء في البيت الأبيض ولكنها تأخرت في الحضورمما جعل بقية المدعوين من أعضاء الكونغرس الأمريكي يتململون في مقاعدهم خاصة وأن وقت العشاء كاد أن ينقضى وفجأة أطلت جميلة الجميلات على الحضور بثوبٍ أحمر كأنه قطعة من الجحيم فقال لها «كنيدى» لقد برد العشاء ونحن في انتظارك فردت عليه ضاحكة ولكنى لا أزال ساخنة يا سيدى الرئيس.

كما كشفت وكالة أنباء رويترز في شهر أبريل عام ٢٠٠٨ عن سمسار قوله إنه باع فيلما جنسيا مدته ١٥ دقيقة لنجمة الإغراء الأميركية الراحلة مارلين مونرو وهي في وضع فاضح بصحبة شخص لا تظهر رأسه في الفيلم وردد البعض أنه الرئيس الأميركي الراحل جون كنيدي.

وقال كيا مورغان وهو مُقْتَنٍ مشهور لتذكارات المشاهير إن رجل الاعمال الذي ابتاع الفيلم هو من مانهاتن بنيويورك وأنه ابتاع الفيلم الصامت وهو أبيض وأسود من ابن عميل راحل كان يعمل في مكتب التحقيقات الاتحادي "إف.بي.آي" ليحجبه عن العامة حفاظا على خصوصية مونرو.

وقال مورغان: "السيد النبيل الذي ابتاعه قال إنه احتراما لمارلين لن يجعل منه أضحوكة وينشره على الإنترنت بقصد التربح من ورائها. هذه ليست نيته. وما كنت أشارك باسمي لو كان ذلك سيحدث".

وذكر مورغان الذي شاهد الفيلم أن مونرو ظهرت في الفيلم وهي مرتدية ملابسها وان رأس الرجل ظلت طوال الخمس عشرة دقيقة خارج إطار الكادر.

مونرو كانت على علاقة غرامية مع الرئيس الأميركي الأسبق وقال مورغان إن جيه. ادغار هوفر مدير "إف.بي.آي" في ذلك الوقت وكان من خصوم كيندي بذل جهودا مضنية ليثبت أن رفيق مونرو في الفيلم هو كنيدي.

وجاء في سجلات مكتب التحقيقات الاتحادي عن مونرو المتاحة على موقعه على الانترنت أن أحد أزواج مونرو السابقين وهو لاعب البيسبول الشهير الراحل جو ديماغيو حاول يوما شراء الفيلم من مقتنيه بمبلغ ٢٥ ألف دولار لكن المقتني "رفض أن يفرط فيه".

ومورغان هو مقتن مشهور لتذكارات مونرو وديماغيو وقال إنه تربطه صداقة بزوجي مونرو الأخرين جيم دورتي وكان جنديا في البحرية والكاتب المسرحي آرثر ميلر.

وذكر أنه علم بوجود الفيلم حين كان يعمل في فيلم وثائقي عن مونرو التي توفيت في أغسطس (آب) عام ١٩٦٢ عن ٣٦ عاما. وقال إنه علم بأمر الفيلم من عميل سابق في مكتب التحقيقات الاتحادي وتأكد من وجود الفيلم بعد ملاحقة ابن عميل الـ "إف.بي.آي" الراحل الذي قدم نسخة من الفيلم لمكتب التحقيقات.

وقال مورغان الذي نشرت صحيفة "نيويورك بوست" نبأ صفقته إن ابن العميل الراحل كان يملك التسجيل الأصلي بينما توجد نسخة الفيلم في السجلات السرية لمكتب التحقيقات.

وأضاف مورغان: "قال عميل مكتب التحقيقات الاتحادي الذي التقيت به ان جيه. ادغار هوفر كانت تستحوذ عليه تماما الفكرة "إثبات أن الرجل في الفيلم هو كنيدي". وجعل فريقا من الخبراء مكونا من تسعة أفراد يحلل الفيلم في معمل واحضر جيه. ادغار هوفر عددا من بائعات الهوى زعم أنهن كن على علاقة بالرئيس كيندي ليحاولن..معرفة ماذا كان هذا الشخص هو الرئيس كيندي حقا".

ورفض ناطق باسم مكتب التحقيقات الاتحادي التعليق واكتفى بالقول بأن سجلات مونرو متاحة على الإنترنت وأنها تشير إلى الفيلم لكنه لم يشر إلى اهتمام هوفر بشكل خاص بإثبات أن شريك ممثلة الإغراء الأميركية في الفيلم الجنسي هو كنيدي.

وفي شهر فبراير من نفس عام ٢٠٠٨، قالت صحيفة «بوسطن هيرالد " الأمريكية عن أن السيناتور إدوارد كيندي يحاول منع نشر تقرير في مجلة " فانتي فير " عن طفل غير شرعي للرئيس الراحل جون كنيدي.

وقالت الصحيفة إن إدوارد كيندي يحاول منع المجلة من نشر تقرير عن رجل في منتصف العمر في كندا قد يكون ابن الرئيس الراحل.

وتعمل المجلة على هذا التقرير منذ أكثر من عام، كما أرسلت مصورا إلى فانكوفر لالتقاط صور للابن المزعوم للرئيس.

وذكرت صحيفة " نيويورك بوست "أن الابن المزعوم "رجل وسيم في نهاية الاربعينيات من العمر واسمه جاك ويشبه كثيرا الرئيس الخامس والثلاثين للولايات المتحدة " .

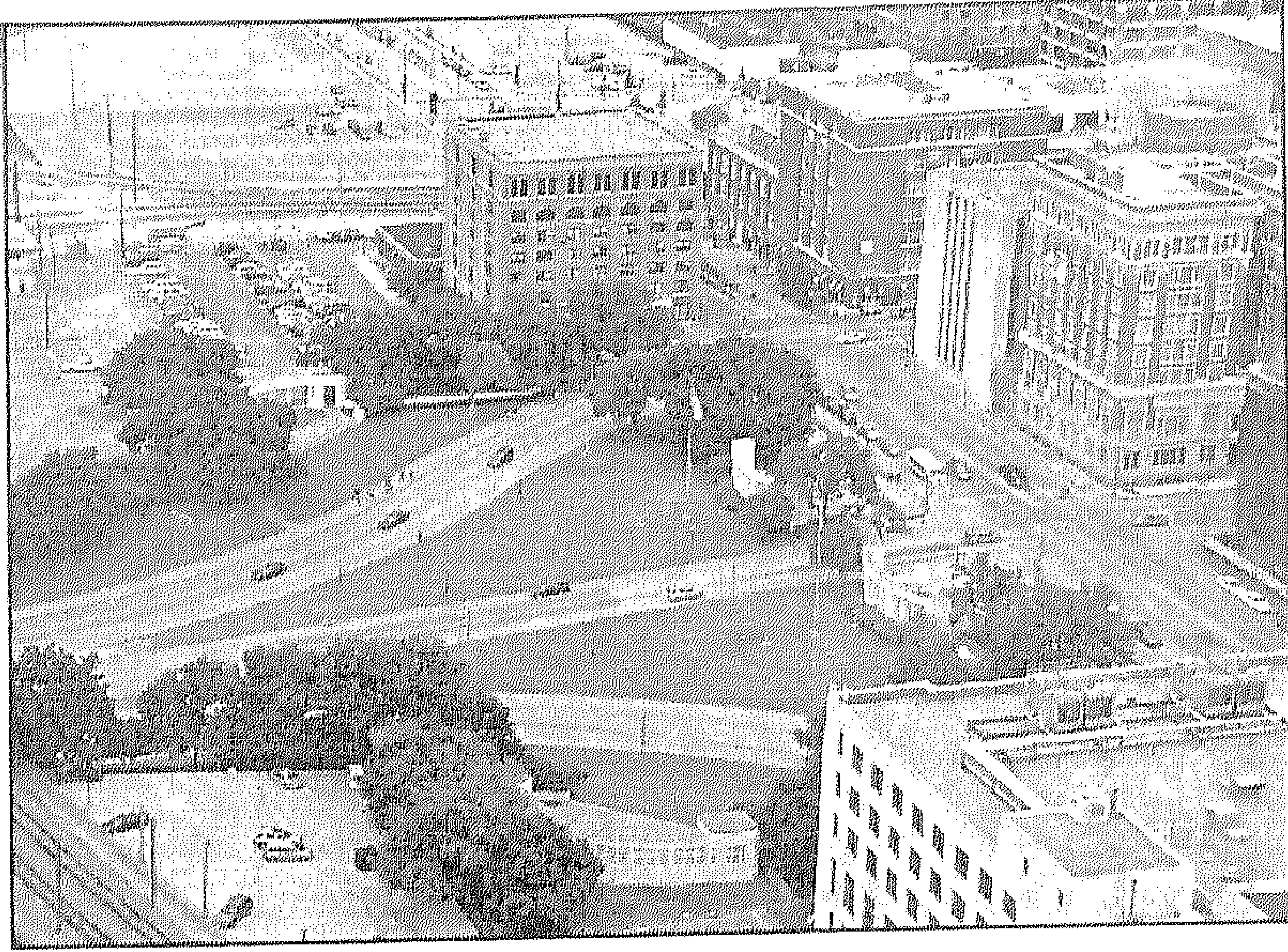
وقالت الناطقة باسم " فانتي فير " بيث كسينياك لصحيفة " نيويورك بوست" إن المجلة لا تزال تعمل على القصة، وأنها تنتظر نتائج فحص الحمض الريبي النووي " دي . إن . ايه " لإثبات أن الرجل ابن الرئيس كيندي .



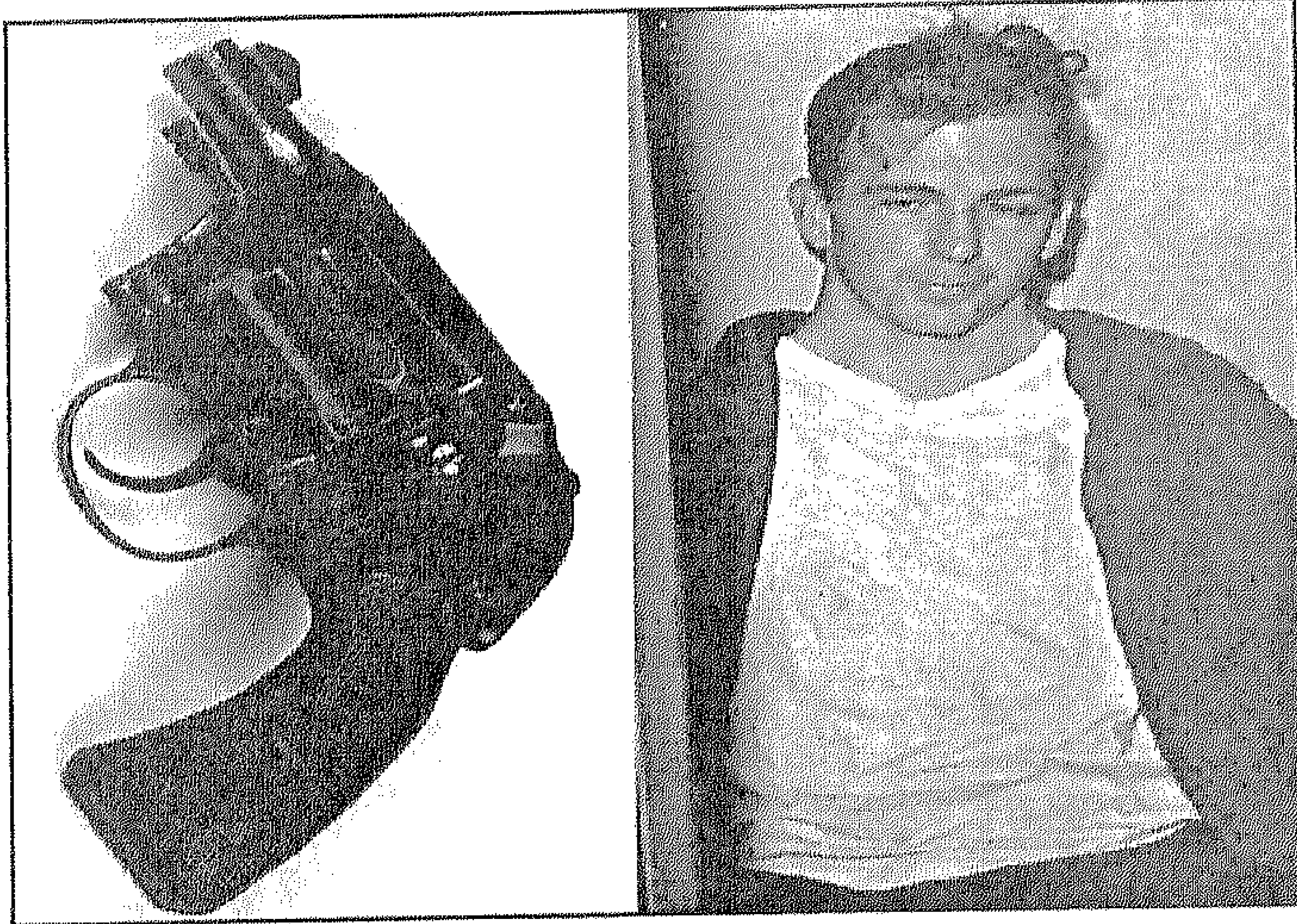
يوم الحادث المشئوم .. يوم حلت اللعنة .. الرئيس كيندي وزوجته جاكلين لحظة الهبوط من الطائرة في دالاس قبل ركوب سيارة الموت !!



السعادة على وجهيْ كيندي وجاكي قبل انطلاق رصاصة الموت إلى صدر الرئيس بثوانٍ !!



مكان الاغتيال بمدينة دالاس .. مجموعة من المباني التي تضاربت الأقوال والتقارير حول أي منها انطلقت الرصاصة التي قتلت الرئيس !!



لي أوزوالد الذي اتهمته المخابرات الأمريكية باغتيال كيندي و أنكر قبل أن يتلقى رصاصة قبل محاكمته ليخرس للأبد، و ثبت بعد ذلك أنه كان عميلاً للمخابرات الأمريكية كما جاء في الوثائق التي أفرجت عنها المخابرات في شهر مايو ٢٠٠٧ !!

UNITED STATES GOVERNMENT

Memorandum

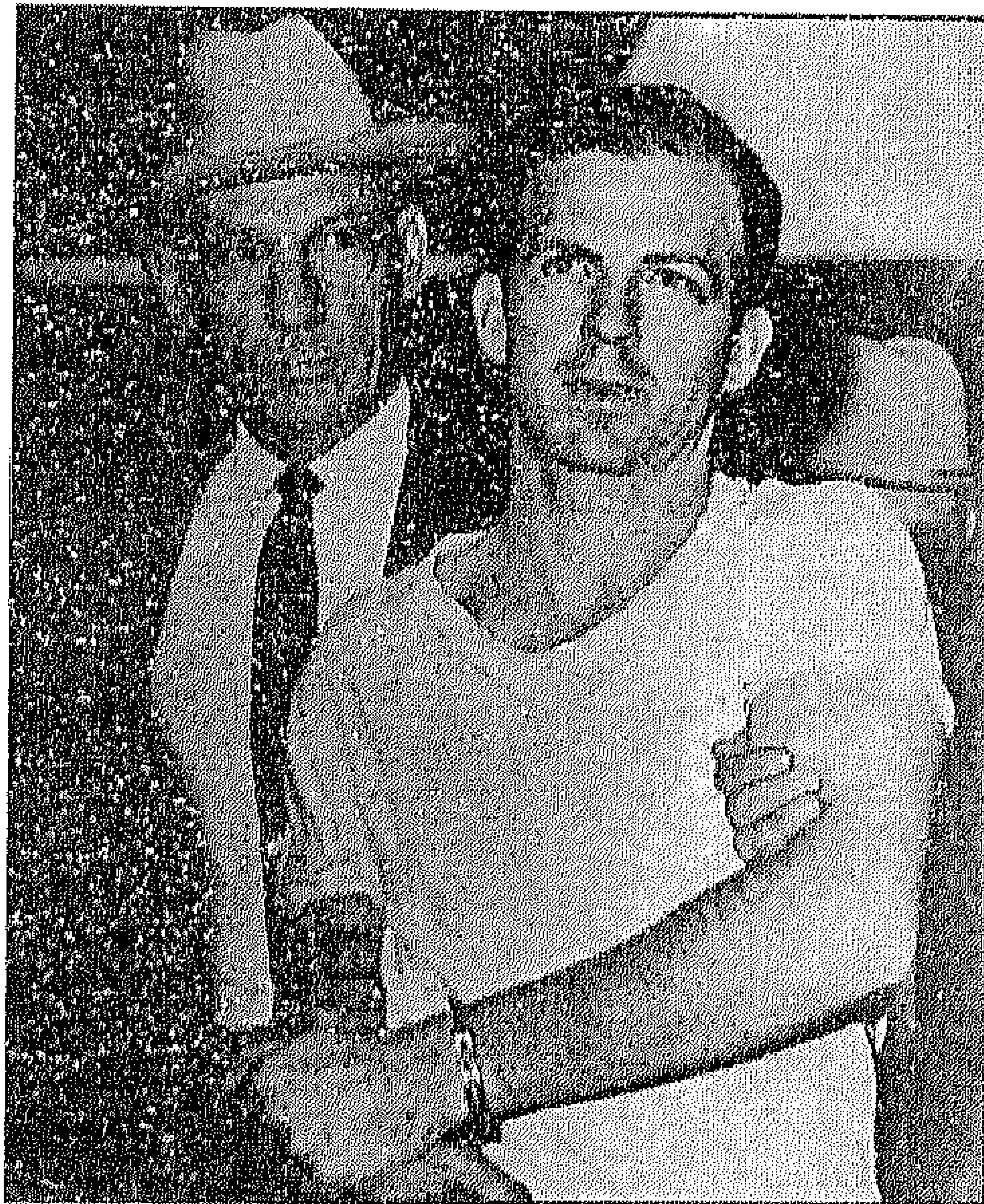
TO : Mr. James J. Rowley, Chief, U.S. Secret Service

DATE: March 3, 1964

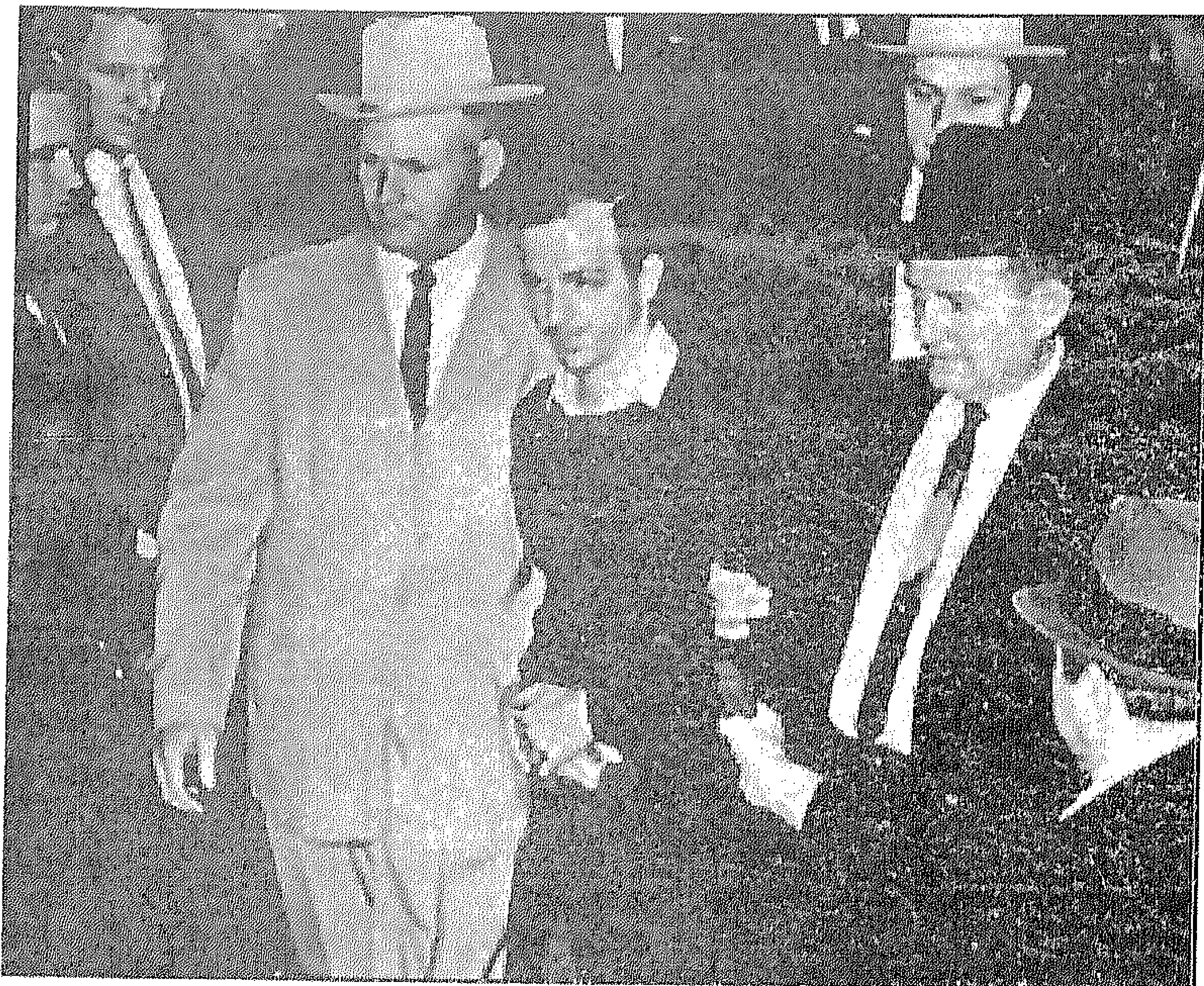
FROM : Mr. John McCone, Director, Central Intelligence Agency

SUBJECT: Central Intelligence Report on the Assassination of John Kennedy

الوثيقة المخابراتية المفرج عنها في ٢٠٠٧ و تؤكد أن أوزوالد كان عميلاً للمخابرات الأمريكية من قبل اغتيال كينيدي .



أوزوالد لحظة خروجه من زنزانته لارتداء ملابسه للتوجه للمحاكمة في اليوم الذي قتلوه فيه !!



أوزوالد قبل ثوانٍ من مقتله لتموت معه أسراره و خاصة الجهة التي دفعته لقتل الرئيس

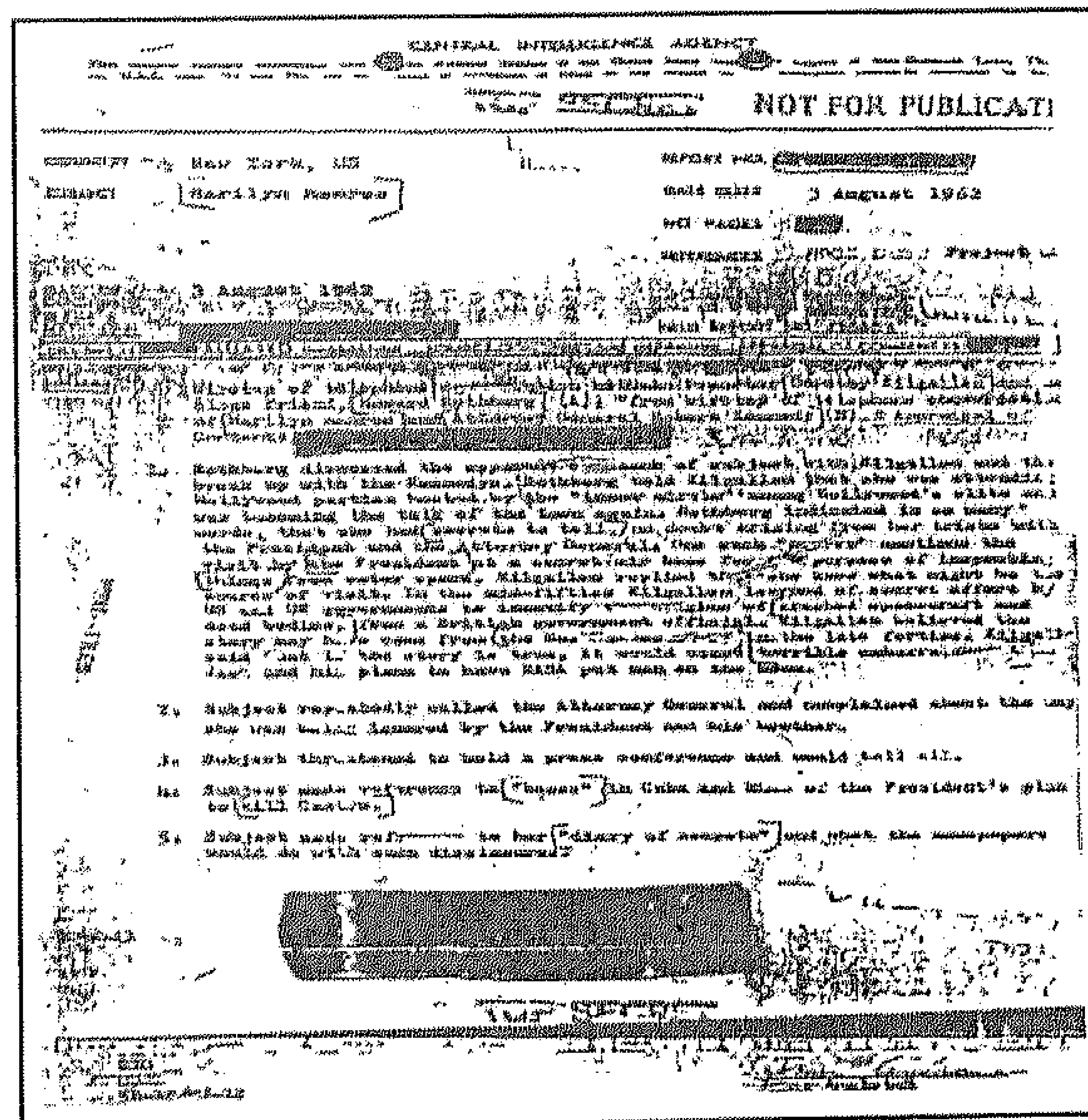
إذا كان هو أصلاً القاتل !!



كيندي مع نائبه جونسون الذي أشارت إليه أصابع الاتهام أيضاً !!



كيندي والزعيم الكوبي فيدل كاسترو الذي كان أول من اتهموه بتدبير مقتله بعد علمه بمؤامرته لاغتياله هو !!



CENTRAL INTELLIGENCE AGENCY

NOT FOR PUBLICATI

COUNTRY: New York, US

SUBJECT: Marilyn Monroe

DATE DISTR: 3 August 1962

[redacted]

[illegible]

الوثيقة المخابراتية التي أفرجت عنها " سي . آي . إيه " عام ٢٠٠٧ وتحمل أوامر كيندي بالتخلص من كاسترو !!

٢ - روبرت كيندي ..

وتسمر اللعنة !!



•• ولم تكد العائلة تفيق من اغتيال جون الرجل الذي حملها إلى البيت الأبيض حتى فوجئت باغتيال شقيقه روبرت وهو يستعد لدخوله ليكون ثاني رئيس من العائلة للولايات المتحدة!!

كان من الممكن أن تتوقف مأساة عائلة كيندي عند مقتل أشهر أبنائها، الذي حقق حلم العائلة الأعظم ببلوغه سدة الحكم، إلا أن الأمر سرعان ما تحول إلى لعنة، ليسقط الرموز فيها واحد تلو الآخر.

ففي نهاية الستينيات قام شاب فلسطيني، يحمل الجنسية الأمريكية، يدعى سرحان بشارة سرحان باغتيال السيناتور الديمقراطي، روبرت فرانسيس كينيدي الملقب بـ "بوبي"، شقيق الرئيس الأمريكي الراحل، جون كنيدي، ومرشح الديمقراطيين آنذاك لخوض انتخابات الرئاسة، التي فاز فيها ريتشارد نيكسون، وحين سئل سرحان عن السبب في إقدامه على عملية الاغتيال كان جوابه "إنني عملت ذلك من أجل وطني". وكان روبرت قد وعد، على عادة المرشحين الأمريكيين الآخرين لرئاسة الجمهورية، بتقديم مساعدات سخية للكيان الصهيوني.

وقد قادت التحقيقات إلى أن جهات مجهولة حرضت سرحان على اغتيال كيندي لأن الأخير وعد بالكشف عن الجناة الحقيقيين الذين تسببوا في مصرع أخيه جون في تكساس واستلام ليندون جونسون الرئاسة في البيت الأبيض.

وقد أشير – آنذاك – إلى أن عناصر متنفذة في الاستخبارات المركزية الأمريكية كان لها دور في عمليتي الاغتيال للشقيقين من آل كيندي. وربما يكون سرحان قد كشف عما كان يشعر به بقوله إنه أقدم على ذلك من أجل وطنه، ولكن ذلك لا ينفي عنه تورطه بتنفيذ برنامج كانت نتيجته تصب لمصلحة أطراف أخرى بعيدة عنه.

إدوارد الذي تمكن من دخول مجلس الشيوخ عام ١٩٦٢ وكان في ذلك الوقت يبلغ من العمر ٣٠ عاما فقط. وكان هذا نوعا من المناورة التي أثارت غضب مناوئي كنيدي. ودائما كان هناك بعض الكارهين لعائلة كينيدي منذ الثلاثينيات من القرن الماضي عندما كان جوزيف كنيدي، أحد أغنى أغنياء الولايات المتحدة، يبدي تعاطفه مع ألمانيا النازية. وفي عام ١٩٦٠، عندما تولى جون كيندى الرئاسة، استقال من مجلس الشيوخ وساعد بنيامين سميث على أن يصبح عضوا في مجلس الشيوخ، وظل سميث في المنصب حتى بلغ إدوارد السن التي تؤهله للترشح لمجلس الشيوخ.

وتمكن كيندى من تفويت الفرصة على المحامي العام في ولاية ماساتشوسيتس الأميركية، إدوارد ماكورماك، ابن رئيس مجلس النواب جون ماكورماك، الذي كان يرغب في الحصول على مقعد في مجلس الشيوخ. وقال ماكورماك قولته المشهورة إنه إذا كان إدوارد مور كيندي هو إدوارد مور وحسب، ما كان أحد سيهتم به كمرشح لمجلس الشيوخ. ويسترجع جون سيجنثلر، الذي كان يعمل مع روبرت كيندي في وزارة العدل عندما كان روبرت كيندي محاميا عاما، نقاش حدث بين إدوارد كيندي وروبرت حول شكاوى عائلة ماكورماك. ويتذكر سيجنثلر مقولة: " لا تأبه بهؤلاء، يجب علينا أن نتحرى في الأمر كما يتحتم ".

وبرغم مرور سنوات على وفاة أشهر نجمات الإثارة في العالم، إلا أن لغز وفاتها لايزال يحير العالم وكل يوم يظهر جديد يبعث الأمل في حل اللغز. فهل ماتت مارلين مونرو منتحرة أم مقتولة على يد رجال الرئيس الأمريكي الراحل جون كيندي ؟

ومؤخرا، نشرت صحيفة " لوس أنجلوس تايمز " بعضا من خبايا قنبلة السينما الأمريكية التي كشفت عنها خلال جلسات العلاج النفسي التي سجلها لها طبيبها على شريط كاسيت.

وفي هذه الأشرطة، كشفت مارلين الكثير من الأسرار عن علاقتها بالنائب العام الأمريكي في ذلك الوقت روبرت كنيدي، شقيق الرئيس الأمريكي الراحل جون كيندي والذي ارتبطت معه أيضا بعلاقة عاطفية.

وتشير الصحيفة إلى أن هذه الشرائط سجلت قبل أيام من العثور على جثة مارلين مونرو في شقتها بلوس أنجلوس في الخامس من شهر أغسطس ١٩٦٢. وجاء في تقرير الطبيب الشرعي أن مارلين مونرو ماتت مسمومة في حين أسفرت عن التحقيقات عن أن مارلين انتحرت بالسم.

وقالت الصحيفة إنها حصلت على نسخة كتابية من هذه الشرائط من المحقق السابق جون مينر - ٨٦ عاما - والذي قال إن التسجيلات تؤكد صحة اعتقاده أن مارلين مونرو كانت ضحية مؤامرة لأنها تؤكد أن مارلين لم تكن من الشخصيات التي تميل للانتحار

ويروي المؤلفان بيتر جراي وبات بارهام في كتابهما " قفزة الموت " بعد أن جمعا معاً الأحداث الخطيرة التي أحاطت بموت ملكة الإغراء مارلين مونرو

قالا: إن مارلين كانت من الخطورة والتأثير على الساحة السياسية في أمريكا إلى حد الوصول لأكثر من ثلاثين عاماً بعد رحيلها في صيف عام ١٩٦٢.. هذا الكتاب يدين الرئيس الأمريكي جون كيندى وشقيقه المدعي العام روبرت كيندى ورجال الخدمة السرية حولهما والمخابرات الأمريكية C.I.A بالتآمر على قتل ملكة الإغراء المتوجة بلا منازع للتخلص منها لأنها أذاعت أنها ستعقد مؤتمراً صحافياً تتحدث فيه عن علاقاتها العاطفية الصاعقة.

ويروى أنه حين همس روبرت كيندي في أُذن شقيقه الرئيس جون كيندي قائلاً: وجدنا مارلين مونرو منتحرةً في غرفتها هذا الصباح.. رد عليه كيندى: لقد قتلت شيئًا جميلاً في نفسي.

وقال: إن حبها لي هو الذي قتلها.. ثم نظر بعيداً وهو يقول: ليتني كنت مزارعاً بسيطاً في إحدى الولايات الأمريكية من أن أكون رئيساً يعرض أحبابه للهلاك.. والمعروف أن العلاقة الحميمة بين الرئيس كيندي والممثلة الأمريكية مارلين مونرو

لم تكن تخفى على أحد لدرجة أن كل أعضاء الكونغرس الأمريكي كانوا يعلمون عنها.. ولكن من الذي يجد في نفسه قدرةً على مواجهة رئيس الولايات المتحدة في أمرٍ كهذا.. كان روبرت كينيدي يخشى على شقيقه الرئيس من هذه المرأة.. ويقال إنه عالج أمرها.

ووفقاً لتسجيلات صوتية ظهرت مؤخراً، و بالتحديد في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٥ فإن مارلين مونرو كانت ضحية جريمة اغتيال بسبب علاقتها مع بوبي كيندى "روبرت" !!

نعم ..كُشف النقاب، ولأول مرة عن تسجيلات صوتية للممثلة مارلين مونرو على شريط لم يسمع به أحد مطلقاً من قبل لأنه ظل طي الكتمان منذ أن قامت النجمة الراحلة بتسجيله قبل أسابيع قليلة من موتها الغامض.

وقد أماطت مارلين في تلك التسجيلات اللثام عن أفكارها ورؤاها الخاصة جداً عن أفراد عائلة كيندي وعن حياتها الشخصية الماجنة، بل وانطوت التسجيلات على إشارات تدل على أنها تعرضت للاغتيال.

وصدر الإذن مؤخراً بنشر محتويات هذه التسجيلات الخطيرة والتي أوردتها صحيفة ذي لوس انجلوس تايمز، وذلك من قبل جون ماينر البالغ من العمر ٨٦ عاماً، وهو وكيل نيابة وادعاء سابق في مقاطعة لوس أنجلس كان حاضراً عند تشريح جثة مارلين في عام ١٩٦٢.

فقد أشارت تلك التسجيلات إلى ما يلي:

* إن الانتحار الذي تم الإعلان عنه كسبب رسمي لوفاتها لم يكن سوى غطاء للتستر على السبب الحقيقي للوفاة؛ وهو أنها اغتيلت بحقنة شرجية مميتة تحتوي على جرعة عقاقير قاتلة.

* وأنها كانت خلال الفترة التي شهدت موتها تسعى سعياً حثيثاً لقطع علاقتها مع روبرت شقيق الرئيس جون فرانكلين كيندي وإخراجه من حياتها.

* وأن حياتها الخاصة قد اشتملت على بعض الممارسات غير السوية مع أسطورة الشاشة جوان كراوفورد.

وكان ماينر قد قام بتشغيل الأشرطة مع الدكتور رالف غرينسون طبيب مارلين الخاص، وقال إنه كان يأخذ ملاحظات «حرفية» أثناء الاستماع للأشرطة؛ وقطع وعداً بأن هذه المعلومات ستظل حبيسة صدره إلى أن يأخذها معه إلى قبره؛ بيد أنه بعد مضي عدة سنوات، وبعد أن مات غرينسون وأشارت إليه أصابع الاتهام كمشتبه به محتمل في موت مارلين، حصل ماينر على إذن من أرملة غرينسون ليفصح عما سمعه. وتحدث ماينر في هذا الصدد قائلاً: «ما من سبيل ممكن لهذه المرأة أن تقتل نفسها. وإن الانتحار هو آخر شيء تفكر فيه مارلين في الأيام التي سبقت وفاتها في اليوم الخامس من شهر أغسطس لعام ١٩٦٢ عن عمر يناهز ستة وثلاثين عاماً».

وأردف ماينر قائلاً: «كانت لديها خطط محددة جداً وواضحة المعالم عن مستقبلها؛ وكانت تعرف تماماً ماذا تريد على وجه الدقة والضبط».

أما جيمس باكون البالغ من العمر ٩١ عاماً، وهو محرر عمود خاص عن هوليوود وصديق لمارلين الذي سجل لها زيارة قبل خمسة أيام من وفاتها، فقد أضاف قائلاً: "لم تكن تعاني من أي اكتئاب، وإنما كانت تتحدث عن الذهاب إلى المكسيك؛ ووقتها كان لديها خطيب مكسيكي".

وربما كانت هذه العلاقة الغرامية الجديدة هي الدافع لرغبة مارلين في إخراج المدعي العام للولايات المتحدة بوبي كيندي من حياتها ومسح ذكرياته من خيالها. فقد تحدثت صراحة عن هذا الأمر في الأشرطة، حيث قالت: "لا مجال له في حياتي؛ ولا أملك الجرأة لمواجهته والإضرار به. وإنني أريد شخصاً آخر لكي يوصل إليه المعلومة ويخبره بأن ما بيننا ولى إلى غير رجعة. وقد سعيت لأن يتولى الرئيس هذه المهمة، ولكنني لم أتمكن من الوصول إليه".

لقد كان روبرت كيندي عنصراً رئيسياً ولاعباً أساسياً في مسرح جريمة القتل الغامضة والغريبة ليلة وقوعها. وتؤكد سجلات وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية أن منزل مارلين كان تحت المراقبة اللصيقة في الأشهر الأخيرة من حياتها لأنه كان يسود اعتقاد بأنها على علم بالعديد من الأسرار البالغة عن جون فرانكلين وروبرت كيندى.

وأما إفادات الشهود التي أدلوا بها بعد عدة عقود، فقد برهنت على أن مارلين وشقيق الرئيس قد نشبت بينهما مناقشات وملاسنات حادة وعنيفة في عصر ذلك اليوم، وأنه عاد معها بصحبة الصديق الحميم بيتر لوفورد حوالي الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم إلى المنزل. وبعد ساعات قليلة من مغادرتهما، أبلغ إيونيس موراي حارس منزل مارلين عن موت الممثلة.

وبرغم مضي كل هذه السنوات، يرى ماينر أنه ينبغي إجراء تشريح جديد للجثة للرد على الأسئلة التي لم يجب عليها التشريح الأول.

وفي معرض شرحه لفرضيته القائمة على أن موت مارلين كان نتيجة لحقنها بحقنة شرجية وليس عن طريق الفم أو الحقن الوريدية، يقول ماينر: «يشير التشريح بوضوح إلى أن مسكنات البربيتيوريت التي دخلت إلى جسمها بكميات كبيرة نفذت إلى داخل الجسم عن طريق الأمعاء الغليظة. وليس هناك ما يشير إلى أن الأقراص قد تم تناولها عن طريق الفم». ومضى ماينر يقول إنه لم يتم العثور على أي آثار للإبر على جثة مارلين.

ولأن لعنة عائلة كيندي هى أشهر ملف مفتوح في أمريكا، فلا يمر وقت طويل حتى تخرج أخبار جديدة تكشف عن خفايا، أو تذيع شيئاً ما يتعلق بضحايا اللعنة أو قاتليهم .

ففي شهر مارس عام ٢٠٠٦ مثلاً، نُشر خبر يقول إن السلطات الأميركية قررت إبقاء سرحان سرحان الذي قتل السناتور روبرت كينيدي في ١٩٦٨، في السجن ورفضت الإفراج المشروط عنه، مؤكدة أنه يشكل خطرا على المجتمع.

وقال تيم كيندل من لجنة العقوبات ومراجعة الأحكام في ولاية كاليفورنيا إن سرحان سرحان الفلسطيني الأصل لم يحضر جلسة طلب الإفراج المشروط عنه ولم يمثله أحد.

وأضاف أن السلطات ترى أنه لا يزال يشكل خطرا على الأمن العام وليس مؤهلا للإفراج عنه، موضحا أنه "دعي مرتين للمثول أمام اللجنة ورفض أن يلبي هذه الدعوة".

وتابع كيندل أن اللجنة توصلت إلى أن سرحان قتل كيندى "بدم بارد وبوحشية".

وتفيد نتائج الفحوص الطبية التي عرضت على اللجنة أن سرحان سرحان "يكره الأميركيين ويريد أن يهتم بالسياسة في الشرق الأوسط في حال الإفرج عنه".

وكانت هذه هي المرة الثالثة عشرة التي ترفض فيها السلطات الأميركية الإفراج عن سرحان بشروط. وكان قد حكم عليه بالإعدام في قضية قتل كيندى لكن الحكومة خفضت إلى السجن مدى الحياة في ١٩٧٢.

وقال كيندل إن سرحان سرحان يمكنه أن يقدم طلبا جديدا بعد خمسة أعوام.

ويبدو أن حاكم كاليفورنيا أرنولد شوارتزنيغر المتزوج من ابنة شقيقة كيندى عارض توصية بالإفراج عنه قدمت إلى اللجنة.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد كشف المحامي الجديد لسرحان بشارة سرحان، المتهم بقتل روبرت كينيدي، في شهر مايو من عام ٢٠٠٨، بأنه يسعى إلى الحصول على محاكمة جديدة من أجل إطلاق سراحه، موضحاً أن موكله لا يذكر أنه أطلق النار على السيناتور.

وقال المحامي ويليام بيبر، في مقابلة مع شبكة "سي إن إن" إن سرحان لا يذكر على الإطلاق أنه أطلق النار على روبرت كيندي، شقيق الرئيس الأمريكي الراحل جون كيندي، مشيراً إلى أنه قيل للمتهم إنه قتل كيندي.

وأوضح المحامي بيبر أن سرحان س حان، وهو مسيحي من أصل فلسطيني، "كان منوماً مغناطيسياً وفاقداً للذاكرة"، وأنهم سوف يستخدمون "التنويم المغناطيسي مرة أخرى لاستعادة ذاكرته.-"وأشار المحامي إلى أن هناك تسجيلاً جديداً حول حادثة اغتيال كيندي، وكذلك ما كشفته تحقيقات " فان براغ"، وأنها تشكل مادة مثيرة في إعادة فتح التحقيق وبالتالي محاكمة سرحان من جديد.

وقال المحامي إنه لا يعرف بعد من قتل روبرت كيندي،مضيفا "ولكنني أعرف أن بوب (روبرت كيندي) قتل جراء رصاصة أطلقت عليه من مسافة بوصة واحدة من الخلف."

وأوضح أن كيندي، أصيب بأربع رصاصات، واحدة منها في ظهره، مشيراً إلى ضرورة استكمال التحقيقات، وبخاصة أن روبرت كان يقف خلف أحد أعضاء مجلس الشيوخ، لكنه لم يتمكن من تحديده.

وكانت السلطات الأميركية قد قررت في العام ٢٠٠٦ إبقاء سرحان سرحان في السجن، ورفضت الإفراج المشروط عنه، مؤكدة أنه يشكل خطراً على المجتمع .

وهناك من يؤكد أن برمجة المخ والسيطرة على عقول الآخرين أسلوب اتبعته منظمات وأجهزة عالمية عديدة لتنفيذ أعمال الاغتيالات والتخريب حول العالم.. وهناك وسائل اتبعتها المخابرات الأمريكية للسيطرة على عقول عملائها لتنفيذ أغراضها المشبوهة داخلياً وخارجياً.

وبعد فضح التجارب التي أجرتها المخابرات الأمريكية بهذا الخصوص، أصبح هناك اعتقاد قوي بأن مجرمين أمثال جيمس راي (قاتل مارتين كنج) ولي أزوالد (قاتل الرئيس كيندى) - وغيرهما كثير - كانوا آلات مبرمجة تتحكم بها جهات مخابراتية على درجة عالية من التنظيم والتخصص ولعل قضية الشاب العربي "سرحان بشارة" المتهم باغتيال السيناتور روبرت كيندى - شقيق الرئيس جون كيندى - أفضل نموذج يمكن الاستشهاد به بهذا الخصوص.

وسرحان بشارة سرحان شاب عربي فلسطيني ولد في القدس عام ١٩٤٥ ودخل الولايات المتحدة كمهاجر أردني مسيحي وعمره اثنتا عشرة سنة. وقد وجدت في أوراقه لاحقاً ما يفيد بضرورة قتل روبرت كيندي قبل الخامس من يونيو ١٩٦٨ الذي يوافق الذكرى الأولى لحرب ١٩٦٧ التي غزت فيها إسرائيل مصر وسوريا والأردن.

وقد ترصد لكيندي في فندق الإمباسدور حيث سيعقد الأخير مؤتمراً صحفياً بمناسبة فوزه في الانتخابات التمهيدية لولاية كاليفورنيا. وفي تمام الساعة ١٢,٣٠ ليلاً أطلق سرحان ثماني رصاصات باتجاه المنصة أصابت إحداها كيندي في مخه فتوفي على الفور.. ولكن في ظل الرعب والضجيج الذي ساد القاعة لوحظ شيء غريب.. فمنذ اللحظة التالية لإطلاق النار بدأت على سرحان ملامح الذهول والصدمة كما لو كان آخر من يعلم بما حدث.. فبعد حادث الاغتيال لم يحاول الهرب أو المقاومة بل ظل متسمراً في مكانه حتى تقدم منه أحد الحضور وسحب منه المسدس بهدوء.

وآخر ما يتذكره سرحان - حسب التحقيق - انه كان في حانة مع أحد أصدقائه - الذي لم يتذكر أبداً اسمه أو شكله - والذي أخبره بوجود مؤتمر للصهاينة يحييه روبرت كيندي في فندق الإمباسدور الأمر الذي أثار حنقه وسأله إن كان يود الحضور فوافق على الفور.. وقد أكد عدد من كبار ضيوف الحفل أن سرحان بشارة كان في غيبوبة تامة وحالة من اللاوعي عقب عملية الاغتيال واستمر على هذا الوضع حتى في الأيام التي تلت اعتقاله لدرجة أن رئيس التحقيق اضطر لاستدعاء الدكتور برنارد دايموند عالم النفس وخبير التنويم المعروف بجامعة كاليفورنيا.

ومنذ البداية لاحظ دايموند أن سرحان يسهل تنويمه مغناطيسياً بسرعة فائقة (كدليل على مروره بجلسات تنويم سابقة) كما اكتشف أن ذاكرة سرحان قد محيت تماماً بعد ماض معين وأنه - أي دايموند - عاجز تماماً عن استخراج أي حقائق أو معلومات تتعلق بالحادث.. وفي السجن لاحظ مهارة سرحان في تنويم نفسه مغناطيسياً عن طريق التحديق في مرآة لمدة طويلة ثم ظهوره بشخصية مختلفة!!

وبعد جلسات وتجارب مضنية - استعان خلالها بخبراء آخرين - تبنى الدكتور دايمون الفكرة القائلة بأن "سرحان كان مبرمجاً من قوى خارجية لتأدية أعمال معينة في أوقات محددة.. وقد شهد بما اكتشفه أثناء المحاكمة وسحب ورقة بيضاء ونوم سرحان مغناطيسياً وطلب منه كتابة موقفه من كيندى فكرر نفس العبارات التي كررها كثيراً اثناء التحقيق معه وأخذت عليه كدليل اتهام - رغم إمكانية استعمالها أيضاً كدليل على تعرضه لغسيل مخ مثل: روبرت يجب ان يقتل.. يجب أن يصفى.. يجب اغتياله قبل الخامس من يونيو اغتياله مهمتك الأساسية)..

أما أحدث ما أثير بشأن ملف اغتيال روبرت أو بوب كيندي فقد شهدته انتخابات الترشح للفوز ببطاقة الحزب الديمقراطي لخوض انتخابات الرئاسة الأمريكية في عام ٢٠٠٨، عندما ألهبت قضية اغتيال روبرت كيندي السجال بين هيلاري كلينتون وباراك أوباما قبل أن ينتهي الأمر بفوز أوباما .

فقد صدمت تصريحات ادلت بها المرشحة الديموقراطية المحتملة للانتخابات الرئاسية الأميركية هيلاري كلينتون حول اغتيال روبرت كيندي لتبرر بقاءها في السباق الانتخابي، صدمت الديموقراطيين، حين قالت : " نذكر جميعا أيضا اغتيال بوبي كيندي في يونيو في كاليفورنيا " .

وقد أرادت هيلاري التذكير بأن الترشيح الديموقراطي يمكن ألا يقفل قبل يونيو، لكن إشارتها الملتوية إلى اغتيال كيندي أثارت غضب فريق منافسها باراك أوباما الذي أكد مؤيدوه مرات عدة أنهم يخشون أن يتم اغتياله، كما حدث لروبرت أو القس مارتن لوثر كينغ الذي قتل في أبريل ١٩٦٨.

وقدمت هيلاري اعتذاراتها، مؤكدة في بيان أنها لم تشأ توجيه " إهانة " وأنها تصلي من أجل عائلة كنيدي.

وقالت : "أعبر عن أسفي إذا ما كانت إشاراتي في هذه اللحظة المأساوية من تاريخنا وخصوصا لعائلة كيندي قد جرحت أحدا ولم تكن هذه نيتي بالتأكيد " .

وذكرت بأنها تشغل بصفتها سيناتورا عن نيويورك، المقعد الذي شغله روبرت كيندي عندما بدأ السباق إلى البيت الأبيض.

من جهة أخرى، صرح أوباما أنه لن يبدأ في رفع الحظر الاقتصادي المفروض على كوبا حتى تبدأ الجزيرة الشيوعية في اتخاذ مبادرات لإنهاء القمع وتقوم بإجراء انتخابات حرة، مشيراً إلى أنه سيخفف هذا الحظر تدريجيا إذا اظهرت كوبا دلائل على وجود تغيير ديموقراطي وأطلقت سراح أكثر من ٢٠٠ سجين سياسي.

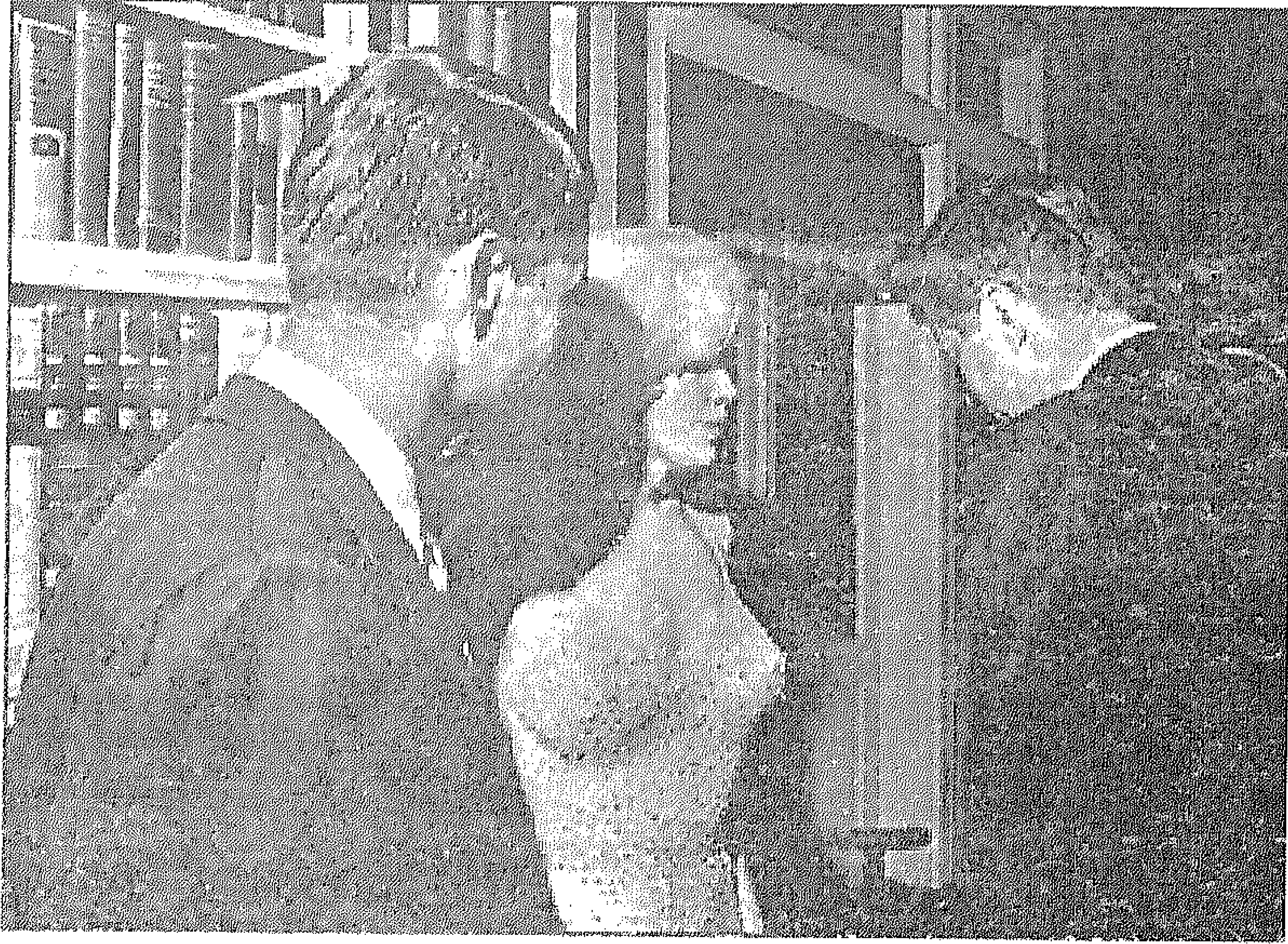
وأضاف أوباما أمام تجمع في ميامي : " سأستمر في فرض الحظر.. إنه يمنحنا القوة لعرض خيار جيد على النظام الكوبي " .



روبرت كيندي أو " بوبي " يواصل حملته الانتخابية قبل أن يخرج و يلقى حتفه كما حدث مع شقيقه الرئيس جون كيندي !!



وبعد اغتياله يلفظ أنفاسه الأخيرة !!

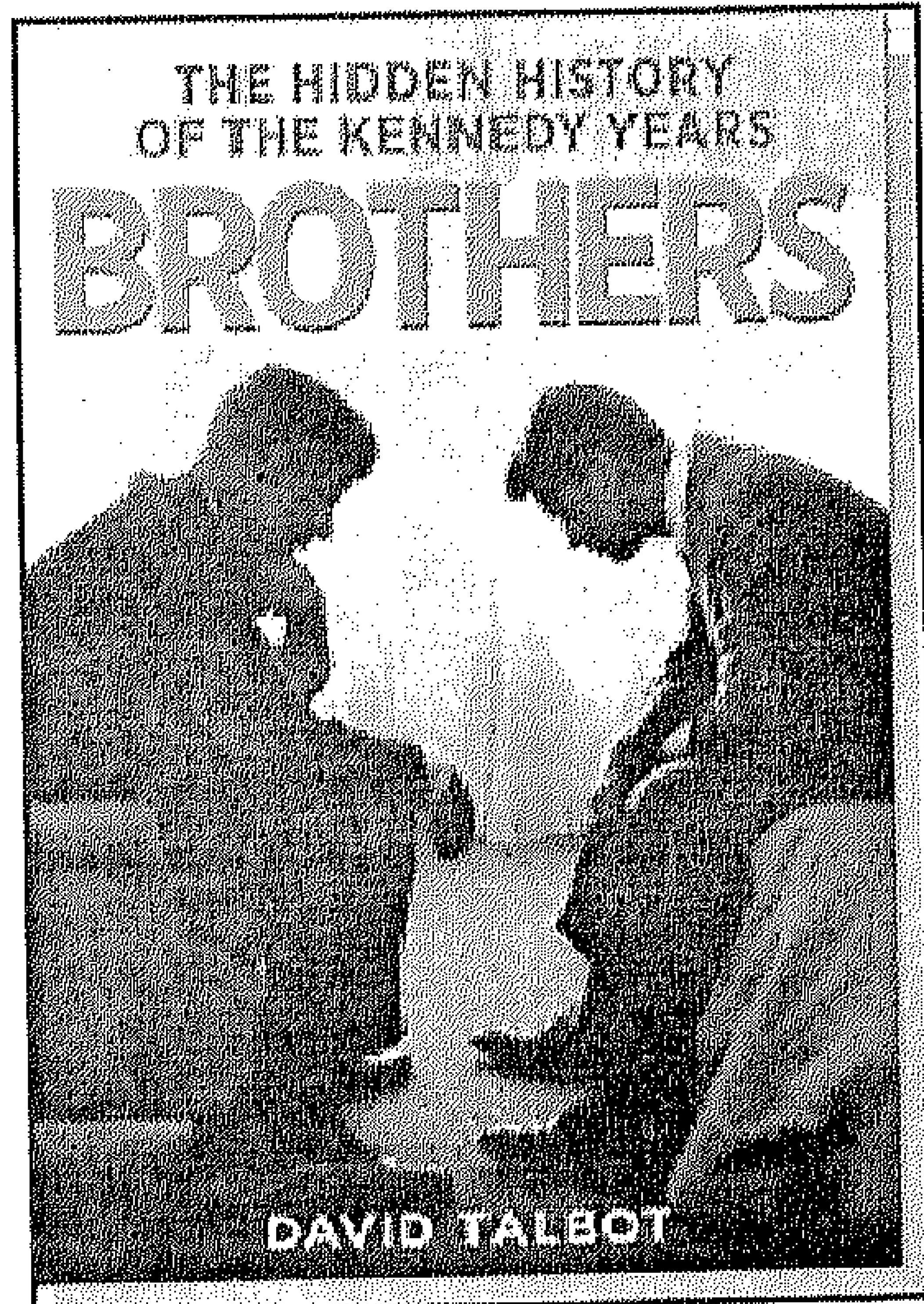


مارلين مونرو مع الأخوين كيندي الرئيس جون (إلى يمين الصورة) وروبرت أيام الود والصفاء قبل أن ينقلبا عليها !!



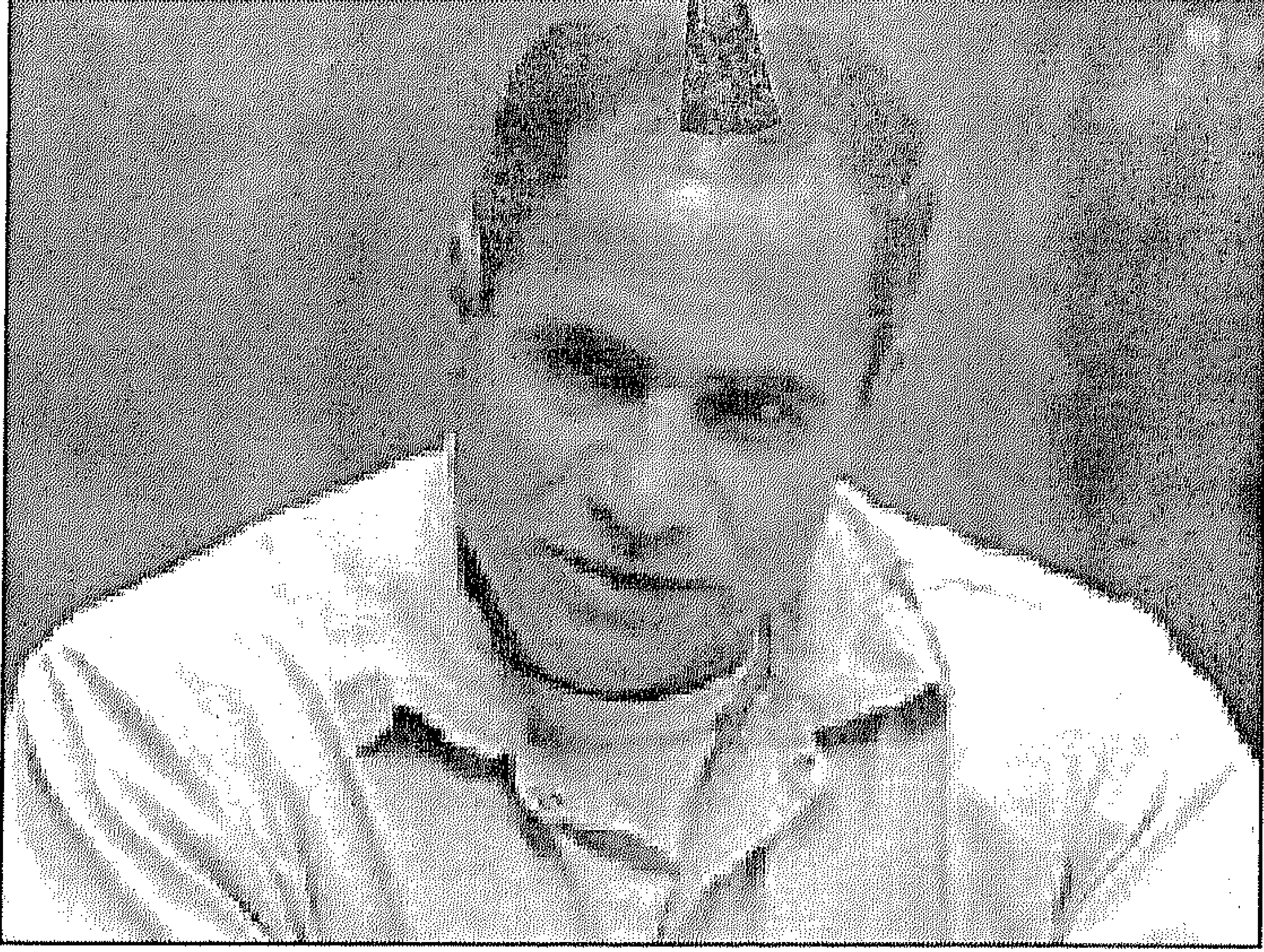
مارلين مونرو بعد رحيلها نشروا صورها و معها صورة روبرت كيندي باعتباره المتهم الأول بقتلها وتصوير الأمر كعملية انتحار !!

آخر وثيقة مخابراتية لـ " سي. آي . إيه " تحمل توصية من روبرت كيندي بالتخلص من مونرو لعزمها كشف أسرار الأجسام الفضائية التي تجري عليها أبحاث سرية تعرف أمرها ومكانها من شقيقه الرئيس جون كيندي !!



نموذج لعشرات الكتب التي تناولت الجوانب الخفية في علاقة الأخوين كيندي ..

كتاب ديفيد تالبوت " القصة الخفية لسنوات الاخوة كيندي " .



بشارة سرحان .. هل فعلاً تعرض لغسيل مخ من المخابرات الأمريكية " تنويماً مغناطيسيا"

لقتل روبرت كما قال محاموه في مايو ٢٠٠٨ وطالبوا بإعادة محاكمته ؟!



روبرت كيندي رحل كما رحل شقيقه جون بعد ان حلت على كليهما لعنة العائلة !!

٣- جون كيندي الابن ..

نفس النهاية المأساوية ولكن !!



•• وكما حلت اللعنة بأبيه الرئيس وحلت بعمه حلت به .. الفارق الوحيد أنه لم يُقْضَ بالاغتيال كما حدث معهما، وإنما في كارثة حملت نفس النهايات المأساوية التي كانت دائماً تنتظر آل كيندي !!

وتستمر لعنة العائلة، و تمتد من جيل إلى جيل فتصل إلى أمل ومستقبل آل كيندي، الذي كان يراهن عليه كل أفراد العائلة، فيلقى مصرعه، لتفقد هذه العائلة المنكوبة ركناً آخر من أركانها .. إنه جون كيندى الابن !!

وبعد مضي ست سنوات على تحطم طائرة جون فيتزجرالد كيندي الابن، جرت إماطة الكثير من الغموض الذي كان يكتنف حياته وموتته المأساوية، وذلك عبر كتاب مثير ألفته إحدى أقرباء عائلة كيندى.

كارول رادزيويل في كتابها " ماذا بقي ؟ "، والتي كانت متزوجة من ابن خالة جيه.اف.كيندي وخله الوفي، تأخذ القراء إلى عمق المأساة مباشرة وتنقلهم إلى تلك اللحظات التي سبقت سقوط طائرة كيندي الابن وتحطمها داخل البحر وموت جون وزوجته كارولين بيسيه وابنتهما لورين.

وتقول : "كانت السنوات الأخيرة في حياة جون وكارولين مليئة بالمشاكل المستعصية الحلول والمخدرات والخيانات. كانت حياة تعيسة انتهت بموتهما ".

ويكشف الكتاب الذي صدر في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٥. يحتوي بين غلافيه الكثير المثير من التفاصيل حول آخر محادثة بين جون (٣٨ عاماً) وكارولين (٣٣عاماً) قبيل تحطم طائرتهما وسقوطها قبالة مياه ساحل مارثا فاينيارد.

كارولين وجون تحدثا إلى ابن خالته انطوني رادزيويل. أقرب أصدقائه وأمين سره في تلك اللحظات الحرجة التي سبقت سقوط الطائرة مباشرة. ولعل تلك المحادثة تكشف حقيقة مذهلة عما حدث بالضبط.

ويقول الكتاب إن كارولين التي كانت مدمنة لا تستطيع فكاكاً من المخدرات قد تكون هي السبب في تلك الكارثة التي حلت بالعائلة الشابة، وأن يعلم الجميع أن الزوجين اعتادا على الدخول في ملاسنة حادة يشوبها شيء من العنف لاسيما في تلك الأيام التي سبقت موتهما.

وقال الكتاب : في الليلة التي سبقت الكارثة، كانت كارولين في حالة من الغضب لم يسبق لها مثيل بسبب شجار عنيف دار بينها وبين زوجها جون.

واعترف جون لأنطوني أنه يخشى أن تأتي كارولين بتصرف جنوني. ولعلهما دخلا في نقاش حاد وعنيف أثناء تحليقهما في الجو. وقد يكون في الكتاب أجوبة على الكثير من الأسئلة التي لاتزال تدور في أذهان الناس مُنذ ستة أعوام.

وفيما يبدو برغم تعطش الناس للحقائق عن كارثة سقوط طائرة جون وكارولين في مياه المحيط، والكشف عن الغموض التام الذي اكتنف الحادثة التي وقعت في السادس عشر من يوليو من عام ١٩٩٩، فإن عائلة كيندي لا تريد نشر تلك التفاصيل المأساوية التي تشوه سمعة العائلة.

وأكد مصدر مقرب أن كارولين كيندي شقيقة جون تعيش حالة من الذهول منذ علمت أن كارول رادزيويل (٤٢ عاماً) أرملة ابن خالتها انطوني، تريد نشر كل تلك الأشياء الخاصة على الملأ. وقالت كارولين : " إن ما تفعله هذه يناقض كل ما تعلمته من أمها جاكي ولا يناسب كل ما تمارسه من عمل، فلا ينبغي على المرء إذاعة ما يدور داخل جدران العائلة من الكلام العادي، ناهيك عن الخلافات وما شاكلها". ومن تقاليد العائلة عدم إطلاع الأغراب على أسرارها، ولكن كارول تمردت على تلك التقاليد وخرجت عليها.

وتضيف : وهي تعلم تماماً أن هذا شيء يسيء إلى سمعة أخيها جون وسمعة عائلته، بل وسمعة عائلة كيندي كلها. وكيف للمرء أن يغامر بسمعة إخوته التي هي جزء من سمعته هو شخصياً ؟ إن هذا لشيء عجيب !

وقد جعلت مؤلفة الكتاب من كارولين زوجة أخيها جون. امرأة مبرأة من كل خير، باردة العواطف مضطربة الدواخل وتفتقر لأي نوع من المشاعر.

فالجريمة في عيون كارولين هي أن كارول وأنطوني كانا أقرب الناس لجون وكارولين، ورغم ذلك فهي تخلع ثوب الوفاء وتتجرأ بكتابة كل هذا الغثاء عنهما.

أما أنطوني زوج كارول، الذي تم اختياره مسؤولاً عن إدارة ثروة جون المكونة من عدة ملايين من الدولارات، فمات بالسرطان عن ٤٠ عاماً في سنة ١٩٩٩، أي بعد شهر واحد من حادث الطائرة المأساوي.

وقد وصفت كارول في الكتاب عطلات نهاية الأسبوع الطويلة التي كان يقضيها الزوجان في اللعب واللهو والسباحة وركوب الزوارق البحرية وتجاذب أطراف الحديث الحميم أمام المدفأة، ويتناولان فيها الآمال العريضة على مائدة العشاء.

وكشف الكتاب أيضاً كل الخير والشر الذي كان يسود حياة العائلة الصغيرة. ولكنها اعترفت انها كانت دائماً بعيدة عن حياتهما.

لم تكن كارول وكارولين مرتاحتين أبداً داخل عائلة كنيدي، إذ أنهما لم تتأقلما على الحياة مع تقاليد العائلة وموروثاتها، وكانتا تعلمان أنهما لن تتأقلما البتة. والأعجب من هذا أن جاكي كان ينتابها نفس الشعور عندما تزوجت من والد جون الرئيس الأمريكي الراحل جون كنيدي.

كارولين لا تؤيد كارول في مشاعرها، بل وتشعر أن تفاصيل الكتاب الذي كشف أدق أسرار العائلة فيه ظلم وخيانة لها. و يبدو واضحاً أن كارولين وأفراد عائلتها قد أرقهم نشر تلك التفاصيل والأسرار التي جرت داخل الطائرة قبيل سقوطها في مياه المحيط.

ويردد البعض رغم ذلك أن جون كان طياراً ماهراً، وقد أكد جميع الذين سافروا معه أنه من المستحيل أن يكون أتى بخطأ تسبب في تحطم الطائرة. وإذا كانت

كارولين هي السبب في الكارثة، فإن العالم سيعلم حقيقة ذلك. وكل ما آمله أن يقف الناس على الحقيقة.

وبعيداً عن الكتاب، و من فرط اهتمام الأمريكيين بآل كيندي، فقد أنتجت محطة "تي بي إس" التلفازية باسم "أمير أميركا" ليدور حول حياة جون أف. كيندي الابن (ابن الرئيس الأسبق الراحل جون كيندي) وكيف كان شاباً وسيماً للغاية ومن كبار نجوم المجتمع المرشحين للزواج، وكيف أن حياته لم تكن سهلة مع النساء اللواتي مررن بحياته.

الفتاة التي أصبحت زوجته لاحقاً صدته عندما اقترح في لقائهما الأول أن يلتقيا مجدداً في أسرع وقت ممكن، ووالدته ابنة الممثلة داريل هانا في لقائهما الأول، ثم مارست الضغط على ابنها في خياراته الشخصية، سواء المتعلقة بعمله أو علاقاته الغرامية.

الكفاح الذي خاضه كيندي الشاب لكي يقرر شكل حياته بنفسه رغم كونه شخصية مشهورة منذ ولادته وولاؤه لوالدته وشقيقته وزوجته يسرده فيلم تلفزيوني صنعته محطة "تي بي إس" التلفازية باسم "أمير أميركا".

الفيلم الذي يستغرق عرضه ساعتين مقتبس من رواية "اليوم الذي مات فيه جون" الذي أدرج في قائمة أكثر الكتب مبيعاً لكريستوفر أندرسون، ومن مقابلات صحافية أجريت مع جون والأخبار التي نشرتها الصحف عنه.

ويركز الفيلم بشكل خاص على سني شباب الطفل الصغير الذي حفرت صورته وهو يؤدي التحية لنعش والده في العام ١٩٦٣في ذاكرة الأميركيين، وهو ببطولة جاكلين بيسيه في دور جاكلين كيندي أوناسيس والدة جون.

وبورتيا دي روسي في دور كارولين بيست كيندي (شقيقة جون). ويلعب كريستوفر بولاها وتارا تشوكول - وهما ممثلا مغموران - دور جون كيندي الابن والممثلة داريل هانا.

ويبدأ الفيلم بمشاهد البحث عن طائرة كيندي الخاصة بعد سقوطها في البحر في ١٩ يوليو ١٩٩٨ ومصرعه مع زوجته وشقيقتها لورين بيست.

وثمة عدة مشاهد مخصصة للمصادمات بين كيندي ووالدته حول علاقته التي دامت خمس سنوات مع داريل هانا. وتدعي جاكلين أنها مصابة بصداع لكي تتحاشى مقابلة هانا وتنتقد الممثلة لافتقارها إلى الاستقرار ولا تمنح الموافقة التي يطلبها جون بإلحاح شديد على علاقتهما.

وتوحي الأنباء المنشورة في صحف التابلويد بأن كارولين كيندي استاءت كثيراً من إشارة الفيلم إلى فشل شقيقها في أعماله وغرامياته إلى حد أنها خسرت ١٢ كيلوغراماً من وزنها.

وقد اعترفت نجمة الفيلم دي روسي أن الفيلم مزعج، وقالت: "لا ريب أن كارولين كيندي منزعجة من الفيلم. ومن المؤسف جداً أن ذلك سيعزز الدعاية له. إن المأساة هذه كانت مؤلمة جداً لتلك العائلة".

وقد ذُكِر أن هانا تضايقت بقوة أيضاً من تقديمها في الفيلم كفتاة غير مستقرة وممثلة محتاجة اعتبرتها والدة جون كيندي غير ملائمة لابنها. وفي الفيلم مشهد يهرع فيه جون إلى إنقاذ هانا بعد تعرضها للضرب على أيدي صديقها السابق المغني جاكسون براون.

وتقول المنتجة التنفيذية للفيلم بوني راسكين: "عائلة كيندي لم تتصل بنا ولم تحاول أبداً وقف الفيلم. إنني واثقة من الطريقة التي روينا بها القصة إلى حد أنني سأكون مسرورة لإرسال نسخة عن النص لكل من يطلبها. إن الفيلم يقدم جون والعائلة في ضوء الواقعية التامة".

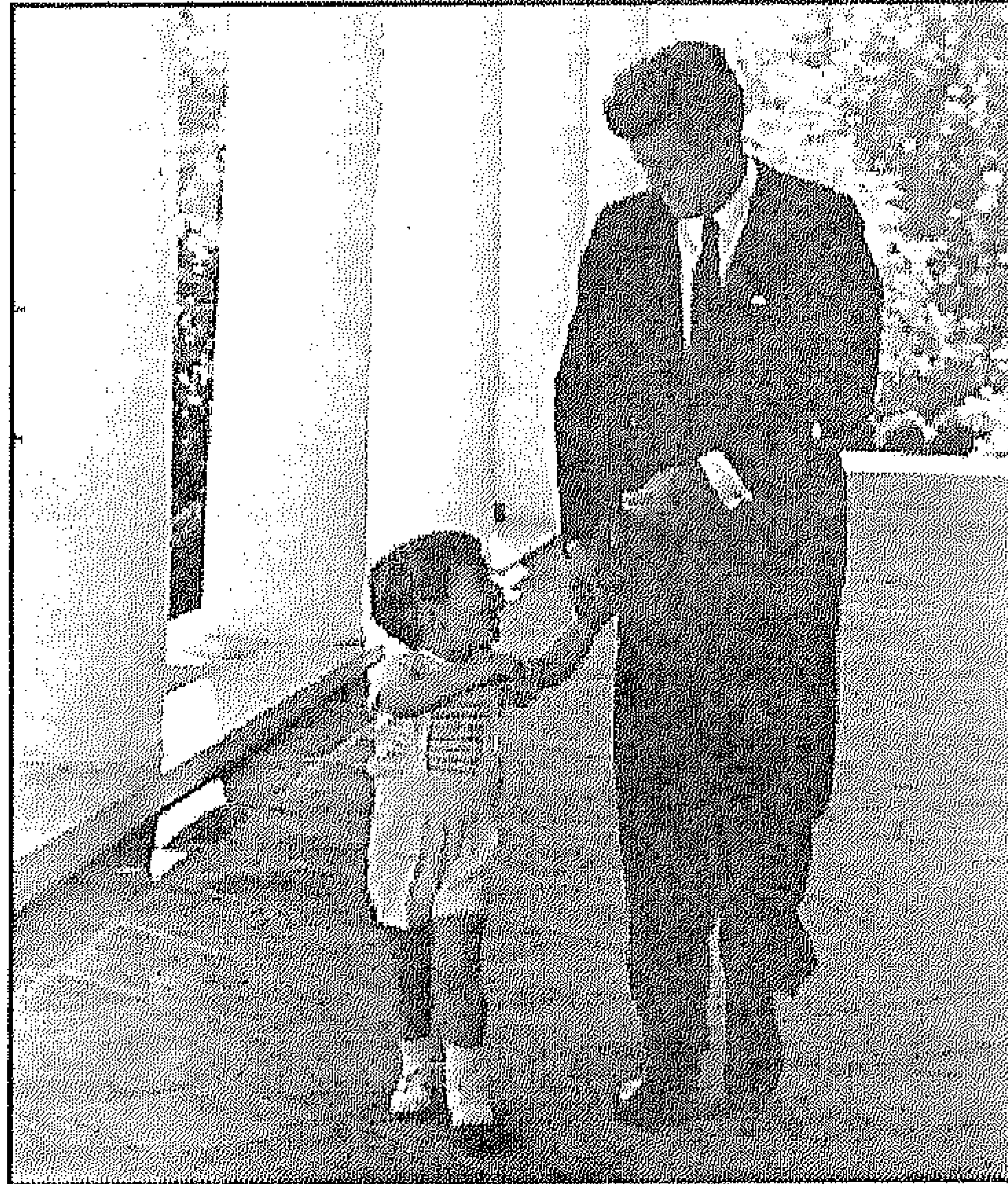
ويتطرق الفيلم إلى النواحي العائلية التي تهم متتبعي سيرة ال كنيدي: جون يتخلف عن امتحان المحاماة، وجاكي تقول له إنه لا ينبغي أن يصبح ممثلاً، الخطاب

الذي ألقاه جون في مؤتمر الحزب الديمقراطي في العام ١٩٨٨، العلاقة مع هانا، وعلاقته العاصفة مع كارولين بيست وكفاحه من أجل متابعة نشر مجلة "جورج".

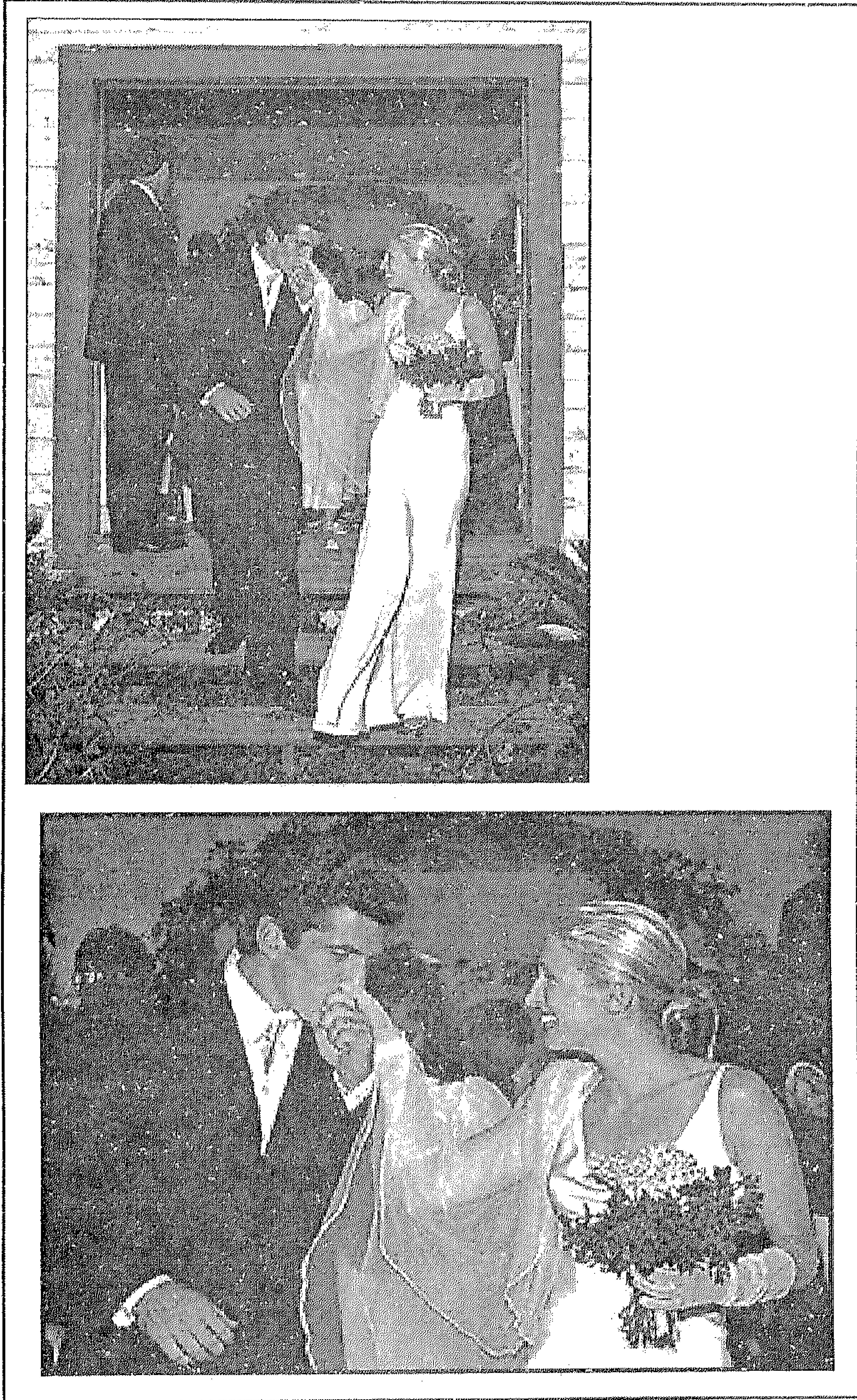
وتعترف دي روسي أن الفيلم لا يحتوي على شيء جديد مع أن كيندى يظهر في المطبخ يعرض الزواج على بيست الحذرة التي ترد أنها ستفكر بعرضه. وتقول دي روسي: "إن ما نكتشفه هو كيف كانوا يعيشون حياتهم، ومعاناتهم الصغيرة. لقد كانت العلاقة بين جون ووالدته خانقة جداً، وقد شعرت بالأسف لجون، فمهما فعل لن يتمكن من إرضاء والدته أو أي شخص آخر".



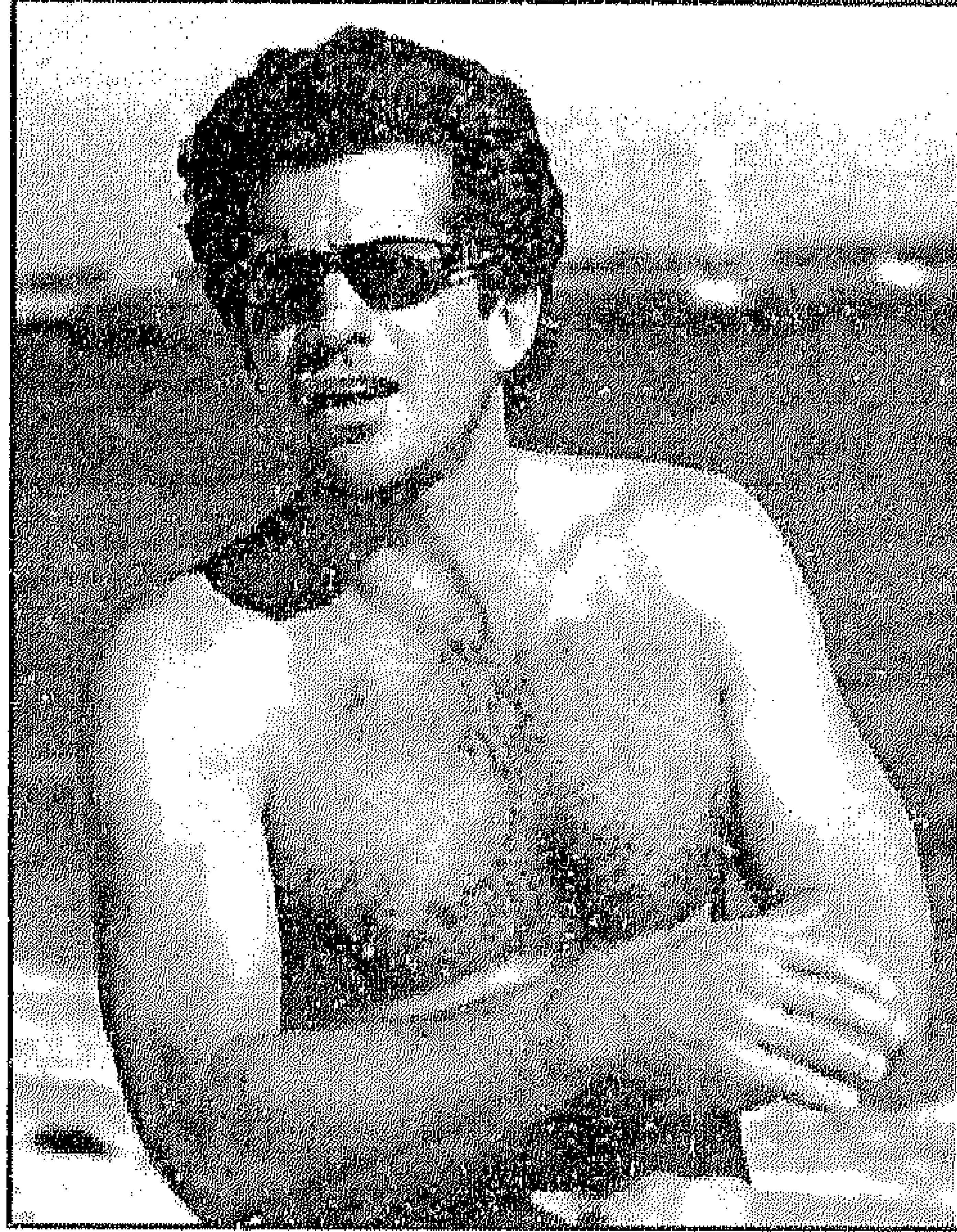
مع أمه السيدة الأولى جاكلين كيندي رضيعاً وبجانبها الرئيس الأب جون كيندي

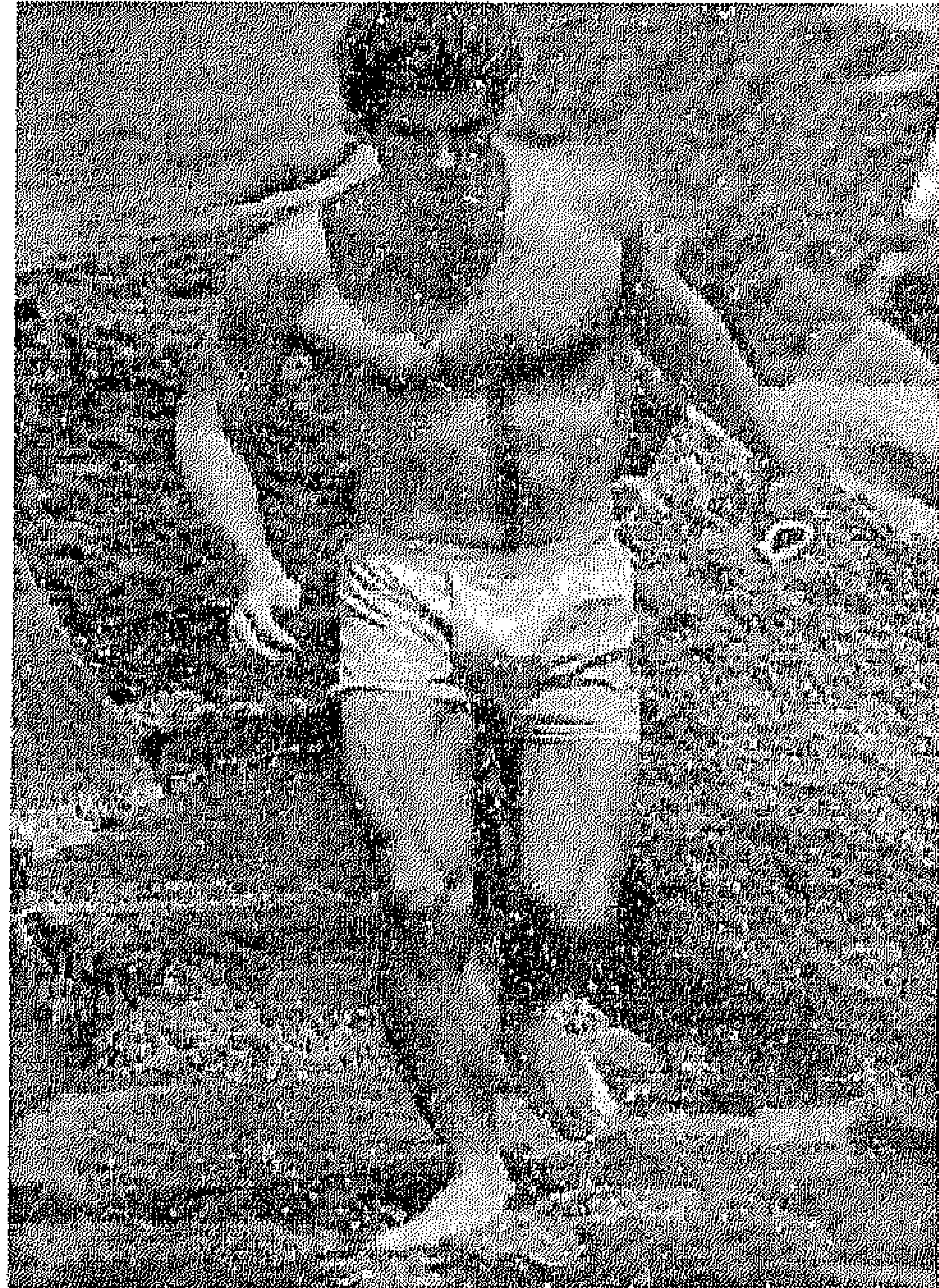


الرئيس كيندى مع ابنه الصغير جون .. ترى هل كان يعلم أنه سيُقتل، ثم يلقى ابنه الصغير نفس المصير و لكن في كارثة من العيار الثقيل !؟



وفي حفل زفافه الأسطوري مع كارولين زوجة المستقبل والتي اتهمها البعض بإثارة المشاكل معه ليلة مقتله وإفقاده تركيزه مما تسبب في سقوطه بطائرته !!





جون كيندي الابن .. لقي مصرعه في ريعان شبابه !!

2

الفصل الثانى

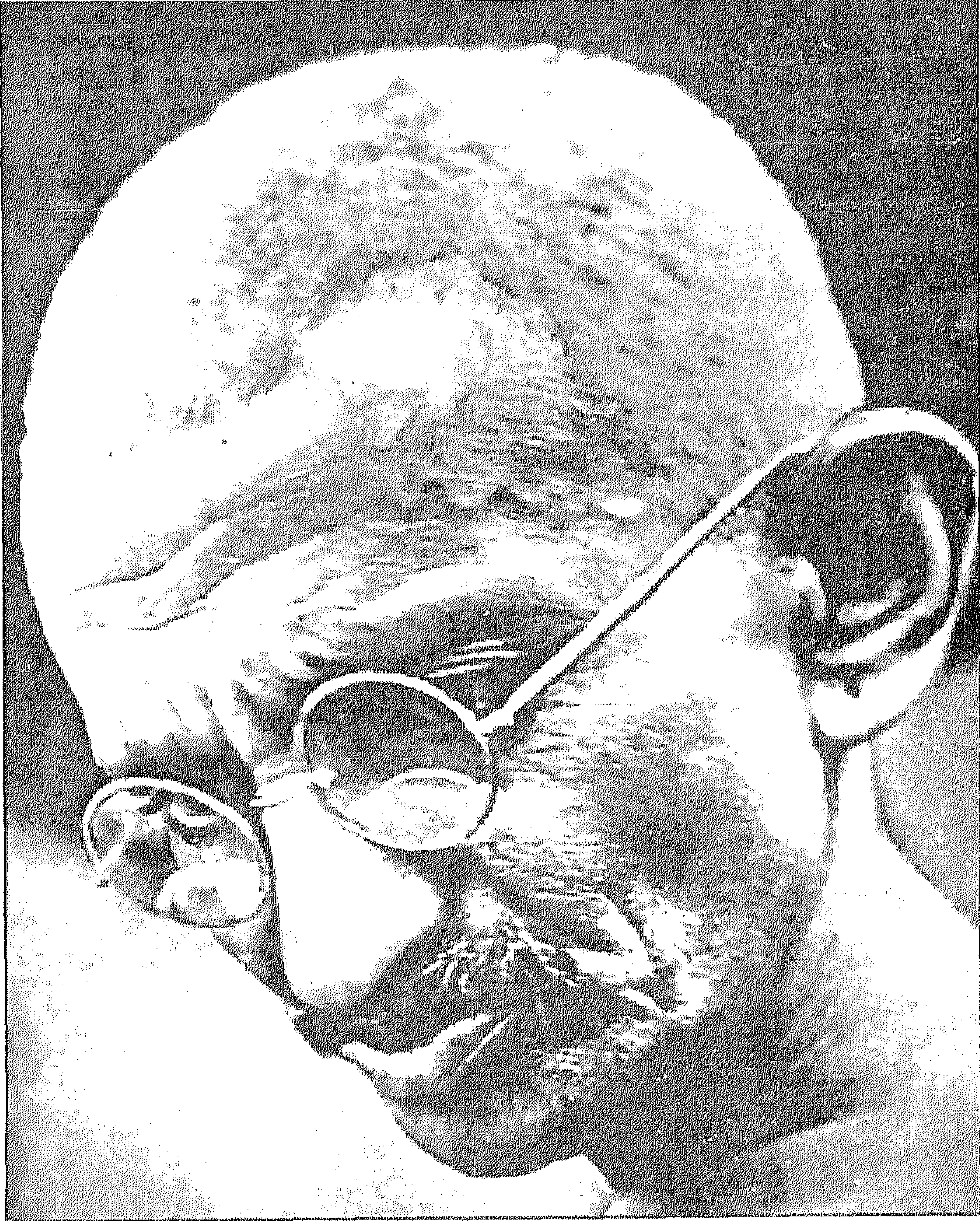
لعنة آل غاندي

كل من يحمل الاسم يموت!!

○○○○

١ - المهاتما غاندي

اللعنة عندما تحل !!



•• ولكن الشيطان أمسك بعقل وروح "ناثارون جودسه" فاخترقت رصاصاته الثلاث وشاح "غاندي" ليموت أمام معبده، وبعد وفاة "غاندي" اشتدت المعارك بين الهندوس والمسلمين وراح ضحيتها آلاف الأبرياء، والكارثة أن كل من يحمل لقب غاندي أصبح مصيره القتل !!

يكاد يتشابه سيناريو الاغتيالات السياسية في الهند مع باكستان، فقد نالت الاغتيالات السياسية من ثلاثة أجيال في الهند،وكان مصير عائلة غاندي نفس مصير عائلة بوتو،و كان آخر ضحاياها راجيف غاندي الذي يمثل الجيل الثالث في عائلة غاندي وقد خلف والدته انديرا رئيسة الوزراء السابقة في حزب المؤتمر بعد ساعات قليلة من اغتيالها وهو ما حدث لها بعد اغتيال المهاتما غاندي.

كان غاندي شخصية عظيمة آمن بقوة الروح أكثر من قوة الجسد والسلاح وعلى الرغم من رحيله الذي مرت عليه سنوات وسنوات إلا أن التاريخ لايزال يتذكره إلى الآن.

رحل "غاندي" الذي كان رمزا للعالم المسالم الخالي من العنف حتى إن "جواهر لال نهرو" رئيس وزراء الهند قال عنه (لقد ذهب النور من حياتنا وأصبحت الظلمة في كل مكان)، رحل "غاندي" الذي ولد في أكتوبر ١٨٦٩ ودرس القانون في لندن ثم صار محاميا وقاد حملة طويلة لاستقلال الهند عن بريطانيا العظمى وقاد حركة (سانيتا جراها) وتعني التمسك بالحقيقة وتدعو لرفض التعاون مع الاحتلال بمعنى المقاومة السلبية.

استحق هذا الإنسان أن ينال لقب الزعيم الروحي للهند فقد ظل يقاوم بالصوم والصلاة الاحتلال البريطاني ومع ذلك سجنته بريطانيا أكثر من مرة باعتباره إرهابيا وكان يفرج عنه لاعتبارات صحية ولكن جاءته اليد الغادرة من هندوسي ظنا منه أن "غاندي" حليف للمسلمين الذين استقلوا بدولة باكستان عن الهند لكن كل ما كان يريده "غاندي" هو العيش بسلام بين كل الناس حيث أخذ ينصح أتباعه بالبعد عن العنف مهما كلفهم الأمر، لكن الشيطان أمسك بعقل وروح "ناثارون

جودسه" فاخترقت رصاصاته الثلاث وشاح "غاندي" ليموت أمام معبده، وبعد وفاة "غاندي" اشتدت المعارك بين الهندوس والمسلمين وراح ضحيتها آلاف الأبرياء.

فى تاريخ العالم المعاصر استغل زعماء ضعاف مسالمون قوة الضعف فيهم فى التغلب على من هم أقوى منهم . حين كانت بريطانيا أقوى قوة فى العالم لا تغيب عن أملاكها الشمس استطاع المهاتما غاندى أن يهزمها بضعفه. كانت عناصر ضعفه أو قوته هى جسده النحيل العارى فى معظمه ونوله الذى يغزل به كساءه البالى وكيس الملح والعصا التى يتوكأ عليها والماعز الهزيلة إلى جانبه، والاستعداد الدائم للجوع أو للإضراب عن الطعام حتى الموت وهو قادر على أن يفعل ذلك بنفسه . هزم هذا الرجل العظيم أقوى إمبراطورية فى العالم لأنه خاطب فيها وفى العالم المتحضر أرفع ما خلق الله تعالى فى الإنسان ؛الضمير أو القيم العليا من الرحمة والتعاطف والخير والشفقة والعدل . راهن غاندى على هذا الجانب الطيب المضىء داخل كل انسان وكسب وانتصر وحصل على استقلال الهند التى كانت جوهرة التاج البريطانى. حين أراد المسلمون الهنود الانفصال عن الهند تأففا من مجاورة من يعبد البقر أعلن غاندى الإضراب على الطعام إلى الموت حتى لا تنقسم حبيبته الهند إلى أشلاء قابلة لمزيد من الانقسام، فاضطر المسلمون إلى تأجيل خطتهم، وبعد اغتيال هذا الرجل النبيل سارعوا بالانفصال وتكوين باكستان – إحدى الأخطاء الكبرى فى القرن العشرين .

عاش غاندى صدر شبابه فى جنوب أفريقيا، وفيما بعد تأثر به المناضل مانديلا الذى هزم – وهوضعيف وحيد فى سجنه – الحكم الأبيض العنصرى الجائر. عن طريق أولئك المناضلين المسالمين عرف العالم نوعا جديدا من النضال ؛ إنه الإضراب عن الطعام الذى يلجأ له المظلوم فى سبيل قضية سامية أو حتى قضية شخصية.

وهب الزعيم الهندي المهاتما غاندي حياته لنشر سياسة المقاومة السلمية أو اللاعنف واستمر على مدى أكثر من خمسين عاما يبشر بها، وفي سنوات حياته

الأخيرة زاد اهتمامه بالدفاع عن حقوق الأقلية المسلمة وتألم لمحاولة انفصال باكستان وحزن لأعمال العنف التي شهدتها كشمير ودعا الهندوس إلى احترام حقوق المسلمين مما أثار حفيظة بعض متعصبيهم فأطلق أحدهم رصاصات قاتلة عليه أودت بحياته.

وانقسمت مرحلة كفاحه إلى قسمين القسم الأول منها كان في "جنوب أفريقيا" الفترة ما بين ١٨٩٣ – ١٩١٤ حيث انتقل غاندي للعمل في جنوب أفريقيا في مكتب للمحاماة في ناتال فسافر إلى هناك عام ١٨٩٣، وظل هناك طيلة ٢١ عاما، كانت جنوب أفريقيا في هذا الوقت مستعمرة بريطانية مثل الهند وكان بها العديد من العمال الذين يعملون بها، اكتسب غاندي في خلال الفترة التي قضاها هناك العديد من الخبرات كما مارس نضاله هناك أيضاً فكان يرى التمييز العنصري الذي يتبعه البريطانيون ضد الأفارقة والهنود الذين يعملون هناك، فقام بالدفاع عن الجالية الهندية، كما عمل على إنشاء صحيفة "الرأي الهندي" والتي دعا من خلالها من أجل سياسة المقاومة السلمية، وعمل على تأسيس حزب "المؤتمر الهندي لنتال" والذي جعله مركزا للدفاع عن حقوق الهنود في جنوب أفريقيا، كما نادى بأحقية الهنود بالإدلاء بأصواتهم في الانتخابات، وعمل على تغيير "المرسوم الأسيوي" والذي كان ينص على أن الهنود يجب أن يقوموا بتسجيل أنفسهم في سجلات خاصة، وغيرها من الأمور الأخرى التي تهدف لصالح المواطن الهندي.

أما المرحلة الثانية فكانت في "الهند " في الفترة ١٩١٤ – ١٩٢٢، وفيها ركز اهتمامه على النضال من أجل العمال والفلاحين كانت الفكرة الرئيسية التي تسيطر على عقلية غاندي هي فكرة عدم العنف وكان يرى أن السبب الرئيسي في قوة البريطانيين في المنطقة هو اعتمادهم بشكل أساسي على تعاون جميع طبقات الشعب معهم، فإذا تم سحب هذا التعاون فلن تستطيع الحكومة البريطانية الصمود كثيراً في الهند، ولكن كان يلزم لتحقيق هذا الهدف التكاتف من جميع الطبقات وتفهمهم لذلك، وفي أثناء هذا كان يوجد موقف إسلامي معارض بشدة للحكومة

البريطانية والتي كانت تسعى من أجل تقسيم تركيا بين الحلفاء الغربيين وتفكيك الخلافة الإسلامية وهو الأمر الذي استغله غاندي حيث قام بالانضمام والتحالف مع الزعماء المطالبين بالمحافظة على الخلافة وتكون من وراء هذا التحالف حركة شعبية قوية مناهضة للاحتلال البريطاني وكان ذلك في الفترة ما بين ١٩٢٠ – ١٩٢٤ .

ولد غاندي في الثاني من أكتوبر عام ١٨٦٩ في بلدة بورباندر والتي تعني "المدينة البيضاء" وتقع هذه المدينة في ولاية صغيرة بشمال غرب الهند . ولد غاندي لأسرة ميسورة الحال محافظة، وعلى مستوى عالٍ من الثقافة، وكانت أسرته تؤمن بفكرة عدم العنف بأي شكل من الأشكال، وكانت هذه الفكرة دائماً هي أحد مبادئها الدينية الأساسية والتي صار عليها غاندي بعد ذلك.

ينتمي آل غاندي إلى طبقة ألبانيا وهي إحدى الطبقات الاجتماعية في الهند، وكان جده يشغل منصب رئيس الوزراء في بورباندر، وعمل والده عضوا في محكمة راجستايك ثم رئيساً للوزراء في راجكوت، فكان لأسرته خبرة وباع في مجال العمل السياسي.

تلقى غاندي تعليمه الابتدائي في مدرسة بورباندر الابتدائية، ثم انتقل منها إلى مدرسة راجكوت حتى سن العاشرة ومنها انتقل إلى مدرسة كاتيافار، وظل فيها حتى بلغ السابعة عشرة من عمره وخرج منها ليلتحق بجامعة أحمد آباد.

تزوج غاندي وهو في الثالثة عشرة من عمره وذلك تبعاً للتقاليد الهندية وأسفر زواجه عن إنجاب أربعة أبناء.

سافر غاندي إلى بريطانيا عام ١٨٨٨ لدراسة القانون، وفي عام ١٨٩١ عاد منها إلى الهند بعد أن حصل على إجازة جامعية تخوله ممارسة مهنة المحاماة.

أسس غاندي ما عرف في عالم السياسية بـ"المقاومة السلمية" أو فلسفة اللاعنف (الساتياراها)، وهي مجموعة من المبادئ تقوم على أسس دينية وسياسية واقتصادية

في آن واحد ملخصها الشجاعة والحقيقة واللاعنف، وتهدف إلى إلحاق الهزيمة بالمحتل عن طريق الوعي الكامل والعميق بالخطر المحدق وتكوين قوة قادرة على مواجهة هذا الخطر باللاعنف أولا ثم بالعنف إذا لم يوجد خيار آخر.

وقد أوضح غاندي أن اللاعنف لا يعتبر عجزا أو ضعفا، ذلك لأن "الامتناع عن المعاقبة لا يعتبر غفرانا إلا عندما تكون القدرة على المعاقبة قائمة فعليا"، وهي لا تعني كذلك عدم اللجوء إلى العنف مطلقا "إنني قد ألجأ إلى العنف ألف مرة إذا كان البديل إخصاء عرق بشري بأكمله". فالهدف من سياسة اللاعنف في رأي غاندي هي إبراز ظلم المحتل من جهة وتأليب الرأي العام على هذا الظلم من جهة ثانية تمهيدا للقضاء عليه كلية أو على الأقل حصره والحيلولة دون تفشيه.

وتتخذ سياسة اللاعنف عدة أساليب لتحقيق أغراضها منها الصيام والمقاطعة والاعتصام والعصيان المدني والقبول بالسجن وعدم الخوف من أن تقود هذه الأساليب حتى النهاية إلى الموت.

ويشترط غاندي لنجاح هذه السياسة تمتع الخصم ببقية من ضمير وحرية تمكنه في النهاية من فتح حوار موضوعي مع الطرف الآخر.

وقد تأثر غاندي بعدد من المؤلفات كان لها دور كبير في بلورة فلسفته ومواقفه السياسية منها "نشيد الطوباوي" وهي عبارة عن ملحمة شعرية هندوسية كتبت في القرن الثالث قبل الميلاد واعتبرها غاندي بمثابة قاموسه الروحي ومرجعا أساسيا يستلهم منه أفكاره. إضافة إلى "موعظة الجبل" في الإنجيل، وكتاب "حتى الرجل الأخير" للفيلسوف الإنجليزي جون راسكين الذي مجد فيه الروح الجماعية والعمل بكافة أشكاله، وكتاب الأديب الروسي تولستوي "الخلاص في أنفسكم" الذي زاده قناعة بمحاربة المبشرين المسيحيين، وأخيرا كتاب الشاعر الأميركي هنري ديفد تورو "العصيان المدني". ويبدو كذلك تأثر غاندي بالبراهمانية التي هي عبارة عن ممارسة يومية ودائمة تهدف إلى جعل الإنسان يتحكم بكل أهوائه وحواسه بواسطة

الزهد والتنسك وعن طريق الطعام واللباس والصيام والطهارة والصلاة والخشوع والتزام الصمت يوم الاثنين من كل أسبوع.. وعبر هذه الممارسة يتوصل الإنسان إلى تحرير ذاته قبل أن يستحق تحرير الآخرين.

بحث غاندي عن فرصة عمل مناسبة في الهند يمارس عن طريقها تخصصه ويحافظ في الوقت نفسه على المبادئ المحافظة التي تربى عليها، لكنه لم يوفق فقرر قبول عرض للعمل جاءه من مكتب للمحاماة في "ناتال" بجنوب أفريقيا، وسافر بالفعل إلى هناك عام ١٨٩٣ وكان في نيته البقاء مدة عام واحد فقط لكن أوضاع الجالية الهندية هناك جعلته يعدل عن ذلك واستمرت مدة بقائه في تلك الدولة الأفريقية ٢٢ عاما.

كانت جنوب أفريقيا مستعمرة بريطانية كالهند وبها العديد من العمال الهنود الذين قرر غاندي الدفاع عن حقوقهم أمام الشركات البريطانية التي كانوا يعملون فيها. وتعتبر الفترة التي قضاها بجنوب أفريقيا (١٨٩٣ - ١٩١٥) من أهم مراحل تطوره الفكري والسياسي حيث أتاحت له فرصة لتعميق معارفه وثقافاته والاطلاع على ديانات وعقائد مختلفة، واختبر أسلوبا في العمل السياسي أثبت فعاليته ضد الاستعمار البريطاني. وأثرت فيه مشاهد التمييز العنصري التي كان يتبعها البيض ضد الأفارقة أصحاب البلاد الأصليين أو ضد الفئات الملونة الأخرى المقيمة هناك. **وكان من ثمرات جهوده آنذاك:**

* إعادة الثقة إلى أبناء الجالية الهندية المهاجرة وتخليصهم من عقد الخوف والنقص ورفع مستواهم الأخلاقي.

* إنشاء صحيفة "الرأي الهندي" التي دعا عبرها إلى فلسفة اللاعنف.

* تأسيس حزب "المؤتمر الهندي لنتال" ليدافع عبره عن حقوق العمال الهنود.

* محاربة قانون كان يحرم الهنود من حق التصويت.

* تغيير ما كان يعرف بـ"المرسوم الآسيوي" الذي يفرض على الهنود تسجيل أنفسهم في سجلات خاصة.

* ثني الحكومة البريطانية عن عزمها تحديد الهجرة الهندية إلى جنوب أفريقيا.

* مكافحة قانون إلغاء عقود الزواج غير المسيحية.

عاد غاندي من جنوب أفريقيا إلى الهند عام ١٩١٥، وفي غضون سنوات قليلة من العمل الوطني أصبح الزعيم الأكثر شعبية. وركز عمله العام على النضال ضد الظلم الاجتماعي من جهة وضد الاستعمار من جهة أخرى، واهتم بشكل خاص بمشاكل العمال والفلاحين والمنبوذين واعتبر الفئة الأخيرة التي سماها "أبناء الله" سبة في جبين الهند ولا تليق بأمة تسعى لتحقيق الحرية والاستقلال والخلاص من الظلم.

قرر غاندي في عام ١٩٣٢ البدء بصيام حتى الموت احتجاجا على مشروع قانون يكرس التمييز في الانتخابات ضد المنبوذين الهنود، مما دفع بالزعماء السياسيين والدينيين إلى التفاوض والتوصل إلى "اتفاقية بونا" التي قضت بزيادة عدد النواب "المنبوذين" وإلغاء نظام التمييز الانتخابي.

تميزت مواقف غاندي من الاحتلال البريطاني لشبه القارة الهندية في عمومها بالصلابة المبدئية التي لا تلغي أحيانا المرونة التكتيكية، وتسبب له تنقله بين المواقف القومية المتصلبة والتسويات المرحلية المهادنة حرجا مع خصومه ومؤيديه وصل أحيانا إلى حد التخوين والطعن في مصداقية نضاله الوطني من قبل المعارضين لأسلوبه، فعلى سبيل المثال تعاون غاندي مع بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ضد دول المحور، وشارك عام ١٩١٨ بناء على طلب من الحاكم البريطاني في الهند بمؤتمر دلهي الحربي، ثم انتقل للمعارضة المباشرة للسياسة البريطانية بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٢ وطالب خلال تلك الفترة بالاستقلال التام للهند. وفي عام ١٩٢٢ قاد حركة عصيان مدني صعدت من الغضب الشعبي الذي وصل في بعض الأحيان إلى

صدام بين الجماهير وقوات الأمن والشرطة البريطانية مما دفعه إلى إيقاف هذه الحركة، ورغم ذلك حكمت عليه السلطات البريطانية بالسجن ست سنوات ثم عادت وأفرجت عنه في عام ١٩٢٤.

تحدى غاندي القوانين البريطانية التي كانت تحصر استخراج الملح بالسلطات البريطانية مما أوقع هذه السلطات في مأزق، وقاد مسيرة شعبية توجه بها إلى البحر لاستخراج الملح من هناك، وفي عام ١٩٣١ أنهى هذا العصيان بعد توصل الطرفين إلى حل وسط ووقعت "معاهدة دلهي".

قرر غاندي في عام ١٩٣٤ الاستقالة من حزب المؤتمر والتفرغ للمشكلات الاقتصادية التي كان يعاني منها الريف الهندي، وفي عام ١٩٣٧ شجع الحزب على المشاركة في الانتخابات معتبرا أن دستور عام ١٩٣٥ يشكل ضمانة كافية وحدا أدنى من المصداقية والحياد.

وفي عام ١٩٤٠ عاد إلى حملات العصيان مرة أخرى فأطلق حملة جديدة احتجاجا على إعلان بريطانيا الهند دولة محاربة لجيوش المحور دون أن تنال استقلالها، واستمر هذا العصيان حتى عام ١٩٤١ كانت بريطانيا خلالها مشغولة بالحرب العالمية الثانية ويهمها استتباب أوضاع الهند حتى تكون لها عونا في المجهود الحربي. وإزاء الخطر الياباني المحدق حاولت السلطات البريطانية المصالحة مع الحركة الاستقلالية الهندية فأرسلت في عام ١٩٤٢ بعثة عرفت باسم "بعثة كريبس" ولكنها فشلت في مسعاها، وعلى أثر ذلك قبل غاندي في عام ١٩٤٣ ولأول مرة فكرة دخول الهند في حرب شاملة ضد دول المحور على أمل نيل استقلالها بعد ذلك، وخاطب الإنجليز بجملته الشهيرة "اتركوا الهند وأنتم أسياد"، لكن هذا الخطاب لم يعجب السلطات البريطانية فشنت حملة اعتقالات ومارست ألوانا من القمع العنيف كان غاندي نفسه من ضحاياه حيث ظل معتقلا خلف قضبان السجن ولم يفرج عنه إلا في عام ١٩٤٤.

بانتهاء عام ١٩٤٤ وبداية عام ١٩٤٥ اقتربت الهند من الاستقلال وتزايدت المخاوف من الدعوات الانفصالية الهادفة إلى تقسيمها إلى دولتين بين المسلمين والهندوس، وحاول غاندي إقناع محمد على جناح الذي كان على رأس الداعين إلى هذا الانفصال بالعدول عن توجهاته لكنه فشل.

وتم ذلك بالفعل في ١٦ أغسطس ١٩٤٧، وما إن أعلن تقسيم الهند حتى سادت الاضطرابات الدينية عموم الهند وبلغت من العنف حدا تجاوز كل التوقعات فسقط في كلكتا وحدها على سبيل المثال ما يزيد عن خمسة آلاف قتيل. وقد تألم غاندي لهذه الأحداث واعتبرها كارثة وطنية، كما زاد من ألمه تصاعد حدة التوتر بين الهند وباكستان بشأن كشمير وسقوط العديد من القتلى في الاشتباكات المسلحة التي نشبت بينهما عام ١٩٤٨/١٩٤٧ وأخذ يدعو إلى إعادة الوحدة الوطنية بين الهنود والمسلمين طالبا بشكل خاص من الأكثرية الهندوسية احترام حقوق الأقلية المسلمة.

لم ترق دعوات غاندي للأغلبية الهندوسية باحترام حقوق الأقلية المسلمة، واعتبرتها بعض الفئات الهندوسية المتعصبة خيانة عظمى فقررت التخلص منه، وبالفعل في ٣٠ يناير ١٩٤٨ أطلق أحد الهندوس المتعصبين ثلاث رصاصات قاتلة سقط على أثرها المهاتما غاندي صريعا عن عمر يناهر ٧٩ عاما.

قدم غاندي كتاب " قصة تجاربي مع الحقيقة" هذا الكتاب الذي سرد فيه غاندي بنفسه قصة حياته بجميع ما مر فيها من مواقف وأحداث.

كما صدرت العديد من المؤلفات التي تتناول السيرة الذاتية لغاندي وقصة كفاحه والإمبراطورية التي كونها من هذه الكتب نذكر كتاب "موهنداس" لراجموهان غاندي، وكتاب آخر لمحمود عباس العقاد تناول فيه الأسطورة غاندي بعنوان "روح عظيم – المهاتما غاندي".

من الشخصيات التي كان لها تأثير كبير في حياة غاندي وأفكاره الزعيم "جوخال" وهو أحد الرجال البارزين بالهند والذين سعوا من أجل الإصلاحات التعليمية،

ويوجد أيضاً "دادا بهاي" والذي يعد مؤسس الحركة القومية في الهند وكان أحد العناصر المهمة التي تعلم منها غاندي مبدأي اللا عنف والسلبية البطولية.

وكان لعدد من المؤلفات بالغ الأثر في فلسفة وتفكير غاندي كما ذكرنا منها "نشيد الطوباوي" وهي عبارة عن ملحمة شعرية هندوسية كتبت في القرن الثالث قبل الميلاد، و"موعظة الجبل " في الإنجيل، وكتاب "حتى الرجل الأخير" للفيلسوف الإنجليزي جون راسكين، وكتاب " الخلاص في أنفسكم " للأديب الروسي تولستوي، وكتاب "العصيان المدني" للشاعر الأمريكي هنري ديفيد تورو.

كانت لغاندي دائماً آراؤه وأفكاره والتي تهدف جميعها لأهمية حرية الشعوب وأحقية الإنسان في العيش في سلام، وكانت لغاندي ليست فقط آراء في القضية الهندية ولكن في غيرها من القضايا مثل قضية الشرق الأوسط والتي قال فيها "أنا لا أستسيغ المطالبة بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ففلسطين ملك للعرب تماماً كما أن إنجلترا ملك للإنجليز وفرنسا للفرنسيين، إن فلسطين التي جاء ذكرها في التوراة ليست في الأرض الجغرافية، بل هي في قلوبهم وليس هناك ما يمكن أن يقال ضد مقاومة العرب في مواجهة عقبات لا قبل لهم بها".

في أواخر حياته كرس غاندي جزءا كبيرا من أفكاره من أجل الدفاع عن حقوق الأقلية المسلمة وحزن كثيراً من أجل انفصال باكستان وأعمال العنف التي شهدتها كشمير وقام بدعوة الهندوس من أجل احترام حقوق المسلمين مما أثار بعض المتعصبين ضده واعتبروه خائنا فقاموا باغتياله بإطلاق الرصاص عليه في ٣٠ يناير ١٩٤٨، فتوفى عن عمر يناهز ٧٩ عاماً.

اشتهر غاندي بين الناس بأنه صاحب الدعوة إلى مبدأ الساتياغراها الذي أطلقه غاندي، والذي عمل طوال حياته على ترسيخه وتفعيله في مجتمعه، و كما عبر عنه في كتابه غاندي (قصة تجاربي مع الحقيقة، سيرة المهاتما غاندي بقلمه) .

وقد كتب غاندي سيرته الذاتية بهدف تقديم مثال مفيد للناس في رحلة البحث عن الحقيقة. التي هي "المبدأ السيد والذي يشمل مبادئ أخرى عديدة، وهذه الحقيقة ليست هي الصدق في الكلمة فحسب، ولكنها الصدق في الفكر أيضاً، وليست هي الحقيقة النسبية كما نتصورها فحسب، بل الحقيقة المطلقة، المبدأ الأزلي.

لقد انطلق غاندي من مبدأ البحث عن الحقيقة ليصل إلى أننا في هذا الكون نعيش لهدف وغاية، وأننا حتى نصل إلى الحقيقة لابد لنا من أن نعرف طريقنا في هذه الحياة والغاية من وجودنا. وقد عرف غاندي أن الإنسان وُجد لكي يكون مفيداً لغيره، وليقدم ما يستطيع من أجل خير الجميع، جميع الكائنات في هذه الأرض.

ولن يستطيع هذا الإنسان أن يكون مفيداً إلا إذا أحب مجتمعه وما فيه، ولذلك فقد اعتبر غاندي أن الوسيلة الوحيدة لإدراك الحقيقة هي (الأهميسا) والتي تعني الحب، هذا الحب الذي يدفع الإنسان إلى خدمة مجتمعه والعمل على إصلاحه، "فرؤية الحقيقة الكاملة لا يمكن أن تتم إلا بعد تحقيق الأهميسا (الحب) تحقيقاً كاملاً".

ولكي يرى المرء "روح الحقيقة" الكلية الشاملة في كل شيء، وجهاً لوجه، يتعين عليه أن يحب أحقر الكائنات حبه لنفسه، والرجل الذي يطمح إلى ذلك لا يستطيع أن يعتزل أي حقل من حقول الحياة، وهذا هو السبب الذي من أجله قادني تعبدي للحقيقة إلى حقل السياسة".

من منطلق الحب هذا، ولتحقيق هدف الخدمة الاجتماعية، انطلق غاندي في رحلته فبدأ بنفسه، محاولاً تطهير ذاته، ليهيىء نفسه لخدمة مجتمعه. ويسرد لنا في كتابه هذا تجارب كثيرة وحوادث كثيرة يصف فيها طريقته في تطهير ذاته، والتحكم بشهواته، وضبط نفسه. وقد كان بالفعل صاحب إرادة قوية وعزيمة تستحق الاحترام بغض النظر عن موافقتنا أو رفضنا لما ألزم به نفسه من أنواع الأطعمة مثلاً، سواء بهدف التطهير الذاتي أم الاستشفاء من الأمراض المختلفة، فقد كان يعتبر الغذاء

هو أساس الصحة (كان غاندي نباتياً، وقد امتنع عن أكل اللحم، والذي يعني عنده كل ما تنتجه الحيوانات كالحليب والبيض أيضاً، وكان امتناعه هذا لسبب ديني فأكل اللحم حرام في شريعته الهندوسية، ورغم كل الضغوط التي واجهها لم يتراجع عن امتناعه هذا، وسنجده فيما بعد قد اقتصر على أنواع محددة من الأطعمة النباتية حسب ما كان يعتقده من ضرورة للتطهير الذاتي) أو بما حرمه على نفسه كاعتزال زوجته في آخر الأمر مبرراً ذلك أن الأمر ليس مجرد مسألة من مسائل الجسد، فالأمر يبدأ بالكبح الجسدي، ولكنه لا ينتهي هناك، بل إنه يصل في غاية كماله إلى طهارة الفكر فلا يخطر على البال خاطر الشهوة أصلاً. هذا بالإضافة إلى لجوئه إلى الصيام في حالات كثيرة، فكان يعتبره دواء وكفارة للخطايا، فكان إذا حصل معه ما يراه خطأ سارع إلى الصيام كتكفير لهذا الخطأ.

والملفت أن غاندي كان لا يعتبر امتناعه هذا نوعاً من الحرمان، بل إنه كان يدفع نفسه إلى الاستمتاع بوضعه الجديد قدر استطاعته،وكان يشجع أفراد أسرته على ضبط النفس والالتزام بما هو مفيد لصحتهم، من وجهة نظره، مهما كان صعباً (مرضت زوجته مرضاً خطيراً مرة، فتوسل إليها بعد أن أخفقت جميع أدويته، لأنه كان هو الذي يتولى علاجها بطرقه الخاصة المعتمدة على الغلاجات بالماء والتراب، توسل إليها أن تجتنب الحبوب والملح، ولكنها رفضت ذلك، وقالت له إنه شخصياً لن يجتنب الملح والحبوب إذا طُلب منه ذلك، فقال لها أنت مخطئة. لو كنت مكانك لاجتنبتها، وأعلن أمامها أنه سيترك تناول الملح والحبوب عاماً كاملاً، سواء فعلت هي مثله أم لا، مما جعل زوجته تلتزم بنصيحته، ولم يتراجع غاندي عما ألزم به نفسه، وبالفعل امتنع عن أكل الحبوب والملح كما قال عاماً كاملاً.

ومن خلال التطهير الذاتي استطاع غاندي أن يتخلص من مظاهر استلابية كثيرة، فبعد أن كان يخجل من لباسه الهندي البسيط عندما سافر إلى بريطانية لإكمال دراسته، نجده قد اعتمد هذا اللباس في مراحل حياته التالية. ونجده أيضاً وقد عرف أن تقليد المظاهر الحضارية ليس هو التحضر المطلوب، ففي بريطانية

ذلك البلد الأوروبي الذي له عاداته وتقاليده، التي تختلف كلياً عن عادات بلد فقير كالهند، حاول غاندي تقليد هذه العادات حتى لا يبدو متخلفاً ولا يصبح أضحوكة، فصرف مبلغاً ضخماً لتفصيل بدلة على الطراز الغربي، وسجل في دورة للرقص، وفي دورة لتعلم الكمان، ودروة للخطابة، كل هذا حتى يصبح رجلاً متحضراً في عيون الإنكليز الذين يتعامل معهم. ثم انتبه إلى نفسه سريعاً، وعرف أنه وقع في فخ شبيه بالفخ الذي وقع فيه ذلك الناسك الذي وجد قطة فأراد إطعامها فاشترى بقرة، ثم وجد أن هذه البقرة بحاجة إلى من يعتني بها فاستأجر رجلاً للقيام بهذه المهمة وهكذا حتى تضخمت الطلبات وعجز عن الوفاء بها. لقد عرف غاندي أن هذا الالتزام بهذه المظاهر لا يدل على التحضر الحقيقي ووجد أنه ينفق ماله ووقته على أشياء ليس بحاجة لها فقرر ترك دورات الكمان والخطابة والرقص وعمل جهده على تعلم ما يفيده ويفيد بلده فعمل على الاهتمام بدرسه وعلمه حتى أكمل تحصيله العلمي في الحقوق وعاد إلى بلده الهند.

ويذكر لنا غاندي أنه عندما عاد للهند وجد أن الاجتماعات المهمة يتم الخطابة فيها باللغة الانكليزية فمرة حضر مؤتمراً وعندما طلبوا منه أن يخطب فيه قال جملة واحدة بالهندوستانية فوجد أن الكل جاؤوا لتهنئته وقالوا إنها المرة الأولى التي يتحدث فيها رجل باللغة الهندوستانية في اجتماع كهذا.

وقد قال غاندي واصفاً الألم الذي شعر فيه جراء هذه الحادثة: "كان في التهنئات الموجهة إليّ، واكتشافي أني كنت أول من تكلم بالهندوستانية في اجتماع برئاسة نائب الملك، أقول كان في تلك التهنئات وذلك الاكتشاف ما جرح كبريائي الوطنية. لقد شعرت وكأني أتقلص في جلدي. فيالها من فاجعة أن تكون لغة البلاد محرمة في اجتماعات تعقد في البلاد من أجل عمل يتصل بالبلاد، وأن يكون خطاب يلقيه بالهندوستانية شخص ضال مثلي مسألة تستحق التهنئة! إن أحداثاً مثل هذه لتذكرنا بالدرك الخفيض الذي تردينا فيه" .

أصر غاندي على تعليم أولاده لغتهم الأصلية، حتى وهو في غربته في جنوب أفريقيا، في وقت كان فيه تعلم الثقافة الإنكليزية مطلبا من المستحيل التخلي عنه لمن أراد الحصول على مكانة اجتماعية مرموقة. لقد أراد غاندي لأولاده أن يكونوا هنوداً حقيقيين فمن كان همه الخدمة العامة يجب أن لا يكون غريباً بفكره وروحه عن مجتمعه.

لقد فهم غاندي أن ما يحتاجه التحضر ليس هذه المظاهر، ولكنه يحتاج إلى تهيئة النفس لتكون قادرة على خدمة المجتمع، وهكذا فقد انتقل من الاستلاب إلى التأصيل رغم أنه لم ينغرس في استلابه كثيراً، لأنه كان رجلاً فطرياً متمسكاً بالأخلاق وكان صاحب هدف يسعى لتحقيقه من خلال تطهير نفسه وتهيئتها لتكون قادرة على بلوغ ذلك الهدف المنشود وهو الخدمة العامة التي عاش حياته كلها في سبيلها.

هذا الضبط الذاتي، جعل بإمكان غاندي أن يتحكم بقضية المصاريف أيضاً، فكان رجلاً مقتصداً، لا ينفق المال إلا في مكانه، وقد تعلم ذلك منذ أن كان طالباً في إنكلترا، فقد كان يتلقى المال من أخيه في الهند، وكان لا يريد تحميل أخيه تكاليف إضافية فوق ما يحتمله، يكفي أنه ترك زوجته وابنه في رعايته، وأنه يعتمد في مصروفه عليه أيضاً، فصار يسجل مصاريفه ويراجعها وعندما يجد أنه أنفق ماله على أشياء غير ضرورية كان يلغي بند الإنفاق هذا، حتى قلص مصروفاته إلى الحد الأدنى.

وبقي غاندي رجلاً مقتصداً طوال حياته وهذا لا يعني أنه كان بخيلاً، بل كان ينفق أموالاً كثيرة إذا وجد ضرورة لذلك، ولكنه كان حريصاً على وضع كل قرش في مكانه الصحيح، وهذا ما جعله أهلاً لثقة الهنود فكانوا يضعون مدخراتهم عنده، ويأتمنونه على ما يملكون.

وفي حقل الخدمة العامة لم يكن غاندي مُنَظِّراً فقط، بل كان إنساناً لا يتوانى عن القيام بأي عمل مهما كان في سبيل إصلاح مجتمعه وخدمته، حتى لو اضطر إلى تنظيف المراحيض، وقد فعل ذلك. ومراحيض تلك الأيام ليست كما هي اليوم

(غاندي من مواليد ١٨٦٩ وتوفي سنة ١٩٤٨) لقد كانت أشبه بحوش وهو يحتاج إلى تنظيف دائم وإلا أصبح مرتعاً للجراثيم ومصدراً للأمراض، وهذا ما حصل بالفعل، وقد كان غاندي يقوم بما يراه ضرورياً من أعمال التنظيف تلك.

وعلى ما يبدو فإن الهنود لم يكونوا يهتمون بالنظافة العامة، وقد وجد غاندي أن الناس في القطارات مثلاً، يوسخون، ويبصقون، ويرمون قاذوراتهم في كل مكان، ويلتفظون بالكلام البذيء وغير ذلك من المظاهر المزعجة، ومسؤولو السكك الحديدية لا يفعلون شيئاً حيال ذلك، فكانت عربات القطار أشبه بحظيرة قذرة، فقرر غاندي تكثيف رحلاته في تلك القطارات ، وصار يقوم بتوعية الناس، وحثهم على النظافة المادية والمعنوية، وصار يبعث بخطابات الشكوى إلى مسؤولي السكك الحديدية بسبب مظاهر الإهمال مرات ومرات حتى أوجع رؤوسهم، كل هذا حتى يستطيع إصلاح هذا الوضع المزري. صحيح هو لم يصل إلى التغيير الشامل، ولكنه بذر بذرة ذلك التغيير.

إننا نجد في سيرة غاندي صورة للرجل العامل الذي كان يندفع للتطبيق العملي ولا يقتصر على الخطابات والوعظ، بل إنه كان يقوم بأي عمل يستطيعه في سبيل المصلحة العامة، مهما كان هذا العمل حقيراً يترفع عن القيام به الآخرون، وكان يعلم أولاده ذلك، وقد أوكل إليهم مهمات كثيرة من هذا القبيل، فكانوا لا يترفعون عن القيام بأعمال التنظيف والأعمال الأخرى التي تخدم أمتهم.

ورجل كغاندي كان يهمه الخدمة العامة، كان حريصاً على التعاون مع كل رجل مهتم بهذه الخدمة العامة، مهما كان دينه أو عرقه أو طبقته. ونحن نعلم أن الهند مجتمع خليط من الأديان والأعراق والطبقات، فهناك المسلم والمسيحي والهندوسي... وهناك أهل الطبقة العليا والمنبوذون..إلخ

غاندي لم يكن يفرق بين أحد من الناس، فقد كان يتعامل مع الجميع باحترام ومحبة، وكان يحترم الأديان ومعتقدات الناس، فكان له أصدقاء مسلمون ومسيحيون،

بل إنه تعامل مع المنبوذين، وهنا أذكّر القارئ بأنه يوجد مبدأ في الديانة الهندوسية يسمى مبدأ (اللامساسية)، ووفق هذا المبدأ يحرم مثلاً على المنبوذ أن يملأ دلوه من بئر يشرب منه أهل الطبقة الأعلى حتى لا تسقط قطرات من دلوه فتنجس ذلك البئر، وهؤلاء المنبوذون ليس لهم أمل في الانتقال إلى طبقة أعلى. غاندي كان من أسرة محترمة، ولم يكن من المنبوذين ولكنه مع ذلك كان لا يؤمن بمبدأ اللامساسية هذا، وكان يختلط بالمنبوذين، وقد عاش مع أسرة منهم في معبد وكان يأكل معهم ويتعامل معهم كما يتعامل مع غيرهم بكل احترام وود، بل إن الطاعون عندما حل في البلد مرة، قام غاندي وجماعة معه بالتنفتيش في مراحيض هؤلاء المنبوذين والغريب أنه وجدها كما قال أكثر نظافة من مراحيض الأغنياء، ووجد منهم كل تعاون وترحيب.

لقد كان غاندي يسعى لخدمة مجتمعه بكل ما يملك من إمكانات، وكان يسعى لإصلاح نفسه بالتوازي مع خدمة مجتمعه، فلم ينتظر أن يصير قديساً حتى يبدأ بالخدمة العامة، ولكن عمله في إصلاح نفسه وفي خدمة مجتمعه كانا يسيران معاً، وكم من مرة اعترف بخطأ ارتكبه مهما كان ذلك مكلفاً، وبأنه تسرع في أمر ما، ويذكر لنا مثلاً كيف غيّر معاملته لزوجته فبعد أن كان يراها للمتعة فقط، وكان يعاملها معاملة سيئة متسلطة عرف قيمتها، وصار يحاول إشراكها في أعماله، لقد فهم أنها شريكته وأن لها كيانها وشخصيتها.

إن مراجعة صغيرة لسيرة غاندي تعطينا صورة لرجل أخلاقي بالفطرة، رجل كان صادقاً في وعده موفياً بما ألزم به نفسه، صاحب إرادة قوية، وصاحب رسالة سامية.

إن محبته لمجتمعه ولما حوله من الكائنات جعلته يعتمد مبدأ الساتياغراها، ذلك المبدأ الذي شرحه وحاول تطبيقه بشكل عملي من أجل تخليص بلده من الاستعمار البريطاني.. فما هو هذا المبدأ ؟

يقول غاندي إن مبدأ الساتياغراها وُلد عندما كان مقيماً في جنوب أفريقيا، ذلك البلد العنصري الذي كانت تقيم فيه جالية هندية كبيرة، كانت تتعرض للتمييز العنصري البغيض بصورة بشعة، وقد ذكر لنا غاندي قصصاً كثيرة تظهر بشاعة هذا التمييز الذي كان يتعرض له كل من ليس أوروبياً في تلك البلاد.

أما مبدأ الساتياغراها فقد نشأ هناك، وكانت هذه الحركة كما يقول غاندي تسمى "المقاومة السلبية" وقد اكتشف غاندي في اجتماع لبعض الأوروبيين أن تعبير "المقاومة السلبية" كان يؤول تأويلاً ضيقاً، حتى لقد أُفترض أنه سلاح الضعيف، وأنه قد يتميز بالبغض، وأنه قد يتخذ آخر الأمر شكل العنف، وهنا رأى غاندي أنه يتوجب عليه شرح حقيقة هذه الحركة الهندية، وأراد اختيار اسم يعبر عن مضمون الحركة، فأعلن في مجلة "الرأي الهندي" أنه سيقدم هدية رمزية للقارئ الذي يقترح اسماً مناسباً للحركة، فتقدم أحدهم باسم (ساداغراها: ساد= الحقيقة، وآغراها= الثبات) فصار اسم الحركة بعد تصحيفه "ساتياغراها" والتي تعني "الثبات على الحقيقة".

وقد سرد غاندي تجاربه في جنوب أفريقيا مع الساتياغراها في كتاب، وقد تُرجم إلى العربية بعنوان (قصة اللاعنف في جنوب أفريقيا).

ومن خلال القصص التي ذكرها غاندي في سيرته نستطيع أن نلخص خصائص الساتياغراها عدة نقاط:

١ـ الساتياغراها لا تعني الضعف بأي حال من الأحوال، بل هي تعني القوة بأجلى صورها، إن الثبات على الحقيقة، الثبات على الموقف وعلى الحق يحتاج إلى إرادة كبيرة لا تتوفر لأي كان، لأن هذا الثبات سيتعرض لامتحانات كثيرة، قد تجبر كثيرين على التراجع والتسليم. كما أن الثبات على الحقيقة يتطلب أن يكون الإنسان مستعداً للتضحية، مستعداً للإضطهاد، وهذا كله يحتاج إلى قوة وإرادة واستعداد للبذل.

٢ ـ الساتياغراها لا تكتمل إلا بالحب، فهي لا تؤدي إلى كره من نقاومه، فقد كان غاندي يحث أتباعه على كره الإثم وليس كره الآثم. إن الساتياغراها هي مبدأ الحب، حب الخير للجميع، ومن دون هذا الحب فإن العنف سيطل برأسه، وستمتلأ النفس بالرغبة بالانتقام والبغض.

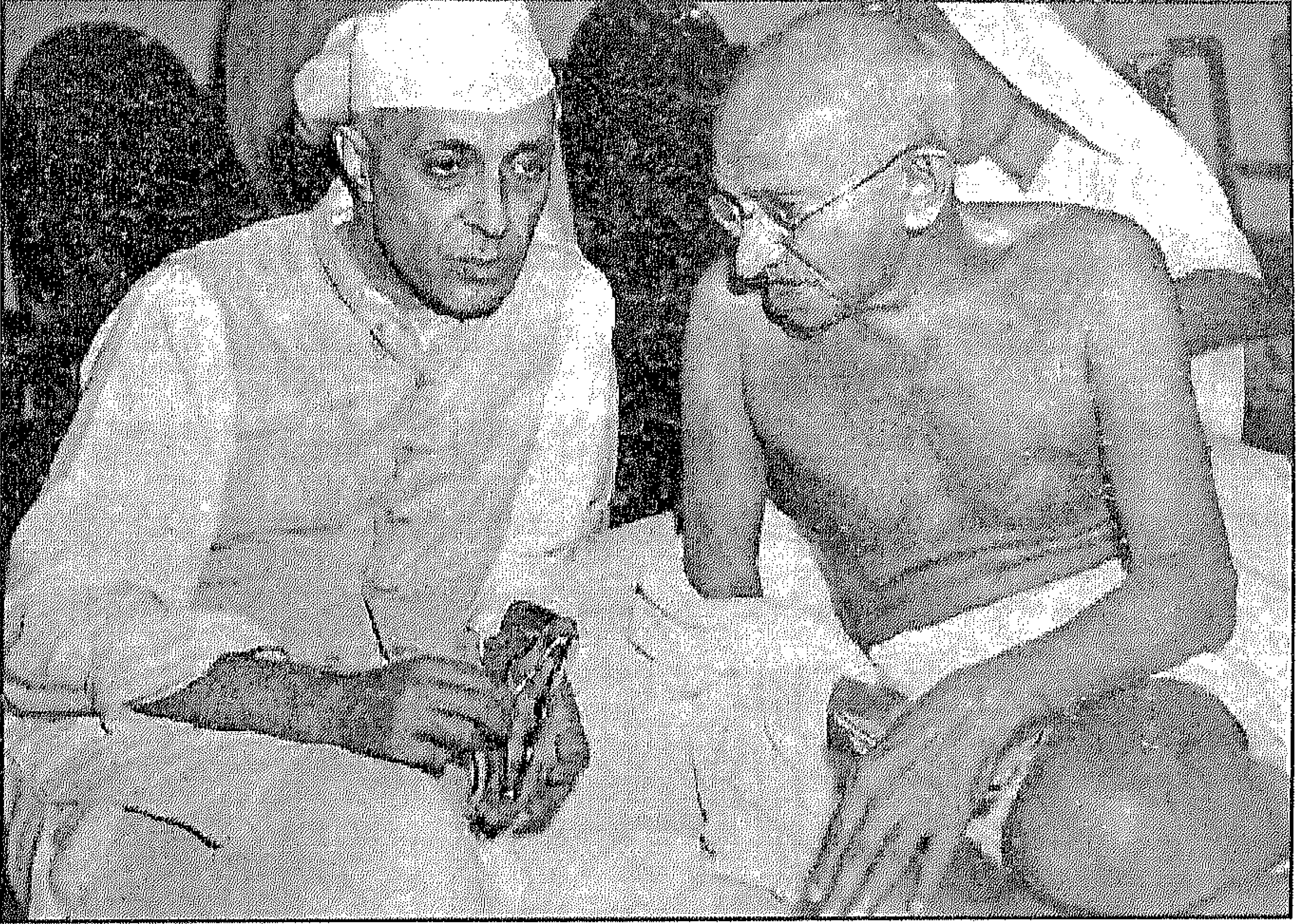
٣ ـ الساتياغراها إذا أُستخدمت بشكلها الصحيح فإنها لا تحتاج إلى العنف، ولكنها تحتاج إلى ضبط النفس والتحكم بالذات، والصبر وقوة الاحتمال، فمن يتعرض للأذى بسبب موقفه الثابت على الحق، ولا يرد العنف بمثله ولا يسمح للبغض أو الرغبة في الانتقام بالتسلل إلى نفسه فهو إنسان قوي جداً، وليس ضعيفاً أبداً، بل إننا نرى أن اللجوء إلى العنف هو وسيلة سهلة بالمقارنة مع ضبط النفس وكبحها وعدم الرد على الإساءة بمثلها، وفوق ذلك أن يتمتع (الساتياغراهي) بالحب الذي يدفع إلى الإحسان إلى من أساء.

٤ ـ الساتياغراهي، كما قال غاندي، "يطيع قوانين المجتمع طاعة عاقلة وبمحض إرادته، لأنه يعتبر أن ذلك واجب مقدس، ولن يكون في ميسور المرء أن يبدي رأياً في القوانين ويصف بعضها بالصلاح والعدل وبعضها الآخر بالطلاح والإجحاف إلا إذا أطاع قوانين المجتمع على هذا النحو والتزمها التزاماً دقيقاً، عندئذ فقط يصبح ذا حق في أن يعصي القوانين عصياناً مدنياً في ظروف محددة".

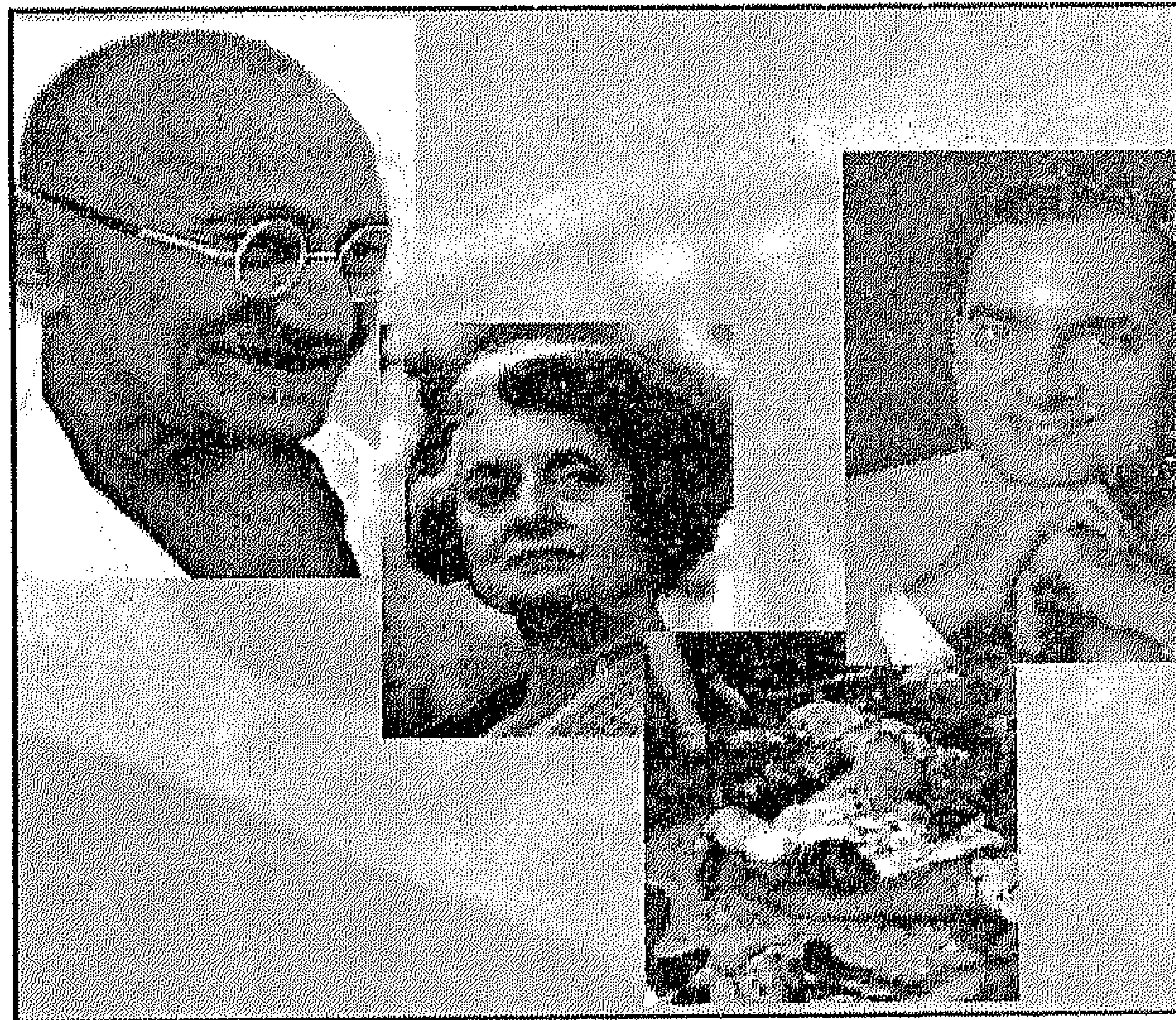
إن هذا الكلام يعني أن الساتياغراها ليست حركة رفض غير واع لمجرد الرفض، بل هي حركة واعية عاقلة تعرف ما تريد، وتعرف لماذا تقاوم، ليست حركة فوضى وشغب، بل حركة بناء وتصحيح.

لقد وجد غاندي من خلال تجاربه أن مبدأ الساتياغراها بحاجة إلى نشر بصورته الصحيحة بين الناس، ووجد أن الشعب لن يفهم هذا المبدأ ما لم تقم فئة واعية باستخدامه بينهم بصورته السليمة الصحيحة، لذلك فقد توجه إلى العمل على إيجاد فئة واعية تفهم مبادئ الساتياغراها، ويكون عليها إفهامها للناس بشكل عملي واضح، وعن طريق التثقيف والتوعية العامة.

إن إصرار غاندي على نشر مبدأ الساتياغراها يدل على إيمانه العميق بها، وبأنها السبيل الأسلم للمقاومة، ولا ننسى أن غاندي استخدم الساتياغراها في جنوب أفريقيا كما قلنا، وهي بلد عنصري له ظروفه الخاصة، والهنود كانوا فيه جالية مهاجرة، وهذه الجالية ليست لوناً واحداً إنها مجتمع الهند المصغر بطوائفه وأعراقه وأديانه، وعندما عاد غاندي للهند استمر في دعوته للاعنف رغم أن الهند كانت بلداً محتلاً، عمل فيه الإنكليز على تفرقة الناس وإثارة النعرات الطائفية بين الناس، وقد وجد غاندي أن العنف لن يؤدي إلا إلى الخراب والتدمير، وبينما الثبات على الحقيقة سيجمع أفراد الشعب الهندي وسيجعلهم قوة لا يستهان بها ستتحقق النصر المنشود في النهاية دون ريب.



غاندي الزعيم الروحي في لقطة تذكارية مع نهرو الزعيم التاريخي الذي حملت ابنته أنديرا اسمه و لقيت نفس مصيره المأساوى !!



غاندي قُتل و بعده أنديرا قُتلت و من بعدها قُتل ابنها راجيف .. هى اللعنة التي حلت و لا ريب !!



واخترقت الرصاصات جسد زعيم الهند لتؤسس لحقبة تحل فيها اللعنة على كل من يحمل لقب غاندي !!

٢- أنديرا غاندي ..

لم يرحمها حبها لبلادها !!



•• ولدت أنديرا في عصر الأعاصير والاضطرابات، ولكنها حاولت أن تكون مهندسة تبني الوطن لا معول هدم .. فكان جزاؤها القتل لتستمر اللعنة !!

في التاسع عشر من نوفمبر عام ١٩١٧ كان رئيس الوزراء الهندي جواهر لال نهرو يحلم بأن يُزف له ولأنصاره خبر ولادة طفله الوحيد. كانت ساعات قاسية عكست التوقعات كلها. المولود أنثى، هذا الخبر بقي طي الكتمان لساعات قبل أن تعلنه الجدة لمجلس الرجال المترقبين البشرى.

أنديرا عكست التوقعات كلها، ما عدا توقعات والدها الذي كان يحلم لها بمستقبل عظيم، وكتب لها والدها رسالة فيما بعد يقول فيها: " في العام الذي ولدت فيه اندلعت الثورة الروسية على بعد آلاف الكيلومترات من هنا... لقد ولدت يا أنديرا في عصر الأعاصير والاضطرابات ".

أرسل نهرو ابنته لتتلمذ على يدي الفيلسوف الهندي الشهير طاغور، وكتب رسالة خاصة إلى سكرتيرة طاغور يقول فيها: «لي نظرة خاصة عن التربية، لا أريد لابنتي أن تكون مجرد امرأة تغسل الثياب وتنظف البيت، أتمنى أن تدخل معترك الحياة العامة كأي شخص آخر، كأي رجل، ولهذا فمن المفضل أن تشتغل في معمل ما لعام كامل، مثلها في ذلك مثل بقية العمال والعاملات لا ينبغي أن تشعر بأنها متميزة عن الآخرين، فالعمل جزء لا يتجزأ من التربية وهو الذي يشكل الشخصية».

ظن والدها أنها بعيدة عن السياسة بعد زواجها من فيروز غاندي الذي التقت به أيام كزميل دراسة في بريطانيا لكن الظنون كانت في غير محلها، فبعد وفاة نهرو في ٢٧ مايو ١٩٦٤ كانت أنديرا على قدر المسؤولية، ترأست «حزب المؤتمر» الذي أسسه والدها، لكنها فضلت ألا تخلفه في رئاسة الوزراء. عامان مرا ومسؤولو الحزب يلحون عليها أن ترأس الوزارة، حتى كانت انتخابات عام ١٩٦٦ التي فازت فيها بانتخابات رئاسة الحكومة.

استمرت أنديرا في رئاسة الوزارة أربع مرات متتالية، حتى غدت زعيمة الهند بلا منازع. ورغم حرصها الشديد على حياتها بعد موت ابنها الكبير سانجي في حادث تحطم طائرة .

أفنت "إنديرا غاندي" حياتها جهاداً ونضالاً؛ حتى حفرت لنفسها اسماً بارزاً بين أعلام الهند، عاشت "إنديرا غاندي" أول رئيسة وزراء للهند الحياة السياسية بكل تقلباتها، فكانت على رأس السلطة تحكم واحدة من أكبر دول العالم تارة، وحبيسة جدران السجون والمعتقلات بعد هزيمة حزبها وانتقام قادة المعارضة منها تارة أخرى. وظلت وفية لمبدأ القضاء على الامتيازات الخاصة، وإعلاء قيمة الانتماء للدولة فوق الانتماء الطائفي إلى أن سقطت صريعة رصاصات غادرة من بعض السيخ المتعصبين داخل حرسها الشخصي، انتقاما لاقتحام الجيش معبداً مقدساً لهم؛ لتلقى المصير نفسه الذي لقيه "المهاتما غاندي" من قبل.

وهكذا وُلدتْ "إنديرا في عائلة لها باع طويل بالعمل السياسي، حيث كان جدها ووالدها من رموز العمل الوطني، ومثّلا مع "المهاتما غاندي" ثالوثاً أسماه الهنود "الثالوث المقدس" كان له فضل كبير في مساعي الهند للحصول على استقلالها من بريطانيا. وشغل والدها "جواهر لال نهرو" منصب أول رئيس وزراء للهند عقب استقلالها عام ١٩٤٧م.

و قد درست إنديرا في معهد "سانتينيكيتان" الذي أسسه الشاعر الهندي الكبير "طاغور" وأكملت دراستها في العلوم السياسية بسويسرا، ثم في كلية سومر وجامعة إكسفورد ببريطانيا، وهناك تزوجت عام ١٩٤٢م "فيروز غاندي" - أحد ناشطي الحركة الوطنية الهندية - ورزقت منه بولدين هما: سنجاي وراجيف.

ولد الزعيم الهندي جواهر لال نهرو في ١٤ مايو ١٨٨٩. ويعد نهرو أحد زعماءَ حركة الاستقلال في الهند، وأول رئيس وزراء للهند بعد الاستقلال، وشغل المنصب من ١٥ أغسطس ١٩٤٧ لحين وفاته في ٢٧ مايو ١٩٦٤.

ولد نهرو لعائلة ثرية أرسلته إلى بريطانيا ليدرس القانون، وعاد إلى بلاده بعد أن أتم دراسته وطاف في دول أوروبا، ما زاد من اتساع أفقه، ولكن أصبح بعيداً عن الثقافة الشعبية والدينية الهندية، على عكس زوجته الهندوسية المتدينة.

بعد عودته إلى الهند لم يمل إلى العمل المهني واتجه إلى السياسة وأعجب بغاندي وتتلمذ على يديه سياسيًا ودينيًا، وأصبح مواظباً على أداء اليوغا وقراءة الكتب الهندوسية المقدسة، ونبذ الملابس الأوروبية وارتدى الملابس الهندية، وأقنع والده وبقية عائلته بذلك، رغم أن والده كان من المعارضين لغاندي، ويرى أن استقلال بلاده يمكن أن يكون استقلالاً جزئياً.

تميز نهرو بالاشتراكية والعدالة ولم يكن متعصباً للهندوسية، وأسهم في إدخال الكهرباء للكثير من مناطق الهند المحرومة. كما أدخل الطاقة النووية للهند وشجع الصناعات الثقيلة، وكذلك الصناعات المنزلية حتى يطور الريف الهندي. وأسس على الصعيد الدولي مع الرئيس المصري الراحل عبد الناصر والرئيس الاندونيسي سوكارنو والرئيس اليوغسلافي تيتو حركة عدم الانحياز.

توفي نهرو في ٢٧ مايو ١٩٦٤ لتتسلم زعامة «حزب المؤتمر» من بعده ابنته الوحيدة أنديرا غاندي.

تأثرت إنديرا بالزعيم الهندي المهاتما غاندي، وبخاصة فيما يتعلق بالعمل على الخلاص من الاستعمار البريطاني، والاعتماد على النفس في سد احتياجات الشعب والحفاظ على وحدة الهند، ورفض الاقتتال الطائفي. ومن شدة تأثرها بغاندي باتت تنسب إليه، وأصبح يطلق عليها: إنديرا غاندي، ولبست الرداء الهندي المصنوع يدويا من القطن، ولم تبال بسخرية أقرانها الصغار في مراحل التعليم الأولى.

وأثر في إنديرا أيضا أفكار والدها وجهوده السياسية، فكانت شخصيتها مزيجا من روحانية النساك وواقعية رجال الدولة.

وكانت إنديرا من أكثر الكارهين للتعصب الديني والطائفي، حتى إنها سقطت صريعة بسبب وفائها لهذا المبدأ، كما سيأتي عند الحديث عن اغتيالها.

وقد كرست إنديرا معظم حياتها لوحدة الهند الوطنية وإخراجها من التقاليد البالية والانقسامات الاجتماعية المولدة للعنف، كما عرفت كيف تحافظ على استقلال الهند في عالم يتميز بهيمنة الكبار على كل تفاصيل العلاقات الدولية، فقد كانت حليفا صعبا للسوفيات، وخصما عنيدا للأميركان، وعدوا لدودا لباكستان، ولكنها في الوقت نفسه عرفت كيف تتمسك بحركة عدم الانحياز، وتقيم علاقات حميمة مع العالم العربي، وترفض باستمرار ومبدئية الاعتراف بإسرائيل.

اشتغلت إنديرا بالعمل السياسي منذ وقت مبكر من حياتها، وتمرست على تقلبات الحياة السياسية، ففي عام ١٩٤٢م (أي في العام الذي تزوجت فيه) اعتقلت هي وزوجها بتهمتي التخريب ومناهضة السياسة الاستعمارية فقضى الاثنان في السجن ١٢ شهراً.

بعد تولي والدها رئاسة الوزراء أصبحت إنديرا المساعد الرئيسي له، وكانت بمثابة مديرة لمكتبه، وصحبته في معظم رحلاته الداخلية والخارجية، وخاصة الرحلات التاريخية إلى الصين والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة.

وحاولت احتواء بذور الفتنة الطائفية بين الهندوس والمسلمين، وبذلت جهدها لمنع انفصال باكستان عن الهند، لكن الرغبة في الانفصال كانت أقوى منها.

انتخبت في عام ١٩٥٩م بعد وفاة زوجها رئيسة لحزب المؤتمر لمدة عام واحد، وعلى الرغم من قصر تلك المدة فإن جهودها أسفرت عن تطهير الحزب من قياداته البيروقراطية وإدخال دماء جديدة إلى صفوفه، ونجحت في إضعاف الحزب الشيوعي الهندي في أهم حصونه داخل ولاية "كيرلا"، وذلك بفوزحزب المؤتمر هناك عام ١٩٥٧م.

كلفت إنديرا الإشراف على إستراتيجية الدفاع الوطني عام ١٩٦٢م عندما تصاعدت حدة الخلافات من جديد بين الهند وباكستان على كشمير.

مثلت إنديرا بلادها في منظمتي اليونسكو واليونيسيف في باريس عام ١٩٦٤م لكنها سرعان ما استُدعيت إلى الهند مرة أخرى بسبب تدهور الحالة الصحية لوالدها ومارست مهام رئاسة الوزراء بالوكالة.

طلب رئيس الوزراء الجديد "لال بهادور شاستري" الذي خلف نهرو عام ١٩٤٦م من إنديرا تولي حقيبة وزارة الخارجية لكنها رفضت مفضلة وزارة الإعلام، وزادت من نشاطها في مجلس ممثلي الولايات الهندية الذي يعتبر المركز الحقيقي للسلطة في البلاد، وكان من أهم إنجازاتها في وزارة الإعلام تمكين المعارضة من عرض وجهات نظرهم في الإذاعة والتلفزيون.

جاءت الوفاة المفاجئة لرئيس وزراء الهند "شاستري" في يناير ١٩٦٦م في العاصمة الأوزبكية "طشقند" أثناء حضوره مؤتمراً للنزاع على كشمير برعاية الاتحاد السوفياتي، لتمهد الطريق أمام تولي إنديرا رئاسة الوزراء، واختيرت إنديرا غاندي لتولي منصب رئيس الوزراء، وفيعام ١٩٦٧ قرر الحزب إعادة ترشيحها.

اندلعت صراعات داخلية بين بعض رموز حزب المؤتمر بغية الفوز بمنصب رئيس الوزراء، وقد أدت هذه الصراعات إلى انقسام الحزب إلى قسمين: حزب المؤتمر أي التنظيم وحزب المؤتمر أي الحزب الحاكم بقيادة إنديرا، واستطاعت إنديرا الصمود أمام هذه العاصفة الجديدة بتحالفها مع التيارات اليسارية داخل البرلمان، واستمر هذا الوضع مدة عام.

رفض البرلمان الهندي إدخال تعديل على الدستور يسمح بإلغاء الامتيازات والنفقات التي تدفعها الحكومة للأمراء، وقد تجاوزت إنديرا هذا الرفض فاستصدرت مرسوما رئاسيا يسمح بإصدار مثل هذا القانون، وعندما أعلنت المحكمة الدستورية العليا

عدم دستورية هذا القانون، رفعت المعارضة شعار "اطردوا إنديرا" فردت عليهم بشعار "اطردوا الفقر" مما أكسبها تأييد الجماهير الشعبية التي صوتت بكثافة لمرشحي حزب المؤتمر (جناح إنديرا)، ونجح مؤيدوها بـ٣٥٠ نائبا من أصل ٥١٥ مما سمح لها بتنفيذ العديد من الإصلاحات الاجتماعية والدستورية والاقتصادية التي كانت تخطط لها لتحديث الهند.

كانت إنديرا غاندي تعتبر علاقتها بالاتحاد السوفياتي علاقة استراتيجية تكللت في ٩ أغسطس ١٩٧١ بتوقيع معاهدة للصداقة والتعاون تمهيدا للدخول في الحرب الثالثة مع باكستان التي كانت تربطها بالولايات المتحدة علاقات مميزة.

قادت إنديرا الهند في حربها مع باكستان عام ١٩٧١ وذلك بعد أن أعطت أوامرها إلى الجيش الهندي بدخول باكستان الشرقية لدعم الانفصاليين هناك، وقد حقق الجيش الهندي انتصارا كبيرا على نظيره الباكستاني وكان من أهم نتائج هذه الحرب انفصال باكستان الشرقية عن الغربية وإنشاء كيان سياسي جديد موال للهند هو بنغلاديش. وقد رفع هذا الانتصار شعبية إنديرا وجعلها من زعماء الهند التاريخيين.

ضرب الجفاف مساحات شاسعة من الهند، قَلَّت على أثره المحاصيل الزراعية وارتفعت أسعار المواد الأولية، وعلى رأسها النفط ودخلت البلاد في حالة من التضخم والفساد المالي والإداري، ساعد على بروز أصوات المعارضة بقوة، وهو الأمر الذي حدا برئيسة الوزراء إنديرا غاندي إلى إعلان حالة الطوارئ في ٢٦ يونيو/ حزيران ١٩٧٥م مبررة ذلك بضرورة تنفيذ برنامج طموح من الإصلاحات الجذرية. وبموجب حالة الطوارئ، هذا زجت حكومة إنديرا بأبرز زعماء المعارضة البرلمانية في السجن، وفرضت الرقابة على الصحف وعلقت الحريات الدستورية. ونتيجة لكل ذلك كان من الطبيعيأن تتهاوى شعبيتها ويخسر حزبها في انتخابات أكتوبر ١٩٧٧ أمام تكتل المعارضة "جناتا بارتي" وتخسر هي نفسها مقعدها في البرلمان.

عادت إنديرا إلى السلطة مرة أخرى مستغلة سلسلة من الأخطاء السياسية ارتكبها تكتل المعارضة، منها:

- قرار وزير الداخلية باعتقالها مدة يوم واحد قبل أن تصدر المحكمة قرارها بالإفراج عنها.

- رفض البرلمان الهندي دخولها إلى قاعة البرلمان رغم نجاحها في إحدى الدوائر الانتخابية، وتصويته على طردها، ثم اعتقالها لمدة أسبوع كامل من ١٩ – ٢٦ديسمبر ١٩٧٨ مما منحها تعاطفاً شعبيًّا كبيرًا.

ازدياد الانقسامات والصراعات داخل تكتل المعارضة الحاكم، ثم انفراط عقد التكتل بأكمله.

حل البرلمان الهندي بعد أن دخلت البلاد في حالة من الفوضى السياسية.

وكانت إنديرا غاندي قد استعدت لذلك، فجاءت نتائج الانتخابات في يناير/ كانون الثاني ١٩٨٠م لتكرس انتصارها وانتصار حزبها وابنها سنجاي الذي انتخب هو الآخر بأغلبية ملموسة.

كان سنجاي من القلائل الذين شجعوا إنديرا على الاستمرار في الحياة السياسية الهندية عند هزيمتها عام ١٩٧٧م وساعدها في تجديد قيادات الحزب عام ١٩٧٨م وأصبح أحد أمناء العامين، وتمكن بهذه الصفة من إقصاء معظم الوزراء والحزبيين المتورطين في ارتكاب تجاوزات، ولم يتردد في شق الحزب عام ١٩٧٨م، وتشكيل حزب جديد عرف باسم حزب المؤتمر (إ) نسبة إلى إنديرا. ولكنه لم يقدر له أن يتمتع بثمرات انتصاره إذ لقي حتفه في حادث طائرة شراعية بعد شهر من عودة والدته إلى الحكم، تاركاً المجال مفتوحا أمام خلافة والدته، وذلك قبل أن تقنع هذه الأخيرة ابنها الأكبر راجيف بالانخراط في معترك السياسة تمهيدا لخلافتها.

احتج بعض زعماء السيخ المتشددين على بعض سياسات إنديرا، واعتصموا في أحد معابدهم المقدسة (معبد الشمس) وطالبوا باستقالتها، ولما امتنعوا عن الاستجابة لمناشدتها بفض الاعتصام وعدم إثارة الرأي العام أو النعرات الطائفية أعطت أوامرها للجيش باقتحام المعبد والقضاء على المعتصمين، وعلى رأسهم "سانت بيندرانوال" مما أثار حفيظة بقية السيخ. في هذه الأثناء رفضت إنديرا تغيير حرسها الشخصي المكون من الضباط السيخ، معتبرة أنه يجب أن لا يؤخذ الأبرياء بجريرة المذنبين على حد وصفها، لكنها لم تكن موفقة في هذا الرأي، فقد تغلب التعصب الطائفي على الواجب القومي، فسقطت إنديرا صريعة برصاصات قاتلة أطلقها عليها حرسها الشخصي صبيحة يوم ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٨٤م فودعت الحياة السياسية عن عمر يناهز ٦٧ عاماً.

وهناك كتاب قيم يتناول قصة حياة إنديرا غاندي التي رفضت أن تكون مجرد امرأة تغسل الثياب لتصبح رئيسة لوزراء حكومة بلادها الهند ثم تموت غيلة من قبل أحد حراسها الشخصيين.

مؤلفة هذا الكتاب، كاثرين فرانك، ولدت وتعلمت في الولايات المتحدة الأميركية. وكانت أستاذة في جامعات أفريقيا الغربية، والشرق الأوسط، وبريطانيا. وقد أمضت ست سنوات في كتابة قصة حياة سيدة الهند الأولى: انديرا غاندي. وفي اثناء هذه السنوات الست زارت الهند عدة مرات وأمضت فيها فترات طويلة من اجل البحث في الارشيف ومقابلة الشخصيات التي تعرفت إلى «انديرا» عن كثب. والآن هي تعيش في انجلترا.

هذا الكتاب الضخم يعتبر أهم سيرة تصدر عن إنديرا غاندي حتى الآن. وقد علقت عليه الصحافة الإنجليزية قائلة: من يريد التعرف على هذه المرأة الاستثنائية التي حكمت الهند ينبغي أن يطلع على هذا الكتاب. ففي جريدة «الصندي تايمز» تقول الناقدة جني موراي عن الكتاب ما يلي: إنها سيرة مذهلة لم يتح لأحد أن

يكتبها من قبل. إنها سيرة امرأة انتخبت على أساس أنها أهم امرأة ظهرت في القرن العشرين. إنها امرأة دفعت دفعاً إلى ساحة المعترك السياسي من قبل الرجال ثم افسدت من قبل السلطة، ثم قتلت من قبل اولئك الذين ينبغي ان تثق بهم اكثر من غيرهم: حرسها الشخصي بالذات!

فمن هي انديرا غاندي يا ترى؟ ولدت إنديرا في ١٩ نوفمبر من عام ١٩١٧ في عائلة شهيرة هي عائلة جواهر لال نهرو أحد قادة الحركة الوطنية الهندية المناضلة ضد الاستعمار الانجليزي. وخارج غرفة المستشفى كان هناك جمهور كبير ينتظر الحدث السعيد ويأمل أن يكون المولود ذكراً! ولهذا السبب تأخرت جدتها في إبلاغ النبأ إلى مجلس الرجال حيث كان يوجد والد الطفلة وجدها وعشرات الشخصيات الاخرى. فليس من السهل عليك ان تعلن للجميع في المجتمع الشرقي ان المولودة أنثى لا ذكر..

في الواقع أن والدها كان شخصاً مستنيراً وعقلانيًّا ولم يمكن يزعجه إطلاقاً ولادة بنت له. ولكن المجتمع الهندي لم يكن متقدماً إلى نفس الدرجة التي وصلها قادته. وقد كتب لها والدها رسالة فيما بعد يقول فيها: في العام الذي ولدت فيه اندلعت الثورة الروسية على بعد آلاف الكيلومترات من هنا.. لقد ولدت يا إنديرا في عصر الاعاصير والاضطرابات. وراح يحلم لها بمستقبل غامض، عظيم، اسطوري.. ولم تكذب الأيام توقعاته، فلم يتح لأي امرأة هندية أن تصل إلى المرتبة التي وصلت إليها ابنته.

فيما بعد ارسلها والدها لكي تدرس في الجامعة التي أسسها شاعر الهند الأكبر: طاغور. وقد كتب رسالة خاصة إلى سكرتيرة الشاعر يقول فيها: «لي نظرة خاصة عن التربية. لا أريد لابنتي ان تكون مجرد امرأة تغسل الثياب وتنظف البيت.. اتمنى ان تدخل معترك الحياة العامة كأي شخص آخر، كأي رجل. ولهذا فمن المفضل ان تشتغل في معمل ما لسنة كاملة، مثلها في ذلك مثل بقية العمال والعاملات. لا ينبغي

أن تشعر بأنها متميزة عن الآخرين. فالعمل جزء لا يتجزأ من التربية وهو الذي يشكل الشخصية».

في الواقع إن نهرو الذي كان ينتمي إلى عائلة أرستقراطية كبيرة لم يكن يثق بالجامعات الهندية ولا بمستواها. وحدها الجامعات البريطانية كانت تعجبه. وكان يريد لابنته تربية صارمة لا متساهلة ولا كسولة. وعلى الرغم من ان نهرو كان يبجل الشاعر والفيلسوف طاغور كثيراً الا انه لم يكن يثق بجامعته.

ولكنه رضي بأن تذهب إنديرا إلى هذه الجامعة لفترة من الزمن قبل أن يتاح لها مغادرة البلاد للدراسة في إحدى الجامعات الأوروبية. فيما بعد سوف تقول إنديرا غاندي إن جامعة طاغور كانت أهم جامعة درست فيها، وإنها تعلمت منها أشياء لم تجدها في أي جامعة هندية أو أوروبية أخرى.

كان طاغور قد أسس مدرسته (أو جامعته) عام ١٩٥١ وخلع عليها اسم «مقر السلام». وكان يحاول أن يقيم مصالحة معقولة بين الثقافة الهندية والثقافة الاوروبية. وكانت الجامعة تشمل ثلاثة أقسام: قسم الفنون الجميلة، وقسم الموسيقى، وقسم الثقافة الهندية. وكان الأساتذة يشجعون التلامذة على استخدام أيديهم وإطلاق العنان لمواهبهم الفنية. والأجمل من ذلك هو أن الدروس كانت تعطى في الهواء الطلق لا بين جدران الغرف. وكانت المنطقة جميلة جداً بالغابات والأنهار. ضمن هذا الجو عاشت انديرا غاندي بعض الوقت وكبرت وترعرعت. ولذلك تركت المدرسة في نفسها ذكرى لا تنسى. وفور وصولها إلى المدرسة كتبت إلى والدها رسالة تقول فيها: " أخيراً وصلنا إلى المنطقة. كل شيء جميل هنا ومليء بالفن والغابات الوحشية".

عندما وصلت إنديرا إلى الجامعة المذكورة كان عمر طاغور ثلاثة وسبعين عاماً. وكان له أنصار عديدون يحبونه ويبجلونه سواء في جهة الهند أم في جهة الأوروبيين. كان يحظى بسمعة كونية، وقد نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩١٣. وحتماً كان أول

شرقي ينالها. وقد وصفته إنديرا غاندي فيما بعد قائلة: "كان ضعيف البنية، محني الظهر، بالاضافة إلى شعره المتموج الطويل المنسدل على اكتافه. وكان ذا لحية كثيفة وطويلة ايضاً.. وكانت نظراته ثاقبة وعميقة. كان جميلا اذا ما تطلعت اليه عن كثب.. وكان يجسد صورة الشاعر الرومانطيقي بامتياز".

ثم تتحدث المؤلفة كاترين فرانك عن علاقة إنديرا بوالدها الزعيم الوطني المشهور جواهر لال نهرو وتقول: "لم يكن راضياً عن زواجها من فيروز غاندي الذي التقت به كزميل دراسة في انجلترا. وقد مات شيء في علاقتهما منذ ذلك الوقت. كان نهرو يعتقد انها تزوجت لكي تنحسب من الحياة العامة والمسئولية. وهذا شيء يؤلمه جداً لأنه كان يحضر ابنته لخدمة الوطن".

ولكن بعد موته عام ١٩٦٤، أحست بفراغ هائل ووحدة كبيرة. شعرت بأنها اصبحت يتيمة لأول مرة. فقد كان والدها يمثل الحضور الأكبر في حياتها. وبما ان زوجها كان قد مات قبله فإنها اصبحت الآن ليس فقط أرملة وانما يتيمة. لا ريب في انه بقي لها اولادها الستة وبخاصة راجيف الذي سيصبح فيما بعد رئيساً للوزراء ايضاً مثل امه وجده. ولكن أولادها كانوا يدرسون في إنجلترا آنذاك ولم تكن تراهم إلا قليلاً.

وبعد موت والدها مرضت نفسيًّا وشعرت بالكآبة العميقة. وهو نفس الشعور الذي طغى عليها بعد وفاة زوجها الشاب، وإن كانت الصدمة الأولى اشد صعوبة. لم تكن تتوقع ان والدها بشخصيته القوية جداً سوف يموت! حقاً لقد خلف وراءه فراغاً كبيراً. بعدئذ عرض عليها قادة حزب المؤتمر أن تخلفه في رئاسة الوزارة، ولكنها رفضت واعتذرت. وكانت حجتها انها ليست مؤهلة للمنصب حتى الآن. فلا تزال التجربة تنقصها، ولم تكن قد تجاوزت السابعة والأربعين بعد.. وبالتالي فلا يزال الزمن أمامها.

والحق أن هذا الزمن لم يدم طويلاً. فبعد سنتين فقط، أي عام ١٩٦٦، انتخبت كرئيسة للوزراء. وشعر الجميع عندئذ بأنها ورثت والدها، بل إنه تجسد فيها

شخصياً. وقد اختارتها مجلة " تايم" الأميركية كشخصية العام ووضعت صورتها على غلافها بالألوان، وكتبت تحتها تقول: " الهند المضطربة بين يدي امرأة "!

في الواقع أن وصول إنديرا غاندي إلى رئاسة الوزارة في الهند تزامن مع ظهور حركات تحرير المرأة في الغرب. وعلى الرغم من انها قالت انها ليست امرأة متحررة على الطريقة الغربية، إلا ان صحافة الغرب النسائية راحت تستخدم صورتها كشعار لها. وراحت المجلات النسائية تقول: إذا كانت إنديرا غاندي تحكم بلداً كبيراً كالهند فهذا يعني أن المرأة قادرة على كل شيء.

وفي عام ١٩٧١، جرت انتخابات عامة جديدة في الهند. وكانت أضخم انتخابات ديمقراطية تشهدها الهند في تاريخها كله. فقد صوت فيها ما لا يقل عن ١٥٠ مليون مواطن ومواطنة. وكانت النتيجة نجاحاً ساحقاً لإنديرا غاندي وحزبها. واصبحت اقوى رئيس وزراء شهدته الهند منذ الاستقلال. والواقع إنه حتى والدها لم يحظ بكل هذه الصلاحيات والسلطات.

ثم تتحدث المؤلفة عن السنوات الأخيرة من عمر إنديرا غاندي وتقول: «في بداية الثمانينيات كانت الهند مهددة بالتفكك والانقسام. فالصراعات بين الهندوس، والسيخ، والمسلمين، والمسيحيين كانت في أوجها. وكانت هناك اقاليم عديدة تهدد بالانفصال عن الدولة المركزية. وكلما شددت انديرا غاندي من قبضتها على الحكم وقوت النظام المركزي في نيودلهي، كلما زادت الانقسامات في الأقاليم البعيدة.

وكان الكثيرون يعتبرون إنديرا أصل المشكلة، وفي ذات الوقت المنقذ الوحيد. ففي عام ١٩٨٤ جرت انتخابات عامة في البلاد وانتخبت إنديرا للمرة الرابعة رئيسة للوزراء. وهذا ما لم يحصل لأي شخصية أخرى في الهند. حقاً لقد أصبحت إنديرا الملكة المتوجة.. وعندما سألها أحد الصحفيين عن مشاعرها وقد أصبحت زعيمة الهند مرة أخرى، أجابت: «كنت دائماً زعيمة للهند.. ولكن ماذا بعد الوصول إلى القمة؟ يخشى من الانحدار والسقوط».

كان هناك حدث خطير يخبئه لها القدر: ألا وهو مقتل ابنها الكبير «سانجي» في حادث طائرة فوق نيودلهي. ومن المعروف انها كانت تحضره لخلافتها في رئاسة الحكومة. وكان وقع الخبر عليها كالصاعقة. فبعد ان فقدت زوجها ووالدها تفقد الآن ابنها وهو في عز الشباب.. والبعض يقول ان الامر ليس حادثاً وانما مسألة اغتيال مدبرة من اجل زعزعة أمه وتدميرها نفسياً.

عندما حصل الحادث كان راجيف غاندي وزوجته سونيا وأولادهما يزورون عائلة الزوجة في إيطاليا. ومعلوم أن زوجته سونيا كانت إيطالية الأصل. ولكن عندما سمعوا بنبأ مصرع سانجي ركبوا أول طائرة وعادوا إلى الهند لحضور الجنازة. بعدئذ سوف يخلف راجيف أخاه في القيادة السياسية لكي يصبح رئيساً للوزراء يوماً ما.

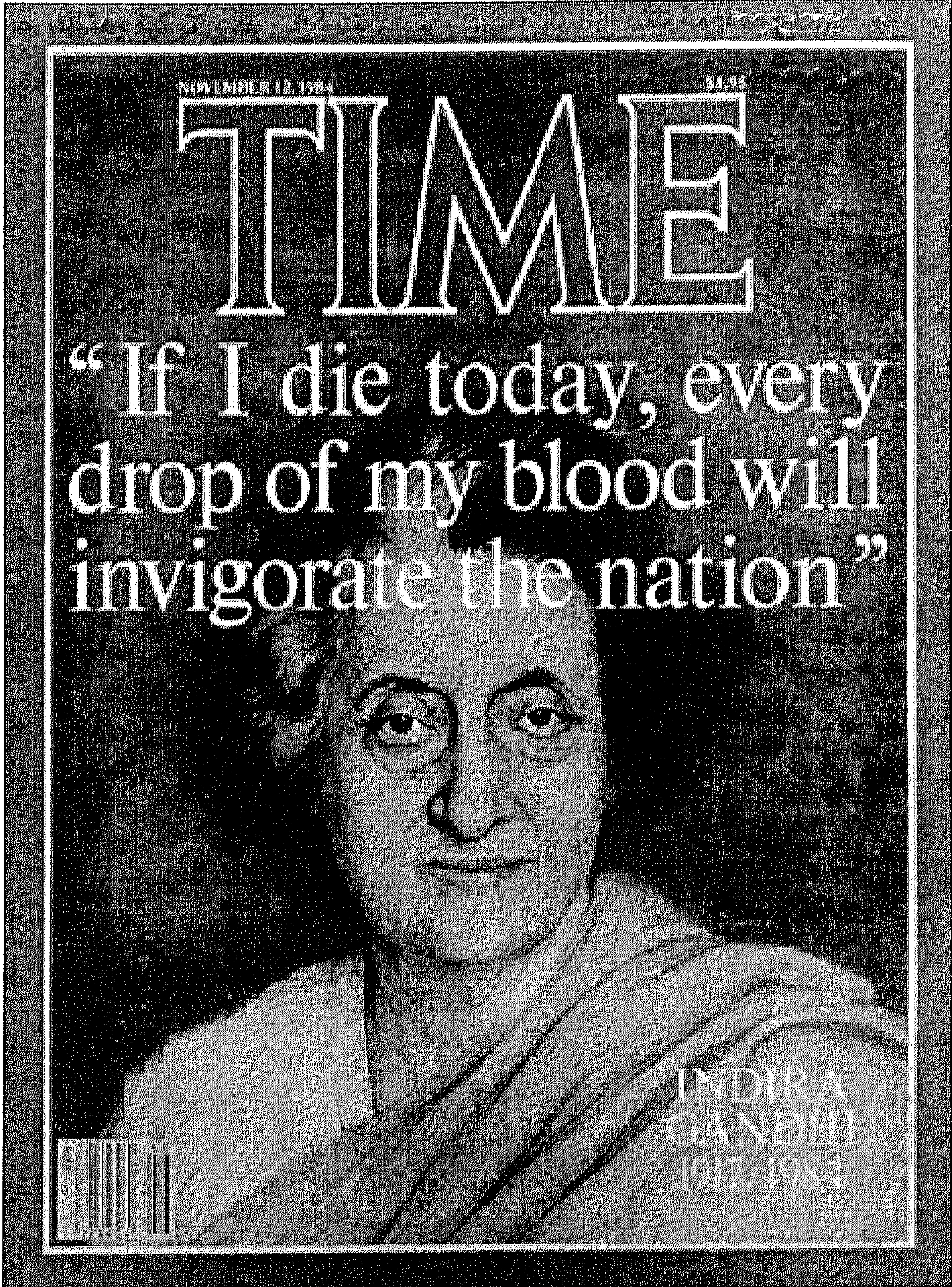
ونظمت إنديرا غاندي لابنها الغالي جنازة مهيبة شاركت فيها الهند كلها. وكانت تشبه جنازة المهاتما غاندي نفسه، وكذلك جنازة زوجها فيروز غاندي ثم والدها نهرو. وكل ذلك تم على نفقة الحكومة على الرغم من معارضة ابنها الثاني راجيف لذلك. فهل دخلت إنديرا في مرحلة الفساد واستغلال المال العام لأغراض شخصية كما يحصل للعديد من رجالات السلطة؟ خصومها يزعمون ذلك، ولم يتوانوا عن استخدامه ضدها. والواقع انهم وجدوا في جيب ابنها المتوفى رقم حسابه في البنوك السويسرية.. وأخذت الغيوم السوداء تتجمع في الأفق السياسي لزعيمة الهند.

وتقول سونيا، زوجة ابنها راجيف إن إنديرا غاندي جمعت العائلة مرة وقالت لهم بكل جدية: "ربما اغتالوني قريباً، وإذا ما حصل ذلك فإني أود ان تنظموا لي جنازة على النحو التالي". ثم أعطتهم التعليمات.. بل وراحت تخشى من ان يلجأ أعداؤها إلى تصفية أحفادها. ولذلك نصحتهم بألا يلعبوا خارج أسوار البيت.

ثم تردف المؤلفة قائلة: لقد أصبح جميع من حولها يشعرون بأن حياتها في خطر. وعندئذ حاول وزير الدفاع ان يقنعها بتغيير حرسها الشخصي فيصبحون من الجيش بدلاً من الشرطة. ولكنها رفضت وقالت له: انا رئيسة حكومة ديمقراطية منتخبة

عن طريق الشعب ولست ديكتاتوراً وصل إلى السلطة عن طريق انقلاب عسكري. فلماذا تريدني أن أخاف على نفسي؟ ولكنها على الرغم من ذلك قبلت بإضافة عناصر حرس جديدة.

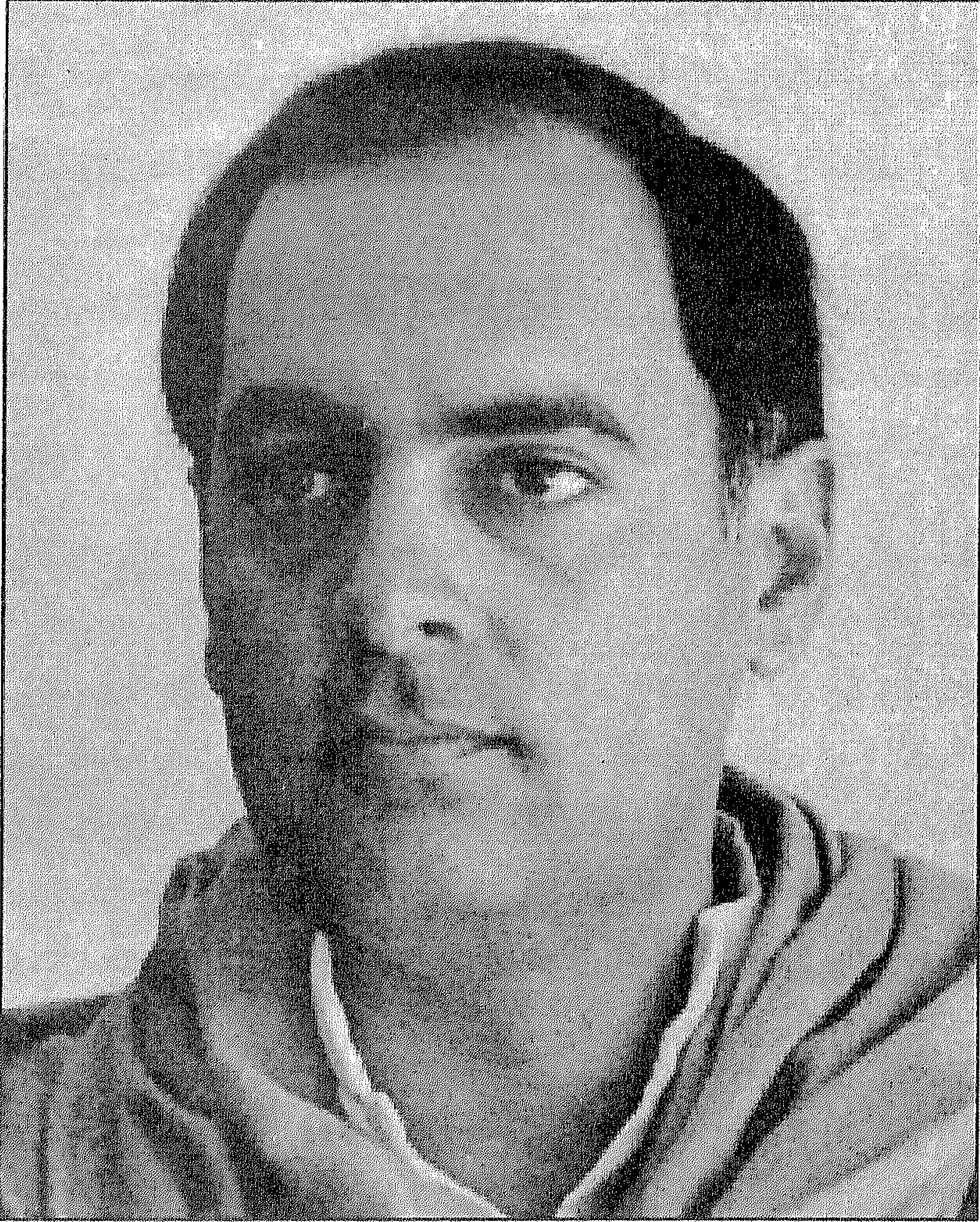
وطلب رئيس المخابرات عزل جميع الحرس الذين يعود أصلهم إلى طائفة السيخ لأنهم لا يؤتمنون.. ولكن على الرغم من كل هذه الإجراءات والاحتياطات فإن مصير إنديرا كان لا يزال مهدداً. فرئيس المخابرات ما كان يتوقع أن تجيء الضربة من داخل بيت إنديرا غاندي.. وهكذا قتلت من قبل حرسها الشخصي بالذات وقبل أن تغادر منزلها بدقائق معدودات. وانطلق عليها المثل القائل: "من مأمنه يُؤْتَى الحَذَر".



هكذا فُجِعَ العالم بنبأ اغتيال إنديرا .. وها هو غلاف مجلة " تايم " الأمريكية يحمل صورتها، ومعها كلماتها التي قالت فيها : "لو مت اليوم فسوف تعمل كل قطرة من دمي على تقوية بلادي " !!

٣- راجيف غاندي ..

نفس السيناريو و نفس المصير !!



•• وكما ذهبت أمه ضحية غدر السياسة ذهب هو بعد أن أصبحت لعنة العائلة تطارده !!

لم يدرك قبطان الخطوط الجوية الهندية راجيف أن تموت والدته أنديرا باكراً عن عمر ٦٦ عاماً، وأن يصبح سابع رئيس وزراء بعد اغتيال والدته في ٣١ أكتوبر ١٩٨٤ وأصغرهم عمراً، إذ ولد راجيف في مومباي بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٤٤، واستمر في رئاسة الوزراء حتى استقالته في ٢ ديسمبر ١٩٨٩ عقب خسارة حزبه في الانتخابات العامة. لكنه بقي رئيساً لـ"حزب المؤتمر" حتى اغتياله عام ١٩٩١ أثناء قيامه بحملة انتخابية في تفجير انتحاري نفذته امرأة اسمها ثينمولي راجارتنام.

اغتيل راجيف وهو في سن الـ٤٦ في انفجار بمدينة صغيرة جنوب غرب مدراس ليلة خوضه الانتخابات على مقعد رئيس وزراء الهند دون أن تعلن أي منظمة مسئوليتها عن الهجوم بعدما أيقن أعداؤه أنه قاب قوسين من مقعد رئيس الوزراء،ولم تجد قوى الظلام خيارا آخر سوي تصفيته جسديا،وهو نفس السيناريو الذي حدث لبينظير بوتو رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة قبل أيام من خوضها الانتخابات ليتفرق دمها بين تنظيم القاعدة وطالبان وحكومة مشرف ويخلفها نجلها بيلاول في قيادة حزب الشعب الباكستاني المعارض.

راجيف غاندي اغتيل عام١٩٩١، ليلحق بوالدته التي اغتيلت رميا بالرصاص في عام١٩٨٤ في حديقة منزلها على أيدي اثنين من حراسها المتشددين من السيخ الغاضبين من سياستها القمعية لحركة الاستقلال في البنجاب وانتقاما لاقتحام المعبد الذهبي الذي يقدسه السيخ لتندلع بعدها الفوضى وتعم أنحاء الهند، وأحاط الهندوس المناصرون لانديرا غاندي بالسيخ للانتقام منهم، مما خلف عشرة آلاف قتيل من السيخ خلال أعمال عنف وشغب واسعة النطاق من الجانبين. لتتحول

الهند كلها بعدها إلى ثكنة عسكرية تنتشر فيها عصابات الشوارع، التي تبحث عن كبش فداء وتحطم كل شيء أمامها. ونجم عن اختفاء إنديرا غاندي ـ الجيل الثاني من الساحة السياسية ـ لدي المواطن الهندي نفس الشعور الذي أحس به المواطن الباكستاني بعد اختفاء بوتو بفقدان الحرية والديمقراطية. وعلي الرغم من أن الحملات الانتخابية في كل من الهند وباكستان تبدأ بإهداء المرشحين باقات الورود، لكن عادة ما تنتهي بعدها باختلاط الزهور بالدماء، فقد كان قاتل راجيف غاندي على بعد حوالي ١٠ خطوات خلفه يحمل باقة من الورود بداخلها عبوة ناسفة لتنفجر، ولم يتبق من راجيف سوي جزء من قدميه ورأسه. أما الجد الذي يمثل الجيل الأول وهو المهاتما غاندي فقد اغتيل على أيدي متطرف هندوسي بأربع رصاصات وهو يتوجه للصلاة رغم ما قدمه للهند ودوره الخطير في تغيير حياة الهنود والدفاع عن حقوقهم، ولم شمل طوائفهم المختلفة، التي حاول الاستعمار البريطاني الوقيعة بينها ومحاربة التعصب والدعوة إلى التسامح،وكان يؤرقه دائما محاولة الوقيعة بين الهندوس والمسلمين، وقرأ غاندي القرآن الكريم و الإنجيل وآمن بالهندوسية ولم يكن يعرف يومها أنه سيكون هو نفسه ضحية التعصب الأعمي.

وبدأت وقائع اغتيال غاندي في الساعة الرابعة والنصف مساء، وكان غاندي في منزله يتحدث مع نائب رئيس وزراء الهند، ولكن قطع حديثه ونظر إلى ساعته وقال له دعني أذهب إنه وقت الصلاة، ثم نهض، وسار إلى المنصة ليشرف منها على جموع المصلين الذين تعودوا أن يؤمهم للصلاة ثم صعد في بطء الدرجات الثلاث المؤدية إلى المنصة، فتقدم إليه شاب قصير ممتلئ، ثم ركع عند قدمي غاندي، ووجه إليه الخطاب قائلا: لقد تأخرت اليوم عن موعد الصلاة، فأجاب غاندي نعم قد تأخرت، ولم يكن هذا الشاب سوي محرر بصحيفة متطرفة يدعي ناثورام جودس دأبت جريدته على اتهام غاندي بخيانة قضية الهندوس لتسامحه مع المسلمين،

ولم يكد يتم المهاتما الصلاة حتى انطلقت الرصاصات، من مسدس صغير، أصابت بطنه وصدره ليلقي مصرعه. بعدها بنصف ساعة.

وقد صدر كتاب منذ فترة عن صحيفة الجارديان البريطانية عن مراسلها (رانديب راميش) من دلهي يتحدث فيه عن مسيرة عائلة غاندي الشهيرة في الهند يلفت الكاتب فيه أن من المثير للانتباه إلى أن عائلة غاندي العريقة التي قدمت للهند ثلاثة رؤساء وزراء في الماضي كان لهم بصمة على الحياة في الريف الإيطالي من خلال أحد الطرق الواقعة شرق (أورباسانو) والذي يحمل اسم راجيف غاندي، الراحل الذي كان آخر الرجال السياسيين المشهورين من تلك العائلة السياسية الناجحة. والذي اغتيل وكانت صدمة اغتياله مازال يعاني منها الشعب الهندي حتي الآن .

وتطرق بعد ذلك إلى قصة اغتيال راجيف ومدي تأثير هذا على المجتمع الهندي ولكن مقابلة بنت راجيف لقاتلة أبيها فجرت مره أخرى هذه القضية.

لم يتوقف الامر فقط عند الأم هكذا كانت الامور كما يتمناها الشعب الهندي فبعد أن أحدثت جريمة اغتيال إنديرا غاندي هزة كبيرة في المجتمع الهندي ليس فقط للدور البارز الذي قامت به في الحياة السياسية اليومية ،بل للمستقبل الزاهر الذي كانت تنتظره الهند

وقد أحدثت وفاة ابنها سانجاي الابن الأصغر لأنديرا ردا عنيفا في الهند ليس فقط للدور البارز الذي كان يقوم به سانجاي في الحياة السياسية بل للمستقبل السياسي الذي كان ينتظره أيضا كانت إنديرا تطمح لأن يكون سانجاي خليفتها المرتقب لذلك تركت له المجال في أن يخوض غمار السياسة بكل اجتهاد إلا أن القدر لم يمهله وسقطت به الطائرة التي كان يتدرب عليها .

ولقد شاء القدر أن يقوم شقيقه راجيف بإشعال ركام الحطب الذي اشتعل تحت الجثمان ثم نقل الرماد وألقي به فوق مياه نهر الغانج المقدس طبعا حسب التقاليد الهندوسية في حرق الأموات ومرت الأيام وفي لحظات شريرة قاتلة قام شاب هندوسي بعد ذلك بقتل أنديرا غاندي التي أعطت هي وعائلتها إلى الهند كل أعصابها وراحتها وكانت امرأة سياسية ناجحة تركت بصماتها الناجحة في تاريخ

الهند . لقد كانت أنديرا في حديقة منزلها عندما تقدم منها أحد حراسها وراح يطلق النار عليها حيث أرداها قتيلة.

وجاء اغتيال ابنها الثاني راجيف غاندي على أيدي الهندوس ليحدث زلزالا في الهند حيث ترك أثره على المجتمع الهندي بأسره . ومن أهم المنجزات التي حققتها إنديرا غاندي لبلادها إطلاق البرنامج النووي والذي حظي أيضا باشراف راجيف غاندي قبل اغتياله.

وهكذا أصبحت الهند دولة نووية مثل الولايات المتحدة - وروسيا وفرنسا والصين وبريطانيا وباكستان وإسرائيل عندما عادت إنديرا غاندي رئيسة حزب الكونغرس إلى كرسي الرئاسة مرة ثانية كانت تعتبر أن هذا الكرسي الذي تربع عليه والدها جواهر لال نهرو منذ استقلال الهند عام ١٩٤٧ وحتى وفاته عام ١٩٦٥ قد خلق لها وأنها زعيمة الفقراء والمعدومين وباعتبارها زعيمة الفقراء لقد وقفت أنديرا غاندي مع القضايا العربية وخاصة مع شعب فلسطين ووصفت سياسة الولايات المتحدة بأنها سياسة شريرة عمياء لا تستند إلى الأخلاق والدفاع عن الحقوق وهي سبب التوتر في القارة الآسيوية.

ومرت الأيام وتولى ابنها "راجيف" رئاسة الحزب والوزارة ودخل عالم السياسة وهو يواجه الحركات الانفصالية ورغم ذلك حاول الدخول بالهند إلى عالم التكنولوجيا حتى أطلقوا عليه (كمبيوتر جي).

وجاء عام ١٩٩١ ليلقى "راجيف" مصرعه على يد سيدة من حركة التاميل الانفصالية فقد أهدته باقة من الورد أثناء جولة انتخابية له وانحنت أمامه لتفجر ٥ كيلو جرامات من المواد المتفجرة التي كانت تلفها على جسدها فطارت رأسها وانقسم جذع "راجيف" لتأتي نهاية عائلة "غاندي" السياسية في الهند.

وكانت بريانكا غاندي، ابنة رئيس الوزراء الهندي الراحل راجيف غاندي، قد كشفت النقاب عن أنها قابلت امرأة تقضي عقوبة السجن بتهمة التورط في اغتيال والدها.

وقالت بريانكا إنها قابلت نالينى سريهاران الشهر الماضي في سجن في ولاية تاميل نادو الجنوبية.

وقتل راجيف غاندي في تفجير انتحاري في مايو عام ١٩٩١ عندما كان يخطب في تجمع انتخابي. وألقت الهند باللائمة على متمردي نمور التاميل.

وتمت إدانة سريهاران باعتبارها جزءا من الفرقة المكلفة بالاغتيال، وحكم عليها بالإعدام مع ثلاثة آخرين.

لكن الحكم خفف إلى السجن المؤبد بعد أن قدمت سونيا غاندي، أرملة راجيف ورئيسة حزب المؤتمر الهندي، التماسا بذلك لأن لسريهاران طفلا صغيرا.

ويقول مراقبون إن زيارة بريانكا تعتبر هامة للغاية لأن حادثة اغتيال والدها صدمت الهند وجعلت الكثيرين في ولاية تاميل نادو ينقلبون على نمور التاميل.

قال راهول إنه علم بزيارة أخته إلى قاتلة أبيه. وفي العام ٢٠٠٤ عبر نمور التاميل "عن ندمهم" لاغتيال راجيف، وذلك في خطوة وصفها المراقبون بأنها إدراك من قبل المتمردين بأن الاغتيال كان غلطة كبرى.

وقال راهول غاندي، أخو بريانكا والنائب في البرلمان الهندي عن حزب المؤتمر، إنه كان على علم بزيارة أخته إلى قاتلة أبيه. لكن راهول قال إنه لا توجد لديه خطط بزيارة سريهاران.

وفي وقت سابق نقلت صحيفة "تايمز أو إنديا "عن محامي سريهاران قولهم إنه اجتماع كان "دافئا للغاية". ونقلت الصحيفة عن بريانكا قولها لسريهاران: "كان أبي رجلا طيبا.. لو كنت عرفتِ طبيعة والدي الطيبة ما كنت فعلت ذلك".

ومنذ فترة وبعد اغتيال راجيف ظهر كتاب في الأسواق الهندية أثار ضجة كبيرة لكشفه مجموعة من أسرار العائلة والصداقه الحميمة التي كانت تربطهم بالرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات.

وذكرت فيها العلاقة بين الرئيس عرفات وإنديرا غاندي بشكل ملفت للانتباه ومما جاء فيه ان إنديرا غاندي كانت بالنسبة لعرفات، مصدراً من مصادر الحكمة والنصح، ومناقشة التطورات وبلورة المواقف والقرارات، وكذلك هو بالنسبة لها. وظهر ذلك جلياً في مجموعة دول عدم الانحياز وفي الأزمات التي واجهتها أنديرا غاندي وواجهها هو. فقد واجهت أنديرا غاندي عواصف خطيرة مع الباكستان وفي كشمير وبنغلاديش وسريلانكا. وواجه هو عواصف وأزمات في الأردن ولبنان وبالطبع مع الإسرائيليين. وكان اغتيالها أصابه في الصميم.

وتقول لم أره حزيناً كما رأيته عندما تلقى الخبر. ومنذ جنازتها، قام ياسر عرفات بزيارة قبرها ليروي الشجرة التي زرعها أمام ذلك القبر وينحني بإجلال ويقف مفكراً، متذكراً أمامها لدقائق عدة. غياب أنديرا الأليم، عمّق العلاقة الحميمة مع عائلتها فكان ياسر عرفات تحول إلى القريب الوحيد لهم فهو صديق والدة راجيف، وجدة الأحفاد (أولاد راجيف). واستمر الجميع ينادونه العم . حتي راجيف، كان يناديه العم عندما يكون معه في جلسة خاصة وعندما أصبح راجيف رئيساً للوزراء، ازدادت زيارات ياسر عرفات للهند ووثق العلاقة بينهما وبين الفلسطينيين. كان يعلم أن راجيف يشعر بالوحدة القاسية بعد رحيل أمه وأخيه، ومن قبلهما رحيل أبيه وجده. كان يشعر بأنه أصبح وحيداً في مواجهة أعاصير الهند وتناقضاتها الداخلية المعقدة. ولا شك أن الحديث مع ياسر عرفات، الذي وضعت أمه أنديرا ثقتها فيه، أعطاه المزيد من الثقة بالنفس وبث فيه روح الشجاعة لمواجهة عواصف الهند، وللسير بخطي ثابتة في السياسة الخارجية لدولة كبيرة كالهند. أثناء إحدي زياراته لراجيف والهند، أقيم احتفال كبير ألقيت فيه الكلمات قبل أن يضع ياسر عرفات حجر الأساس لقاعة جامعية كبيرة، تبرع بها ياسر عرفات باسم الشعب الفلسطيني للجيل الهندي الجامعي.

وكانت الهند تمر آنذاك بموسم زراعي سيئ، إذ أتي الجفاف على المزروعات. في ذلك الاحتفال، راح الخطباء الواحد تلو الآخر يلقون الكلمات ويؤكدون على التلاحم

بين الشعبين الهندي والفلسطيني. وعندما جاء دور الرئيس ياسر عرفات انهال المطر الغزير من غيوم كانت ملبدّة لأيام دون أن تفك أسر المطر. وتتابع المطر الغزير... غزير جداً لدرجة أن السرادق المقام في العراء أمام موقع القاعة لم يصمد. وتعالت الهتافات، وتعالي الشكر وردد الحضور اسم ياسر عرفات. وعلي مائدة العشاء في تلك الليلة، تبودلت كلمات الترحيب والتحية كما هي العادة، فبدأ راجيف كلمته بالقول: إن ياسر عرفات خير وبركة على الهند والهنود، فقد جلب لنا المطر والخير، وهو عزيز على الهنود وعزيز بعمق على قلوب عائلتي وقلبي أنا.

احتفال العائلة بعيد ميلاد راجيف كان دائماً احتفالاً عائلياً محصوراً بأقرب الأقارب والمقربين.

ورافقت الرئيس، مرة، لحفل ميلاد راجيف في بيت العائلة. كانت تلك هي المرة الأولى التي أدخل فيها بيت العائلة. فقد كنا دائماً ضيوفاً ننزل في قصر الضيافة الرسمي وتقام كل النشاطات في ذلك القصر. تلك الزيارة كانت خارقة للعادة. والعادة كانت دائماً أرفع مستوي من الاستقبال. في تلك الزيارة كسر الهنود، المعروفون بحرصهم على الحفاظ على التقاليد والبروتوكول، فاستقبال كبار الضيوف (الرؤساء والملوك) يتم عادةً في باحة القصر الجمهوري وليس على أرض المطار فإذا بهم قد أعدوا له استقبالاً رسمياً على أرض المطار وفي باحة القصر الجمهوري. كان ذلك مؤثراً للغاية بعد أن سار موكبنا من المطار إلى القصر الجمهوري، استقبل الخيالة ممتطين أحصنتهم، بلباسهم الأحمر والذهبي الرائع، استقبلوا الرئيس وأحاطوا بالسيارة التي تقله من الجانبين. وقادوها بنسق جميل نحو مدخل القصر، حيث اصطف حرس الشرف والفرقة الموسيقية، فعزفت الفرقة السلامين الوطنيين الفلسطيني والهندي، واستعرض الرئيس يرافقه رئيس الهند حرس الشرف ودخلنا للقصر. كان ذلك جميلاً وأنيقاً ومؤثراً. وهمس في أذني أحد الوزراء الهنود الملكة إليزابيث لم تحظ بذلك . جلس راجيف إلى جانب الرئيس عرفات في إحدي قاعات الاستقبال الملحقة بجناح الرئيس، وتحدثا قليلاً وتم إطلاع الرئيس على الخطوط العريضة لبرنامج الزيارة والمباحثات.

ثم استأذن راجيف للذهاب إلى مكتبه، ووجه الدعوة للرئيس لحضور عيد ميلاده. لم يكن برنامج الوفد يشير إلى أي نشاط في الليلة الأولي من الزيارة. لكن الرئيس طلب مني أن أحضر نفسي لمرافقته إلى بيت العائلة لحضور عيد ميلاد راجيف. ففعلت. ما إن دخلنا المنزل، حتي اندفع أطفال راجيف، وهم يصرخون ويضحكون، نحو ياسر عرفات مرددين العم. العم . عانقهم وعانقوه، فيما راجيف وزوجته سونيا يبتسمان بسعادة حقيقية وقلبهما مفعم بالفرح. وعانقت سونيا وراجيف ياسر عرفات وشكراه بكل تهذيب على مجيئه. كان احتفالاً بسيطاً..

كانت الجلسة أشبه بمجلس عائلي. وربما خطرت فكرة في ذهن راجيف تلك الليلة. ربما تذكر جلسات العائلة السياسية مع أنديرا غاندي التي رحلت وتركته وحده بعد أن رحل أخوه أيضاً ووالده من قبل. (والده فيروز غاندي كان صحافياً وملماً إلماماً واسعاً بالسياسة والصراعات الدولية والإقليمية).

وقبل مغادرة الهند قام الرئيس عرفات يرافقه كافة أعضاء الوفد بزيارة قبر أنديرا.

روى ياسر عرفات الشجرة التي زرعها أمام قبرها، وأحني رأسه دقائق. ثم رفع رأسه وبدأ بالتحرك. نظرت إلى وجهه ولمحت دمعتين خجلتين في عينيه.

وفي آخر لقاء جمع بينه وبين عائلة غاندي قبل وفاته كان يبتسم ياسر عرفات مشجعاً العائلة الصغيرة الباقية ويقول: آل غاندي شجعان ولدوا ليواجهوا الصعاب ويتحملوا المسؤولية. ووجه كلمته بعد ذلك إلى سونيا غاندي، عليك أن تتماسكي فأنت تحملين الراية الآن.

وتعتبر سونيا غاندي زوجة راجيف آخر قادة العائلة المنكوبة ..سونيا غاندي (ولدت ٩ ديسمبر ١٩٤٦)، سياسية هندية، رئيسة المؤتمر الوطني الهندي وزعيمة المعارضة (حتي ٢٠٠٤).كان من المحتمل أن تصبح رئيسة الوزراء القادمة للهند عقب فوز حزبها في انتخابات ٢٠٠٤ .

بعد مفاوضات شاقة تنازلت عن حلم أن ترأس الوزارة و اكتفت بزعامتها لحزب المؤتمر الهندي.

ولـدت "سونيا مينو" في "أورباسانو" (باالقرب تورينو، إيطاليا)، والتقت براجيف غاندي أثناء دراستها للغات في جامعة كمبريدج البريطانية. تزوّج الاثنان في ١٩٦٨م، ثم انتقلت للعيش معه في الهند. بعد خمس عشرة سنة كاملة من زواجها، غدت سونيا مواطنة هندية في عام ١٩٨٣ ويذكر ان جنسيتها الإيطالية كانت تمثل عائقا أمام طموحات زوجها السياسية.

بعد اغتيال زوجها في ٢١ مايو ١٩٩١ . كان عليها أن تواجه ضغطا كبيرا من حزب المؤتمر حتي تدخل عالم السياسة، جرت العادة بوجوب تولي أحد أفراد عائلة نيهرو زعامة الحزب. رفضت سونيا هذه العروض، وفضلت أن تعزل نفسها.

عادت بعدها إلى عالم السياسة، وتولت سونيا غاندي زعامة حزب المؤتمر عام ١٩٩٨ ثم فازت بمقعد بالبرلمان الهندي عام ١٩٩٩ . ونظرا لأن اسم غاندي لا يزال راسخا في وجدان الهند، كان امل حزب المؤتمر أن تنجح سونيا في ترجمة هذا إلى اصوات انتخابية وهو ما نجحت اخيرا في تحقيقه. وقبيل فوز حزبها المفاجئ بالانتخابات الاخيرة، لم يكن هناك أحد على ثقة بشأن مستقبلها السياسي.

وكان قد قام حزب المؤتمر الحاكم في الهند بإجراء قضائي لمنع تصوير فيلم للمخرج ياغموهان موندرا عن عائلة غاندي و سونيا غاندي رئيسة الحزب التي كان يفترض أن تلعب دورها الممثلة الإيطالية مونيكا بللوتشي.

وكان المخرج الهندي المقيم في الولايات المتحدة صرح أن سونيا غاندي الإيطالية المولد على علم بمشروع الفيلم بدون أن تكون طرفا فيه، إلا أن مصادر قريبة من عائلة غاندي ذكرت أن سونيا شديدة الحياء وهو ما قد يكون سببا في مخاوف حزبها.

ولم يتسبب كتاب رشيد كيدواي الذي يعتمد عليه سيناريو الفيلم والذي نشر قبل ثلاث سنوات بأي جدل ولكن كيدواي أعرب العام الماضي عن تخوفه من الطريقة التي ستعرض فيها سونيا على الشاشة وأضاف قائلا "أتخوف من الطريقة التي سيقدم بها الفيلم إلى الجمهور لأنه يتناول قصة حياة شخصية تتمتع بشعبية كبيرة".

إنه أفضل مصطلح يمكن أن نقوله عن هذه العائلة الكبيرة في العالم السياسي للهند ولكن هل سيتوقف الأمر عند من اغتيلوا أم أن القائمة سوف تضيف أخرين قريبا.

في ٢١ مايو من عام ١٩٩١ اغتيل راجيف غاندي، وتولت زوجته سونيا غاندي زعامة حزب المؤتمر عام ١٩٩٨، وفازت بمقعد في البرلمان الهندي عام ١٩٩٩. كان أمل حزب المؤتمر أن تنجح سونيا في ترجمة شعبية آل غاندي إلى أصوات وقد نجحت، وقبيل فوز حزبها المفاجئ في الانتخابات لم يكن هناك أحد على ثقة بشأن مستقبلها السياسي.

سونيا، إيطالية الأصل وأرملة راجيف غاندي رئيس الوزراء، كان من الممكن أن تصبح رئيسة لوزراء الهند، لتكون أحدث من حمل شعلة آل غاندي، التي حكمت الهند طيلة ٣٩ عامًا من بين ٥٢ عامًا، هي عمر استقلال الهند، لكن خلال فترة زعامتها «المؤتمر» قدم الحزب أسوأ أداء له منذ الاستقلال.

سونيا التقت راجيف غاندي في مدينة تورينو الإيطالية، أثناء دراستها اللغات في جامعة كمبريدج البريطانية، وتزوج الاثنان في عام ١٩٦٨، وانتقلت معه إلى مسكن أمه، رئيسة وزراء الهند آنذاك أنديرا غاندي.

خاضت سونيا غمار السياسة، لكنها- وهذا مالم نذكره - قامت بسابقة سياسية لم تحدث في تاريخ الهند، وهي أنها بعدما انتخبت كرئيسة للوزراء، بعد فوز حزبها في الانتخابات، تراجعت عن توليها هذا المنصب بعد فوزها بخمسة أيام (تحديدًا في الثامن عشر من مايو) من العام نفسه .



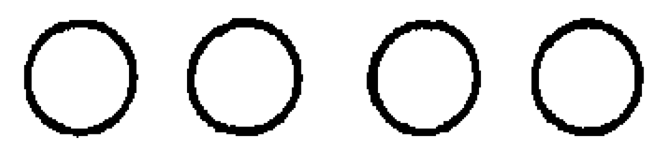
سونيا غاندي فقدت كل شيء مع اغتيال زوجها راثيف ولكنها واصلت مسيرته، والسؤال هو:
هل ستلقى نفس مصيره حسب القاعدة وتصيبها اللعنة ؟!

3

الفصل الثالث

لعنة آل بوتو

قُتِلَ وكلُّ أولاده من بعدِه !!



١ - ذو الفقار علي بوتو

إعدام عميد العائلة !!



•• لم يقبل ضياء الحق طلبات دولية عديدة لتخفيف الحكم وأُعدم ذو الفقار بوتو شنقاً في السجن في ٤ أبريل ١٩٧٩، ليودع الحياة السياسية الباكستانية عن عمر يناهز ٥١ عاماً، و لتحل لعنة العائلة علي نسله من بعده !!

ولد ذو الفقار على بوتو عام ١٩٢٨ في إقليم السند الذي أصبح تابعاً لباكستان بعد عام ١٩٤٧ لعائلة إقطاعية، وكان الولد الوحيد للسيد شاه نواز بوتو أحد الشخصيات الباكستانية المعروفة.

تلقى بوتو تعليمه الأولى في المدرسة العليا لكاتدرائية بومباي (مومباي حالياً)، ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأميركية لاستكمال دراسته العليا في مجال العلوم السياسية بجامعتي كاليفورنيا الجنوبية عام ١٩٤٧ بركلي عام ١٩٤٩، ثم جامعة أكسفورد في بريطانيا التي نال منها شهادة في الحقوق.

تزوج ذو الفقار بوتو مرتين المرة الأولى كانت من ابنة عمه السيدة آن هيريس وهو في الثالثة عشرة من عمره ولم يرزق منها بأولاد، ثم تزوج مرة أخرى من السيدة نصرت أصفهاني وذلك في عام ١٩٥١م، وأنجب منها أربعة أبناء والتي تعد السيدة بنظير بوتو من أشهرهم، حيث دخلت إلى معترك الحياة السياسية لتخوض فيها معركة جديدة خاصة بها فأصبحت رئيسة للوزراء في باكستان في عام ١٩٨٨ لتبدأ حياة سياسية حافلة.

تأثر بوتو بشخصية مؤسس دولة باكستان الحديثة محمد على جناح. وكان يؤمن بما أسماه الاشتراكية الإسلامية تارة والاشتراكية الديموقراطية تارة أخرى، وارتدى لباساً يشبه الزي الذي كان يرتديه القادة الاشتراكيون في الصين. وكان يعتبر مؤسسات المجتمع المدني صمام أمان بالنسبة إلى المجتمع الحر. ويدعو إلى سيطرة الدولة على المؤسسات الإنتاجية الحيوية، حتى لا تشعر الطبقات الفقيرة بوطأة متطلبات التنمية.

اشتغل بوتو فور انتهائه من دراساته بالخارج في مهنة المحاماة. ولمع اسمه على المستوى القومي للمرة الأولى عام ١٩٥٤ بسبب مواقفه الرافضة للدعاوى الانفصالية التي بدأت بوادرها في الظهور بين باكستان الغربية والشرقية.

ثم ازدادت شهرته بعد أن سافر ضمن الوفد الباكستاني لحضور جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٥٧ والتي ألقى فيها الخطاب الرسمي لبلاده وكان عن العلاقات الهندية - الباكستانية. كما رأس وفد بلاده أيضاً في أول مؤتمر دولي يعقد في جنيف بسويسرا تحت إشراف الأمم المتحدة عام ١٩٥٨ لمناقشة القانون الدولي للبحار.

وكان أول منصب سياسي رفيع يتولاه بوتو في حكومة الرئيس إسكندر على ميرزا هو وزارة التجارة عام ١٩٥٨.

وفي عام ١٩٦١ عندما كان ذو الفقار على بوتو -والد بنظير بوتو- وزيرا للمعادن والبترول، وكان يرأس وفدا باكستانيا في اجتماع للأمم المتحدة، التقى بالمندوب الإسرائيلي، لكن قيل إنه لقاء غير رسمي؛ لأن والد المندوب الإسرائيلي كان قاضيا في "لاركانه" مسقط رأس بوتو في عهد الإنجليز، وكان صديقا للسير شاه نواز بوتو، والد ذو الفقار على بوتو.

وفي الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٦ شغل بوتو منصب وزير الخارجية، وكان من أهم إنجازاته خلال تلك الفترة زيادة فعالية السياسة الخارجية الباكستانية ضمن دول عدم الانحياز. وتوصله إلى اتفاقية للحدود مع الصين في ٢ مارس ١٩٦٣، إضافة إلى تطويره لعلاقات باكستان بكل من تركيا وإيران ودول العالم العربي.

لعب ذو الفقار على بوتو دوراً مهماً في المشكلة الكشميرية إبان عمله وزيرا للخارجية، وكان يمثل دائما الخط المتشدد داخل الحكومة فيما يتعلق بطرق حل هذه القضية.

واستطاع بوتو في عام ١٩٦٥ إقناع الرئيس أيوب خان بالهجوم على الأراضي الكشميرية الخاضعة للسيادة الهندية وهو ما أشعل الحرب الثانية بين الهند وباكستان. ولم يستطع الجيش الباكستاني تحقيق نصر حاسم على الهند، الأمر الذي دفع بالرئيس أيوب خان إلى توقيع اتفاقية سلام مع الهند في يناير ١٩٦٦ عرفت باسم "اتفاقية طشقند".

ترك ذو الفقار على بوتو الحكومة عام ١٩٦٦ بعد أن تفاقمت الخلافات بينه وبين الرئيس محمد أيوب خان في شأن «اتفاقية طشقند»، وأسس عام ١٩٦٧ «حزب الشعب» الباكستاني واختير أميناً عاماً له وحدد الأسس التي تقوم عليها المنطلقات الفكرية للحزب في النقاط التالية: المحافظة على العقيدة الإسلامية، اعتبار الديموقراطية أساساً لسياسات الحزب، قيام النظام الاقتصادي على المبادئ الاشتراكية، حصر السلطة بيد الشعب. ولقي هذا الحزب تأييداً واسعاً لدى قطاعات عريضة من الباكستانيين، وخصوصاً في الأوساط الطلابية ولا سيما بعد أن راح بوتو يتهم الجيش بالتقصير في حرب عام ١٩٦٥ ويطالب الحكومة بمزيد من الديموقراطية ويتهمها بسوء استعمال السلطة.

وكان من نتيجة هذه الانتقادات الحادة أن ألقي القبض عليه واعتقل لمدة ثلاثة أشهر خلال عام ١٩٦٨. وسببت انتقادات بوتو تنامي الغضب الشعبي تجاه حكومة أيوب خان، ما أجبره في النهاية على الاستقالة عام ١٩٦٩ ليتولى السلطة بعده أغا محمد يحيى خان.

كان من أهم نتائج هزيمة باكستان في حرب عام ١٩٧١ أمام الهند انفصال باكستان الشرقية تحت مسمى بنغلاديش، ولم يستطع الرئيس أغا محمد يحيى خان تحمل تبعات هذه الهزيمة فقدم استقالته ليتولى الحكم من بعده ذو الفقار على بوتو الذي فاز حزبه بغالبية الأصوات في باكستان الغربية أثناء الانتخابات البرلمانية التي كانت قد جرت في ديسمبر عام ١٩٧٠. وخلال تولي بوتو الرئاسة .

كان من أهم إنجازاته:

• اتخاذ إجراءات وقرارات مهمة لتحديث الصناعة الباكستانية عموماً من ناحية وفرض سيطرة الدولة على الصناعات الرئيسية من ناحية أخرى.

• قرار انسحاب بلاده من الكومنولث بعد اعتراف بريطانيا والدول الغربية بدولة بنغلاديش الجديدة.

• نجاحه في حصول باكستان على مفاعل ذري من فرنسا، وهو ما أثار أزمة داخل المعسكر الغربي آنذاك.

• توصله عام ١٩٧٢ إلى اتفاقية سياسية مع الهند عرفت باسم «اتفاقية شملا» مهدت الطريق أمام استعادة باكستان الأراضي التي سيطرت عليها الهند في حرب عام ١٩٧١.

• انتهاء مشكلة أسرى الحرب الذي ألقت الهند القبض عليهم في باكستان الشرقية عام ١٩٧١.

• تشجيع صناعة الحديد والصلب في باكستان.

• تأميم البنوك العاملة كلها في باكستان.

• استضافة بلاده للقمة الثانية للدول الإسلامية التي بلغ عدد الحضور آنذاك ٣٨ دولة.

أصبح ذو الفقار رئيساً للوزراء في عام ١٩٧٣ بعد أن أقرت الجمعية الوطنية دستور البلاد.

وقد ابتعدت باكستان عن أمريكا، ومالت إلى روسيا في عهد وزارة "ذو الفقار على بوتو" في أوائل السبعينيات من القرن الماضي؛ حيث أيدت باكستان موقف الدول

العربية في حرب ١٩٧٣، وقطعت جميع صلاتها السرية بالكيان الصهيوني، وحظيت سوريا بتأييد كبير من الحكومة الباكستانية في ذاك الوقت لكون الحكومتين يربطهما تحالف بالاتحاد السوفيتي حينذاك.

ثم شهدت باكستان حالة من الفوضى والاضطراب، وزادت حدة المعارضة -خاصة الإسلامية- ضد الرئيس بوتو الذي اتهموه بالتنكّيل بخصومه و أن له توجهات غربية علمانية، وزادت حدة الاضطرابات في باكستان وتدهور الوضع السياسي، وسقط حوالي ٣٥٠ قتيلاً وآلاف الجرحى من جراء العنف السياسي.

دعا الرئيس بوتو الجيش إلى التدخل لمواجهة أعمال العنف، وقمع المظاهرات وتأييد نظامه، إلا أن بعض ضباط الجيش -خاصة القادمين من إقليم البنجاب- رفضوا قمع المظاهرات والاصطدام بالشعب وإطلاق النار على المتظاهرين، وكانت تلك النواة التي هيأت لضياء الحق فرصة القيام بانقلاب عسكري ضد الرئيس بوتو، وأعلن أن الجيش قام لوضع حد لحالة التدهور التي تجتاح البلاد، والتي عجز الرئيس بوتو عن حلها، وخشية من إقحام بوتو للجيش في السياسة واستخدامه في عمليات القمع.

وعندما بلغ التوتر السياسي في باكستان مداه بسبب النزاع بين بوتو وقيادة التحالف الوطني الباكستاني بشأن قضية الانتخابات العامة، اغتنم ضياء الحق الفرصة، قام بانقلاب أطاح فيه بحكومة ذو الفقار على بوتو وفرض الأحكام العرفية في البلاد و سجن زعيمها ذو الفقار على بوتو بتهمة مفبركة هي قتل نواب أحمد رضا خان قصوري، ثم حكمت عليه المحكمة بالإعدام.

لم يقبل ضياء الحق طلبات دولية عديدة لتخفيف الحكم وأعدم ذو الفقار بوتو شنقاً في السجن في ٤ أبريل ١٩٧٩، ليودع الحياة السياسية الباكستانية عن عمر يناهز ٥١ عاماً.

وقد أيّد الإسلاميون ضياء الحق في أول الأمر، وشاركوا في أول وزارة بعد الانقلاب، فتسلم وزارة الإعلام أحد أعضاء الجماعة الإسلامية، وكان "طفيل محمد" أمير الجماعة الإسلامية، خال ضياء الحق وعلى صلة وثيقة به، غير أن هذه العلاقة بدأت تتغير عندما قوي نظام ضياء الحق فكان يلتقي بهم ولا ينفذ شيئا مما يطلبونه، ويتعلل بأن له شركاء في المجلس العسكري ولا يستطيع فرض القرارات والمواقف عليهم.

الغريب أن بوتو - رئيس وزراء باكستان آنذاك - كان قد قام في حركة مفاجئة في الأول من أبريل ١٩٧٦، بتعيين ضياء الحق رئيساً لأركان الجيش برتبة فريق متجاوزاً بذلك خمسة قادة أقدم منه في الرتبة، وذلك بسبب ثقة ذو الفقار به واطمئنانه أن ضياء الحق ليست له ميول سياسية وأنه لاعب جولف محترف، لأن بوتو كان يريد قائدا للقوات المسلحة لا يشكل أي تهديد له فوقع اختياره على ضياء الحق لما كان يعلمه عنه من البساطة.

وكان محمد ضياء الحق قد وُلد في ١٢ أغسطس ١٩٢٤ في بلدة "جالاندهار" في مقاطعة البنجاب، وتعلم في مدينة دلهي في مدرسة شيملا الثانوية بعاصمة الهند، وبعدها، التحق بكلية "سانت ستيفن" الإنجليزية وحصل منها على إجازة بإمتياز وأصبح ضابطًا في سلاح الخيالة عام ١٩٤٥. كان والده محمد أكرم يعمل بالجيش البريطاني معلماً.

التحق بالجيش البريطاني عام ١٩٤٣ بحكم ما هو متعارف عليه في ذلك الوقت وبحكم أن والده كان يعمل معلماً في الجيش البريطاني وانتخب ليخدم في بورما والملايو وإندونيسيا إبان الحرب العالمية الثانية. وبعد انتهاء الحرب، قرر الالتحاق بسلاح المدرعات في الجيش الملكي البريطاني. فلما تم تقسيم الهند، وانفصلت باكستان عنها، رحل مع أسرته عام ١٩٤٨ إلى كراتشي بباكستان وأصبح ضابطًا وانضم إلى الجيش الباكستاني كمعظم الضباط المسلمين العاملين في الجيش البريطاني بشمال الهند الذين لحقوا بالمؤسسة العسكرية في بلد النشأة الجديد باكستان وعُرف عنه

الانضباط والكفاءة في عمله، وحبه للحياة العسكرية لذا صار محبوبًا بين زملائه ومرءوسيه، وتخرج في كلية الأركان سنة ١٩٥٥ وعمل بها مدرساً.

وعندما كان رائداً، أتيحت له فرصة الالتحاق بدورة تدريبية في كلية القادة والأركان بالولايات المتحدة الأميركية لمدة عامين (١٩٦٣-١٩٦٤)، وأثناء الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٦٥ عين في منصب مساعد ضابط الإمداد والتموين بفرقة المشاة ١٠١ التي كانت متمركزة في قطاع كيران، وعُيِّن قائدا مركزياً لإقليم الملتان عام ١٩٧٥.

تزعم القوات الباكستانية المساندة للحكومة الأردنية في حرب أيلول الأسود عام١٩٧٠ ضد المنظمات الفلسطينية. انتقل مع الفيلق للجيش الباكستاني للتدريب في الأردن وتمت ترقيته بعد ذاك وعين مستشارا عسكريًّا. شارك بعد عودته إلى باكستان في الحرب "الهندية - الباكستانية" التي انتهت بانفصال بنغلاديش عن باكستان، وتكوين بنغلاديش دولة مستقلة سنة ١٩٧١.

الغريب أن ضياء الحق نفسه لقي مصير بوتوفيما بعد رغم اختلاف الأسباب .. فقد عرضت واشنطن على ضياء الحق شراء بعض الدبابات الأمريكية، وأحضرت بعضها إلى باكستان لرؤيتها ومعرفة مزاياها القتالية على الطبيعة.

وتحدد يوم ١٧ أغسطس ١٩٨٨ موعدًا لاختبار هذه الدبابات. فخرج ضياء الحق وبعض كبار قادته، يرافقهم السفير الأمريكي في باكستان أرنولد رافيل والجنرال الأمريكي هربرت واسوم وكانت الرحلة في منتهى السرية.

بعد معاينة الدبابات، انتقل الرئيس ومرافقوه إلى مطار بهاوالبور لينتقلوا منه إلى مطار راولبندي واستقلوا طائرة خاصة. وما إن أقلعت الطارئة، حتى سقطت محترقة بعدما انفجرت قنبلة بها وتناثرت أشلاء الجميع وفي مقدمتهم ضياء الحق محترقة. ويُعتقد أن الانفجار كان قد وقع في صندوق هدية من ثمار المانجو في مروحية ضياء الحق العسكرية، لما كان يُعرف عنه من حبه لتلك الفاكهة.

ومما يذكره التاريخ لذو الفقار على بوتو أنه قاوم ضغوط وزير الخارجية الأمريكي – آنذاك – هنري كيسنجر بعدم التوجه نحو صناعة القنبلة النووية، قال له مقولته المعروفة حينها : " سنأكل العشب، لكننا سنصنع القنبلة النووية "، ورد عليه كيسنجر بمقولته المشهورة أيضا : " سنجعل منك أمثولة " !!

ورغم الصورة التي يتم تداولها عن ذو الفقار على بوتو إلا أن هناك من له رأي آخر في شخصية الرجل، ربما كانت للآخر هذا دوافعه، إلا أننا يجب أن نعرض كل الآراء، لا سيما لو كانت تمثل وجهة نظر مغايرة للشائع و المعروف .. هكذا تقتضي الأمانة العلمية .

ولهذا فمن المهم كيف يرى الجنرال محمد أيوب خان في مذكراته ذو الفقار على بوتو خائناً لبلاده و عميلاً للأمريكيين !!

ومحمد أيوب خان هو عسكري ورئيس جمهورية باكستان سابقا. ولد في المنطقة الشمالية من شبه جزيرة الهند، وبدأ حياته العملية ملتحقا بالجيش الهندي البريطاني ثم تولى رئاسة الجمهورية إثر انقلاب عسكري قام به. سلم الحكم سنة ١٩٦٩ إلى الجيش بعد اضطرابات داخلية دامية أدت إلى تفتيت وحدة البلاد وقيام دولة بنغلاديش سنة ١٩٧١

ويقول خان في مذكراته : كنت أود أن يوقف أحد مًّا بوتو عند حده. قال إنه هندي، وأنه كان يتجسس على وفود الأمم المتحدة لصالح وكالة المخابرات المركزية " سي . آي . إيه " !!

ويخصص خان صفحات كثيرة لمعارضيه السياسيين الباكستانيين، وتحديداً السياسي الصاعد – آنئذ – ذو الفقار على بوتو، يقول عنه بأن الشعور بالحرمان وكونه الضحية سيطرا عليه، ولذا فقد تنامي حقده على كل من كان قريباً من يحيى خان، ووضع معظمهم رهن الإقامة الجبرية، وحسب المذكرات فإن بوتو قال ليحيي:

إنه يخشي صنفين من الناس، الأول كمثل الجنرال أيوب خان، والثاني المتحذلق والمتفلسف كمثل الجنرال موسي، ويتهم المؤلف بوتو بالانتهازية من أجل الوصول إلى السلطة بأي شكل.

ويقول بعد فوزه في الانتخابات، كان على بوتو أن يندهش لفوزه لأنه لم يتوقع منه أن يفي بوعوده التي قطعها للناخبين، والتي يعلم هو أنه لن يحققها، و كان الأولي بضميره أن يدفعه إلى البقاء في المعارضة، وأن يستمر في عقد المظاهرات، ولكن كونه من السند فلن يستطيع مقاومة طمعه في الحصول على السلطة ولو بتشكيلها مع مجيب الرحمن .ويمضي المؤلف إلى أن يتهم بوتو بتأجيج الوضع ليبرز كمنقذ في ظل افتقار البلد إلى شخص بمثله في حشد الناس.

و يقول خان : كما قيل لي فإن بوتو كان سعيداً بتدهور الوضع، لأن ذلك سيعمل على استيلاء الجيش مرة أخرى على السلطة، ومن ثم لن يكون هناك مجال إلا أن يبرز نجم بوتو، هذا الرجل يمتلك شهوة السلطة أكثر من أي شيء آخر، لو يعقل يحيي خان الوضع، لأمكن أن يتحسن الوضع .

و وصل الأمر بخان إلى أن يطعن بولاء بوتو إلى باكستان، حسب وثائق وصلت إلى يديه، و يقول: وصلتني وثائق تشير إلى أن بوتو كان يزعم حتى عام ١٩٥٨ أنه هندي، وأنه كان يقيم في كراتشي مؤقتا .

ويمضي خان إلى القول بأن بوتو تجسس على وفود الأمم المتحدة لصالح المخابرات المركزية الأمريكية، وكان ينقل ما يدور في الجلسات والنقاشات الثنائية والجمعية إلى الأمريكيين .كما يتهمه بكشف أسرار الدولة دون أن يفصح عنها .

ويرى خان أن بوتو كان يستغل كل من أمامه للترويج لهدفه وتحقيق مآربه. ويضيف: لدي خطاب من حاكم إقليم باكستان الشرقية يشير فيه إلى بوتو وأنشطته، كان بوتو يستغل بعض الطلبة والمحامين واليساريين من أجل الترويج لهدفه، فيما كان

هؤلاء الطلبة والمحامون واليساريون يستغلونه كمحور لمقاومة الحكومة، ملاحظتي كانت هي أنه يستغل كل واحد من أجل مصالحه الشخصية، لذا علينا الكشف عنها وفضحه، وأنه فرد لا يوثق به، وأنه انتهازي !!

ويقر الكثيرون بشخصية بوتو الكاريزمية، والتي كان لها وزنها في العالم الإسلامي، إذ يعد المؤتمر الذي دعا إليه في لاهور منطلقاً لعمل موحد للدّول الإسلامية بنظر الكثير من المتابعين في باكستان، ولايزال ينظر إليه على أنه مؤسس المشروع النووي الباكستاني رغم التهديدات الأمريكية، ولعل بقاء حزب الشعب الباكستاني حتى الآن يعود إلى بوتو المؤسس إذ أن زخم التأسيس ما يزال قائماً وهو ما استثمرته بي نظير التي كانت قبل اغتيالها لا تزال تعيش على ماضي والدها، وتتحدث عن ذلك الماضي أكثر مما تتحدث عن حاضرها ومستقبل عملها.

ويقول غلام مصطفى جينوي رئيس وزراء باكستان الأسبق وأحد مؤسسي حزب الشعب الباكستاني مع عميد العائلة ذو الفقار على بوتو الأب إن مساهمة بي نظير الشخصية في الحزب كانت صفراً، فالكل يعود إلى شخصية وسمعة والدها، لقد حصلت على شيك موقع وعلى بياض، وتمكنت من صرفه —ولحسن الحظ– مرتين، فقد وضع الشعب كل ثقته مرتين من خلال الانتخابات كما فعلوا مع والدها، لكنها لم تكن تفي بالوعود.

وقد ترك ذو الفقار على بوتو وصيته الأخيرة كُتبت، وكان نصها :

"أدرك تماماً أن شعب باكستان لن يسمح بالهيمنة الخارجية . وانطلاقاً من المنطق ذاته، لن يوافق شعب باكستان أبداً على الهيمنة الداخلية . والهيمنتان تكملان بعضهما. إذا خضع شعبنا بخنوع للهيمنة الداخلية، فمن البديهي أن يضطر للخضوع للهيمنة الخارجية . ذلك لأنّ قوة الهيمنة الخارجية وسلطتها أقوى بكثير من الهيمنة الداخلية. إذا كان الشعب خائفاً جداً من مقاومة القوة الأضعف، فهو يعجز عن مقاومة القوة الأقوى. إنّ قبول الهيمنة الداخلية أو الإذعان لها يعني الخضوع للهيمنة الخارجية" .

وبعد شنقه في أبريل عام ١٩٧٩، اكتسب النص موقعاً شبه مقدس بين مؤيديه.

ولكن يجدر القول إن بوتو الأب عندما كان في الحكم، فشل في بلورة أي استراتيجية لمواجهة الهيمنة، غير دستور عام ١٩٧٣، الذي وضع مسودته المحامي المتمرّس المتخصص بالحقوق المدنية محمد على كاسوري (الذي كان ابنه خورشيد وزيراً للخارجية حتى موعد قريب). واتبع نمط حكم أوتوقراطي، أدّى إلى إضعاف روح الحزب، وتشجيع أصحاب المصالح الشخصية. كما أنّه، أخيراً، عبّد الطريق أمام خصومه.

ومع ذلك، فقد محت النهاية المأساوية متمثلة في إعدامه شنقاً كل عيوبه، وحوّلته إلى شهيد في نظر أكثر من نصف شعب البلاد، ولا سيما الفقراء.

وأدت المأساة إلى اعتبار حزب الشعب الباكستاني إرثاً عائلياً، الأمر الذي سنرى - فيما بعد - كيف أضر بالبلد وبالعائلة.

فقد أمّن لعائلة بوتو بنكاً من الأصوات واحتياطات كبيرة. لكن تجربة محاكمة الأب وموته جعلا الابنة راديكالية وسيّسها.

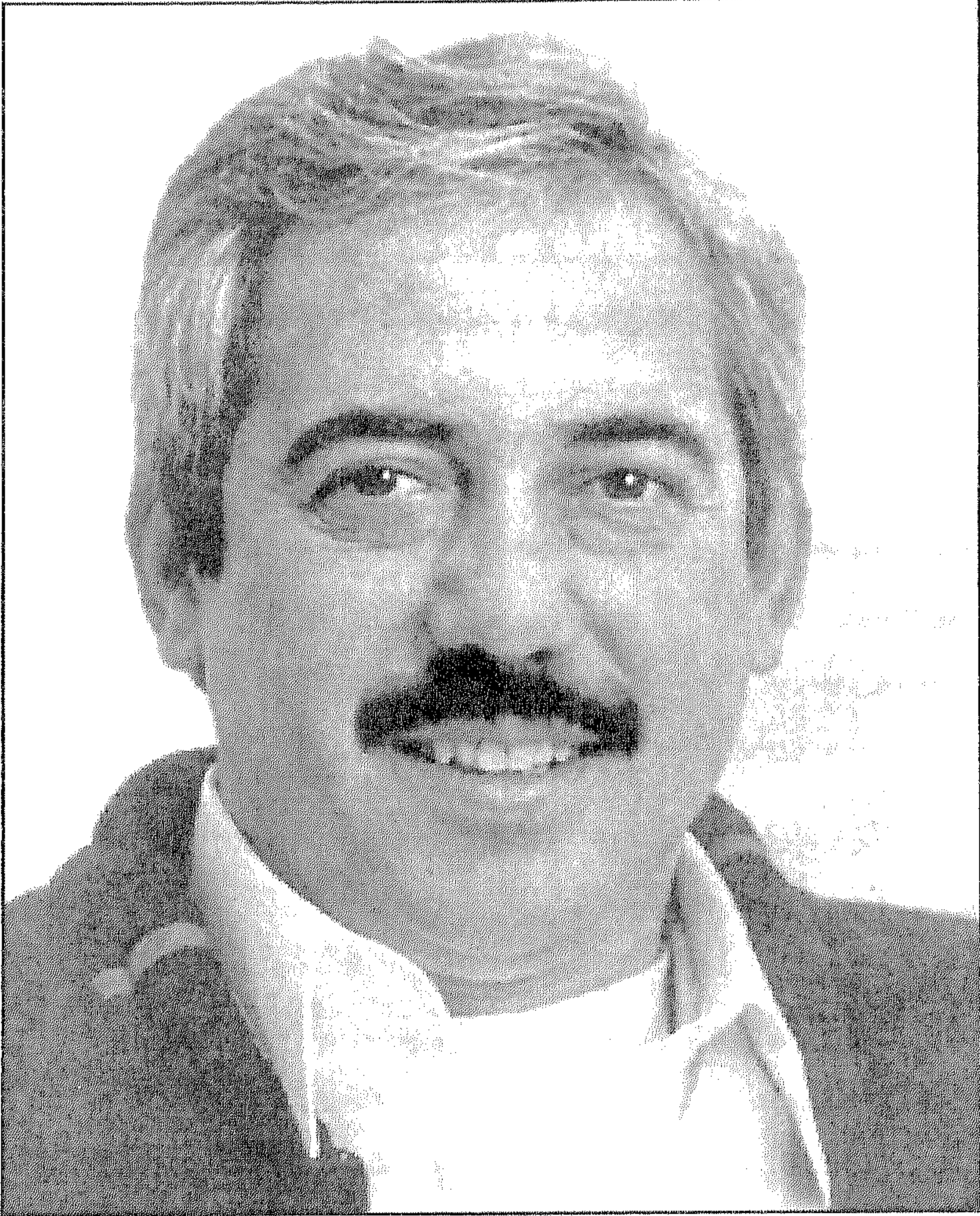




ذو الفقار على بوتو في صورتين تجمعانه بـ إنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند وابنته بي نظير بوتو.. لقد أُعدم بوتو ،ثم أُغتيلت إنديرا ومن بعدها بي نظير بسبب لعنة العائلة التي حلت بالأسرتين إحداهما في الهند والثانية في باكستان !!

٢- مرتضى بوتو..

اللعنة عندما تأتي من داخل العائلة !!



•• وأشارت أصابع الاتهام إلى شقيقته بي نظير وزوجها آصف.. ومما زاد من الطين بِلّة هو تأكيد ابنته فاطمة الاتهام.. وتستمر اللعنة !!

برجوع "مير مرتضى بوتو" من المنفى بعد مقتل "ضياء الحق" إلى باكستان عام ١٩٩٣ انتخب عضوا في البرلمان الإقليمي لإقليم السند، وبدأ يعارضها في قيادة حزب الشعب، ويثير لها بعض المشاكل، كما شكل (حزب الشعب الباكستاني / جناح الشهيد بوتو) حيث كان يعتبر نفسه الأحق بقيادة حزب أبيه، كما أنه كان من أشد المعترضين على زوجها (آصف على زرداري) الذي كان يتهمه بسرقة ووراثة أبيه وحزب الشعب الباكستاني.

لم يكن مرتضى راضياً على ممارسات الفساد التي يقوم بها آصف على زارداري، زوج بي نظير. ولذلك أراد مرتضى أن يستبعد زارداري من جميع شؤون حزب الشعب، لكن بنازير وقفت إلى جانب زوجها، ما حدا بمرتضى إلى توجيه انتقادات لاذعة ضد الحكومة والفساد المستشري.

لم يرق لزارداري ذلك، فأوعز إلى حليفه عبد الله شاه لاكياري، رئيس وزراء ولاية السند آنذاك، بأن يعرقل الحملة السياسية الخاصة بمرتضى. عندها دعا مرتضى صهره زارداري إلى اجتماع كي يحلا المشاكل العالقة بينهما في إطار العائلة، إلا أن لقاءهما انتهى بمواجهة تصادمية، إذ قام مرتضى بحلق نصف شارب زارداري، الأمر الذي ألحق إهانة بزوج بنازير. ويسود اعتقاد في باكستان أن تلك الواقعة هي التي أثارت زارداري وجعلته يستعين بقوات حليفه المقرب لاكياري لاغتيال مرتضى.

و الحقيقة أنه بسبب "مرتضى" انقسمت أسرة "بوتو"، ولما زادت مشاكله قتل في كراتشي قرب قصر "بنظير بوتو" (Bilawal House) في مواجهة مع البوليس يوم ٢٠ سبتمبر عام ١٩٩٦، واتهم زوج "بنظير بوتو" بقتله وبقي فترة طويلة في السجن بتلك التهمة التي أنكرها دوماً.

اللافت أن "بنظير" لم تحرك ساكنا تجاه القضية، ولم تتم إجراءات التحقيق، ولم تصل التحقيقات إلى نتيجة. ويرى المحللون أن هذا الموقف - سواء كان زوجها شارك في الجريمة أم تكون الجهة التي قتلته هي الجيش الباكستاني لقيادته منظمة (الذو الفقار) الإرهابية التي قامت بعمليات عديدة ضد حكومة الجيش في عهد الجنرال "محمد ضياء الحق" - هو الذي يخدم مصلحة "بنظير بوتو" لكي لا يدمر مستقبلها السياسي بإغضاب زوجها ساعدها الأيمن، وألا يغضب الجيش الذي لا يمكن حكم باكستان إلا بمباركته. تدين لتحقيق مصلحة سياسية تحرص بوتو على الظهور بمن تحترم وتؤمن بمعتقدات المجتمع الباكستاني حرص "بوتو" على نقاء صورتها كان يدفعها إلى بذل احتياطات كثيرة في ظهورها الإعلامي، فلم تظهر أمام وسائل الإعلام إلا بغطاء رأسها المميز.

كما انعكس هذا الحذر حتى في وجودها في الدول الغربية، حيث لم تظهر لها أي فضيحة إعلامية لها على الرغم من كثرة تجولاتها. كما أنها سعت إلى ظهورها بمظهر المتدينة التي تحترم قناعات المجتمع الباكستاني وتمارسها، مارست ذلك باقتناع أو عدمه وبهدف واحد يتمثل في لفت انتباه الجمهور إليها، وخاصة السذج من القرويين، وأمثلة ذلك كثيرة منها حملها الدائم للمسبحة، فما كانت ترى في المجالس العامة إلا وبيدها المسبحة مغطاة الرأس لابسة الزي الباكستاني الساتر عند تواجدها في باكستان وعند تعرضها لوسائل الإعلام العالمية والمحلية. وكذلك التبرك بالمصحف الشريف وتقبيله، وكانت صور ذلك تظهر في وسائل الإعلام. والذهاب إلى الدراويش. وأمرها ببناء بعض المساجد في فترة حكومتها.

وفي أعقاب اغتيال مرتضى تراجعت شعبية بنازير بشكل حاد إلى درجة دفعت بعض أعضاء «حزب الشعب» بمراشقة سيارتها بالحجارة أثناء مشاركتها في مراسم دفن شقيقها. وبعد إقالة حكومة بنازير عام ١٩٩٦ تم اعتقال زارداري بتهمة الضلوع في عملية اغتيال مرتضى. لكن السلطات لم تتمكن من إثبات أي تهمة ضده في ظل عدم وجود أدلة كافية، إذ تم تطهير موقع اغتيال مرتضى تماماً قبل أن يصل محققو الشرطة إليه.

ويشغل زارداري حالياً منصب نائب رئيس «زب الشعب الذي تزعمه أخيراً نجله بيلاوال.

ولد مرتضى بوتو الابن الأكبر للرئيس الباكستاني الراحل ذو الفقار على بوتو، في ١٨ سبتمبر ١٩٥٤ وكان ينتمي إلى التيار اليميني في عائلة بوتو ذات النفوذ. لجأ مرتضى إلى حمل السلاح بعد إعدام والده عام ١٩٧٩ إذ أسس منظمة "ذو الفقار" وانطلق من أفغانستان بعمليات في العمق الباكستاني لإسقاط نظام الجنرال ضياء الحق، وأشرف على العمليات مستشاره العسكري سلام الله تيبو الملقب بـ"مرعب كراتشي" الذي أعدمه نظام ضياء الحق لاحقاً.

وكانت بيروت عشق مرتضى، وتزوج من فتاة لبنانية - سورية اسمها غنوة التي ترأس حالياً مجموعة شهيد في «حزب الشعب» الباكستاني، وبعد سقوط نظام ضياء الحق ووصول بنازير شقيقة مرتضى إلى رئاسة الوزراء، شارك مرتضى في انتخابات عام ١٩٩٣ كمرشح مستقل وفاز بمقعد ولاية السند، وفي العام ١٩٩٥ قاد مرتضى انشقاقاً في صفوف حزب الشعب الباكستاني.

في العام ١٩٩٦ اتهم مرتضى الشرطة الباكستانية بأنها تضطهد منظمته، ونفى أن تكون تلك المنظمة لعبت أي دور في التفجيرات التي شهدتها مدينة كراتشي ذلك العام.

في ٢٠ سبتمبر ١٩٩٦ لقي مرتضى مصرعه رمياً بالرصاص مع ستة من مؤيديه في أحد أحياء كراتشي خلال مواجهة مع الشرطة التي زعمت في وقت لاحق أن مرتضى ورجاله رفضوا السماح للشرطة بتفتيش سياراتهم في إطار الإجراءات الأمنية المتخذة بعد التفجيرات، وأنهم هم من بدأ إطلاق النار على الشرطة التي ردت في المقابل .

وقد ظلت فاطمة بوتو ابنة مرتضى حتى آخر يوم في عمر عمتها بي نظير تتهمها هى و زوجها باغتيال والدها .

وقد عاشت فاطمة، التي ولدت عام ١٩٨٢، الكثير من المآسي خلال حياتها، فرغم أنها لم تكن قد ولدت عند أعدام جدها ذو الفقار على بوتو في ١٩٧٩، فقد أدركت اغتيال والدها على يد الشرطة الباكستانية في ١٩٩٦، أي في الفترة التي كانت عمتها بنازير على رأس الحكومة الباكستانية، وهذا ما دفع فاطمة إلى اتهام عمتها بالتخطيط لاغتيال أبيها أو الموافقة على قتله على الأقل، ما سبب قطيعة طويلة بين القريبتين استمرت حتى اغتيال العمة.

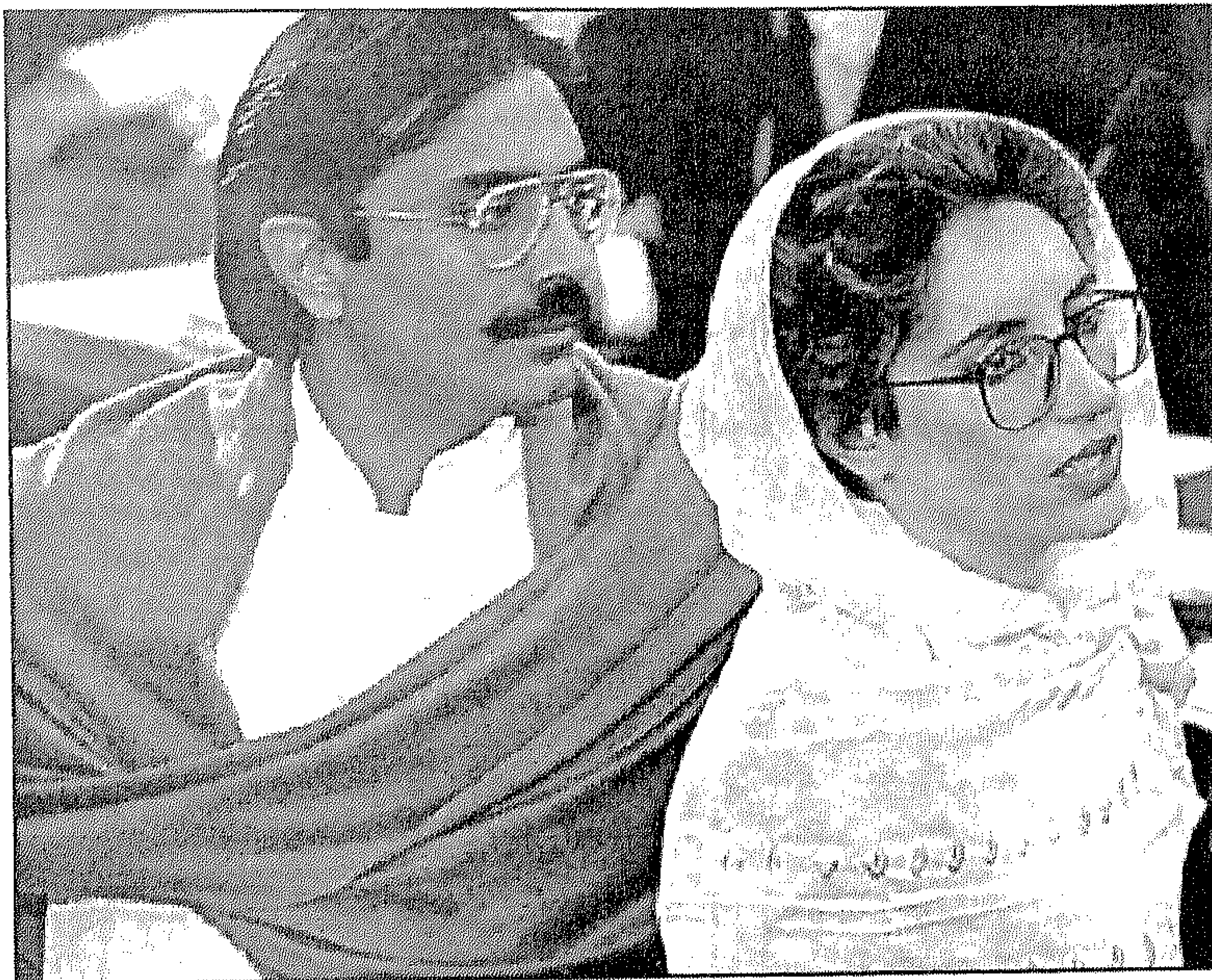
وقبل اغتيال والدها، كان عمها شاه نواز قد لقي مصرعه كذلك مسموماً في شقته بباريس، واتهمت زوجته الأفغانية (خالة فاطمة) بدس السم له في طعامه، ما حدا بشقيقه مرتضى إلى تطليق زوجته أم فاطمة التي ساءت علاقتها بابنتها أيضاً ولم تعد تتمكن بعد ذلك من الحصول على حق الوصاية عليها حتى بعد مقتل مرتضى.

ولا تزال فاطمة تصر –حتى الآن– على أن غنوة هي أمها الحقيقية، وهي مدرسة باليه لبنانية كانت تعيش في دمشق خلال الحرب الأهلية اللبنانية، تزوجها مرتضى عام ١٩٨٦ بعد تطليق زوجته الأولى وأنجبت له ذو الفقارالحفيد الذي تولت تربيته مع أخته فاطمة منذ مقتل أبيهما حتى هذه الأيام حيث يعيش الثلاثة في منزل العائلة بكراتشي.

وتجمع فاطمة في شخصيتها بين حساسية الشعر ورصانة الكتابة وأخلاقيات السياسة، ولا ترى ضيراً في أن تمارس السياسة بشاعرية مرهفة وأن تكتب الشعر بحساسية عالية، وأن تدافع عن العدالة والمساواة في عمودها اليومي بجريدة The Times الباكستانية، على أن تحكم هذه الأعمال كلها منظومة أخلاقية رفيعة، فهي تهاجم أنصار النظرية الميكافيلية التي تبرر للساسة أن يرتبكوا الخطايا في سبيل ما يمسونه أهدافاً سامية، فالوصول إلى الأهداف السياسية قد يتم بطرق نبيلة ومباشرة.

ورغم ما تتمتع به فاطمة من ثقافة واسعة وتحصيل علمي راقٍ، ترفض أن تدخل المعترك السياسي في هذه المرحلة، بسبب حداثة سنها واحتياجها إلى المران والتدرب وصقل التجربة.

وهكذا لم تسلم العمة بي نظير عندما مُدّ لها الحبل لتولي رئاسة الحكومة الباكستانية في غفلة من القوى السياسية الأخرى في باكستان، فتولّت رئاسة الحكومة لفترتين منقوصتين هما ١٩٨٨ ـ ١٩٩٣، ١٩٩٠ ـ ١٩٩٦، لم تسلم من تهم من العيار الثقيل فيما يخص الفساد، منها تورُّطها هي وزوجها في قتل شقيقها مرتضى بوتو الذي كان قد أوشك أن ينافسها بقوة في زعامة حزب الشعب، وهو ما ألمح إليه حليفها السابق ورئيس باكستان الأسبق فاروق ليجاري إضافة لبعض أفراد أسرة مرتضى.



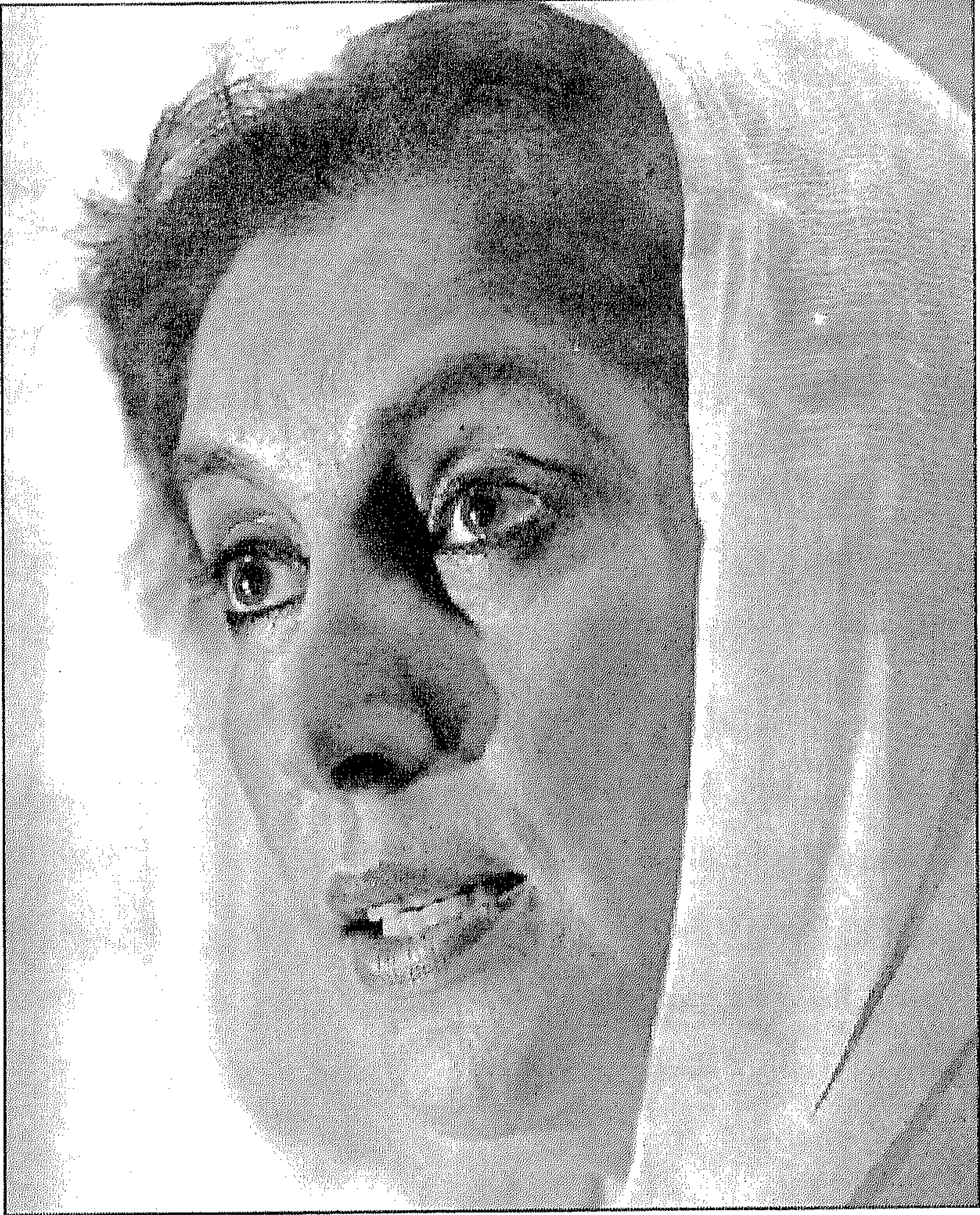
بوتو و زوجها آصف المتهمان الرئيسيان باغتيال شقيقها مرتضى !!



فاطمة بوتو أكثر المتشددين في اغتيال بي نظير و زوجها بقتل أبيها !!

٣- بي نظير بوتو ..

لا أمل في النجاة !!



•• وهكذا، فحين لقي بوتو الأب حتفه، كانت باكستان على موعد مع ابنته السياسية الواعدة التي أفسحت لها عملية اغتيال الرئيس الباكستاني ضياء الحق، بتفجير طائرته في أغسطس من العام ١٩٨٨، الطريقَ نحو الحكم، لتلقى حتفها وتستمر اللعنة !!

يكرّس اغتيال رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة بي نظير بوتو لعنة العائلة في ذروتها أو المصير المأساوي لكل من يحمل في نهاية اسمه لقب العائلة " بوتو " نسبة لعميد الأسرة والدها الراحل، حاكم باكستان الأسبق ذو الفقار على بوتو الذي جرى إعدامه بعد عامين من انقلاب الجنرال ضياء الحق وشقيقاها مرتضى وشاه نواز !!

وقد تصادف تعرض بي نظير بوتو للقتل على بعد نحو كيلو مترين من مكان السجن الذي أعدم فيه والدها ذوالفقار على بوتو في عهد الجنرال ضياء الحق، وكانت بوتو عندما تولت رئاسة الوزراء قد هدمت السجن و حولته إلى متنزه !!

بالأمس القريب سقطت بي نظير بوتو "ابنة القدر" كما كان يحلو لها أن تطلق على نفسها، أو "ابنة الشرق "كما كان يسميها العالم .. لحقت رئيسة وزراء باكستان السابقة بوالدها وشقيقيها الذين لاقوا من قبلها نفس اللعنة أو نفس المصير، و كأن الحظ شاء إلا أن تمنى عائلة ذو الفقار على بوتو زعيم باكستان الراحل بنفس اللعنة التي طالت عائلات أخرى كثيرة – كما سنرى في هذا الكتاب- منها على سبيل المثال لا الحصر عائلة الرئيس الأمريكي جون كنيدي، و عائلة زعيم الهند الراحل غاندي .

كانت بى نظير بوتو تدرك أنها قد تُغتال عندما قررت العودة إلى باكستان فى ١٨ أكتوبر عام ٢٠٠٧، بعد ٨ سنوات فى المنفى، وقد أرسلت قبل عودتها بأيام رسالة شهيرة إلى الرئيس برفيز مشرف تتضمن معلومات محددة - كما قيل وقتها - حول الجهات، وربما الشخصيات، التى تخطط لاغتيالها، ولم تتحدث بعدها كثيرا حول فحوى الرسالة، لكنها لم تكن فى حاجة إلى ذلك، فقد كانت أعمال القتل قد

حصدت حوالى ٢٣٥ شخصا منذ منتصف العام، وكانت التهديدات الموجهة ضدها من جانب زعماء الجماعات الإسلامية المتطرفة معلنة تقريبا، وبالفعل لقيت خلال ذلك اليوم استقبالا دمويا فى كراتشى، أدى إلى مقتل ١٣٩ من أنصارها، لكنها نجت فى تلك المرة من الموت .

إن عملية ١٨ أكتوبر ٢٠٠٧ تمثل نقطة البداية لفهم ما جرى يوم ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٧ عندما تم التمكن من اغتيالها بالفعل، فقد صنفت تلك العملية على أنها الأكثر دموية فى تاريخ باكستان، استنادا إلى أعداد الضحايا، وكان من الممكن أن تقتل بوتو وقتها لولا واحدة من الصدف غير المخططة، فقد كانت قد هبطت لتستريح قليلا داخل سيارتها المدرعة، قبل أن تواصل تحية المستقبلين، حين وقع التفجير، وكان المعنى الواضح لذلك هو أن هناك قرارا قاطعا باغتيالها، وهو ما حدث فى المرة التالية، التى لم تترك فيها الأمور للمصادفات، فقد أطلقت عليها رصاصات القناصة قبل حدوث التفجير الانتحارى الكبير.

وبي نظير بوتو كانت الأخيرة في حملة لواء التراث السياسي لوالدها. فشقيقها الأكبر مرتضى. والذي كان يتوقع أن يلعب دورا متزايد الأهمية كزعيم للحزب والذي فر بعد سقوط والده إلى أفغانستان الشيوعية آنذاك . ومن هناك . ومن عواصم عديدة في الشرق الأوسط. قاد جماعة مسلحة تحت اسم "ذو الفقار" ضد الحكم العسكري في باكستان.

وفاز مرتضى . وهو في المنفى . في انتخابات عام ١٩٩٣، وعاد بعدها بوقت قصير ليقتل بالرصاص في ظروف غامضة عام ١٩٩٦، و لكن سرعان ما توجهت أصابع الاتهام إليها هى و زوجها و من داخل الأسرة. أما الشقيق الآخر شاهنواز . والذي كان له نشاطه السياسي لكن دون اللجوء للسلاح . فقد كان قد عثر عليه ميتا في شقته بالريفيرا الفرنسية عام ١٩٨٥، و قيدت الجريمة ضد مجهول .

ثم حان دور بي نظير بوتو أول وأصغر رئيسة وزراء لدولة إسلامية في العصر الحديث،، التي كانت قد ناضلت من أجل الوصول إلى السلطة، وهي ابنة الـ ٢٤ربيعاً،

متعهدة بالانتقام على طريقتها – كما قالت – لرحيل والدها. غير أنّ حياتها السياسية التي ارتبطت لفترة ما بالتحديث والديمقراطية، ارتبطت أيضا بالفساد.

وبي نظير بوتو، هي سليلة عائلة ذات تقاليد سياسيّة عريقة. وهي تنتمي إلى بيئة أقرب إلى الأرستقراطيّة، بتقاليد اجتماعيّة، و موارد متنوّعة وثراء مميّز. وبذلك، فقد عاشت بوتو طفولتها مرفهة، وحظيت بتعليم عال في أعرق الجامعات الغربيّة؛ واستطاعت أن تكون عام ١٩٧٦ ، أوّل طالبة آسيويّة مسلمة، تفوز برئاسة إتحاد طلبة جامعة أوكسفورد.

وبالنسبة لأولئك الذين يعرفون بي نظير بوتو عن قرب فإن شخصيتها تعتبر توليفة من التصميم والعناد والجاذبية، و ذات اتجاهات متصارعة. و رغم ميولها الغربية ونظرتها الليبرالية، فإنها تعطي الانطباع بأنها امرأة متدينة بعمق. و كانت تقول إن فاطمة الزهراء ابنة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه و سلم هي مثلها الأعلى. ولكن غالبا ما كانت تظهر بوتو باعتبارها شخصية تزور العرافات ومراقد الأولياء .

كان اغتيال بنظير بوتو التي يعني اسمها باللغة الأوروبية "لا نظير لها" آخر فصول حياة حافلة عاشتها رئيسة وزراء باكستان السابقة .

كانت بي نظير هي أول أطفال ذو الفقار على بوتو الباكستاني من أصل سندي وزوجته البيجوم نصرت بوتو الباكستانية من أصل كردي- إيراني أما جدها لوالدها فكان السير شاه نواز بوتو الذي تعود جذوره إلى مدينة باتو كالان الواقعة في ولاية هاريانا الهندية .

وقد احتل والد بي نظير، ذو الفقار على بوتو، منصب رئيس وزراء باكستان في أوائل السبعينات، فكانت حكومته إحدى الحكومات القلائل التي لم يرأسها عسكري في العقود الثلاثة التي أعقبت الاستقلال.

ولدت بي نظير بوتو في إقليم السند عام١٩٥٣، وتلقت تعليمها في جامعتي أكسفورد ببريطانيا وهارفارد بالولايات المتحدة، واعتمدت على تراث والدها لتبني

مجداً سياسيا اعتبرت أنّه سيكرّس النظرة لعائلتها التي تعدّ النظير لعائلة هرو غاندي في جارتها وغريمتها الهند.

ففي الهند حكمت إنديرا غاندي ولعلها تعد من أشهر نساء العالم لأنها ارتقت بدولة فقيرة معدمة إلى درجات من التطور حتى جعلتها دولة نووية، وفي باكستان كانت نصرت بوتو زعيمة حزب الشعب، و تنازلت لصالح ابنتها بي نظير، والتي حكمت البلاد مرتين وكانت تتهيأ – قبل اغتيالها – لتحكم للمرة الثالثة، بعد صفقة جديدة مع الجنرال برويز مشرف، وقد قتل أخوها مير مرتضى بوتو في عهد حكمها وكان ينافسها ويرى نفسه احق برئاسة الحزب منها، وخلفته بعد موته السيدة غنوة بوتو وهي سورية الأصل فتزعمت الجناح المنشق بكل كفاءة، وما زالت تترأس ذلك الجناح بقدرة فائقة، وقد سبقتها في التشابه سونيا غاندي الإيطالية زوجة راجيف غاندي التي ترأست الحزب بعد اغتيال زوجها، وما زالت تسعى إلى استلام الحكم.

ومنذ نشأتها، تحولت بي نظير بوتو إلى أسطورة، فهي لم ترث والدها الراحل ذو الفقار على بوتو فحسب، بل كان ينظر إليها أيضاً كوريثة للزعيمة الهندية أنديرا غاندي.

كان الشرق ينظر إلى خريجة " أكسفورد " و " هارفارد " على أنها ابنة الغرب، لذا لم يسقط أبداً الرهان على أن تعود إلى الحكم في بلادها، الأمر الذي تكرس منذ عودتها من المنفى في ١٨ أكتوبر عام ٢٠٠٧، متعهدة بإعادة الديموقراطية إلى بلادها.

صحيح أن سقوط بي نظير، يعيد إلى الأذهان مشهد شنق والدها، ومقتل شقيقيها مرتضى وشاه نواز، لكن هذه المرأة التي كان يفترض أن تحمل إرثاً شرقياً، تمتعت بقدرة على مخاطبة المسؤولين في الغرب على طريقة " الند للند " أو " هات و خد "!!

وقد سلم لها الحزب قيادته، إثر سقوط والدها أواخر السبعينيات، وفرار مرتضى إلى أفغانستان الشيوعية آنذاك، ثم إلى سورية، بعد فترة انتقالية تسلمت خلالها والدته نصرت الزعامة.

وبعد تخرجها من أوكسفورد، عادت بي نظير إلى باكستان في عهد الجنرال ضياء الحق عام ١٩٨٦، لتطيح زعامة والدتها في انتخابات عام ١٩٨٨ بعدما أحست أن الأخيرة تسعى إلى توريث الزعامة لابنها البكر مرتضى.

وهناك أشخاص. صحافيون وناشطون سياسيون على حد سواء. يتذكرون بوضوح اليوم الذي عادت فيه بي نظير إلى باكستان عام ١٩٨٦. وفي هذا السياق يقول ظفار عباس، رئيس تحرير صحيفة " الفجر "- الباكستانية إن تلك اللحظات كانت تبدو، وكأن مدينة لاهور بأكملها قد خرجت للترحيب ببي نظير بوتو عندما وصلت إلى مطار لاهور الدولي.

وكان حزب بي نظير بوتو قد حصل على أغلبية في البرلمان في الانتخابات التي أجريت بعد مقتل الجنرال ضياء الحق في حادث سقوط طائرة. إلا أنه كان واضحا أنه لم يكن بوسعها تشكيل حكومة من دون التوصل إلى تسوية مع السلطات العسكرية التي كانت متمكنة في مختلف مؤسسات السلطة في باكستان في ذلك الوقت.

أيدت بي نظير بوتو، التي جرى تعيينها رئيسة للحكومة، في ٢ ديسمبر عام ١٩٨٨، ترشيح غلام إسحق خان، الذي كان يحظى بمساندة الجيش، لتولي منصب الرئاسة. وجرى انتخابه بالفعل رئيسا للبلاد لمدة خمس سنوات وانتخب بأغلبية مع مساندة حزب الشعب الباكستاني في ١٢ ديسمبر من ذلك العام.

كان ذلك جزءاً من اتفاق قبلت المؤسسة العسكرية بموجبه انتصار بي نظير بوتو في الانتخابات، ومن ثم ترشيحها لتولي رئاسة الحكومة بواسطة الرئيس المكلف غلام إسحق خان مستخدما سلطاته الدستورية.

وفي المقابل، وافقت بي نظير على أربعة شروط وضعتها المؤسسة العسكرية، بما في ذلك الاحتفاظ بوزارة الخارجية، التي كانت تهيمن عليها عناصر عسكرية، فضلا عن استمرار السياسة الباكستانية تجاه أفغانستان.

لم يكن هناك انتصار مدوٍّ لحزب بي نظير في انتخابات نوفمبر عام ١٩٨٨، على الرغم من انه برز كأكبر حزب سياسي في الجمعية الوطنية اثر حصوله على ٩٣ مقعدا من جملة ٢٠٧ مقاعد.

وكان أداء حزب الشعب الباكستاني في تلك الانتخابات مميزا في السند، خصوصا في المناطق الريفية. وكانت مجموعة من الأحزاب اليمينية قد شكلت تحالف " الاتحاد الجمهوري الاسلامي "، الذي حصل على ٥٥ مقعدا في تلك الانتخابات.

ووافق الجيش على انتخابات عام ١٩٨٨ على أمل ألا يحصل حزب الشعب الباكستاني على عدد كبير من المقاعد. وكان الجيش يعتبر أن بي نظير بوتو كانت تتآمر عليه من الخارج، وبصورة عامة كان ضباطه خلال فترة حكم ضياء الحق قد تم استعداؤهم ضد حزب الشعب الباكستاني.

وثمة اعتقاد بأن قرار دعوة بي نظير لتشكيل حكومة – آنذاك - كان قرارا مشتركا اتخذه القائم بأعمال الرئيس غلام عشق خان، ورئيس أركان الجيش إسلام بيغ.

وقد التقت بي نظير مع الجنرال إسلام بيغ قبل أيام من تولي السلطة في مقر الجيش في " راولبندي " لطمأنة الجنرال بانها تعرف فن التوازنات والمراهنات السياسية.

ولم يكن هناك أدنى شك في تفكير المراقبين السياسيين أن المؤسسة العسكرية قبلت بي نظير رئيسة للوزراء بشيء من التردد.

غير أن بي نظير بوتو نجحت في إقامة علاقة ودية مع كبار القيادات العسكرية، في الوقت الذي أعلن فيه الجنرال " بيغ " بيانات تأييد لحكومتها في الشهور الأولى. غير أن هناك امرا واضحا في اتفاق ١٩٨٨، الذي أوصل بي نظير للسلطة، وهو أن التوصل إليه تم بعد انتصارها في الانتخابات، حين تأكدت قيادة الجيش أن الطريق الوحيد المتوفر هو مشاركة السلطة مع حزب الشعب الباكستاني، الذي أصبح أكبر قوة سياسية في انتخابات عام ١٩٨٨.

وكانت صورة بي نظير، التي قادت معركة ضد النظام العسكري نقطة إضافية لصالحها في التعامل مع الجنرالات بالمقارنة مع الموقف الحالي حيث تواجه اتهامات بالفساد، إلا أن هناك نقاط تشابه .

ففي عام ١٩٨٨ تم التوصل إلى الاتفاق بين بي نظير والمؤسسة العسكرية، تحت إشراف الولايات المتحدة. وتشير التقارير الصحافية - انذاك - إلى زيارات لاثنين من كبار المسؤولين الأميركيين - مساعد وزير الدفاع ريتشارد ارميتاج، ومساعد وزير الخارجية ريتشارد مورفي - ساهمت مساهمة أساسية في المفاوضات بين بي نظير والجنرالات.

وفي مرحلة من المراحل كانت بي نظير تعتبر رمزا للديمقراطية والحداثة في المجتمع الباكستاني. ولا تخفى علاقاتها الدولية ولا سيما علاقتها بالاشخاص النافذين في واشنطن وغيرها من العواصم الغربية.

وربما هذا هو السبب الذي دفعها لمواجهة الانتقادات الحادة للأحزاب والمتطرفين الدينيين. فلطالما ذكرت للصحفيين الذين يزورونها ان أسامة بن لادن موَّل احزاب المعارضة بما فيها حزب رئيس الوزراء السابق نواز شريف، الذي حاول في عام ١٩٨٨ إسقاط حكومتها. ولكن بعد فقدها في عام ١٩٩٦ منصب رئاسة الوزراء أصبح اسمها مرتبطا بالفساد وسوء الإدارة .

كما يعترف زعماء حزبها - بطريقة غير علنية - بأن زوجها آصيف على زرداري، الذي كان شابا مولعا بملاحقة النساء، ألحق الضرر بسمعتها. وقالت رنا قيصر وهي صحافية باكستانية كبيرة : " إذا ما نظرت إلى اتهامات الفساد ضدها، ستجد أن كل قضية منها تقريبا يدخل فيها زوجها طرفاً " .

وقد تولت بي نظير رئاسة الوزراء مرتين، بين عامي ١٩٨٨ و١٩٩٠، ثم بين عامي ١٩٩٣و١٩٩٦. وأقيلت في المرتين على خلفية تهم بالفساد، لكنها طالما أنكرت بشدة

تلك الاتهامات، واعتبرت أن دوافعها سياسية. دفعتها إدانتها عام ١٩٩٩ إلى مغادرة البلاد إلى الإمارات مع أولادها الثلاثة، وانضم إليهم زوجها بعد الإفراج عنه عام٢٠٠٤.

لم تنس بي نظير أبداً ثأرها لمقتل والدها، ودأبت على اتهام العناصر المحافظة الموالية للجنرال ضياء الحق، بمحاولة تصفيتها حتى أنها اتهمتهم بالضلوع في الهجوم الفاشل، الذي استهدفها في مهرجان انتخابي غداة عودتها إلى البلاد.

وكان ضياء الحق الذي أطاح ذوالفقار على بوتو عام ١٩٧٧ وأعدمه بعد سنتين، لقي مصيره عام ١٩٨٨، في انفجار طائرته في ظروف غامضة، الأمر الذي سمح لبي نظير بالعودة إلى الحياة السياسية، والفوز بالانتخابات العامة.

وإضافة إلى عدائها مع ورثة ضياء الحق، عرفت بوتو بمناهضتها المتشددين الإسلاميين الذين لطالما ارتابوا من " تقاربها مع الغرب " رغم حرصها على الظهور بمظهر المرأة المتدينة المحافظة على التقاليد.

وكانت بي نظير تردد :" لا أعتقد بأن أي مسلم حقيقي سيحاول الاعتداء عليَّ لأن الإسلام يمنع الاعتداء على النساء والمسلمون يعرفون أنهم إذا هاجموا النساء، سيذهبون إلى جهنم" .

وأدت مأساة إعدام الأب بوتو – كما أسلفنا- إلى اعتبار حزب الشعب الباكستاني إرثاً عائلياً، الأمر الذي أضر بالبلد وبالعائلة .

فقد أمّن لعائلة بوتو بنكاً من الأصوات واحتياطات كبيرة. لكن تجربة محاكمة الأب وموته جعلا الابنة راديكالية وسيّسها.

وقد قالت بي نظير في ذلك الحين إنّها كانت تفضل أن تكون دبلوماسية. أما شقيقاها، مرتضى وشهنواز، فقد كانا في لندن بعدما منعهما أبوهما المسجون من العودة إلى البلاد. ووقع عبء محاولة إنقاذ حياة الأب على كتفي بي نظير وأمها، نصرت، فأكسبتهما الشجاعة التي أظهرتاها احترام الأكثرية الخائفة الصامتة.

فقد رفضتا الاستسلام لديكتاتورية الجنرال ضياء الحق العسكرية الذي استنجد بالإسلام لإلغاء الحقوق التي اكتسبتها النساء على مر العقود المنصرمة، هذا بالإضافة إلى كل الأعمال الأخرى التي قام بها.

وتم اعتقال الابنة و الأم وأطلق سراحهما مرات عدة. وبدأ ذلك ينعكس على صحتيهما. فسُمح لنصرت بمغادرة البلاد للعلاج في عام ١٩٨٢.

وأُطلق سراح بي نظير بعد أكثر من سنة بقليل، جزئياً بفضل الضغوط الأميركية، التي أحدثها صديقها القديم في هارفرد بيتر جالبرايث. وقد وصفت هذه الفترة لاحقاً في مذكراتها التي حملت عنوان " ابنة الشرق " في عام ١٩٨٨، وتضمنت شروحاً للصور مثل: " بعد مدة قصيرة من ثناء الرئيس الأمريكي رونالد ريجان على النظام لقيامه بخطوات كبيرة نحو الديموقراطية "، أطلق رجال ضياء الحق النار على متظاهرين مسالمين يوم عيد الاستقلال في الباكستان. وقد تعاملت الشرطة بوحشية مشابهة مع المحتجّين على الهجوم الذي تعرّضت له سيارتي الجيب في يناير عام ١٩٨٧" .

المهم حولت الفتاة بي نظير بعد إطلاق سراحها، و رحيلها إلى بريطانيا، حولت شقتها الصغيرة في لندن إلى مركز لمعارضة نظام ضياء الحق، وهناك أعلنت بدء حملتها على العسكر وجنرالاتهم .

وهكذا، فحين لقي بوتو الأب حتفه، كانت باكستان على موعد مع ابنته السياسية الواعدة التي أفسحت لها عملية اغتيال الرئيس الباكستاني السني ضياء الحق، بتفجير طائرته في أغسطس من العام ١٩٨٨، الطريقَ نحو الحكم.

والحقيقة أنه لم يكن من الغريب أن يتم اغتيال بوتو، بل الغريب كان هو أن تبقى في ظل الأوضاع المأساوية التي كانت تشهدها باكستان .. وما حدث يذكرنا برواية الأديب الكولمبي الكبير جابرييل جارسيا ماركيز " وقائع موت معلن " حيث تقع الجريمة كما في الرواية رغم علم الجميع أنها ستقع !!

فبخطى ثابتة وواثقة، مشت بي نظير بوتو إلى قدرها المنتظر والمحتوم، كأنها خارجة للتو من أكثر الصفحات تراجيدية في "الميثولوجيا" الإغريقية... "ابنة القدر" كانت تعرف قدرها، وقد خطّت سطوره، و رسمت طرقه ومعالمه قبل سنوات طوال، في كتابها الذي حمل الإسم ذاته .. و عادت من منفاها الإجباري إلى مثواها الأخير وسط الانفجارات المدوية والأشلاء المتناثرة وأعمدة الدخان، التي رافقتها في حلّها وترحالها بين مدن باكستان وأقاليمه.

كانت كبطل رائعة ماركيز تكتب " قصة موتها المعلن" كلمة كلمة، كانت " القتيل الحي" الذي يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وكانت كلما اقتربت من لحظة تتوجيها زعيمة عبر صناديق الاقتراع، تقترب خطوة إضافية من "خط النهاية"، نهاية مرحلة وحياة على حد سواء، فطائر الفينيق الذي أتقن لعبة الانبثاق من الموت والانطلاق من تحت الرماد، أخفق هذه المرة، ولم يقو جناحاه على الخفقان.

اغتيال بي تظير لم يكن مفاجأة حتى بالنسبة لها هى شخصياً .. بل لقد توقعته في آخر حديث لها قبل عودتها لباكستان من منفاها في دبي .

قالت بوتو بالحرف الواحد : " قد يحاولون اغتيالي ولكنني لن أؤخر عودتي اليوم إلى باكستان .. أنا متوترة جدا وقد يحصل أي شيء .. قد يقدم مشرّف على حكم البلاد بقانون الطوارئ فيما أنا هناك .. نعم، فكرت بالامر. قد يحاولون اغتيالي. حضرت عائلتي وأحبائي لأي احتمال... يبدو الامر مرعبا جدا. ولكن لا تنسوا إلى أي عائلة أنتمي. هذا هو مصيرنا ولا اتفاق بيني وبين مشرف الآن أو في المستقبل"!!

وقالت بوتو و هى ترفع يدها بعلامة النصر خلال المؤتمر الصحفي الذي عقدته في دبي معلنة فيه عودتها إلى باكستان :

"أنا متوترة جدا. أي شيء قد يحصل.. أولادي كبروا في هذه الأجواء.. زوجي قضى سنوات في السجن فقط لأنه اقترن بي. . ومع ذلك فلم يتمكنوا من تدميرنا" .

وقالت : يعرف المرء من خبرته ماذا يعني الإصرار على عدم الاستسلام... لقد تجادلنا كثيرا في الأيام الماضية، في كل مرة كان مشرف (الرئيس الباكستاني) يقترح أن أؤجل عودتي، إذا كان عليّ العودة أم لا. جميعنا يعرف أنه يتوجب عليّ العودة. ولكن نعم... إنه إجراء متعب للغاية. . أنا مرهقة .. لم أنم منذ أيام. أتنقل من اجتماع إلى آخر. .. سأغادر غدا باكرا. لا أريد أن أفكر أكثر في الأمر. فات الأوان لكل جدل الآن.. فات الأوان لإعادة التفكير. فات الأوان" .

ويذهب كثيرون و أنا منهم إلى أن الأمريكين هم المسؤول الأول عن اغتيال بي نظير بوتو بغض النظر عن هذا الطرف أو ذاك، الذي خطط لقتلها على أرض الواقع.. و أستطيع القول إن رئيسة وزراء باكستان السابقة راحت ضحية صفقة أمريكية فاسدة، لعب من خلالها الرئيس الأمريكي بوش و رجاله على بوتو، بأن أسالوا لعابها على كرسي الحكم، و جعلوا منها بديلاً في المستقبل المنظور للديكتاتور مشرف، حصان السباق الذي بدأ نجمه يأفل، فقرروا بسرعة إعداد البديل المثالي، الذي جربوه من قبل " بي نظير بوتو " !!

لقد قدم الأمريكيون بوتو على طبق من فضة لكل أعدائهم، و حتى أصدقائهم كالرئيس برويز مشرف، ورئيس الوزراء السابق نواز شريف، حيث لم تنطل المسرحية الهزلية الأمريكية على أحد !!

لقد حاول بوش وإدارته اللعب بورقة بوتو لضمان هيمنة الأمريكيين على دولة المواجهة مع طالبان والقاعدة، حال غياب متوقع لمشرف في أية لحظة بعد أفول نجمه في الأونة الأخيرة، وقبل ذلك إحكام قبضتهم على النووي الباكستاني حتى لا يقع في أيدي بن لادن و الظواهري أو أية جهات أخرى تريد تحييد أو إرهاب الأمريكيين !!

وقبل عودتها و في محاولة منها لاستمالة الأمريكيين أكثر وأكثر، والتأكيد لهم أنها فرس الرهان الأوحد، غالت بوتو في كسب الأعداء، بل أقحمت نفسها في عداء مقصود مع جميع من تعتقد في أنه عدو للأمريكيين .

وقد حرصت رئيسة وزراء باكستان الراحلة بي نظير بوتو على أن تغلف عودتها بورقة سوليفان، حتى تمهد الساحة لعودتها، بعد أن ذاعت أنباء رجوعها في إطار سيناريو أمريكي، أو بالأحرى صفقة ترعاها إدارة بوش، و بالتفاق مع الرئيس الباكستاني برويز مشرف . و لكن حتى هذه المقالات لم تنجح إلى حد ما في إخفاء معالم الصفقة ..

ويعتقد الكثير من المراقبين ان المستفيد الأول من رحيل بوتو في باكستان هو الجنرال مشرف، الذي أدرك أن بقاءه في السلطة – من وجهة نظر الأمريكيين– مسألة وقت، حتى يتم تدشين بي نظير بوتو في الحكم من جديد، ثم التخلص منها في مرحلة لاحقة !!

وقد وجه الكثير من أنصار زعيمة حزب الشعب بوتو، أصابع الاتهام إلى مشرف وحكومته، ورددوا شعارات تندد برئيس باكستان برفيز مشرف وتصفه بـ" الجنرال القاتل" !!

وقد خرجت هذه الاتهامات، خلال الجنازة الحارة التي شارك فيها مئات الآلاف من أنصار بنظير بوتو، لدفن رئيسة الوزراء السابقة في مسقط رأسها بإقليم السند.

كما تعالت الدعوات المطالبة بالقصاص من القتلة وسط أجواء مشحونة بالعواطف والحزن خيمت على الآلاف من محبيها وانصارها الذين تجمعوا حول مدفن عائلتها، الذي يضم رفات والدها رئيس الوزراء السابق ذو الفقار على بوتو.

وكان قد تم نقل جثمانها في تابوت خشبي بسيط من منزل عائلتها إلى المدفن الذي يبعد عنه ٧ كيلومترات، وسط نحيب الآلاف من أنصارها.

وقد رافق الجثمان في رحلته زوجها آصف على زارداري وأولادها الثلاثة.

واصيب البعض بالاغماء فيما احتشد الالاف لالقاء النظرة الاخيرة على جثمان بوتو قبل ان يوارى الثرى، و هم يرددون الشعارات المنددة بمشرف !!

وهتف البعض بشعارات ضد شخصيات تنتمي للحزب السياسي المؤيد للحكومة فيما صاح البعض " طالما الشمس والقمر موجودان، سيظل اسم بوتو حيا" !!

وردد المشيعيون الذين تجمعوا في الجنازة بشكل متكرر هتافات مناهضة لكبار المسؤولين المنتخبين السابقين في اقليمي السند والبنجاب، والذين يحوزون على عضوية الحزب الحاكم المؤيد للرئيس برويز مشرف.

ويؤكد أنصار بوتو في ان هؤلاء المسؤولين كانوا ضالعين في الهجمات التي استهدفت زعيمة المعارضة الأبرز في باكستان، وهو ما تنفيه الحكومة.

وقال رحمة الله، البالغ من العمر ٢٥ عاما "نحن أبناء السند لا نريد باكستان من الآن فصاعدا. لماذا يغتال أو يقتل رؤساء الوزراء من أبناء السند فقط؟"

ويشير رحمة الله، إلى بنظير بوتو، ووالدها ذو الفقار على بوتو والى اول رئيس وزراء في باكستان لياقت على خان والذي اغتيل عام ١٩٥١، وقد قتل الثلاثة في منطقة راولبندي حيث يقع مقر الجيش الباكستاني.

ومما يزيد المسألة تعقيدا أن باكستان في عهد برويز مشرف أصبحت ساحة شديدة التعقيد بسبب التدخلات الغربية الرهيبة، وبخاصة ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية، واضطراب الرؤية لدى صانعي سياستها الخارجية، بين المراهنين على قدرة الجنرال على متابعة سيرته المرفوضة شعبيا، والمقتنعين بضرورة إعادة بوتو إلى الواجهة لإنقاذ المصالح الأمريكية هناك، في ظل تزايد السخط الشعبي على ممارسات مشرف وسياساته الداخلية والخارجية على حد سواء.

لقد أدرك مشرف أنه وقع في خطأ تاريخي وهو أنه وضع أوراقه السياسية مع بوش ففقد ثقة الشعب الباكستاني الذي اتهمه بأنه فرط في سيادة باكستان ومصالحها وحتى المؤسسة العسكرية فقدت الثقة به لأنه ورطها مع الشعب الباكستاني وانهارت معنويات الجنود لمحاربتهم أهلهم وذويهم في منطقة القبائل لحساب واشنطن .

وبالنسبة لواشنطن فإن الرئيس مشرف فقد السيطرة على باكستان سياسيا وأمنيا واقتصاديا ولذا لن تتوانى عن البحث لبديل له ويبدو بحسب المراقبين أنه لن يكون بأى حال من الأحوال رئيس الوزراء الباكستاني الأسبق وزعيم حزب الرابطة الإسلامي نواز شريف الذى يحظى بشعبية واسعة في باكستان على عكس زعيمة حزب الشعب الباكستاني الراحلة التي فقدت مصداقيتها عندما لعبت في الخفاء للتحالف مع واشنطن حيث لاتنسى الجماعات الإسلامية تصريحاتها إبان أزمة المسجد الأحمر وتحذيرها من خطر المدارس الإسلامية في باكستان.

ولكن لا يجب أن نستبعد تورط برويز مشرف، الرئيس الباكستاني، في عملية الاغتيال، لرغبته في عدم وجود منافس قوي له، بالإضافة إلى أنه يريد الانفراد بالسلطة، ومن الاحتمالات أيضاً أن يكون الفاعل هم الإسلاميون المتشددون، أو من لهم مصالح في وجود باكستان مضطربة، مما يستدعي التدخل الأمريكي.

ويرى محللون آخرون أنه يمكن توجيه أصابع الاتهام إلى أجهزة الاستخبارات الباكستانية كجزء من لعبة مشرف، لكن ليس إلى قياداتها، بل إلى قدامى المسؤولين في الجهاز الذي رعى وغذّى إنشاء نظام الطالبان في أفغانستان وساعده بين العامين ١٩٩٢ و١٩٩٦ على الاستيلاء على السلطة في البلاد.

وكانت بوتو قد اتهمت الاستخبارات الباكستانية بممارسة ضغوط على مرشحي حزبها لحملهم على سحب ترشيحاتهم، وطالبت بأن تتخذ إجراءات لوقف مثل هذه الضغوط.

وأكدت بوتو أن لدى حزبها أدلة دامغة على هذه الضغوط والتدخلات، وطالبت بوقفها من أجل ضمان إجراء انتخابات حرة.

ويأتي رئيس الوزراء الباكستاني السابق نواز شريف الأرستقراطي الحالم بالعودة إلى السلطة و الأضواء بعد سنوات من عزله ثم سجنه ثم نفيه خارج البلاد، في دائرة

الاتهام أيضاً بالنسبة لاغتيال بي نظير بوتو كثاني أكثر المستفيدين من اختفائها من الساحة بعد مشرف !!

وسر توجيه أصابع الاتهام لشريف شأنه شأن أطراف أخرى ذات مصلحة مباشرة في اختفائها من الساحة هو ببساطة كسر الرهان الأمريكي على الراحلة كحصان الحلبة الرئيسي في المرحلة المقبلة إلى جانب برويز مشرف، واستخدامه هو " نواز شريف " إلى غطاء للصفقة المسمومة التي توصلت إليها إدارة بوش مع الاثنين، بمعنى أن يتم السماح لبوتو بالعودة، و لذر الرماد في العيون، وحتى يبدو الأمر جزءًا من توجه ديمقراطي عام، يتم السماح أيضاً لنواز شريف بالعودة معها، وكليهما عزل و سجن و نفي من قبل .

ولكن شريف أدرك أن قسمة السلطة – حسب السيناريو الأمريكي – ستكون على " اثنين " و ليس " ثلاثة "، بمعنى أنه فقط " للتمويه " و لإخراج المسرحية الانتخابية بالشكل الديمقراطي كانتخابات متعددة الأطراف .

وأدرك شريف أيضاً أن نظام مشرف لديه القدرة على تزييف الانتخابات بحيث يستثنى هو من الوصول للسلطة المعدة سلفاً لاثنين فقط " بوتو و مشرف !!

وإذا كان من غير السهل تصور انخراط شريف بنفسه في التخطيط لاغتيال بوتو، إلا أن من مصلحته اختفاء بوتو، كما أن أنصاره – كما تقول التحليلات – كان لديهم الدافع لاغتيالها، حتى يتم إفساح الساحة لزعيمهم نواز، لكي لا يكون أمام الأمريكيين بديلاً عن الرهان عليه، بعد اختفاء حليفتهم الرئيسية بوتو !!

ويرى البعض أن نواز شريف ربما عرف أن أنصاره كانوا يرغبون في تصفية بوتو، و أنه ربما تآمر بالصمت، و تركهم يفعلون ذلك – دون أن يتلفظ بكلمة تشير إلى موافقته الصريحة – ما لم يكن قد أمر فعلاً بتصفيتها !!

ويأتي هذا بالرغم من أن بوتو كانت قد خرجت عن حدود الصفقة المبرمة مع واشنطون ومشرف في انتهازية واضحة بالتحالف مع نواز شريف ضد مشرف .

ووصف المراقبون الباكستانيون تحالف زعيمي المعارضة الباكستانية بوتو و شريف من أجل إسقاط نظام الرئيس برويز مشرف بأنه : " زواج متعة سياسي " ، مشددين على أن بوتو كانت ستستخدم ذلك التحالف "الهش والمؤقت" لخدمة أغراضها السياسية، ثم تتخلى عنه.

وقال – آنذاك – المحلل السياسي إكرام سيجال:"إن التحالف بين زعيمي المعارضة سيكون بمثابة زواج متعة سياسي بينهما.. فشريف وبوتو مختلفان في أيدلوجيتهما السياسية" .

ورأى سيجال أن "شريف سيتضامن مع بوتو من خلال جدول أعمال مشترك لإسقاط نظام مشرف، ولكن هذا التحالف لن يدوم طويلا" .

و قال : " كما أن بوتو "المعروفة بمناوراتها السياسية سوف تستخدم شريف كأداة لتحقيق مكاسب سياسية.. ويجب أن يضع شريف في ذهنه أن السيدة بوتو لم تَعُد شخصية يمكن الوثوق بها" !!

واعتبر المحلل الباكستاني – آنذاك – أنه "من الخطأ أن يمد شريف يد التعاون لبوتو.. فهي لا تسعى إلا لاستعادة الدعم الشعبي في إقليم البنجاب الذي فقدته على مدى السنوات القليلة الماضية بسبب مواقفها السياسية الغامضة والمشبوهة" .

وذكر بأن بوتو وشريف سبق أن تحالفا عام ٢٠٠١ تحت ما كان يسمى بـ "التحالف من أجل استعادة الديمقراطية" المناهض لنظام مشرف، مشيرًا إلى أن بوتو "ضحت بهذا التحالف عندما قبلت بصفقة تقاسم السلطة مع مشرف والتي عادت بموجبها إلى باكستان بعد ٨ أعوام في المنفى" .

وفي هذا السياق أوضح شميم أخطر، المحلل السياسي، رئيس قسم العلاقات الدولية بجامعة كراتشي سابقا، أن "الولايات المتحدة لا تحب شريف، ولن تتخذ بوتو أي خطوة تغضب الإدارة الأمريكية.. وكل ما ستفعله بوتو هو أن تستغله لممارسة ضغوط مكثفة على الجنرال مشرف لتقديم مزيد من التنازلات" .

وأردف "أخطر" قائلا: "بمجرد أن يتحقق الهدف الذي تبتغيه بوتو، فلن تتردد لحظة في التخلص منه مجددا".

وأضاف: " بوتو لم يكن لديها من خيار آخر للضغط على مشرف سوى التحالف مع شريف بالرغم من فقدان الثقة المتبادل"، هكذا يبرر المحلل السياسي صهيل إقبال سبب عودة التحالف بينهما".

وأوضح إقبال آنذاك – أنه : "بعد تشكيل الحكومة الانتقالية قبل أيام بقيادة محمد ميان سومرو لم يعد لدى مشرف شيء منصب يعطيه لبوتو.. وبالتالي لم يعد لديها خيار آخر سوى التحالف مع المعارضة، وخاصة رئيس الوزراء السابق، نواز شريف" !!

وكانت بوتو بعد "مقامرات" استمرت طويلا مع الرئيس مشرف قد غيرت، من سياستها بدعوة خصومها السابقين من الأحزاب الإسلامية، وشريف، لتشكيل تحالف ضد مشرف.

وأجرت بوتو اتصالات هاتفية مع خصوم قدامى، من بينهم قاضي حسين أحمد، زعيم الجماعة الإسلامية في باكستان، وعمران خان لاعب الكريكيت السابق والناشط السياسي، والذي اعتقلته الشرطة فيما بعد.

وردا على دعوة بوتو، كان شريف قد أعلن من منفاه بالسعودية قبيل عودته لباكستان : "نحن مستعدون لتجنيب خلافاتنا مع حزب الشعب الذي تتزعمه بوتو والعمل من أجل عودة الحكم الديمقراطي".

وكان شريف وبوتو خصمين في أواخر ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، حيث تولى كل منهما رئاسة الوزراء مرتين، وكانا يتبادلان المنصب إلى أن أطاح مشرف بحكومة شريف في انقلاب عسكري عام !!

نظرية أخرى تقول إنه لا يُمكن استبعاد فِكرة أن أحد المتعصِّبين الدِّينيين قد اغتال بوتو في منطقة شهدت قِيام مثل هؤلاء العشوائِيين أو المهْوُوسين بأعمال

اغتيال مُروّعة لكثير من الزعماء السياسيين الكِبار، لكن الأمور في باكستان لا تسير بتِلك الصورة.

فقد كانت هناك دائما مؤشّرات على وجود فاعل "منظم" وراء كل عملية اغتيال، بحيث لم يعد من المُمكن أن يفسّر مجرّد سقوط طائرة على أنه حادث، وبالنسبة لبي نظير تحديدا، كان هناك مَن ينتظرون وصُولها ويخطّطون لاغتيالها، وقد تعرّض أنصارها في الأيام السابقة لمقتلها، إلى عمليات قتل شِبه جماعية في عدّة ولايات، بينما كانوا يستعدّون لانتخابات يناير ٢٠٠٨، فما جرى لم يكُن حادثا بالتّأكيد.

ويرى بعض المراقبين أن الجماعات الدّينية المتشدّدة هي التي اغتالت بوتو على الأرجَح، فقد سَيطرت على تلك الجماعات مُيول سلفية عَنيفة في السنوات الأخيرة، وتنامت قُوَّتها بصورة مكّنتها من السَّيطرة تقريبا على القبائل في المنطقة الشمالية الغربية وتداخلت علاقاتها مع عناصر القاعدة، المتواجدة على الحدود وطالبان في الجوار، وسَيطرت تقريبا على الساحة الإسلامية في المجتمع وبدأت في الاندفاع نحو ما يُعرف بمُحاولة "طلْبَنة" باكستان، قبل أن تندفع إلى مواجهة الدولة، متجاوزة قواعِد الاشتباك التي حكَمت علاقة النُّظم العسكرية بها لعقود طويلة، وكانت بوتو بالنِسبة لها، تمثل دائما هدفا شرعيا وِفقا للطّريقة التي يفهمون الشرع بها.

لكن مسؤولية نظام مُشرّف عن قتلها لا تقِل على الإطلاق عن مسؤولية الجماعات الراديكالية ذاتها. فقد قامت تلك النُّظم بتوظيف العناصر الدّينية طِوال الوقت، للعمل ضد الحكومات المدنية وإثارة القلاقل، تمهيدا للإطاحة بها أو لإبقائها خارج السلطة. ولأن المسألة تتعلّق بمتطرّفين حقيقيّين، أصبحَت توجُّهات التنظيمات الدّينية إزاء الأحزاب السياسية وقياداتها، كبي نظير بوتو أو نواز شريف وغيرهم، ممَّن يعتبرونهم دُعاة للديمقراطية العِلمانية، لا تقلّ عُنفا عن توجُّهاتهم إزاء الدكتاتوريات العسكرية، لذا، كانت القائمة التي أعلنها وزير الداخلية الباكستانى قبل يوم واحد من الاغتيال، كأهداف مُحتملة للقتل من جانب تلك الجماعات، تضُم مُشرّف وبوتو معا.

الفارق الأساسي، هو أن مُشرّف قد اضطُّر لاتخاذ أصعب قرارات حياته بمواجهة المتطرّفين في المسجد الأحمر، في ظل حالة من "اللاخيار"، عندما وضّح أنهم يتحدّون سُلطته علنا، بينما كانت بوتو قد تبنّت نفس موقفه الأخير طوال الوقت.

فقد كانت تؤكّد دائما أنه من غير المُمكن عقد صفقات مع المتعصّبين دينيا وأن حكومة ديمقراطية يمكنها أن تستعيد السّيطرة على المناطق، التي تقول الحكومة إنه تصعُب السيطرة عليها، لذا، كانت المباراة بينها وبين الجماعات الإسلامية صفرية، من وجهة نظرها ومن وجهة نظرهم، فإمّا أن تكون حاكما أو مقتولا، وقد تمكّنوا منها.

أما السؤال الخاص بالسّبب، في أنه لم تتوفّر لها الحماية الأمنية الكافية، فإنه يفتح الطريق واسعا لنظرية المؤامرة.

فقد كانت العلاقات بينها وبين مُشرّف قد توتّرت بشدّة في الأيام السابقة لاغتيالها بسبب دعوتها لما يُشبه ثورة شعبية ضدّ سياسته، إضافة إلى ما تواتر حول قيامها بعقد صفقة من نوع ما مع المؤسسة العسكرية، ترسي صيغة مفادُها بأن حُكمها، استنادا على توافُق مع قيادات المؤسسة، يمكن أن يكون المخرج الأنسب للبلاد من أزمتها الراهنة، لكن لا يمكن تصديق أنّ مُشرّف قد قام باغتيالها أو أنه سمح بحدوث ذلك.

فمُشرّف يختلف عن ضياء الحق، الذي أعدَم والدها، رغم أنها أعلنت مرارا أنها تعود إلى باكستان لإحداث تغيير، بينما كان هو يستميت للحفاظ على بقائه.

لكن القصة لا تنتهي عند هذا الحدّ، فإحدى مُشكلات باكستان، التي لا يعرف أحد حجمها بالضبط، هي أن التيارات الدّينية قد اخترقت صفوف المؤسسة الأمنية– العسكرية على نطاق واسع، وأن هناك مُيولا دينيّة واسعة النّطاق داخل تلك المؤسسة، من جانب مَن اعتادوا مُسبقا على اللّعب مع المتطرفين أو على دعْم

حركة طالبان أو إقامة علاقة مع الأفغان العرب أو قبائل الحدود، وأن أعمال التنقّلات أو التطهير، لم تُنه تلك المشكلة.

ويؤكد خبراء أن الأسلوب المستخدم في اغتيال بوتو يشبه أسلوب القاعدة، ولكنه ليس بالتأكيد أسلوبها، لأنها لا تفعل عمليات مع إطلاق رصاص بهذه الدقة.

ويقول هؤلاء إن تصريحات البيت الأبيض نفسها تؤكد أن مرتكبي عملية الاغتيال هم أعداء الديمقراطية الذين استخدموا أساليب (القاعدة) وهم المتشددون غير الإرهابيين.

ولكن هناك من يقول إن هذه العملية ليست منفردة ولكنها مشتركة، فالأسلوب الانتحاري أسلوب الإسلاميين، ولكن طبيعة العملية تشير إلى أنها من داخل جهاز الدولة.

ويرى البعض أن التحالف الاستراتيجي بين الغرب وباكستان موجود بالفعل ضد الإرهاب، وذلك بسبب القاعدة والملف النووي، مشيراً إلى أن أمريكا لن تنهي ارتباطها بباكستان لأن الأخيرة مدخل لأفغانستان.

ويرى بعض الباحثين في شؤون الحركات الإسلامية إن مسألة تحديد من قتل بوتو لا يمكن الجزم بها، وإن كانوا يميلون إلى أن رؤيتها العلمانية وخطابها المتشدد ضد الجماعات الإسلامية قد استفزهم.

ويقول البعض إن المسؤول عن هذا الحادث هو المدارس الدينية المتشددة في المناطق الشمالية، خصوصاً منطقة وزيرستان لأن الموجودين فيها من تربية القاعدة وطالبان، مؤكداً أن الحكومة لن تصل للجاني .

أما تنظيم القاعدة فقد كان المتهم النموذجي !!.. كان لافتا للنظر بشدة الإعلان السريع من وكالة الاستخبارات الأمريكية عن تحميل تنظيم القاعدة مسؤولية اغتيال بي ناظير بوتو، رئيسة وزراء باكستان السابقة، كان هذا الإعلان السريع

والمتعجل بينما العالم لم يفق من الصدمة بعد، أشبه بمن على رأسه "بطحة" فسارع إلى نفي التهمة عن نفسه بإلقائها على أقرب شخص أو تنظيم، وبينما تجاهل العالم تلك التصريحات "المريبة" للاستخبارات الأمريكية سارعت صحف وقنوات فضائية عربية معروفة الولاء للاستخبارات الأمريكية بترديد نفس الكلام كما نشرته في صدر مواقعها على شبكة الانترنت، اغتيال بوتو أتى في سياق تغيرت فيه لهجة الأمريكيين عن برويز مشرف، وإبداء دوائر أمريكية قلقها من أن تقع الولايات المتحدة في نفس الخطأ الذي وقعت فيه عندما تخلت عن رجلها في إيران الشاه رضا بهلوي لتنتقل السلطة في إيران إلى الجماعات الدينية المتشددة .

وكان واضحا أن هناك صفقة تمت على عجل مع مشرف تنتهي بإلغائه حال الطوارئ والقبول بالانتخابات مع قبوله برئاسة الجمهورية وتخليه عن قيادة الجيش في مقابل دعم أمريكي لتثبيته ولمطاردة القاعدة ونفوذ طالبان في المناطق الحدودية وأيضا تهميش وردع القوى الإسلامية في باكستان .

وكان الدور المفترض لـ بي نظير بوتو هو التحالف مع مشرف من أجل تنفيذ الأجندة الأمريكية، ولكن بوتو الإيرانية الأم - والدتها السيدة نصرت أصفهاني الإيرانية المولد والجنسية - التي أظهرت ولاءا أكثر تطرفا للأمريكيين تحولت إلى مرحلة أخطر وهي التحرك من أجل إسقاط مشرف والتحالف مع نواز شريف، مما يكون من شأنه فتح الملف الباكستاني الخطير على المجهول .

فجاءت حادثة اغتيال بوتو من أجل أن تنهي الاثنين : بوتو السياسية المتمرسة والمجهولة النوايا وبرويز مشرف الذي بدأت البلاد تفلت من يده، وذلك تمهيدا للجنرال الجديد الذي يبدأ صفحة جديدة للإدارة العسكرية في باكستان، الحديث عن اتهام القاعدة باستهداف بوتو فيه استخفاف بالعقول، كما أنه معاكس للسياق المتكرر لاختيارات القاعدة وأفقها السياسي، تنظيم القاعدة لم يستهدف أبدا شخصيات سياسية غير سلطوية لمجرد أنها من الممكن أن يكون لها سلطة أو دور

معادي له في المستقبل، الأفق السياسي والاستراتيجي للتنظيم لا يعمل وفق هذا المنطق أبدا، وهم عادة يستهدفون الشخصيات التي تتوسد السلطة مباشرة وعمليا أيا كان مستواها، كما أن الرواية الأشهر لعملية الاغتيال تعني أن اختراق السياج الأمني حول بوتو كان من أشخاص قريبين جدا منها، كما أن القاتل ربما لم يدر أنه سيتم تفجيره بعد ثوانٍ من إطلاقه الرصاص على بي نظير، عملية الاغتيال عملية دقيقة شاركت فيها أجهزة استخبارات محترفة، وسيتم التعتيم على القتلة الحقيقيين، ومن المحتمل أن يتم تقديم آخرين قربانا، لطمس الحقيقة .

وقد لوحظ أنه بعد نفي السلطات الباكستانية وجود أي إشارة إلى دور لتنظيم القاعدة إلا أنهم بعد الإعلان الأمريكي المتكرر أخرجوا وزير الداخلية ليعلن أنه "رصد مكالمة" لتنظيم القاعدة تتحدث عن الاغتيال، ولكنه لم يصل به إلى حد القول بأنه سمع بن لادن نفسه، أو أن المكالمة كانت صادرة من الديوان الأميري لأيمن الظواهري !، قتلت بي نظير، كما قتل أخوها من قبل، ومات القاتل في الحالتين بكل تأكيد، وتبقى أوضاع باكستان مفتوحة على كل الاحتمالات السيئة .

وفي ما يلي ترجمة اجرتها وكالة فرانس برس للنص الحرفي للمحادثة الهاتفية التي اجراها المسؤول الكبير في القاعدة بيت الله محسود مع عضو اخر في التنظيم، وتقول وزارة الداخلية الباكستانية انها رصدتها بعد اغتيال بينظير بوتو.

مولوي صاحب: السلام عليكم !

بيت الله محسود: وعليكم السلام

صاحب: تحياتي فقد عدت لتوي هذه الليلة.

محسود: تحياتي لك، هل كانوا رجالنا؟

صاحب: نعم كانوا رجالنا.

محسود: من هم؟

صاحب: كان هناك سعيد وبلال واكرم الله.

محسود: هؤلاء الثلاثة فعلوها؟

صاحب: اكرم الله وبلال قاما بها.

محسود: اهنئكم اذا.

صاحب: اين انت؟ اريد ان القاك.

محسود: انني في ماكين (مدينة في منطقة وزيرستان الجنوبية القبلية) مر على انا في منزل انور شاه.

صاحب: حسنا سأحضر.

محسود: لا تبلغوا منزلهم في الوقت الحالي.

صاحب: حسنا.

محسود: كان جهدا رائعا. إنهم حقا فتية شجعان هؤلاء الذين قتلوها.

صاحب: الحمد لله، عندما أصل سأبلغكم بكل التفاصيل.

محسود: انني في انتظاركم. تحياتي واهنئكم من جديد.

صاحب: تحياتي لكم.

محسود: هل هناك شيء استطيع ان افعله لكم؟

صاحب: شكرا جزيلا.

محسود: السلام عليكم.

صاحب: وعليكم السلام.

وقد استغل الأمريكيون اغتيال بوتو واتهام القاعدة لتصفية حسابات سياسية مع إدارة الرئيس بوش، باعتباره من وجهة نظر معارضيه فشل في الحرب على الإرهاب، والقضاء على تنظيم القاعدة .. بينما استغل فريق بوش اغتيال بوتو للتأكيد على ضرورة استمرار جهود إدارة بوش في مكافحة الإرهاب، أي أن كل من الحكومة والمعارضة في أمريكا وجدت في اتهام القاعدة فرصة لتحقيق مكاسب سياسية على حساب الطرف الآخر !!

ويرى البعض أن من شأن الدفع بضلوع تنظيم القاعدة بدور في اغتيال زعيمة المعارضة الباكستانية بي نظير بوتو أن يبرهن على أنه بوسع هذه الجماعة المتشددة ان تحبط بدرجة كبيرة من توجهات السياسة الامريكية الخارجية بعد أكثر من ست سنوات من اعلان الرئيس الامريكي جورج بوش عزمه انزال الهزيمة بالجماعة.

وقال مايكل شيوار وهو موظف سابق بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية كان قد قاد عمليات البحث عن زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن : " أتصور في بعض الأحيان أنه يتعين على ابن لادن ونائبه ايمن الظواهري ان يتصافحا ويقولا الأمر في غاية السهولة" .

وكان الظواهري قد وصف بوتو قبيل اغتيالها بانها اداة تخدم السياسة الامريكية.

وقالت الحكومة الباكستانية انها حصلت على أدلة تشير إلى مسؤولية تنظيم القاعدة عن قتل بوتو في هجوم انتحاري لدى مغادرتها لتجمع انتخابي.

وقال متحدث باسم وزارة الداخلية "لدينا معلومات بيانات اعتراض استخباراتية تشير إلى ان بيت الله محسود الزعيم بالقاعدة وراء الاغتيال" .

وقد نفى متحدث باسم بيت الله محسود المتشدد الباكستاني المرتبط بالقاعدة تورطه في اغتيال زعيمة المعارضة.

ووصف مسؤول أمريكي في مجال مكافحة الارهاب محسود الذي كان قد سبق ان وجه تهديدا إلى بوتو بانه زعيم قبلي "وجهادي متمرس يحتفظ بعلاقات وثيقة بالقاعدة وبطالبان ومنظمات ارهابية اخرى".

ولايزال الشك يساور عددا من المحللين بان من مصلحة الرئيس الباكستاني برويز مشرف ان يركز الانظار على القاعدة فيما تواجه حكومته نفسها شكوكا داخلية بالضلوع في جريمة الاغتيال.

وقال ريتشارد كلارك المسؤول الأمريكي السابق في مجال مكافحة الارهاب "ربما يكون الباكستانيون يكذبون".

ويقول محللون إنه لو صح ذلك فإن تنظيم عمليات القاعدة يبين ان بوسعها شن هجمات مؤثرة من مناطق القبائل في غرب باكستان حيث أعادت القاعدة تنظيم صفوفها بعد غزو قادته الولايات المتحدة ونجح في استئصال شأفة الحركة المتشددة من أفغانستان المجاورة عام ٢٠٠١.

وأضاف مسؤول مكافحة الارهاب ان للقاعدة حيزا نفسيا وبدنيا متاحا "كي تجند وتدرب كوادر ارهابية وتخطط لهجمات".

وعندما أصدر ابن لادن تسجيلا جديدا بالفيديو قبل حلول الذكرى السنوية لهجمات ١١ سبتمبر قالت مستشارة البيت الابيض لشؤون مكافحة الارهاب انذاك فران تاونسند ان ابن لادن بات عاجزاً فعليا الا ان تقييما للمخابرات صدر في يوليو نوه إلى تعزيز صفوف القاعدة من جديد والى قدراتها القتالية وهي الجماعة التي كانت غالبا ما تلجأ إلى العمل من خلال جماعات اقليمية.

وقال شيوار إن هدف القاعدة لم يعد مهاجمة اهداف داخل الولايات المتحدة بقدر ما هو طرد قواتها من المنطقة. وكانت بوتو مؤيدة للسياسات الأمريكية فضلا عن تاريخ من العداء مع ابن لادن يرجع إلى ٢٠ عاما إلى الوراء لذا فقد كانت هدفا مؤكدا.

وقال شيوار وهو يشير إلى تأييد من الولايات المتحدة وبريطانيا لبوتو لدى عودتها إلى أرض الوطن " لم يكن من الصواب الزج بها إلى حتفها " .

وأضاف : " ما وجدته حقا على نحو مقزز هو ان بصمات السيد بوش وبصمات رئيس الوزراء البريطاني جوردون براون وبصمات معظم مرشحينا للرئاسة ظاهرة على جثة السيدة بوتو" .

وقال إنهم الآن " يواجهون حالة من الفوضى العارمة» مع تدهور الأحوال في باكستان وعدم وجود خطة واضحة لمكافحة ضغوط متجددة في افغانستان من القاعدة وحليفتها حركة طالبان.

وفي الجارديان تحدث إيوين ماكاسكيل مراسل الصحيفة في واشنطن كيف أن إدارة بوش تعمل بسرعة لوضع خطة بديلة بعد لاغتيال بينظير بوتو.

ويقول ماكاسكيل إن اغتيال بوتو قد ضيع آمال إدارة بوش في تحقيق قدر من الأمان في باكستان.

ويضيف أنه منذ الحادي عشر من سبتمبر اعتمد بوش على الحكومة العسكرية للرئيس برويز مشرف كحليف له في حربه ضد طالبان والقاعدة. ومع خسارة مشرف لشعبيته وضعت الإدارة آمالها في العودة إلى الديمقراطية وتشكيل ائتلاف بوتو- مشرف.

وقالت الصحيفة إن محللي الاستخبارات الأمريكيين قد حذروا من تعزيز قوة القاعدة التي تحتفظ لها بموقع قوي في المناطق القبلية في باكستان وفي بعض المدن كمدينة كراتشي والتي تعتقد الولايات المتحدة أن أسامة بن لادن يختبئ فيها وذلك بسبب الفوضى في أعقاب حادث الاغتيال.

وتشير الصحيفة إلى أن الإدارة قلقة من وقوع الباكستان في أيدي الراديكاليين مما يقوض معركتها ضد طالبان والقاعدة، ويعزز إمكانية سقوط الأسلحة النووية في أيدي الإسلاميين المعادين للغرب.

وتشير الصحيفة إلى تصريح وزارة الدفاع الأمريكية " البنتاجون " بأنه مطمئن إلى سلامة الأسلحة النووية حاليا رغم الاغتيال لكنه أقل ثقة بالنسبة للمستقبل.

ويقول المراسل إلى أن إحدى الخطط البديلة هي أن تعمل القوات الأمريكية الخاصة بالتعاون مع الجيش والمخابرات الباكستانية على تهريب أية أسلحة يحيق بها خطر مباشر، "إلا أن الولايات المتحدة ليست واثقة من تعاون الجيش الباكستاني التام في هذا الوقت".

وتشير الصحيفة إلى ريبة الحكومة الباكستانية في النوايا الأمريكية رغم تلقيها دعما ماليا منها، وتقول إنها حجبت معلومات حول مواقع ترسانتها من الأسلحة النووية وغير ذلك خوفا من زرع الأمريكيين أجهزة تبطل عمل الأسلحة النووية.

وقال المحلل أنطوني كوردسمان من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ان قوة طالبان تضاعفت في المناطق الحدودية الغربية من باكستان خلال الاشهر الاثنى عشر إلى الاشهر الثمانية عشر الماضية. واضاف ان اغتيال بوتو سيجعل من الصعوبة بمكان على الولايات المتحدة ان تقنع الرئيس مشرف بشن حملة صارمة على الأقاليم الحدودية.

وقال كوردسمان " أي شيء من شأنه أن يضعف باكستان... يخلف حالة من الفراغ بمكن أن تستغلها القاعدة " .

وكانت بوتو قد ناصبت القاعدة العداء صراحة عندما انتقدت مشرف لفشله في القضاء على من أسمتهم بالمتطرفين بالإضافة إلى مطالبتها بإغلاق المدارس الدينية، ولذا سارع محمود الحسن عضو حزب المجاهدين المرتبط بحزب "الجماعة الإسلامية" في باكستان إلى التحذير من أن حوالى ٣ آلاف انتحارى مستعدون لتفجير أنفسهم لاغتيال رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة بنظير بوتو بعد نجاتها من تفجيرين استهدفا موكبها وهى عائدة من المنفى في ١٨ أكتوبر .

ونقلت صحيفة "الحياة" اللندنية في ٢١ أكتوبر عن محمود الحسن قوله إن تصريحات بوتو المتكررة حول الإسلاميين وإعلانها أنها ستسمح بعمليات أمريكية لمطاردة زعيم القاعدة أسامة بن لادن في باكستان تجعلها خائنة ويجب أن تُقتل.

وتصاعد عداء القاعدة أكثر لبوتو عندما تسربت تقارير صحفية مفادها أن الإدارة الأمريكية تبحث عن بديل للرئيس برويز مشرف وهذا البديل يرجح أن يكون بوتو الأمر الذى يعنى أن هناك صفقة سرية بين بوتو وواشنطن .

وكانت صحيفة "نيورك تايمز" الأمريكية قد نقلت في ١٤ نوفمبر عن مسئولين كبار في الإدارة الأمريكية قولهم إن مسئولين في إدارة بوش باتوا فاقدين الأمل بإمكانية بقاء مشرف في مركزه على ضوء الأزمة السياسية المتفاقمة التي تعيشها باكستان.

وقال المسئولون الأمريكيون للصحيفة : " يوم بعد يوم يزيد الاعتقاد لدى إدارة بوش بأن أيام مشرف باتت معدودة وأنه يجب أن تتحول الإدارة الأمريكية إلى البحث عن الخطط البديلة المحتملة .

واشنطن لاتريد بحسب المسئولين تشجيع حصول انقلاب عسكري جديد لكنها بدأت تعتقد أن مشرف بات جزءا من المشكلة ".

وأضاف المسئولون أيضا " المناطق النائية في شمال غرب باكستان تأوي مقاتلين من القاعدة وتنظيمات إسلامية أخرى، ولذا هناك حاجة لبديل وسوف يكون بالأغلب من خلال انقلاب صغير ينفذه ضباط الجيش الذين قد يحاولون أيضا تعيين رئيس مدني والدفع لإجراء انتخابات برلمانية تقود إلى تعيين رئيس جديد للوزراء سوف تكون على الأرجح بوتو على الرغم من التوتر الذي كان سائدا بينها وبين الجيش في السابق"، وجاء لقاء بوتو مع جون نيجروبونتي نائب وزيرة الخارجية الأمريكية في ١٦ نوفمبر ليدعم صحة التقرير السابق .

وعن اتهام حكومة مشرف للقاعدة، و في هذا الإطار أجرت إذاعة الـ بي بي سي الأردية مقابلة هاتفية مع فرحة الله بابر أحد أبرز القيادات لحزب الشعب الباكستاني لمعرفة موقفه مما تقول الحكومة. فوصف فرحة الله التصريحات الأخيرة محاولة لتغطية المجرمين الحقيقيين. كما أنه دعا إلى إجراء تحقيق حسب خطوط عريضة أشارت إليها بينظير بوتو بعد تفجيرات كراتشي للتوصل إلى الحقائق. أضف إلى ذلك أنه رفض تورط بيت الله محسود في ذلك الحادث الأليم.

وتأتي حركة طالبان التي أسقط الأمريكيون حكمها في أفغانستان عند غزوهم لهذه الدولة في عام ٢٠٠٢ كأحد المتهمين في اغتيال بوتو . و المعروف أن لطالبان وجود مكثف داخل أفغانستان، كحليفة لبعض رموز المعارضة الباكستانية، كما أن لها قواعد وعيونا وعملاء داخل معظم أجهزة الأمن في إسلام أباد، كما أن لها قواعد في مناطق القبائل الشمالية و خاصة منطقة " وزيرستان " .

ويدلل من يشيرون بأصابع الاتهام إلى حركة طالبان بمقال بي نظير بوتو قبل مقتلها، عندما هاجمت الحركة بضراوة .. وتحدثت عن خطتها لما أسمته بهزيمة طالبان، حال بلوغها السلطة !!

واعتبر المحلل السياسي الباكستاني مصباح الله عبد الباقي أن حركة طالبان وأنصارها هم من يقفون وراء مقتل بوتو، ورد ذلك لتصريحاتها المنددة بما أسمته "التشدد الإسلامي".

وأشار عبد الباقي إلى أن: "بوتو اعتادت قبل عودتها لباكستان في ١٨ أكتوبر الماضي على الإدلاء بتصريحات تقول فيها إنها في حال وصولها للسلطة ستسمح للجيش الأمريكي بتعقب عناصر طالبان وتنظيم القاعدة على الأراضي الباكستانية".

وأردف قائلا : "من التصريحات الخطيرة التي ألبت الجماعات الإسلامية ضد بوتو تصريحاتها التي قالت فيها قبل عودتها لباكستان بأنها ستسمح لأمريكا

والوكالة الدولية للطاقة الذرية باستجواب أبي القنبلة النووية الباكستانية عبد القدير خان".

وكان مشرف أعلن في فبراير ٢٠٠٤ العفو عن خان، بعد أن أقر بأنه سرب أسرارا نووية لليبيا وإيران وكوريا الشمالية. وكانت واشنطن هي التي أثارت قضية تسريب خان هذه الأسرار.

واعتبر المحلل الباكستاني أن "الجماعات الموالية لطالبان استقبلتها يوم عودتها بتفجير انتحاري استهدف موكبها في مدينة كراتشي، ونجحوا أخيرا في اصطيادها هذا اليوم، خاصة بعد إعلانها أن مشرف مقصر في الحرب على الإرهاب والتشدد الإسلامي".

المحلل السياسي الباكستاني عبد الرحمن حياة من جانبه اتفق مع رؤية عبد الباقي بشأن ضلوع القاعدة وطالبان في اغتيال بوتو.

واعتبر أن "التصريحات الأخيرة التي كانت تصدرها زعيمة حزب الشعب الباكستاني بشأن أهمية دعم باكستان لأمريكا في الحرب على ما يسمى الإرهاب عجل بقتلها من قبل طالبان وأنصار القاعدة في باكستان".

وفي الوقت الذي استبعد فيه حياة ضلوع مشرف في مقتل بوتو، "على أساس أن أمريكا رعت عملية التقارب السياسي بينهما"، رأى آخرون أن أصابع الاتهام تشير إلى مشرف الذي يرى في بوتو منافسا سياسيا له في البلاد.

فقد اعتبر شريف عطوي الخبير في الشأن الباكستاني، أن: "احتمال ضلوع مشرف في اغتيال بوتو مطروح في إطار مساعيه للتخلص من خصومه السياسيين، بعد أن أظهر للعالم تعاونه معهم، لا سيما أن تعاونه مع بوتو كان برعاية أمريكية ومقتلها في هذا التوقيت يظهره أمام أمريكا بالبريء".

كما لم يستبعد عطوي أيضا تورط الجيش والاستخبارات الباكستانية في التخلص من بوتو بعد تصريحاتها التي أبدت فيها استعدادها تسليم الخبير النووي الباكستاني عبد القدير خان للولايات المتحدة، وبعد أن استعدت رجال الدين الذين وصفتهم بالتشدد.

وفي النهاية يبقى السؤال : من اغتال بنظير بوتو؟ ! .. الحقيقة لا يمكن أن نجد إجابة فورية، بل قد لا نجد إجابة على الإطلاق في ظل الأوضاع المسيطرة على البلاد، ولئن صدر عن أي جهة من الجهات تبني المسئولية عن عملية الاغتيال، فلن يكون ذلك أكثر من الإعلان عمن خطط للعملية ونفذها، وقد يكون إعلانا صحيحا أو ناقصا أو كاذبا، أما السؤال الأصح الذي يجب طرحه في باكستان فهو: ما الذي اغتال بنظير بوتو؟



بي نظير بوتو ابنة الشرق كما تقول عن نفسها لم تكن تدري عندما كانت بعد صغيرة تدرس بالجامعة أن هناك مصيراً مأساوياً ينتظرها، و أن لعنة العائلة ستحل عليها !!



هكذا تم تمهيد الساحة الداخلية لعودة بوتو تأثراً بالتقارير الإخبارية الأمريكية عن قرب عودتها !



بوتو لدى إعلانها في نوبة غزل مع الأمريكيين أنها الوحيدة القادرة على مواجهة القاعدة وطالبان !!

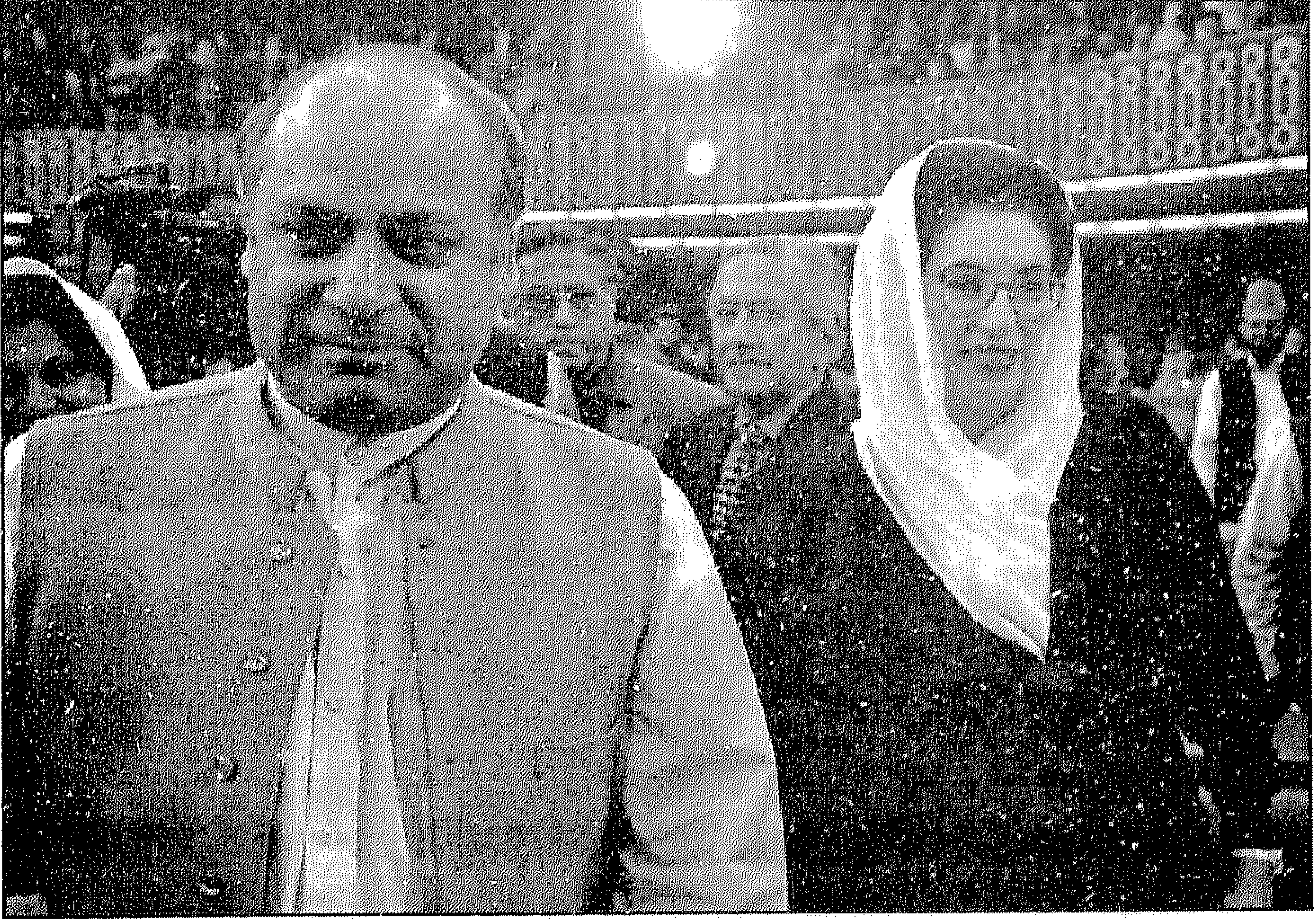


مشرف قبل صفقة الأمريكيين بعودة بوتو على مضض !!





بي نظير ومشرف .. صراع الديكة الذي جسد عمق الأزمة الباكستانية !!





نواز شريف و بي نظير بوتو .. عداء رهيب .. وصفاء في العلن أحياناً !!



نواز شريف تحالف مع بوتو فأثار حفيظة مشرف ضدهما في الوقت الذي خشى منها كحليف محتمل لمشرف في خطة أمريكية سيخرج منها هو كأكبر الخاسرين !!



نواز في دائرة الاتهام رغم نفيه مسؤوليته هو و أنصاره عن اغتيال بوتو !!



أيمن الظواهري ذراع بن لادن اليمنى عزز اتهام القاعدة باغتيال بوتو بمهاجمته لها في شريط متلفز قبيل قتلها !!



الملا عمر نفى ضلوع طالبان في اغتيال بوتو في مكالمة مع وكالة " أسوشيتدبرس " !!



لاروال بوتو يعلن وصية أمه .. هل يحقق ما عجزت بي نظير عن تحقيقه أم يكون ضحية آل بوتو التالية، و يواجه نفس مصير الجد و الأخوال و الأم !!

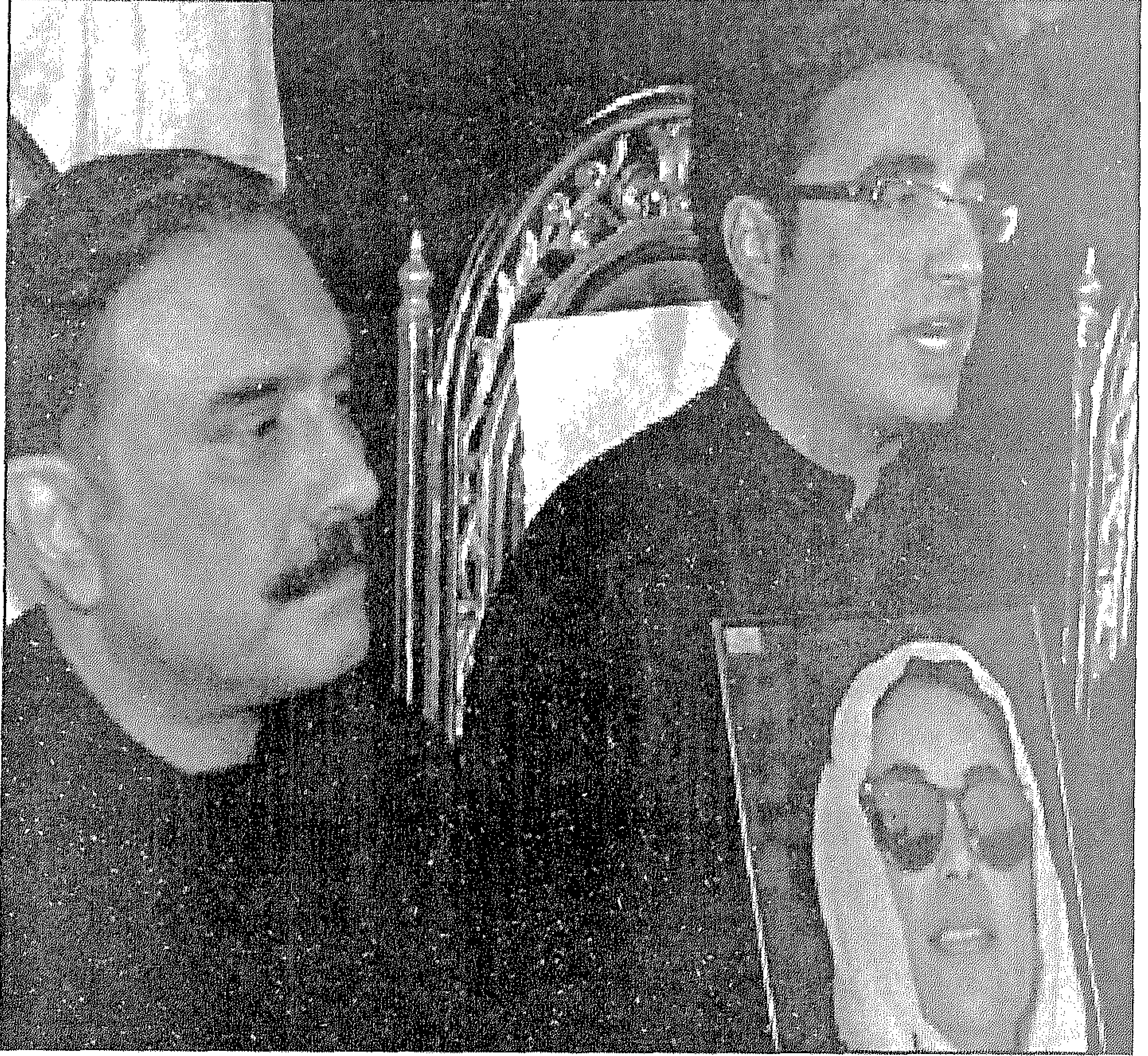


زرداي زوج الراحلة بي نظير روى أسرار لقائه و زواجه بها و رؤيته للمرحلة المقبلة !!





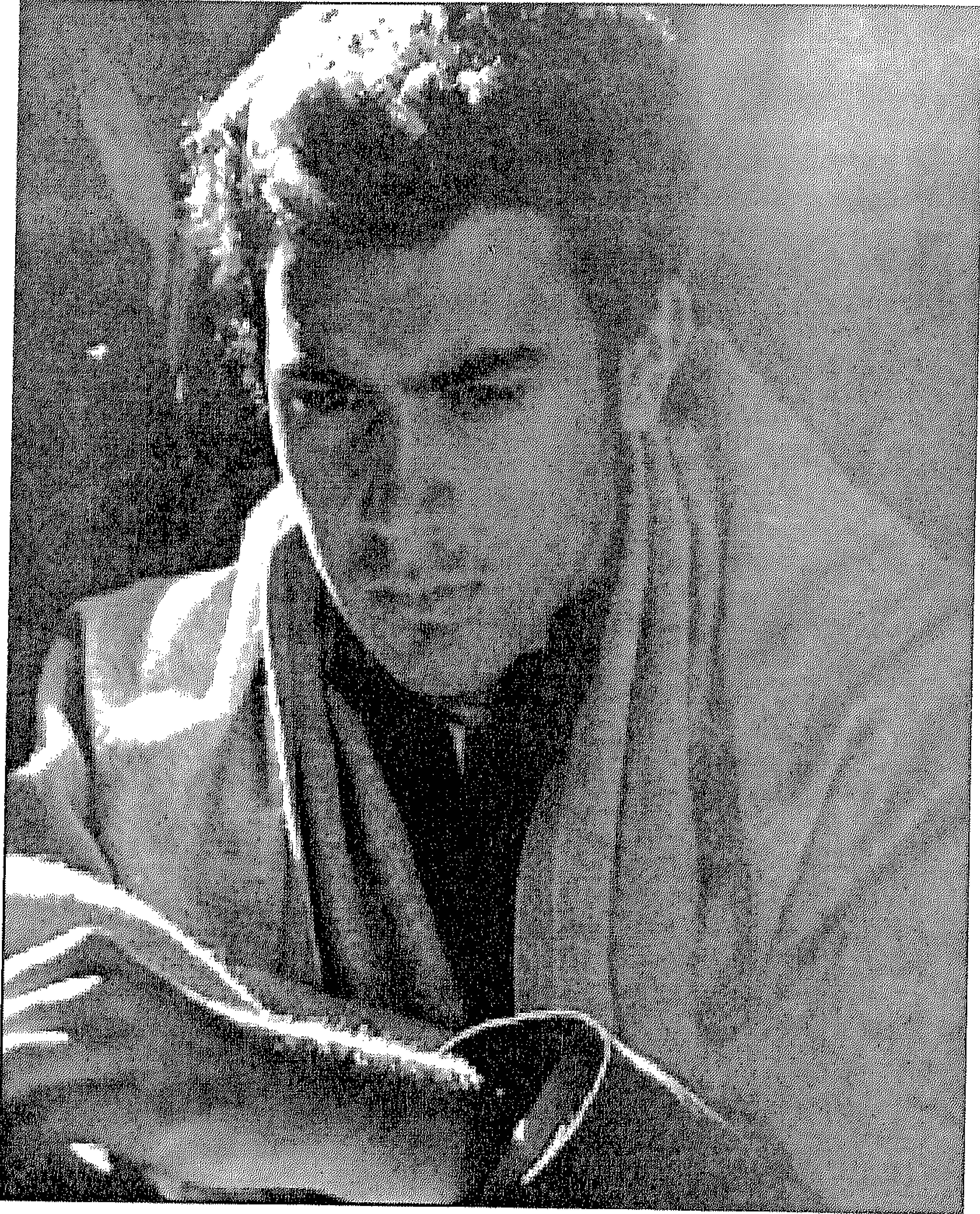
فاطمة بوتو.. قررت عدم مزاحمة ابن عمتها بي نظير حتى إشعار آخر !!



لاروال الابن زعيم الحزب الجديد و الزوج و الأب زرداي مساعده و صاحب الأمر و النهي
حتى تخرجه من أكسفورد لتولي مهامه !!

٤- شاه نواز بوتو..

قتلوه في باريس !!



●● وفي باريس تم تسميم نواز بوتو وبدت اللعنة كمصير لا مفر منه !!

وقبل بي نظير ومرتضى كان ابن آخر لذو الفقار على بوتو، وهو شاه نواز قد توفي في ظروف لم يحل لغزها بعدُ، إذ عثر عليه ميتا في شقته بالريفييرا في فرنسا عام ١٩٨٥.

مرتضى وشاه نواز شقيقا بوتو كانا قد اختارا العمل العسكري للقضاء على الحكم العسكري بزعامة ضياء لحق، وتنقلا بين كابول ونيودلهي، ودمشق، بعد أن خطفا طائرة باكستانية من لاهور، وأقاما معسكرات تدريب في أفغانستان.

تزوج الأخوان مرتضى وشاه نواز شقيقتين من كابول في أفغانستان، لكن صفقة الزواج تصدعت بعد مقتل شاه نواز في ظروف غامضة في باريس، وتعترف فوزية بأن خلافها مع مرتضى دب بعد تسميم شقيقه شاه نواز.

قاد أخوها الأصغر شاه نواز المعارضة من باريس إلا أنه ما لبث أن توفي في ظروف غامضة في شقته على الريفيرا عام ١٩٨٠، أصرت العائلة أنه تعرض لمؤامرة تسميم ولكن دون العثور على متهم

مع سنتي سجن عميد الأسرة كان الشقيقان مرتضى وشاه نواز في لندن، فمنعا من العودة، أما الوالدة والبنت بي نظير فقد سجنتا وتم إيقاف البنت، لكن أطلق سراحهما بعد ذلك وسمح لنصرت الأم بمغادرة البلاد لطلب المشورة الطبية كان ذلك في عام ١٩٨٢.

أُطلق لاحقا وتحديدا في عام ١٩٨٤ سراح بي نظير، جزئياً بفضل الضغوط الأميركية التي قام بها صديقها القديم في هارفرد بيتر غالبرايث، وقد وصفت

هذه الفترة لاحقاً في مذكراتها التي حملت عنوان ابنة الشرق (١٩٨٨) تقول : "بعد مدة قصيرة من ثناء الرئيس ريغان على النظام لقيامه بـ " خطوات كبيرة نحو الديموقراطية "، أطلق رجال ضياء الحق النار على متظاهرين مسالمين يوم عيد الاستقلال في باكستان . وقد تعاملت الشرطة بوحشية مشابهة مع المحتجّين على الهجوم الذي تعرّضت له سيارتي الجيب في كانون الثاني عام ١٩٨٧ " .

اتجهت بي نظير بوتو في المنفى إلى العمل السياسي وزراعة الأصدقاء في مفاصل الحياة السياسية الغربية، في حين اتجه شقيقاها مرتضى بوتو وشاه نواز إلى العمل السري المقاوم للرئيس الراحل ضياء، فشكلا منظمة ذو الفقار الإرهابية بدعم سوري، وأقاما فترة في دمشق وتزوجا شقيقتان أفغانيتان هما فوزية وريحانه من سكان حي وزير أكبر خان الكابولي الراقي، ثم طلقاهما ليعثر على شاه نواز عام ١٩٨٤ مقتولا بظروف غامضة في شقته الباريسية، وقيل حينها بأنه قتل مسموما على يد زوجته بدعم من قبل الرئيس الراحل ضياء الحق، وتم التداول آنئذ أن الأختين تحولتا إلى عميلتين لجهاز المخابرات الباكستاني، أما مرتضى الذي طلق زوجته الأفغانية التي أنجبت له فاطمة، فتزوج من اللبنانية عام ١٩٨٦ غنوة عيتاوي مدربة الباليه سابقا، وعاش فترة حياته في دمشق .

وهكذا كان شاه نواز وشقيقه يتصرفان على مستوى مختلف عما كانت عليه بي نظير بوتو وكأن لعنة العائلة قد حلت بالجميع .

فقد أسسا مجموعة مسلحة، هي " مجموعة ذو الفقار " التي كان هدفها المعلن مضايقة النظام وإضعافه عبر استهداف من تم وصفهم بـ "الخونة المتعاونين مع ضياء الحق" .

ومن أجل ذلك، قاما بتجنيد أبرز المتطوعين داخل باكستان، وفي عام ١٩٨٠، أُمنت لهم قاعدة في أفغانستان، حيث كان الشيوعيون الموالون لموسكو قد استولوا على السلطة قبل ثلاث سنوات.

وفي مارس من عام ١٩٨١، دُوِّن اسما مرتضى وشهنواز بوتو على لائحة أكثر الأسماء المطلوبة من وكالة التحقيقات الفدرالية (أف بي آي)، فقد قاما بخطف طائرة باكستانية تعمل على الخطوط الدولية بعد إقلاعها من كراتشي بمدة قصيرة (أدى انقطاع في التيار الكهربائي إلى تعطيل آلات الأشعة السينية، ما مكّن الخاطفين من نقل أسلحتهما إلى متن الطائرة)، و حُوِّلت رحلتها إلى كابول.

هنا تولّى مرتضى زمام الأمور وطلب إطلاق سراح سجناء سياسيين. وقُتل ضابط عسكري شاب كان على متن الرحلة. تزوّدت الطائرة بالوقود من جديد وانطلقت. كان لوجود ركاب أميركيين على متن الطائرة أهمية كبيرة بالنسبة إلى الجنرالات، لهذا السبب فقط أُطلق سراح السجناء في باكستان ونُقلوا إلى طرابلس.

وجد حزب الشعب الباكستاني العملية نصراً، ورحب بها على هذا الأساس. وللمرة الأولى بدأت المجموعة تؤخذ على محمل الجد. وكان الهدف الأساسي داخل البلاد مولي مشتاق حسين، كبير القضاة في المحكمة العليا في لاهور الذي حكم على ذو الفقار على بوتو بالموت عام ١٩٧٨، والذي صدم تصرفه في المحكمة حتى أولئك المعادين لحزب الشعب الباكستاني. (من بين تهم أخرى وجهها إلى بوتو، اتهمه بأنه «يدّعي أنّه مسلم»، كانت أمه مهتدية من الهندوسيين). كان مشتاق في سيارة صديق يقوده إلى بيته في المنطقة النموذجية في لاهور عندما فتح عليه النار مسلحون تابعون لذو الفقار. نجا القاضي من الموت، لكن صديقه والسائق توفيا. كان صديقه إحدى الشخصيات المعروفة في كرجات: الشودري زاهور إلهي، وهو رجل أعمال مخادع، طلب من الجنرال ضياء الحق بتفاخر أن يهديه "القلم المقدس" الذي وقّع به حكم الإعدام على بوتو. فأصبح القلم من الإرث العائلي.

ربما لم يكنْ زاهور إلهي الهدف، لكن ذو الفقار، الذي ارتبك لأنه أخطأ القاضي، زعم أنّه كان أيضاً على لائحتهم، وقد يكون ذلك صحيحاً. الجيل التالي من الشودريين هو الذي أمّن لمشرّف الثقل المدني: فقد نظّم ابن زاهور إلهي، شوجات،

الانشقاق عن نواز شريف وأنشأ حزباً منشقاً عن الرابطة الإسلامية الباكستانية، بهدف التخفيف من الضغوط المتزايدة التي يتعرض لها النظام الجديد.

في هذه الأثناء، أزعجت عملية الخطف موسكو، فطلب النظام في أفغانستان من الشقيقين بوتو تدبير ملجأ آخر لهما. وعندما كانا في كابول، تزوجا شقيقتين أفغانيتين، فوزية وريحانة فاسيهودين، وهما ابنتا مسؤول كبير في وزارة الخارجية الأفغانية. غادرا البلاد مع زوجتيهما، وبعد إقامة في سوريا، وربما في ليبيا انتهى بهما المطاف في أوروبا. وانعقد اجتماع مع أختهما في الريفييرا الفرنسية سنة ١٩٨٥، وهو مكان يلائم نمط حياة الإخوة الثلاثة.

خشي الشابان عملاء الجنرال ضياء الحق، وكان لكلّ واحد منهما ابنة صغيرة. سكن شهنواز شقة في مدينة كان. كان مسؤولاً عن " الجهاز العسكري"، وفرضت عليه الحياة في كابول متطلبات أثقل، فاتصف بالانفعالية وبالمزاج العصبي. كانت العلاقة مع زوجته عاصفة، وأعلم أخته أنّه يحضر للطلاق منها، فكان جواب بي نظير وفق مذكراتها : " لم يحدث قط أي طلاق في العائلة. ولم يكن زواجك حتى زواجاً مدبراً... أنت اخترت الزواج من رِيحانة، وعليك أن تتعايش مع الوضع ".

ومن ثَم وُجد شهنواز ميتاً في شقته. زعمت زوجته أنّه شرب السم، لكن لا أحد في العائلة صدق قصتها وفقاً لبنازير؛ فقد وقع اشتباك عنيف في الغرفة، وبُعثرت أوراقه. وبدت ريحانة بريئة للغاية، ما أزعج العائلة، فسُجنت مدة ثلاثة أشهر وفقاً لقانون " السامري الصالح " لعدم تقديمها المساعدة لشخص يحتضر.

بعد إطلاق سراحها، استقرت في الولايات المتحدة. وتساءلت بي نظير عما جرى قائلة: " هل قتلته وكالة الاستخبارات الأميركية خدمة ودية تؤديها لديكتاتورها المفضل؟ " . كما أثارت أسئلة أخرى أيضاً: هل أصبحت الأختان عميلتين في جهاز الاستخبارات الباكستانية ؟ لا تزال الحقيقة غامضة " .

وبعد ذلك بمدة قصيرة، طلّق مرتضى فوزية، لكنه احتفظ بحق رعاية ابنتهما فاطمة البالغة من العمر ثلاث سنوات، وانتقل إلى دمشق. هنا حظي بمتسع من الوقت للتفكير، وأخبر أصدقاء له أنّ أخطاء كثيرة ارتكبت. عام ١٩٨٦، التقى غنوة عيتاوي، وهي معلمة شابة هربت من لبنان بعد الاجتياح الإسرائيلي سنة ١٩٨٢. فأمنت له الهدوء وتولت تربية فاطمة. فتزوجا عام ١٩٨٩ ورزقا ابناً يُدعى ذو الفقار في السنة التالية.

عادت بي نظير إلى باكستان عام ١٩٨٦، واستقبلتها حشود كبيرة أتت لتُظهر لها عاطفتها واستياءها من النظام. فقامت بجولة في كل أرجاء البلاد، وشعرت بشكل متزايد بأنّ امرأة شابة غير متزوجة ليست مقبولة كزعيمة !

عندئذ، قبلت عرض زواج تقدمت به عائلة زرداري، وتزوجت آصيف عام ١٩٨٧. وقد شعرت – آنذاك – بقلق من ألا يتحمل أي زوج تحمل فترات الافتراق التي تفرضها عليها حياتها السياسية الدائمة الترحال، لكن زرداري كان قادراً تماماً على إشغال نفسه.

بعد سنة انفجرت طائرة الجنرال ضياء الحق في وسط الجو. وفي الانتخابات التالية، فاز حزب الشعب الباكستاني بأكبر عدد من المقاعد، فتولّت بي نظير رئاسة الوزراء، لكنها كانت مطوقة من الجيش من جهة، ومن جهة ثانية من الرئيس غلام إسحق خان، وهو البيروقراطي المفضل لدى الجيش.

وتقول بوتو عن تلك المرحلة إنها كانت تشعر بعجزها عن التحرك. لم يسمحوا لها بالقيام بأي عمل. وكانت نصيحة بعض المقربين كما تقول: " أخبري الشعب. أخبريهم لم لا تستطيعين الوفاء بوعودك بتأمين التعليم المجاني، وتعزيز الصحة العامة بالشكل المناسب، والمياه النظيفة والخدمات الصحية لتحسين معدل موت الأطفال المرتفع ".

لم تخبرهم؛ في الواقع، لم تقم بأي عمل غير توظيف عدد من مؤيديها. وقد بدا أنّ وجودها في السلطة كان مصدر رضا كاف بالنسبة إليها. وبدأت بزيارات رسمية: فالتقت مثلاً – من بين من التقت بهم – برئيسة الوزراء البريطانية – آنذاك- مارجريت تاتشر وأعجبت بها.

في هذه الأثناء، كانت مؤامرات أخرى تُحاك. كانت المعارضة تشتري عدداً من أعضاء البرلمان الموالين لها. وفي أغسطس من عام ١٩٩٠، أقيلت حكومتها !

مع الوقت أعيد انتخاب بنازير بوتو عام ١٩٩٣، وكانت قد تخلّت عن كل أفكار الإصلاح، لكن استعجالها التحرك بدا واضحاً عندما عيّنت زوجها وزير الاستثمارات، ما جعله مسؤولاً عن كل عروض الاستثمارات من داخل البلاد ومن خارجها. ويشاع أنّ الثنائي حقّق ١,٥ مليار دولار أميركي. تحولت الإدارة العليا في حزب الشعب الباكستاني إلى آلة لجني المال، ولكن من دون أي آلية ليفيد منه صغار المستثمرين والمستهلكين.

عارض مرتضى بوتو الانتخابات من الخارج، وفاز بمقعد في الهيئة التشريعية في إقليم السند فعاد إلى موطنه، وعبّر عن عدم رضاه عن جدول أعمال أخته، فساد التوتر الاجتماعات العائلية. كان يتصف مرتضى بنقاط ضعف، لكنه لم يكن فاسداً، وعبّر عن تفضيله البيان الرسمي الراديكالي القديم للحزب. لم يخفِ رأيه بزرداري، إذ رأى أنه متطفل لا يهمه إلاّ المال. اقترحت نورسات بوتو أن يُعيَّن مرتضى كبير وزراء إقليم السند: فكان جواب بنازير عزل أمها من منصب رئاسة حزب الشعب الباكستاني. وتحول أي تعاطف ربما أحس به مرتضى حيال أخته إلى اشمئزاز منها. فلم يعد يشعر بأنه مجبر على ضبط لسانه، وراح يهاجم زرداري والنظام الفاسد الذي تترأسه أخته كلما سنحت له الفرصة. ولم يكن تكذيب الوقائع التي يقدمها بالأمر الممكن. وأسند مركز كبير الوزراء في إقليم السند إلى عبد الله شاه، وهو أحد أتباع زرداري. فبدأ بمضايقة مؤيدي مرتضى، فقرر هذا الأخير مواجهة الرأس

المدبر بنفسه. فاتصل بزرداري ودعاه لزيارته من دون حراس شخصيين لإجراء دردشة غير رسمية في محاولة لحل المشاكل ضمن العائلة. فوافق زرداري. وعندما كان الرجلان يسيران في الحديقة، ظهر أتباع مرتضى وأمسكوا بزرداري. ثم أحضر أحدهم موسى حلاقة حادًّا جدًّا وقليلاً من الماء الساخن، فحلق مرتضى نصف شاربي زرداري أمام بهجة أتباعه، ثم طلب منه أن يغرب عن وجهه. فأجبر زرداري، الذي يستشيط غضباً، على حلق النصف الآخر من شاربه، وكان على الأرجح يخشى الأسوأ بكثير. وأعلمت وسائل الإعلام المذهولة بأنّ الزوج حليق الشاربين قبل بنصيحة ذكية قُدمت إليه مفادها أنّ الشاربين جعلا منه هدفاً يسهل جداً التعرف عليه. ولكن في هذه الحالة، لماذا سمح بأن ينموَا من جديد مباشرة بعد حلقهما؟

بعد انقضاء بضعة أشهر، و في سبتمبر عام ١٩٩٦، فيما كان مرتضى ورجاله عائدين من اجتماع سياسي، وقعوا في كمين دبره لهم خارج البيت حوالى سبعين رجل شرطة مسلحين يرافقهم أربعة ضباط كبار، فيما تموضع عدد من القناصة في الأشجار المحيطة. وكانت أضواء الشارع قد أطفئت. وبدا واضحاً أنّ مرتضى فهم ما كان يجري، فترجل من سيارته رافع اليدين، وأبلغ حراسه الشخصيين بعدم فتح النار. ففتحت الشرطة النار وقُتل سبعة رجال، من بينهم مرتضى، وقد أطلقت الرصاصة القاتلة من مسافة قريبة. نُصب الكمين بعناية، ولكن كما تجري الأمور في باكستان، أظهر بوضوح عدم توخي الحذر في تنفيذ العملية - تزوير في سجلات الشرطة، وفقدان أدلة، وتوقيف شهود وإرعابهم، وإرسال المسؤول الإقليمي عن حزب الشعب الباكستاني (الذي يعدّ غير جدير بهذا المنصب) إلى مصر من دون بروز حدث موجب، وقتل الشرطة أشخاصاً مخافة فضح الأمور - أنّ قرار قتل شقيق رئيسة الوزراء اتخذ على مستوى عال جداً.

فيما كان الكمين يُعدّ، قطعت الشرطة الطرق المؤدية إلى بيت مرتضى (وهو البيت الذي خَطف منه والده مغاوير ضياء الحق عام ١٩٧٨). فشعرت العائلة داخله بأنّ ثمة خللاً ما. في تلك اللحظة، قررت فاطمة بوتو، وهي فتاة هادئة بشكل لافت

تبلغ الـ١٤ من العمر، أن تتصل بمنزل عمتها رئيسة الوزراء. لم يُنشر الحوار الذي تبع الاتصال في المذكرات، لكنها أخبرتني به منذ بضع سنوات. زرداري هو الذي أجاب على اتصالها:

فاطمة: أود التكلم مع عمتي من فضلك.

زردي: هذا غير ممكن.

فاطمة: لماذا؟ (في هذه اللحظة، تقول فاطمة إنها سمعت نحيباً قوياً وما بدا أشبه بتظاهر بالبكاء).

زردي: إنها في حالة هستيريا، ألا تسمعين؟

فاطمة: لماذا؟

زردي: ألا تعرفين؟ قتل والدك.

عرفت فاطمة وغنوة إلى أين نقل مرتضى واندفعتا خارج المنزل. كان الشارع خالياً من أي علامة تشير إلى وقوع حادث ما: نُظفت ساحة الجريمة من كل الأدلة. لم يبدُ أي أثر للدم أو إشارة إلى أي شغب. قادتا سيارتهما مباشرة إلى المستشفى، ولكن الأوان كان قد فات؛ فقد فارق مرتضى الحياة. عرفتا لاحقاً أنه تُرك ينزف في الشارع قرابة ساعة قبل نقله إلى المستشفى حيث لم تتوافر أي نوع من الخدمات للحالات الطارئة.

وعندما وصلت بي نظير لحضور مأتم شقيقها في لاركانا، رمت حشود غاضبة سيارة الليموزين التي كانت تقلها بالحجارة. فاضطرت إلى الانسحاب. وفي حادث آخر أظهرت فيه المشاعر بشكل غير اعتيادي، شجع السكان المحليون أرملة مرتضى على حضور احتفال الدفن الفعلي، ما يمثّل تحدياً للتقاليد الإسلامية. وفقاً لفاطمة، تقدم أحد أتباع بنازير بدعوى قضائية ضد غنوة في محكمة دينية لإخلالها بالشريعة الإسلامية. لم يعد شيء مقدس.

اعتُقل كل من شهد اغتيال مرتضى؛ ومات أحد الشهود في السجن. وعندما اتصلت فاطمة بي نظير لتسألها لماذا يُعتقل الشهود لا القتلة، قيل لها: " اسمعي، أنت يافعة جداً. لا تفهمين كيف تجري الأمور" . وربما لهذا السبب قررت العمة اللطيفة تشجيع أم فاطمة الطبيعية فوزية، التي كانت قد أعلنت في السابق أنها قاتلة تعمل في خدمة الجنرال ضياء الحق، على القدوم إلى باكستان والمطالبة بحضانة فاطمة. ولا يُخفى على أحد من دفع أجرة سفرها من كاليفورنيا. لكن فاطمة وغنوة بوتو قاومتا وفشلت المحاولة. فلجأت عندئذ بنازير إلى مقاربة ألطف، وأصرت على أن ترافقها فاطمة إلى نيويورك، حيث كانت ستلقي كلمة في الجمعية العمومية للأمم المتحدة. فطلبت غنوة بوتو مساعدة أصدقاء، وأمّنت خروج ولدَيها من البلاد. واكتشفت فاطمة لاحقاً أنّ فوزية شوهدت بصحبة بي نظير في نيويورك.

وفي نوفمبر عام ١٩٩٦، أبعدت بي نظير من جديد عن السلطة، وقام بذلك هذه المرة رئيسها فاروق ليغاري، وهو نصير قوي من أنصار حزب الشعب الباكستاني. وبرّر خطوته بالفساد، لكنه غضب أيضاً من المحاولة الوقحة التي قام بها جهاز الاستخبارات لابتزازه - فقد التقطت الاستخبارات صوراً لابنة ليغاري وهي تقابل صديقاً لها وهدّدت بنشرها. سقطت بي نظير الضعيفة، وقفز كبير وزراء إقليم السند، عبد الله شاه، إلى متن زورق مزود بمحرك، وفرّ من كراتشي قاصداً الخليج ومن ثم الولايات المتحدة.

عينت حكومة بي نظير محكمة قضائية للتحقيق في الظروف التي أدت إلى مقتل مرتضى. وبعدما ترأسها قاض من المحكمة العليا، أخذت أدلة مفصلة من كل الفرقاء. واتهم محامو مرتضى زرداري وعبد الله شاه وضابطين رفيعين في الشرطة بالتآمر لارتكاب الجريمة. اعترفت بي نظير، وقد أصبحت خارج السلطة، بوجود مؤامرة، لكنها افترضت أنّ " اليد الخفية المسؤولة عن ذلك هي الرئيس فاروق ليغاري "، وقالت: " كانت النية قتل فرد من عائلة بوتو للتخلص من فرد من عائلة بوتو». لم يأخذ أحد كلامها على محمل الجد. فنظراً إلى كل ما جرى، كان ذلك افتراضاً غير قابل للتصديق.

قالت المحكمة إنه لم يتوافر دليل قانوني مقبول يربط زرداري بالحادث، لكنها اعترفت بأنها " قضية اغتيالات خارجة عن اختصاص المحكمة نفذتها الشرطة"، واستنتجت أنّ مثل هذا الحادث لم يكن ممكناً أن يجري من دون موافقة أعلى المراكز. لم يحدث شيء. بعد أحد عشر عاماً، اتهمت فاطمة بوتو علناً زرداري؛ كما أنها ادعت أنّ العديدين من المتورطين بالعملية في ذلك اليوم بدوا كأنهم كوفئوا على عملهم.

وفي مقابلة تلفزيونية كان قد طُلب من بي نظير أن تشرح كيف حدث أنّ أخاها نزف حتى الموت خارج بيته فيما كانت رئيسة وزراء فخرجت من الاستوديو غاضبة دون أن ترد على السؤال . وفي مقالة لاذعة كتبتها في صحيفة " لوس أنجلوس تايمز" اكتفت بوتو بالجواب التالي عندما ووجهت بنفس السؤال : " ابنة أخي غاضبة مني". حسناً . ". نعم " .

4

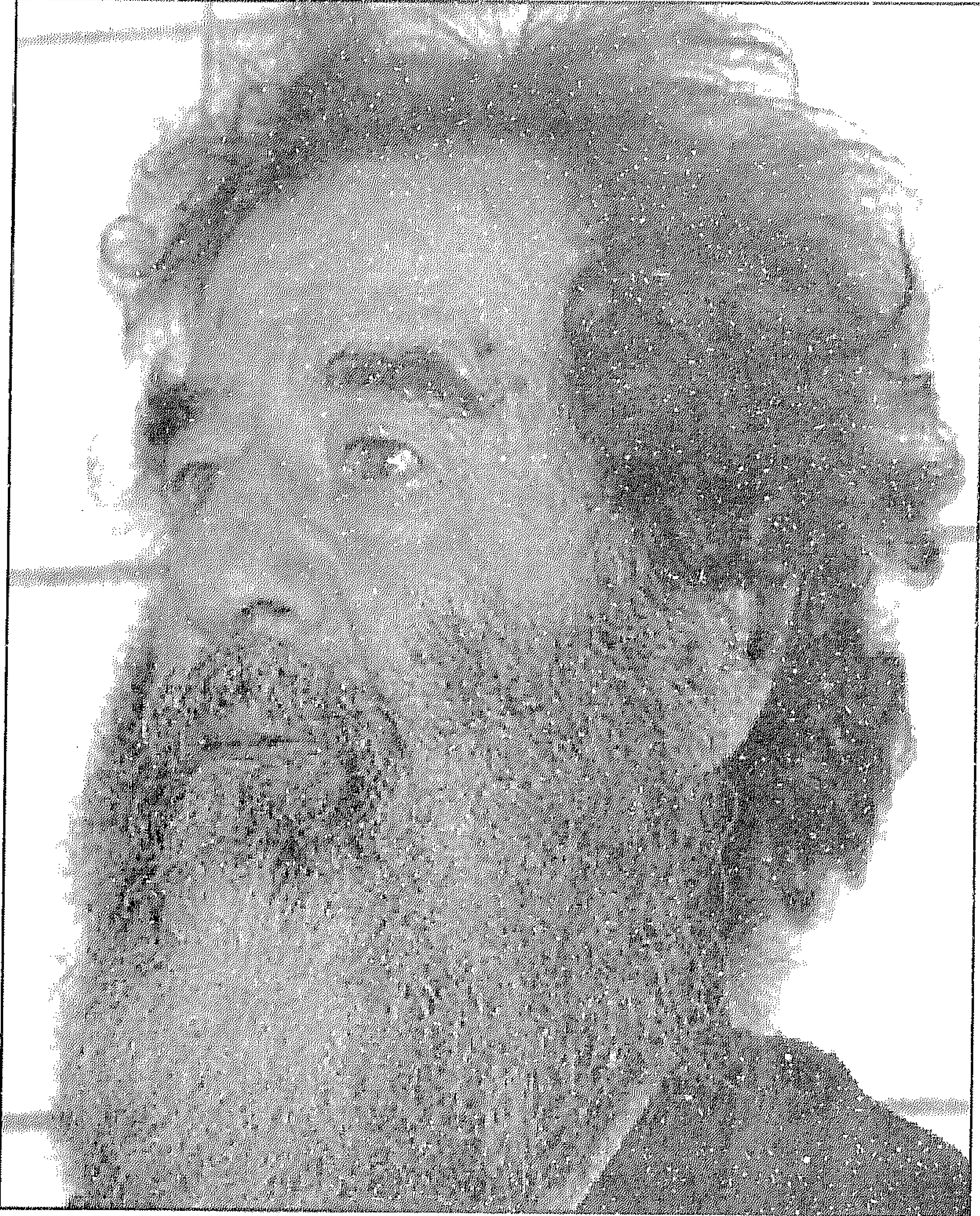
الفصل الرابع

لعنة آل صدام

بدايات ظالمة ونهايات كارثية

١ - صدام حسين ..

لعنة ما بعدها لعنة !!



•• هكذا آل إليه الحال بعد أن حلت اللعنة بالتقاطه من " حفرة العنكبوت " وهى التسمية، التي أطلقت على الحفرة التي كان يختبئ داخلها بعيداً عن أعين مطارديه الأمريكيين !!

لم تكن عائلة طاغية العراق الراحل سوى نموذج متقن للعنة العائلة عندما تحل فتأكل الأخضر واليابس في بلادها، و في محيطها الجغرافي، قبل أن تأكل أبناءها، وفي مقدمتهم رب العائلة أو عميدها .

لقد كانت هذه العائلة العراقية منذ وصول عائلها إلى السلطة بطريقة غير شرعية لعنة على العراق، و لعنة على الجارة إيران، و لعنة على الشقيقة الكويت، ولعنة على العرب، قبل أن تنقلب اللعنة عليها فيسقط أفراد العائلة الواحد تلو الآخر في أكبر عملية عقاب جماعي تتعرض له أسرة طاغية ربما في التاريخ !!

وقد بدأت اللعنة على يد مؤسس العائلة صدام حسين الذي لم يتورع عن قتل أقرب المقربين، قبل أن تمتد يد القصاص إليه هو شخصيًّا و من قبله بقليل ولداه عدي و قصي بعد أن ارتكبوا الثلاثة أبشع الجرائم التي يمكن أن ترتكبها عائلة حلت عليها في النهاية اللعنة !!

ارتقى صدام حسين إلى السلطة في العراق من طفل فقير ليصبح حاكماً مطلقاً، وقد تحوّل صدام عبر تاريخه الحافل بالأحداث من حليف للغرب إلى عدو يخشاه الغرب، وأصبح الرئيس العراقي صدام حسين منذ توليه السلطة وحتى سقوطه في أيدي القوات الأمريكية ومحاكته وإعدامه من الشخصيات المثيرة للجدل ليس عربياً بل عالمياً، بسبب جولاته وصراعاته التي ما يكاد ينهي أحدها حتى يبدأ صراعاً جديداً، فمن الطريقة التي وصل بها إلى السلطة عام ١٩٧٩ حتى حربه ضد إيران لثمان سنوات (١٩٨٠ - ١٩٨٨)، ومن غزوه للكويت عام ١٩٩٠، وخروجه بالقوة منها عام ١٩٩١ في حرب قادتها الولايات المتحدة وأطلقت عليها " عاصفة الصحراء "

عام ١٩٩١، وما توالى على العراق بعد ذلك من نكبات، من حصار اقتصادي دام نحو ١٢ عاماً حتى الغزو الذي قادته الولايات المتحدة وبريطانيا راح ضحيته وفقاً لبعض التقديرات نحو ١٢ ألف عراقياً !!

وحتى نتعرف على هذا الرجل أكثر نقترب من رحلة حياته من نشأته وحتى سقوطه . اسمه صدام حسين المجيد ولد في ٢٨ أبريل ١٩٣٧ بقرية العوجة بالقرب من مدينة تكريت - شمال غرب بغداد لأسرة سنية فقيرة، فأبوه حسين المجيد توفي قبل ولادته بعدة أشهر، فقامت على تربيته أمه وزوجها " إبراهيم حسن " الذي كان يمتهن حرفة الرعي .

بدأ صدام دراسته الابتدائية في مدرسة تكريت قبل أن ينتقل إلى مدرسة ثانوية في بغداد حيث أنهى تعليمه المتوسط، ثم حاول الالتحاق بأكاديمية بغداد العسكرية، لكن ذلك لم يحدث .

وقد تزوج صدام حسين للمرة الأولى عام ١٩٦٢ من ابنة خاله ساجدة خير الله طلفاح، وأنجب منها عديا وقصيا وثلاث بنات، تزوجت اثنتان منهما من الأخوين صدام وحسين كامل اللذين قتلا عقب دخولهما الأراضي العراقية، بعد عدة أشهر فرا خلالها إلى الأردن قبل أن يقررا العودة مرة أخرى إلى العراق، أما الثالثة فقد تزوجت من ابن وزير الدفاع الحالي سلطان هاشم أحمد، تزوج صدام مرة ثانية من سميرة شاهبندر صافي، التي تنتمي إلى إحدى الأسر العريقة في بغداد وأنجب منها علياً . ولصدام حسين عدد من الأحفاد يتجاوز عددهم الخمسة وكانوا دائمي الظهور معه في اللقاءات الاجتماعية العائلية .

بدأ صدام حياته السياسية كناشط شاب، لكنه ارتقى ليكون نائبًا لرئيس الجمهورية وممسكًا بزمام الأمور.

ففي عام ١٩٥٧ انتمى صدام حسين، القادم من قرية قرب تكريت شمالي العراق، إلى حزب البعث الذي كان يعمل سرًا في تلك الفترة في العراق والذي كان يبشر بفكرة الاشتراكية العربية.

وكانت بريطانيا تدير العراق في الفترة بين عام ١٩٢٠ و عام ١٩٣٢ بحكم نظام الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم، إلا أنها مارست دورًا سياسيًّا كبيرًا لفترة طويلة بعد تلك الفترة . إلا أن المشاعر المعادية للغرب كانت قوية .

وفي عام ١٩٥٩ شارك صدام حسين الشاب في محاولة فاشلة لاغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم، وهو الضابط الذي أطاح بالملكية في العراق وأقام النظام الجمهوري عام ١٩٥٨، وقد فر صدام حسين إلى مصر بعد فشل محاولة الاغتيال التي استهدفت حياة عبد الكريم قاسم الرئيس العراقي في تلك الفترة، لكنه عاد إلى العراق بعد أن تسلم حزب البعث السلطة في انقلاب عسكري عام ١٩٦٣، فبعد أن انتسب صدام إلى كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٦١، لم يكمل دراسته، وعاد إلى بغداد في أعقاب الانقلاب الناجح لحزب البعث في ١٤ يوليو ١٩٦٣، والذي أسفر عن الإطاحة بنظام حكم عبد الكريم قاسم وتنصيب عبد السلام عارف رئيسًا للجمهورية، الذي سرعان ما دب الخلاف بينه وبين قادة حزب البعث، وقام بانقلاب ضدهم في ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ . ولاحق قادتهم وسجن بعضهم وكان من هؤلاء صدام حسين، حيث نجحت الأجهزة الأمنية لعبد السلام عارف في إلقاء القبض على صدام في ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٤، وسجنه في زنزانة منفردة في مديرية الأمن ببغداد التي تعرض فيها للتعذيب، ثم قررت القيادة في عام ١٩٦٦ انتخابه أمين سر القيادة القطرية لحزب البعث، وهو لا يزال في سجنه، ولكن سرعان ما استطاع صدام الهرب من سجنه بالعراق داخل العراق نفسها، وتمكن بمساعدة بعض رفاقه تدبير خطة للهروب من السجن أثناء خروجه لإحدى جلسات المحاكمة، ونجحت هذه الخطة بالفعل واستطاع الفرار في ٢٣ يوليو ١٩٦٦ وتمكن من توثيق صلته بقريبه -رئيس الوزراء في عهد حزب البعث- أحمد حسن البكر.

في عام ١٩٦٦ وبعد فراره من السجن أنشأ نظامًا أمنيًّا داخل الحزب عرف باسم "جهاز حنين" كما تولى مسؤولية التنظيم الفلاحي والنسائي.

وقد خطط حزب البعث للاستيلاء على السلطة في العراق والإطاحة بعبد الرحمن عارف، الذي تولى الحكم خلفًا لأخيه عبد السلام الذي لقي مصرعه إثر سقوط طائرته العمودية، وكان لصدام دور مهم في التخطيط والإشراف على هذا الأمر، ونجح في الإطاحة بنظام حكم عبد الرحمن عارف، وكان صدام على رأس المجموعة المسلحة التي اقتحمت القصر الجمهوري .

تولى السلطة في العراق الفريق أحمد حسن البكر، وشغل صدام عمليًّا منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة بدءًا من ٣٠ يوليو ١٩٦٨ حتى عُيّن رسميا لهذا المنصب في ٩ نوفمبر ١٩٦٩ وكان يبلغ من العمر آنذاك ٣٢ عامًا إضافة إلى منصبه كمسؤول للأمن الداخلي.

وقد كان لصدام خلال توليه منصب نائب الرئيس دور مهم في العراق، حيث أقام صدام حسين، بصفته نائبًا للرئيس أحمد حسن البكر، أجهزة أمنية و بوليسية صارمة.

وقد أثارت سياسات كل من صدام والبكر قلقًا في الغرب . ففي عام ١٩٧٢، وفي أوج ذروة الحرب الباردة، عقد العراق معاهدة تعاون وصداقة أمدها ١٥ عامًا مع الاتحاد السوفيتي . كما أمم شركة النفط الوطنية، التي تأسست في ظل الإدارة البريطانية، والتي كانت تصدر النفط الرخيص إلى الغرب .

وقد استثمرت بعض أموال النفط عقب الفورة النفطية التي أعقبت أزمة عام ١٩٧٣، في الصناعة والتعليم والعناية الصحية، مما رفع المستوى المعيشي في العراق إلى أعلى مستوى في العالم العربي.

وفي عام ١٩٧٤، ثار الأكراد في الشمال بدعم من شاه إيران الذي تؤيده الإدارة الأمريكية. وقد دفع الصراع الحكومة العراقية إلى طاولة المفاوضات مع إيران، إذ

وافقت على تقاسم السيطرة على شط العرب -الممر المائي الواقع جنوبي العراق وجنوب غربي إيران- مقابل ذلك أوقف شاه إيران تقديم الدعم المادي للأكراد في شمال العراق، مما مكّن النظام العراقي من إخماد الانتفاضة الكردية .

وهكذا بدأ نجم صدام يتصاعد، بعد أن أصبح نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، وبدأ يمارس السلطة، كما لو أنه الرئيس الفعلي للبلاد، رغم وجود الرئيس أحمد حسن البكر على قمة السلطة، وأخذ دوره في حكم البلاد يكبر ويتوسع يوماً بعد يوم، وخاصة سيطرته على الحزب والأجهزة الأمنية، والمكتب العسكري . وبدا وكأن صدام يخطط لاستلام القيادة من البكر بحجة كبر سنه ومرضه .

وعندما حلت الذكرى الحادية عشرة للانقلاب البعثي في ١٧ يوليو ١٩٧٩، فوجئ الشعب العراقي بإعلان استقالة الرئيس البكر في ١٦ يوليو ١٩٧٩، وتولي صدام حسين قيادة الحزب والدولة، حيث أعلن نفسه رئيساً للجمهورية، ورئيساً لمجلس قيادة الثورة، وقائداً عامًّا للقوات المسلحة، وقد أشيع أن ذلك الانقلاب -الذي تولى صدام على إثره- جرى الإعداد له في دوائر المخابرات المركزية الأمريكية، وأن الانقلاب كان يهدف بالأساس إلى جملة أهداف تصب كلها في خدمة المصالح الأمريكية ومنها : إفشال أي تقارب بين سوريا والعراق و احتواء الثورة الإسلامية في إيران، وكذلك مكافحة النشاطات الشيوعية والإسلامية في البلاد .

في ١٦ يوليو ١٩٧٩ تولى صدام حسين قيادة حزب البعث في العراق ورئاسة الدولة، وشرع فيما وصف بتصفية الحسابات وتعزيز نفوذه وسلطاته الجديدة والقضاء على أصوات المعارضة حيث أعلن عن اكتشاف محاولة انقلابية يدبرها بعض قادة حزب البعث في العراق، كان من بينهم خمسة من القيادة القطرية لحزب البعث في العراق، وألقي القبض على المدبرين وحوكموا محاكمة عسكرية انتهت بإعدام ١٧ من قادة وكوادر الحزب، واستمرت الحملة التي أطلق عليها وقتها حملة التطهير فشملت قرابة ٤٥٠ من قادة الجيش .

وفي ذلك الوقت اندلعت في إيران ثورة شعبية قادها الخميني نجحت في الإطاحة بنظام حكم الشاه وإعلان إيران جمهورية إسلامية، وقد أبدى الغرب عمومًا والولايات المتحدة خصوصًا تخوفهم من هذه الثورة ورغبوا في القضاء عليها، وكذلك أبدى صدام قلقه من احتمال امتداد تأثيرها إلى داخل الأراضي العراقية خاصة وسط الشيعة والأكراد .

قرر صدام الدخول في حرب ضد نظام الحكم الجديد في إيران، ومن ثم ألغى الاتفاقية الخاصة بشط العرب، ثم كانت الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثمان سنوات (١٩٨٠ - ١٩٨٨) والتي قتل خلالها أكثر من مليون شخص من الجانبين، وقدرت الخسائر المباشرة وغير المباشرة لهذه الحرب بعدة مليارات من الدولارات (٨٠٠ مليار دولار تقديرات غير رسمية) هذا غير ما خلفته هذه الحرب وراءها من مئات الآلاف من الأسر التي فقدت عوائلها، وكذلك مئات الآلاف من الأسرى والجرحى والمعاقين إضافة إلى اقتصاد منهك وآثار للدمار في كل مكان .

تقاربت العلاقات بين الغرب والعراق في فترة الحرب، وبلغ هذا التقارب ذروته بتدخل الغرب في الحرب إلى جانب العراق .

كان الغرب يخشى من تزايد قوة النظام الإسلامي للثورة الإيرانية وأراد أن يحول دون انتصار إيران في الحرب، وأزالت الولايات المتحدة العراق من على قائمة الدول الراعية للإرهاب عام ١٩٨٢ .

وبعد عامين أعادت علاقاتها الدبلوماسية مع بغداد بعد أن كانت قد قطعتها منذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ بين العرب وإسرائيل .

وكان الاتحاد السوفييتي -الحليف الرئيس للعراق- هو المصدر الرئيس لأسلحته، إلا أن عدة دول غربية من بينها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة أمدت العراق بالأسلحة والمعدات العسكرية، كما تبادلت واشنطن المعلومات الاستخباراتية مع نظام صدام حسين.

إلا أن فضيحة إيران-كونترا، التي تتلخص في الكشف عن قيام الولايات المتحدة ببيع أسلحة إلى إيران سرًّا أملاً في الحصول على مساعدة إيران في إطلاق سراح رهائن في لبنان، أثارت خلافًا بين الولايات المتحدة والعراق .

وفي المراحل النهائية من الحرب، حول العراق وإيران نيران أسلحتهما إلى ناقلات النفط التجارية في الخليج لتخريب مكاسب كل منهما من الصادرات النفطية، وأرسلت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا سفنها الحربية إلى الخليج لترافق عدة ناقلات نفط كويتية كانت تواجه هجمات إيرانية كما وضعت عليها أعلامًا أمريكية.

في ١٨ يوليو عام ١٩٨٨ وافقت إيران على هدنة اقترحتها الأمم المتحدة في مواجهة الهجمات العراقية المستمرة والمدعومة من الغرب.

وبدأ سريان وقف إطلاق النيران في ٢٠ أغسطس عقب شهر من الموافقة الإيرانية، وأرسلت الأمم المتحدة قوات دولية لحفظ السلام.

وبنهاية الحرب لم تتغير حدود البلدين تغييرًا كبيرًا لكن كلا من العراق وإيران شعرتا بثقل التكاليف البشرية والاقتصادية الهائلة لثمانية أعوام من الحرب .

وحصدت الحرب أرواح نحو ٤٠٠ ألف شخص من الجانبين كما خلفت نحو ٧٥٠ ألف مصاب. وكانت جثث ضحايا الحرب لا تزال تكتشف حتى عام ٢٠٠١.

وتقدر قيمة الخسائر الاقتصادية وخسائر عائدات النفط لكل من البلدين بأكثر من ٤٠٠ مليار دولار.

إلا أنه بعد ثلاثة أعوام من انتهاء الحرب وفي عام ١٩٩١ وبعد شهر واحد من الغزو العراقي للكويت وافق العراق على الالتزام باتفاقية عام ١٩٧٥ التي وقعها مع إيران.

في الساعة الثانية صباحًا تدفقت القوات العراقية عبر الحدود إلى الكويت وسيطرت على مدينة الكويت العاصمة.

وتغلبت القوات العراقية سريعًا على القوات الكويتية الصغيرة العدد نسبيا. وزعم الرئيس العراقي صدام حسين أن الغزو تأييد لانتفاضة مزمعة ضد أمير الكويت، وجاء الغزو وسط أزمة اقتصادية حادة يعيشها العراق بسبب الديون التي تراكمت عليه عقب انتهاء حربه مع إيران.

واتهم صدام حسين الكويت بتعمد تخفيض أسعار النفط وضخ كميات أكبر من حصتها من النفط من الحقول النفطية المشتركة بينهما. وأنه عندما رفضت الكويت إلغاء ديون الحرب العراقية قرر صدام حسين غزوها، وفرضت الأمم المتحدة عقوبات اقتصادية على العراق وأصدر مجلس الأمن عددًا من القرارات التي تدين بغداد.

وقد حاولت الكثير من الدول العربية منها دول خليجية إضافة إلى الأردن ومصر التوسط لحل هذه الخلافات غير أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل بسبب أن صدام كان يعتزم حسمها بالقوة المسلحة. وفي نوفمبر عام ١٩٩٠ مع فشل المحاولات الدبلوماسية لحل الأزمة وضعت الأمم المتحدة مهلة للعراق للانسحاب من الكويت وفوضت باستخدام "جميع السبل الضرورية" لإجبار العراق على تنفيذ القرارات الدولية.

وشكل تحالف دولي شارك فيه عدة دول واحتشد مئات الآلاف من الجنود في منطقة الخليج، ووضعت الولايات المتحدة خطة عسكرية للحرب بقيادة الجنرال " نورمان شوارتسكوف " قائد أركان القيادة المركزية الأمريكية .

وقد أغرى صدام وجود جيش عراقي مدرب قضى ثمان سنوات في حرب ضروس ضد إيران، وإشارة من الولايات المتحدة فهم منها أن الإدارة الأمريكية لن تتدخل في حل الخلاف بينه وبين الكويت واعتبر ذلك بمثابة ضوء أخضر لعملية الغزو التي كان يخطط لها والتي فاجأ العالم بها يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠، وقد أعلن الكويت المحافظة

التاسعة عشرة وعين عليها حاكمًا عسكريًّا تابعًا له بعد أن أصبحت القيادة الشرعية للكويت خارج البلاد.

وأجبر الجيش العراقي على الانسحاب مخلفًا وراءه دمارًا واسعًا في البنية الأساسية شملت -على سبيل المثال- تدمير محطات الكهرباء والمياه وإشعال النيران في آبار النفط وأخذ بعض الأسرى إضافة إلى الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها العالم العربي حتى الآن النفسية السلبية التي نجمت عن هذا الغزو.

عقب اجتياح العراق للكويت اتخذ مجلس الأمن العديد من القرارات التي تطالبه بالانسحاب الفوري دون قيد أو شرط وإعادة الممتلكات الكويتية ثم تصاعدت هذه العقوبات لتشمل فرض الحصار الاقتصادي وتدمير ترسانة العراق من أسلحة الدمار الشامل وضمان عدم تطويرها في المستقبل، وأضافت الولايات المتحدة إلى هذه الإجراءات جعل منطقتين في الشمال ذات الأغلبية الكردية والجنوب ذات الكثافة الشيعية منطقتي حظر جوي.

وقد بقيت العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والعراق متوترة بعد حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) . ونتيجة للحرب فقد فرض مجلس الأمن حصارا اقتصاديا شاملا على العراق .

وعانى العراقيون من أقسى فترات الحياة من نقص المواد الاساسية الغذائية والمستلزمات الصحية إلى جانب أن نظام صدام في هذه الفترة قد زاد من ضغوطه على أبناء الشعب مما اوقع الشعب العراقي بين مطرقة نظام صدام وعقوبات الامم المتحدة أما على الصعيد الخارجي، فقد زادت عزلة الحكومة العراقية التي كانت تتصرف بتهور كبير، رغم كل الازمات نتيجة لهذه السياسات فقد أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية أول هجوم صاروخي منذ نهاية الحرب مستهدفة مركز الاستخبارات العراقية في بغداد في ٢٦ يونيو ١٩٩٣. متذرعة بالخرق المتكرر لمنطقة

الحظر الجوي المفروضة بعد حرب الخليج والتوغلات في الأراضي الكويتية. وقد خمّن البعض ان يكون لها علاقة بتهمة اضطلاع العراق بتمويل مخطط لاغتيال رئيس الولايات الأمريكية السابق جورج بوش.

بدا صدام في عام ١٩٩٧ ببيع النفط مقابل الغذاء والدواء وفق قرار مجلس الأمن ٩٨٦ لكن هذا لم يكن ليشكل سوى ١٠ إلى ٤٠٪ من إنتاج العراق النفطي الحقيقي في ١٦ ديسمبر ١٩٩٨ شنت الولايات المتحدة مع بريطانيا عملية ثعلب الصحراء متذرعة برفض الحكومة العراقية الاستجابة لقرارات الشرعية الدولية.

في عام ١٩٩٨ أقر الكونغرس الأمريكي قانون " حرية العراق " الذي أتاح الإمكانيات المادية والمعنوية للمعارضة العراقية في الخارج لإسقاط نظام حكم صدام حسين وخوّل الادارة الاميركية اتخاذ كل الاجراءات لتحقيق هذا الهدف، تم ذلك في فترة الرئيس الامريكي بيل كلينتون وعندها بدء التحضير وتم صرف المبالغ للقوى العراقية المعارضة في الخارج.

وبعد تولي الرئيس الحالي جورج بوش الرئاسة فقد بدأ عندها عهد جديد تحولت فية السياسة الأمريكية من المساعدة المادية والدعم اللوجستي للقوى المعارضة العراقية إلى التدخل العسكري المباشر متحالفةً مع بريطانيا. ولكن أحداث ١١ سبتمبر كانت قد دشنت عهدا جديدا في أمريكا واصرت الإدارة الأمريكية على اسقاط نظام صدام وفي ٢٠ مارس ٢٠٠٣ تحركت القوات الأمريكية البريطانية في سعيها نحو ما تم تسميته ب (حرية العراق) ليتم إسقاط نظام صدام في ٩ إبريل ٢٠٠٣.

وبقيت أخبار صدام مجهولة في الأسابيع الأولى بعد سقوط النظام وانتهاء العمليات الرئيسية للحرب. تم التبليغ عن عدّة مشاهدات لصدام بعد الحرب ولكن أيا منها لم يكن مثبتا. سلسلة من التسجيلات الصوتية المنسوبة لصدام تم نشرها في اوقات مختلفة، ولكن مصداقية هذه التسجيلات لا تزال محط تساؤل.

تم وضع صدام على قمة لائحة المطلوبين، وتم اعتقال العديد من أفراد النظام العراقي السابق، ولكن الجهود الحثيثة للعثور عليه بائت بالفشل. أبناءه وخلفاءه المتوقعون، عدي وقصي صدام حسين، قتلوا في ٢٣ يوليو ٢٠٠٣ أثناء إشتباك عنيف مع القوات الأمريكية في الموصل.

قام الحاكم المدني في العراق بول بريمر بالإعلان رسميا عن القبض على صدام. تم القبض على صدام بحدود الساعة الثامنة والنصف مساء بتوقيت بغداد بتاريخ ١٣ ديسمبر ٢٠٠٣ وهو مختبئ بما عرف بحفرة العنكبوت قرب قضاء الدور في محافظة تكريت مسقط رأسه.

وبعد احتجاز دام أكثر من عام بدأت محاكمة صدام وعدد من معاونيه على رأسهم أخوه غير الشقيق برزان التكريتي في أولى الاتهامات التي وجهت له والتي تعلقت بعمليات إعدام ١٤٨ شخصا في بلدة الدجيل الشيعية في أعقاب محاولة لاغتياله في عام ١٩٨٢.

ووجهت انتقادات شديدة لمحاكمة الرئيس العراقي السابق باعتبارها ضربا من الانتقام يمارسه الامريكيون المنتصرون، واستشهدوا لاثبات حجتهم بالاهتمام الكبير الذي اولته الولايات المتحدة لهذه المحاكمة.

لم يعترف صدام بشرعية المحكمة في بداية المحاكمة، ورفض ذكر اسمه في بدايتها إلا أنه خضع للأمر الواقع وبدأ في التعاون مع المحكمة. ودافع عن صدام، نجيب النعيمي وزير عدل دولة قطر السابق ورمزي كلارك وزير عدل الولايات المتحدة السابق. والمحامي العراقي خليل الدليمي والمحامية اللبنانية بشرى الخليل والمحامي الأردني عصام الغزاوي .

فقد اتهموا الحكومة العراقية بالتدخل في سير المحاكمة، وهو اتهام أيدتهم فيه جماعة هيومان رايتس ووتش الأمريكية لحقوق الإنسان.

وشهدت محاكمة صدام استبعاد قاضيين في قضيتي الدجيل والأنفال بعد اتهامهما بالتعاطف معه.

وقد انتهت المحاكمة بصدور الحكم بإعدامه شنقا إلى جانب كل من أخيه برزان ورئيس محكمة الثورة إبان حكم صدام، عواد حامد البندر.

وجاء حكم الإعدام على صدام بينما كان لا يزال يحاكم في قضية أخرى تتعلق بعملية الأنفال التي تتعلق اتهاماتها باستخدام نظام صدام الأسلحة الكيماوية ضد الأكراد شمالي العراق عام ١٩٨٨.

وقد قوبل الحكم على صدام بترحيب عالمي وخاصة من الولايات المتحدة ولكن الاتحاد الأوروبي ومنظمات حقوق الإنسان تحفظت على الإعدام كعقوبة.

وفي يوم الأحد الخامس من نوفمبر لعام ٢٠٠٦ حكم على صدام حضوريا في قضية الدجيل بالإعدام شنقا حتى الموت .

ومع بزوغ شمس أول أيام عيد الأضحي المبارك وقبل أن تغرب شمس عام٢٠٠٦ نفذت الحكومة العراقية حكم الإعدام شنقا بالرئيس العراقي المخلوع صدام حسين اثر إدانته في مذبحة الدجيل التي لقي فيها١٤٨ قرويا شيعيا مصرعهم في ثمانينيات القرن الماضي.

جرى تنفيذ حكم الإعدام الذي أصدرته المحكمة الجنائية العراقية في٥ نوفمبر وأيدته محكمة التمييز في٢٦ ديسمبر في مديرية الاستخبارات العسكرية السابقة بمنطقة الكاظمية ببغداد والتي شهدت في عهد صدام اعدام الآلاف من العراقيين.

عملية إعدام صدام اجريت مابين الساعة٥,٣٠ و٥,٤٥ صباحا وان وفاته كانت سريعة للغاية ما إن انفتح باب في الأرض تحت قدميه.

وقبل دقائق من تنفيذ الإعدام حيث بدا هادئا للغاية ولم يرتجف في البداية لدي اقتياده إلى القاعة الصغيرة التي نفذ فيها الحكم على أيدي ستة حراس وكان

مرتديا سترة وسروالا أسودين وحذاء أسود وكان مقيد اليدين ومكبلا بالأغلال ويحمل معه مصحفا.

وبعد أن دخل صدام القاعة أجلسوه على مقعد وقرأ عليه أحد القضاة الحكم لكن عندما شاهد الرئيس المخلوع الكاميرا تدخل لتسجيل الحدث بدأ يردد عبارات كالتي كان يرددها في المحكمة مثل الله أكبر وعاشت الأمة وفلسطين عربية !!

وبعد أن أبلغ صدام بوصيته طلب منه أن يتلو الشهادة قبل أن يستسلم لجلاديه الملثمين اللذين وضعا الحبل حول رقبته ودخل صدام في مشادة معهما لرفضه وضع غطاء أسود على رأسه لكنه انصاع لهما في لحظة بدا فيها صدام ضعيفا جدا بشكل لا يتصور.

وقام أحد الجلادين بجذب ذراع في المشنقة فسقط صدام نصف متر بعد فتح باب تحت قدميه وسمع صوت عنقه يُدَق على الفور وسالت الدماء على الحبل وتركت الجثة معلقة في المشنقة نحو١٠ دقائق قبل أن يؤكد الطبيب وفاته ثم رفع من المشنقة ووضع في كيس أبيض.

ولم يحضر الإعدام أي من رجال الدين حيث لم يطلب صدام حضور أحدهم وأنه لم تكن له طلبات أخيرة، وقد ظل الحاضرون صامتين وهم يشاهدون عملية الإعدام لكنهم تبادلوا التهاني بعد تأكيد وفاته.

وقد تم إعدام صدام وحده ، أما المدانان الآخران أخوه غير الشقيق برزان التكريتي رئيس المخابرات السابق وعواد البندر رئيس المحكمة الثورية السابق فقد أرجئ تنفيذ حكم الإعدام فيهما إلى مابعد عيد الأضحى.

وقد أذاع التليفزيون الرسمي العراقي وبعض الفضائيات العربية والغربية لقطات لعملية الاعدام بعد تنفيذها في حين عرضت قناة بلادي العراقية الخاصة جثة صدام مغطاة بكفن أبيض وممددة على سرير وظهر منها الجانب الأيسر من وجهه، وتحظي تلك القناة بدعم احد التيارات الشيعية النافذة في البلاد .

وأشار موفق الربيعي مستشار الأمن القومي العراقي – آنذاك – في تصريحات لقناة العراقية الحكومية إلى انه تم التعجيل بتنفيذ الاعدام في صدام قبل الدخول في أيام العطلة الرسمية.ورفض الربيعي الانتقادات بأن تنفيذ الاعدام تم يوم العيد قائلا: ان العيد يبدأ مع شروق الشمس وان صدام اعدم قبل الشروق(وأعرب عن اعتزازه بالطريقة التي تم بها اعدام صدام لأنها تمت بالشكل اللائق وطبقا للشعائر الاسلامية والعراقية.وأشار إلى انه سيتم تطبيق كامل للشعائر الاسلامية في عملية الغسل ثم لفه في الكفن ثم الصلاة عليه ثم دفنه بكل احترام ووضع حراسة على قبره. وقال الربيعي إن صدام هو مواطن عراقي وليس هناك أي مشكلة في دفنه بالعراق بل إن هذا من حقه. وعن مطالبة بعض أفراد عائلته بدفنه في اليمن، قال الربيعي إن الجسد هو ملك للعائلة وان الحكومة العراقية ستحترم رغبتهم.

ورأي الربيعي في النهاية أن إعدام صدام هي قضية إقامة للعدل مشيرا إلى مئات الآلاف من اليتامي والأرامل في حلبجة والأنفال والحرب مع إيران وغزو الكويت.

وأكد أن توقيت الإعدام جاء بالتنسيق بين الجانبين العراقي والأمريكي، وأن الجانب العراقي طلب تنفيذها أمس بالذات الذي صادف أول ايام عيد الأضحي للسنة بينما اليوم الأحد أول أيام العيد للشيعة وبالتالي يكون الجميع منشغلين مما يقلل من الضغوط التي قد تتعرض لها الحكومة العراقية من جانب بعض الدول العربية والإسلامية.

وقد شهدت الأحياء الشيعية في بغداد مواكب أفراح واطلاق نار ابتهاجا برحيل صدام الذي ذاق الشيعة في عهده الأمرين لكن ذلك لم يمنع بعض المواطنين من التشكيك في حقيقة إعدامه التي اعتبروها صورية.

وبالرغم من إعلان الحكومة العراقية عن خطة أمنية استثنائية تحسبا لأعمال عنف انتقامية من جانب السنة وأنصار صدام شملت فرض حظر في مدينة الرمادي كبرى مدن محافظة الأنبار ومعقل المسلحين في غرب العراق كما أغلقت مدينة

تكريت مسقط رأس صدام، إلا أن ٣٠ شخصا لقوا مصرعهم وأصيب العشرات إثر انفجار سيارة ملغومة بإحدى الأسواق في مدينة الكوفة جنوب العراق وبدت بغداد هادئة وشبه خالية ولزم المواطنون منازلهم تحسبا لأعمال انتقامية.

وشهد عملية الإعدام ٢٠ شخصا بينهم ممثلون عن الحكومة والقضاء العراقيين على رأسهم موفق الربيعي مستشار الأمن القومي، وذكرت أنباء غير مؤكدة أن رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي حضر عملية الإعدام.

ولكن ماذا حدث فى غرفة الإعدام ؟ .. يقول شهود الواقعة إنه بينما كان وثاق الحبل يشد على عنق صدام قبل إعدامه، يقول صدام: "يا الله".

وبعدها يبدأ صدام حسين بتلاوة الشهادتين: " أشهد أن لا إله وأشهد أن محمدا رسول الله" واللتين يتلوهما المسلم عادة عندما يعرف أن منيته قد أزفت.

ثم يسمع صوت جلبة، ويكرر صدام تلاوة الشهادتين، وقبل أن يكمل الشطر الثاني منها، يسمع صوت مدو يهوي معه جسد صدام ويختفي في فتحة تحت قدميه، وهنا تتعالى أصوات الحاضرين: " اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد. "

ويسارع أحد الحاضرين إلى الهتاف بكلمتين: " سقط الطاغية. " وهنا تسود أصوات هرج ومرج، وبدا أن الحاضرين يسرعون إلى أسفل منصة الشنق لتفقد جثمان صدام الذي بدا رأسه متدليا تحت سطوع نور الكاميرات ناظرا لأعلى وقد التف حبل المشنقة حول رأسه.

وبينما كان بصيص بريق الحياة يخبو من عينيه سريعا وأثار دماء تغطي وجهه صاح أحد الحاضرين (على ما يبدو أنه طبيب) بالبقية ليتركوه خمس أو ست دقائق للتأكد من وفاته.

وهنا يتواصل صياح الحاضرين وتلمع في المكان أضواء الكاميرات تلتقط صورا لجثمان صدام والروح تفارقه، وتتعالى أصوات بعضهم تحث آخرين على عدم الاقتراب.

ولاحقا بدت جثة صدام ممددة على الأرض ملفوفة بكفن أبيض، بينما ظهر أنه وضع على طرفه الأيسر وقد فارق الحياة، لتطوى بذلك مرحلة من مراحل العراق.

وقد تباينت الآراء حول الاعدام، لم يؤيده علنا إلا الولايات المتحدة، واستراليا، وإسرائيل، اما الكويت فقد اعتبرت الأمر شأنا عراقيا، الفاتيكان استنكره واعتبره فاجعة، و الاتحاد الاوروبي اعتبره خطأ فادحا، روسيا ادانت الولايات المتحدة رسميا لعدم الاصغاء للمجتمع الدولي، على الصعيد العربي تحفظت معظم الدول العربية على التعليق إلا ليبيا أعلنت الحداد، السعودية استهجنت واستغربت إعدامه فجر عيد الأضحى فيما يبدو تلويحا ضد المسلمين وذكرت في بيان رسمي أن المحكمة باطلة كونها أنشئت في ظل إحتلال وإعدامه قد يؤجج الصراع الطائفي في العراق وذكر البيان بأن محاكمة رئيس دولة حكم أكثر من ٣٠ عاماً تمت بسرعة وبطريقة هزلية وغير قانونية . ونفس الموقف عبر عنه رئيس أفغانستان كرزاي وبيان مصر،ماليزيا التي تتولى منظمة المؤتمر الاسلامي استنكرت الاعدام وشن ريئس وزرائها السابق مهاتير محمد هجوما على أمريكا واصفا الإعدام بهمجية جديدة للرئيس بوش، حماس التي تتولى رئاسة الوزراء بفلسطين اعتبرته اغتيالا سياسيا وكذلك حركة الإخوان المسلمين وجميع فصائل المقاومة بفلسطين .

وقد أثار الفيلم الذي يصور عملية إعدام صدام جدلاً واسعاً في أنحاء العالم كله لبشاعته و دمويته .

وقد أصدرت الحكومة العراقية أوامر بتحقيق حول من قام بتصوير هذا الفيلم ومن هم الأشخاص الذين هتفوا في غرفة الإعدام.

كما أمرت باغلاق قناة الشرقية وقناة الزوراء اللتين عرضتا الشريط بحجة التحريض.مساعد المدعي العام اكد أن الذين صوروا الفلم بكاميرا هاتف متحرك كانا مسؤولين رفيعي المستوى شهدا الإعدام، رسميا لم يعلن عن أن مسؤول حضر الإعدام باستثناء موفق الربيعي مستشار رئيس الوزراء، قال مساعد المدعي العام

للجزيرة انه هو من قال ارجوكم الرجل في اعدام ردا على الهتافات العدائية والاستفزازية لبعض من شهد الاعدام وهم ثلاثة عشر رجلا.

وقد دفن صدام في مسقط رأسه بالعوجة- محافظة تكريت، حيث قامت القوات الأمريكية بتسليم جثته لثلاثة أفراد من المحافظة أحدهم شيخ عشيرة البو ناصر التي ينتمي لها،وتم إغلاق منافذ البلدة لحين الانتهاء من الصلاة عليه ودفنه،حسب شهادة ابن عمه في مقابلة مع الجزيرة، وأظهر ابن عمه آثار كدمات على وجهه لم تظهر قبل إعدامه في إشارة إلى أنه تعرض للضرب بعد استشهاده .. خرجت جماعات متفرقة في تكريت والمدن العراقية لتأبينه، فيما تم تأبينه في عمان بمظاهرة كبيرة شاركت فيها ابنته رغد .

ويجمع علماء النفس أن صداماً شأنه شأن كثير من طغاة التاريخ، الذين جمعوا في شخصياتهم صفات مشتركة مكنت علماء النفس والاجتماع من تصنيفهم تحت اسم" البارانويا "أو "الشخصية البارانوية " الملوثة بسمات سيكوباتية ونرجسية!!

صدام كان يسخر كل إمكاناته، ويستغل إمكانات من حوله في سبيل الوصول إلى مركز يمكنه من السيطرة والتحكم والانتقام والتشفي، فهو دائماً شديد الحسد، شديد الغيرة، لا يطيق أن ينافسه أو يطاوله أحد . وهو يبالغ كثيراً في تقدير ذاته وقدراته ولديه شعور بالعظمة والأهمية والتفرد، وفي المقابل يحط كثيراً من قيمة الآخرين، ويسفههم ويميل إلى لومهم، وإلصاق الدوافع الشريرة بهم .

ومن صفات صدام:

* العجز عن الولاء الدائم للأشخاص أو المجموعات أو القيم الاجتماعية أو الدينية إلا بقدر ما تحقق له من مصالح ذاتية مرحلية، ثم سرعان ما ينبذ هذا الولاء أو يدوسه بقدميه.

* المبالغة في الأنانية فيسخر كل شئ لتضخيم ذاته.

* التبلد في الشعور مما يمنحه قسوة حتى على أقرب الأقربين له.

* النزوية وعدم المسئولية، مما يدفعه لمغامرات خطرة العواقب.

* انعدام الشعور بالذنب، وهذا يجعله يتمادى في قسوته إلى آخر الطريق.

* القدرة على تقديم تبريرات ظاهرة الوجاهة والإقناع لما يقدم عليه من تصرفات.

وكان صدام يشعر في قرارة نفسه أنه زعيم ملهَم قادته الأقدار وهيأت له الظروف لكي تتحقق على يديه المعجزات ولم لا وهو سليل بيت النبوة (كما يرى هو) وولد في العراق أرض النبوات ومركز الخلافة ورعي الغنم في صغره وتعلم السباحة والرماية وركوب الخيل ومات أبوه قبل مولده ومات جده وهو في الثانية من عمره .

وقد حمل صدام الكثير من الألقاب التي تجسد هذه السمات النرجسية ومنها : الرئيس المهيب، الفارس، الرفيق المغوار، المناضل، بطل التحرير، المجاهد، القدوة، باني العراق، صانع النصر، بطل السلام، الساجد، السامر، المؤمن .. إلخ .

وكان صدام يرى في أفعاله بطولات وفتوحات عظيمة ويخلع عليها التسميات المناسبة لها في نظره، فقد أطلق على حرب الخليج الأولى مع إيران لقب " قادسية صدام " وأطلق على حرب الخليج الثانية لقب " أم المعارك " وأطلق على المعركة الأخيرة مع أمريكا " أم الحواسم " .

وكانت حياة صدام عبارة عن صدامات متكررة مع كل من حوله . وكانت هذه الصدامات تصل إلى مستويات دموية على المستوي الفردي والدولي . فكان على المستوى الفردي حين يحتد النقاش بينه وبين أحد يقوم هو بإنهائه بمسدسه، حتى قيل أنه قتل في بغداد وحدها –بشكل مباشر أو غير مباشر – ما يصل إلى ٤١ ألف شخص .

أما على المستوى الدولي، فقد اتسمت علاقاته بالصراع والصدام حتى وصل إلى حالة من العزلة الدولية التامة، وهو يعتقد اعتقاداً جازماً غير قابل للمناقشة ودائماً على حق، وأن الآخرين يسببون له المشاكل .

كما أصبح صدام لا يرى الواقع كما هو وإنما كما تصوره له معتقداته الخاطئة، ولذلك كانت حساباته دائماً خاطئة، وقد تسبب من خلال صراعاته الدولية في موت ما يقرب من مليون شخص في الحروب الخاسرة التي خاضها .

كانت شخصية صدام لا تحمل ولاءً لأحد بل تبحث دائماً عن اللذة الشخصية دون مراعاة مشاعر أو احتياجات الآخرين، وهي شخصية لا تحترم النظم والقوانين وتخترقها إذا سنحت الفرصة لذلك، و لا يتعلم من أخطائه، ولا يشعر بالذنب، ولذلك يعاود ارتكاب الأخطاء مرة بعد أخرى دون أن يستفيد منها، وهو شخصية قاسية لا يشعر بآلام الآخرين ومعاناتهم، ويسخر كل شيء لخدمة أهدافه ومصالحة الشخصية !!

وكان صدام دائماً في صراع مع رموز السلطة . فحاول اغتيال عبد الكريم قاسم، وبعد ذلك أزاح أحمد حسن البكر من طريقه، ودخل في صراع مع ريادة مصر للأمة العربية، وكون ما سُميَ بمجموعة " الصمود والتصدي " بهدف عزل مصر، ودخل في صراع بعد ذلك مع أمريكا كرمز للسلطة والقهر والعدوان، يجدد لديه جرحه القديم مع إبراهيم الحسن زوج أمه العدواني القاسي .

ومن هنا كان اشتباك صدام الدائم مع السلطة بكل أشكالها ورموزها وخروجه على النظام العام وعلى الأعراف والتقاليد العربية والدولية .

ولم يتردد صدام في سحق أي مظهر من مظاهر المعارضة الداخلية . وتنتشر الروايات عن الإعدامات الجماعية والسجون الممتلئة . وكان صدام قد قال لصحافي غربي إن هذه الأعمال ردود أفعال طبيعية ضد أولئك الذين يعارضون حكومته .

وقد أمر باستخدام القوة الفظة لقمع الشيعة والأكراد داخل العراق . وفي ما يتعلق بالأكراد استخدم الأسلحة الكيماوية لمسح إحدى القرى من الوجود .

هذا الاستخدام المنهجي للقوة هو الذي مكن صدام من الاحتفاظ بالسلطة طوال ٢٣ سنة. وخاض حربا طويلة وباهظة التكلفة ضد إيران يقدر عدد القتلى فيها بمليون شخص. وفي عام ١٩٩٠ قامت قواته بغزو الكويت واحتلالها ونهبها. ومنذ أن استولى على السلطة عبر عن مزيج مدهش من الدموية التي لا يصاحبها أي شعور بالذنب، فعزز صدام قبضته بخطوة محسوبة وماكرة، ففي أحد المؤتمرات السيئة الذكر لقيادة حزب البعث العراقي، عرض صدام أحد معارضيه السياسيين بعد أن خضع للتعذيب، وقام هذا الأخير بذكر أسماء عشرات المتهمين بالتآمر من الجالسين داخل القاعة، وقد سحب كل الذين ذكرت أسماؤهم ليواجهوا المحاكمة والإعدام، أما الذين بقوا في القاعة، فقد سالت دموعهم فرحا لمجرد بقائهم على قيد الحياة.

جنون العظمة كان يمثل جوهر شخصية هذا الدكتاتور، لا يسمح مطلقا بوجود شخص سواه . "و أن هدفه الاستراتيجي كان أحكام سيطرته على تلك المنطقة من العالم ". ويعتقد كثير من المحللين أه لم يستخدم الأسلحة الكيماوية والبيولوجية أثناء حرب الخليج لان ذلك كان سيترتب عليه رد فعل أميركي هائل .

ويقول بعض المحللين إن نقطة ضعفه الأساسية هي نظرته الضيقة التي قادته إلى كثير من الحسابات الخاطئة. وربما لم يكن يتصور أن الولايات المتحدة يمكن أن تهاجمه بعد غزوه للكويت . وهو يعتمد بصورة كاملة على دائرة ضيقة من إقربائه وأهل ثقته من المستشارين، الذين يعرفون تبعات الاختلاف معه ويتفادونه .

ولعل من المناسب هنا أن نستدعي بعضاً من الجوانب النفسية لشخصية طاغية العراق السابق، من خلال شهادات موثقة لعدد من أقرب المقربين منه، خلال حكمه بغداد بالحديد و النار .

وفي البداية سنرى ماذا يقول عنه طبيبه الخاص السابق علاء بشير . و كان طبيب صدام الخاص قد وضع كتابا عن الديكتاتور السابق باللغة النرويجية في أوسلو حصلت ١٧ دار نشر عبر العالم على حق ترجمته و نشره، و يكشف فيه ان صدام حسين كان قد أصيب خلال القصف في حرب الخليج الثانية، و أنه هو من أجرى له العملية الجراحية لوجهه، كما يتحدث بالتفصيل عن اسباب وأسلوب اعدام وزير الصحة الاسبق الدكتور رياض حسين.

وينفي الطبيب الخاص بالرئيس العراقي السابق ان يكون لصدام حسين أي شبيه " لسبب مهم هو أن صدام لا يثق بأحد وبالتالي لا يثق حتى بأن يكون له شبيه ".

وعن آخر مرة التقي بها صدام يقول بشير : قبل ستة أسابيع من سقوط النظام. كنت في مستشفى ابن سينا لزيارة أحد المرضى وفجأة حضر صدام وكان يرافقه مدير المستشفى وكان يرتدي بدلة مدنية اعتيادية، سلم على وقال لي " تعال معي أريد آن أخذ أشعة لظهري "، وكان بإمكانه أن يطلب ذلك من أطباء الاختصاص بالعظام والكسور ولكنه في أيامه الأخيرة فقد ثقته بكل الناس، حتى في الأطباء. رافقته مع مدير المستشفى إلى قسم الأشعة وسألني عن مركز صدام للجراحة التقويمية الذي أنشأته في مستشفى الواسطي، وهذا ما كان.

ويكشف الدكتور علاء بشير الكثير من أسرار وتفاصيل الحياة الداخلية لعائلة صدام حسين، الذي ظل قريبا منها قرابة عشرين عاما، ائتمنه خلالها صدام على حياته، وأعتبره من أكثر مخلصيه، فأختاره ان يكون طبيب عمره، والساهر على رعاية صحته وصحة عائلته.

وبحكم عمله يسجل الدكتور علاء شهادات على قمعية النظام وبوليسيته، وكيف أنه خسر زميلين له سبب مزحة بريئة. فقد كانا في سهرة ليلية جمعتهم مع أصدقاء مقربين لهم، مزحوا وحكوا فيها نكاتا، كان من بينها واحدة حول القوانين التي

اتخذها النظام لمكافحة مرض الايدز. ولم يخطر ببالهم ان احد جلسائهم كان مرتبطا بجهاز المخابرات وكان طيلة السهرة يسجل ويصور أحاديثهم في كاميرا فيديو أخفاها عن أعينهم. وبعد لحظات من مشاهدة صدام للشريط أمر على الفور بإعدام الطبيبين.



العائلة المنكوبة في أيام السلطة والسطوة قبل أن تحل عليها اللعنة !!



صدام في عنفوانه بعد إحكام قبضته على العراق و ذبح خصومه و معارضيه في بداية تحوله للعنة لكل من يعرفه أو يقترب منه ليكون هو و أفراد أسرته في النهاية النموذج المتقن للعنة العائلة !!



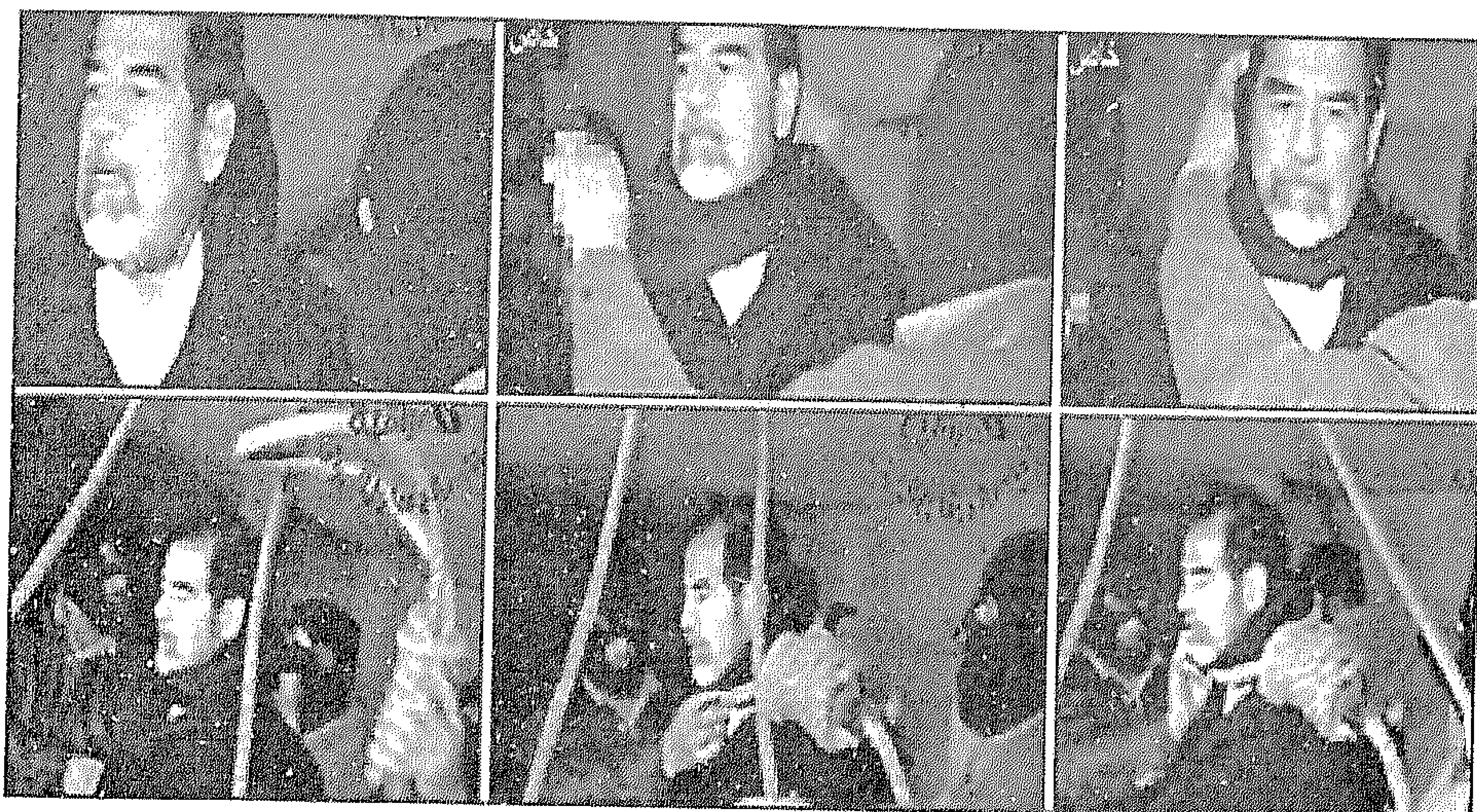
وكان يعشق دائما التقاط صوره وهو يلوح بالسلاح .. مرة بندقية مرة أخرى مدفع رشاش، أو سيف على هذا النحو!!

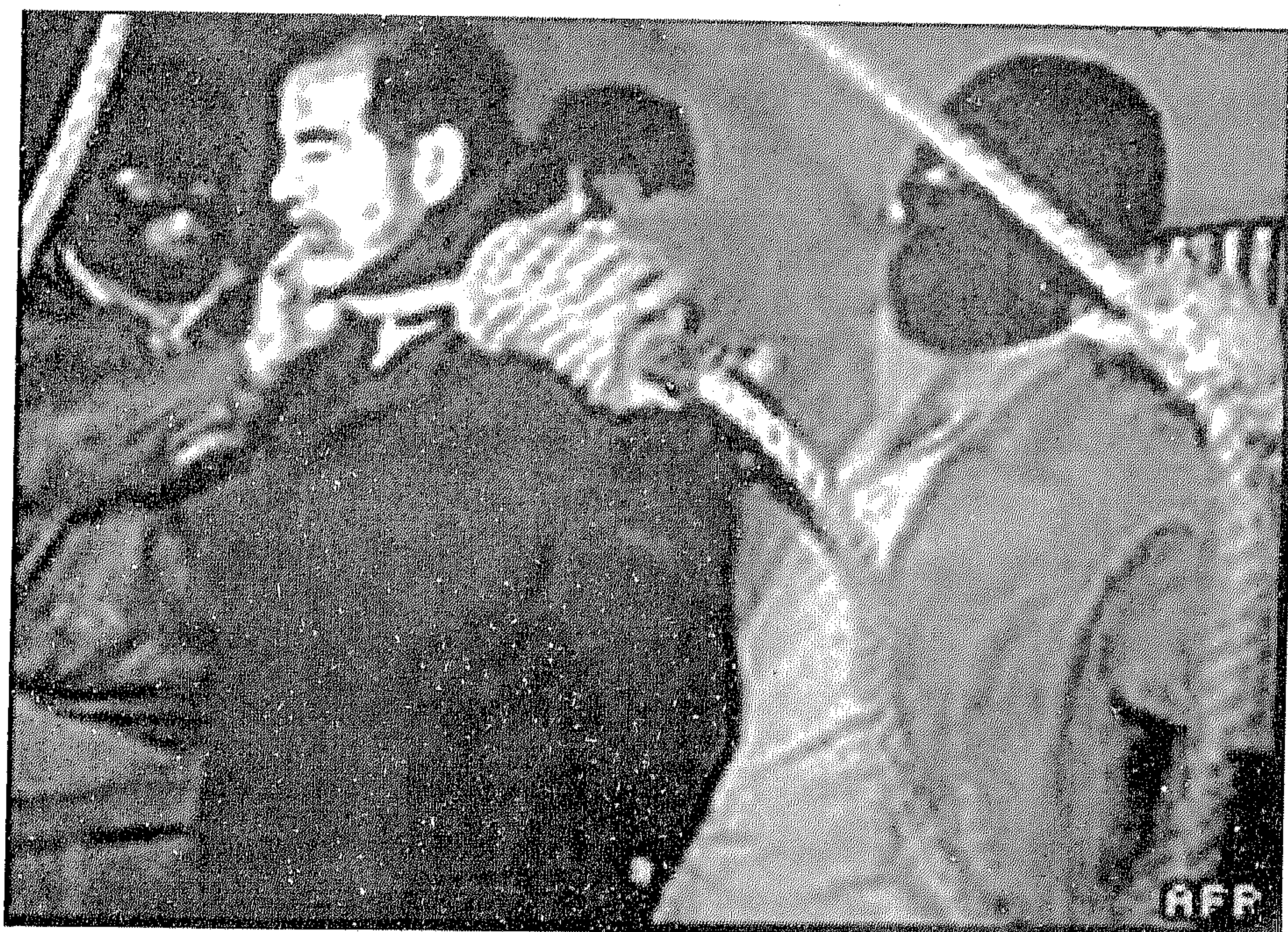


هكذا تم التقاط صدام من مخبأه " حفرة العنكبوت " في بداية النهاية !!



وهكذا بدا أثناء محاكمته التي شهدت الكثيرمن الأحداث المثيرة قبل أن تنتهي بالحكم بإعدامه !!





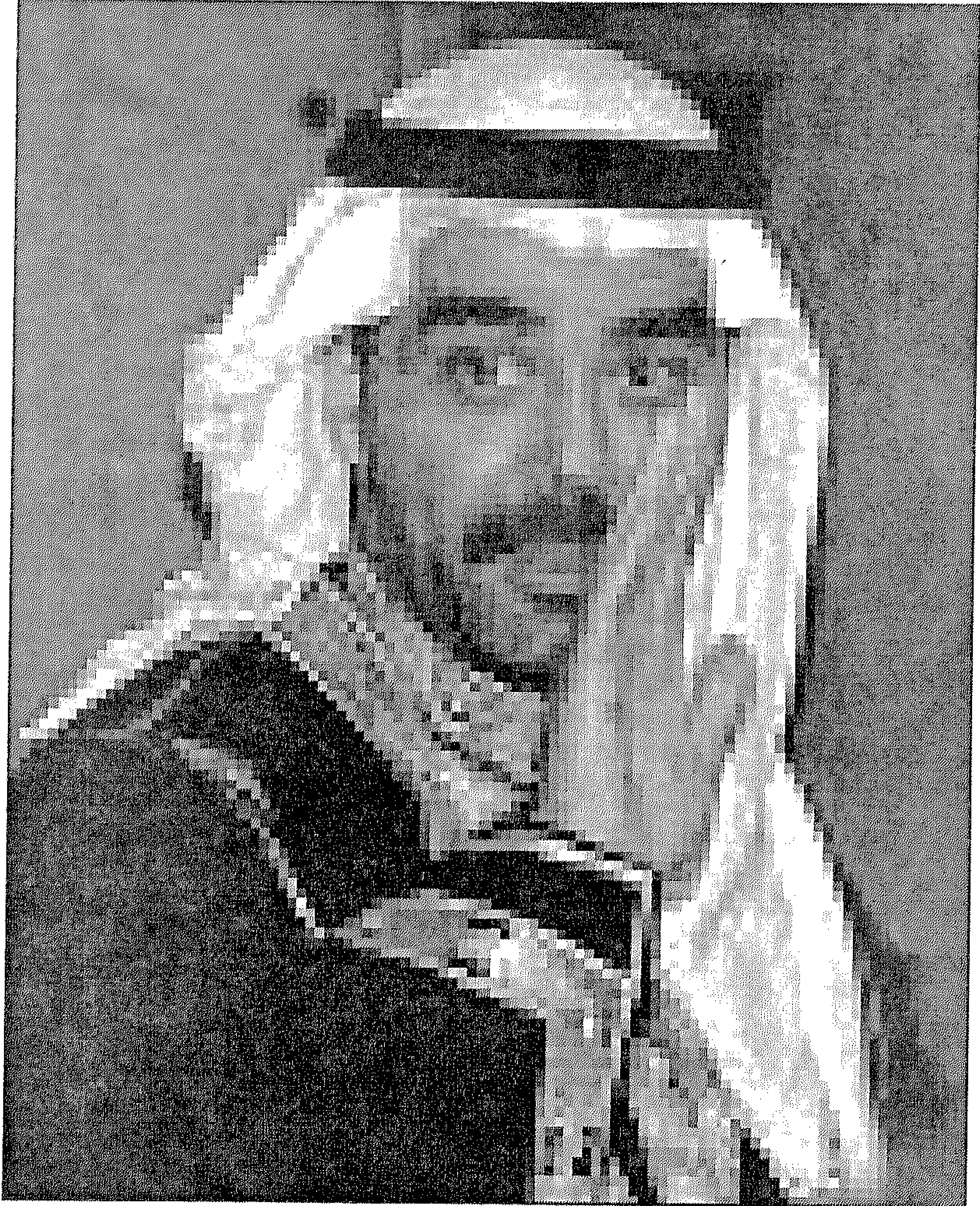
شريط مصور يظهر إعدام صدام لحظة بلحظة !!



هكذا كانت حياة صدام .. وهكذا كانت نهايته .. وهكذا كانت اللعنة التي حلت بالعائلة !!

٢ - عدي صدام حسين ..

ثمن الانتماء للعائلة !!



•• عدي ومعه قصي لقيا حتفيهما بطريقة ربما تكون أكثر بشاعة مما انتهى إليه حال الأب صدام فيما بعد !!

لم يكن المصير الذي لاقاه طاغية العراق صدام حسين، و هو دون شك يستحقه، بغض النظر عن أية تحفظات على الملابسات التي أحاطت بإعدامه .. لم يكن هذا المصير هو أول مظاهر اللعنة التي حلت بالعائلة، فقد كانت اللعنة قد حلت من قبله و قبيل إعدامه بولديه عدي و قصي، اللذين لقيا حتفهما بطريقة ربما تكون أكثر بشاعة مما انتهى إليه حاله هو !!

لقي عدي وقصي صدام حسين مصرعهما لدى اقتحام ٢٠٠ جندي أمريكي المنزل الذي كانا يختبئان فيه إثر قيام مصدر للمعلومات بالإبلاغ عن مكانهما.

فبعد سقوط بغداد في التاسع من أبريل بأيدي القوات الأميركية توارى عدي الابن البكر للرئيس العراقي المخلوع صدام حسين عن الأنظار مثله مثل شقيقه قصي ووالده وبعض رموز النظام الكبار.

ونقلت بعض الصحف الأميركية معلومات تفيد بأنه حاول الاتصال بالقوات الأميركية عبر وسيط لتسليم نفسه خوفا من تعرضه للقتل على أيدي عراقيين إذا كشف مكان وجوده.

وفيما كانت القوات تتخذ مواقعها حول المنزل المملوك لاحد أبناء عمومة الرئيس العراقي السابق صدام حسين تعرضت لإطلاق النار من مسلحين داخل المنزل.

المنزل هو في الواقع مجمع سكني مملوك لزعيم قبلي محلي هو نواف الزيدان الذي يرتبط بصلة قرابة بصدام حسين.

وكان ذلك بداية معركة استغرقت ٦ ساعات في منطقة تقع على الحافة الشمالية لمدينة الموصل، وشاركت فيها قوات خاصة من الفرقة ١٠١ المحمولة جوا مدعومة بالطائرات الهجومية.

وقال سكان الموصل الذين شاهدوا المعركة التي بدأت في وقت مبكر الثلاثاء إن الطائرات الهليكوبتر الأمريكية أطلقت أكثر من ٢٠ صاروخا خلال المعركة. ومع نهاية المعركة كان المنزل قد تحول إلى أنقاض.

وقد خاض الموجودون داخل المنزل معركة حتى الموت ولم تكف أسلحتهم النارية الخفيفة لعرقلة تقدم القوات الأمريكية.

ويعتقد أن تلك القوة الخاصةالتي شاركت في العملية تنتمي للقوة ٢٠، وهي وحدة سرية منوط بها البحث عن أسلحة الدمار الشامل ورموز نظام صدام حسين.

وفي شريط مسجل بصوت صدام حسين بثته قناة العربية بعد أسبوع من مقتلهما، نعى صدام عدي وقصي ووصف أن نجليه عدي وقصي توفيا شهيدين إثر معركة مسلحة مع القوات الأمريكية، وتعهد الولايات المتحدة الأمريكية بالهزيمة.

وقد سمحت قوات الاحتلال في العراق للصحفيين بمعاينة وتصوير جثتين قالت واشنطن إنها واثقة من أنهما لعدي وقصي نجلي صدام حسين.

وقال مراسل قناة الجزيرة في بغداد بعد أن شاهد الجثتين في مشرحة عسكرية أميركية مقامة في خيمة بمطار بغداد الدولي إن الجثتين بدتا مطابقتين للصور المعروفة لعدي وقصي، وأضاف أن وجهي الرجلين خضعا لعمليات ترميم للجروح التي غطيت بمادة شمعية حتى بدا كل منهما أقرب ما يكون إلى صورته الحقيقية.

وذكر المراسل أن طبيبا أكد أن مقتل قصي نجم عن إصابة بالغة في الظهر وجروح أخرى في جسمه، أما عدي فيرجح أن جسما ثقيلا سقط على رأسه فأصابه إصابة قاتلة. وذكرت مصادر عسكرية أميركية أن كل جثة أصيبت بما يزيد عن ٢٠ طلقة.

وأقر المسؤولون الأميركيون بأن أطباء التشريح تدخلوا لإصلاح الأضرار التي لحقت بوجه عدي وقصي في المعركة الضارية التي جرت بينهما وبين الجنود الأميركيين بمدينة الموصل.

وقال مسؤول أميركي إن ما قام به أطباء التشريح هو إجراء روتيني وليس محاولة لتضليل الشعب العراقي.

وبدا وجها عدي وقصي في حالة أفضل مما كانا عليه في الصور التي بثت الخميس، وأضاف أن الأطباء الشرعيين أعادوا إلى حد كبير الوجهين إلى ما كانا عليه قبل مقتلهما ليكونا أقرب ما يكون إلى شكل الشقيقين.

وحلق الأطباء لحية قصي الذي عرفه العراقيون من دون لحية وتركوا شاربه الذي عرف به. وكانت الصور السابقة قد أظهرت الجثة بلحية كثيفة. أما الجرح الغائر في وجه عدي والذي كان ظاهرا في الصور السابقة فقد أصلحه الأطباء أيضا لكن الثقب الموجود في قمة الرأس ظل واضحا للصحفيين.

وبدأ العراقيون بعدها في التعبير عن شكوكهم بشأن صور جثتي عدي وقصي بعد نشرهما، ووزعت القوات الأميركية الصور على قرص مدمج شمل صورتين لكل من الشقيقين، بالإضافة لصور لهما وهما على قيد الحياة.

وقد أحدث نشر صور جثتي نجلي صدام ردود فعل مختلفة في الشارع العراقي تراوحت بين مرحب ومستنكر. المرحبون رأوا أنهما يستحقان المصير الذي حل بهما نظرا للجرائم التي يقولون إنهما ارتكباها بحق الشعب العراقي تحت مظلة وحماية نظام والدهما المنهار.

وقد قامت القوات متعددة الجنسيات بقيادة الولايات المتحدة في العراق بتسليم جثماني عدي وقصي إلى الهلال الأحمر العراقي لدفنهما بمدينة تكريت مسقط رأس والديهما.

وقد تم لف الجثمانيين بالعلم العراقي ودفنا السبت المصادف ٠٢ أغسطس٢٠٠٣ في مقابر العوجة.

وقد تمت مراسم الدفن وسط إجراءات أمنية مشددة من قبل القوات الأمريكية، وبحضور نحو ١٥٠ شخصا من العائلة والأصدقاء. وكانت المراسم مختصرة وهادئة ولم تقع خلالها أي أعمال عنف بالمدينة.

وعدي هو الابن البكر للرئيس العراقي الراحل صدام حسين. اشتهر بقساوته وميله للعنف ومزاجه المتقلب حسب ما يقوله خصومه. وبعد سقوط بغداد في التاسع من أبريل ٢٠٠٣ بأيدي القوات الأميركية توارى عدي عن الأنظار مثله مثل شقيقه قصي ووالده وبعض رموز النظام الكبار.

وعدي صدام حسين الذي قتل مع شقيقه قصي في مدينة الموصل يوم الثلاثاء ٢٥يوليو٢٠٠٣ كان يحتل المرتبة الثالثة في قائمة المطلوبين التي نشرتها الولايات المتحدة بعد اخيه قصي ووالده.

وكان عدي يرأس قوات فدائيي صدام التي أسسها والده. وقد ذاع صيت هذه القوات بسبب الاساليب التي كانت تستخدمها "للاقتصاص" من شرائح مختلفة من الشعب العراقي.

كما رأس عدي اللجنة الأولمبية العراقية، حيث اشتهر بتعذيبه الرياضيين الذين يفشلون في تحقيق النتائج التي يريدها منهم. وكان لعدي سجن خاص في مقر اللجنة لاحتجاز وتعذيب الرياضيين .

ومما يدل على بشاعة عدي أنه بعد عام ١٩٩٤ أصبح الوضع الاقتصادي ماساوي وخاصة العملة الصعبةعندها أمر صدام حسين محافظ البنك المركزي آنذاك خليل العزاوي(حاليا نائب رئيس الوزراء ووزير المالية) بعدم صرف اي مبلغ بالعملة الصعبة لأي وزارة او مسؤول إلا بأمر من صدام حسين.

وفي إحدى المرات ذهب عدي إلى محافظ البنك المركزي و طلب ٢٦ مليون دولار، واعتذر محافظ البنك من عدي وأنه يجب الاتصال بالرئيس اتصل العزاوي بصدام وأخبره بأن عدي يطلب مبلغ ٢٦ مليون دولار عندها أمر صدام خليل العزاوي بتسليم المبلغ المذكور إلى عدي وبعد أن أخذ عدي المبلغ قام بإهانة خليل العزاوي وبصق في وجهه وصفعه. في اليوم الثاني طلب خليل العزاوي مقابلة صدام حسين ليقدم شكوى على تصرف عدي معه فإذا بصدام يهين خليل العزاوي أكثر من إهانة عدي له. بعد أيام تمت إحالته على التقاعد.

ومما يروى عن عدي أنه كان قد طلب مجموعة من التجار العراقيين مقابلة عدي صدام حسين وتمت المقابلة طرح التجار موضوع النفط مقابل الغذاء والدواء وكان من الحضور محمود و عبدالوهاب البنيه وطرحوا مقترح هو استلام جزء من واردات النفط مقابل الغذاء وتعطى لهم موافقة استيراد المواد الغذائية والدوائية وانهم على استعداد لسد كافة احتياجات المواطن العراقي من دواء وغذاء ويستطيع المواطن العيش بشيء بسيط من الرفاهية والجزء الآخر من واردات النفط مقابل الغذاء تبقى للدولة لسد متطلبات الدولة ومؤسساتها. حدد عدي لقاء آخر معهم بعد أسبوع على أن يتذاكر مع والده صدام حسين. ذهب التجار في الموعد الثاني المحدد فوجدوا أن عدي قد عمل لهم مادبة غداء كبيرة جدا وتحتوي على جميع أنواع المأكولات والخضر والفواكه الموجودة في العراق والمستوردة. أستغرب التجار لهذه المائدة التي تكفي لاكثر من ١٠٠ شخص فقالوا أستاذ عدي هذا كثير وإذا بعدي ينفجر غضبا ويقول((نحن نستطيع ولدينا الامكانية بأن أكل كل عراقي مثل هذا الأكل ويعيش برفاهية لكن اتفقنا أنا وأبي والمقربين على إذلال الشعب الذي ثار على أبي يقصد الانتفاضة الشعبانية وإن مثل هكذا شعب لايستحق الرفاهية)) . و بعد فترة تم اغتيال عبدالوهاب البنيه بحادث مدبر على طريق بغداد- عمان .

وتقول التقارير إن عدي كان يتلذذ بتعذيب وقتل خصومه، كما كان يأمر حرسه بخطف النساء وجلبهن إليه لاغتصابهن.

وتقول التقارير إن عدي قام ولغاية ١٩٩٦ ولحد محاولة اغتياله باغتصاب ١١٣٧ فتاة عراقية تحت القوة والتهديد.

بعضهن انتحرن بعد الاغتصاب وبعضهن قتلن من قبل ذويهن والبعض الاخر منهن يعيشن حالة القلق والخوف ولايعرفن مصيرهن فماذنبهن. وما ذنب من توخذ خطيبته من أمامه وعندما يتكلم يقتل ويوضع في صندوق السيارة كما حدث للملازم الاول أحمد جاسم في مدينة الحبانية السياحية عام ١٩٨٣

والشخص الكبير في منطقة الجادرية قرب جامعة بغداد عام ١٩٩٦ وقتل بثلاثة طلقات في فمه .

والعائلة التي كانت جالسة في مدينة الأعراس يتناولوا الغداء في الحديقة فتم أخذ أبنتهم دون ان يستطيعوا تحريك ساكن.

وقد روت الكثير من العراقيات دون الكشف عن أسمائهن تجاربهن المأساوية مع عدي، و منها ما قالته امرأة بعد سقوط صدام رأت بعينيها بعضاً مما كان يحدث في جمهورية الرعب الصدامية كما تقول .

وتروي هذه العراقية ما رأته فتقول : "هذه الحادثة حدثت أمامي الله شاهد علي، كنت حينها صغيرة وقد ذهبنا إلى حفلة عرس أحد المعارف (والأخير كان له معرفه بالأستاذ الفاضل عدي صدام حسين) وقد حضر الأستاذ الفاضل عدي إلى الحفلة مع حاشيته فامتلأت القاعة بالسكون وساد الصمت على الفرقة الموسيقية فبدأ عدي الذي ينعتوه بالبطل بالضحك وقال استمروا .. و استمر كل شيء ولكن الكل في حركات خائفة، كانت هناك امرأة جميلة من المدعوات قد حضرت إلى الحفل مع زوجها (كانا متزوجين حديثا).

تقدم أحد حاشية عدي البطل كما تدعوه إلى الفتاة وقال لها : " الأستاذ يريدج " فجاوبته : " أي أستاذ؟" فقال لها : " تاج رأسك عدي صدام حسين " .

نهض الزوج وقال : ماذا يريد منها، قاطعته زوجته قائلة: " قل لأستاذك أنا امرأة متزوجة ومحترمة ولست من النوع الذي يبحث عنه ".

وما هي إلا لحظات حتى اقتيدتِ المرأه من شعرها ويدها إلى خارج القاعة وصراخها يملأ المكان طبعا وقد تقدم أمامها الأستاذ البطل أما عن زوجها فقد ضرب من حاشية البطل وقذف من شباك القاعة وكانت في الطابق الثاني من البناية " .

وتقول منظمة INDICT التي تتخذ من لندن مقرا لها والتي تطالب بمحاكمة أقطاب النظام العراقي المخلوع إن عدي كان يأمر بإلقاء السجناء في أحواض الحامض.

ويبدو أن عديا كان يفخر بممارساته الوحشية، حيث لقب نفسه بأبي سرحان وهي كناية للذئب.

وقد قتل عدي أحد المرافقين "كامل حنا ججو" اثناء حفلة اقامتها والدته ساجدة خيرالله في بغداد.

وقد أزعجت ممارسات عدي حتى والده، حيث أمر في عام ١٩٨٨ بنفيه إلى سويسرا على إثر مقتل "ججو" الذي كان أحد الحرس المقربين لصدام حسين. ولكن انتهى المطاف بسجنه لقرابة شهر في سجن داخل أحد القصور الرئاسية.

وكان عدي مرشحا لخلافة والده، ولكنه أصيب إصابة بالغة في محاولة لاغتياله جرت عام ١٩٩٦. وقد أصيب جراء هذه المحاولة بإعاقة مما حدا بصدام إلى التفكير بخليفة آخر هو ولده الثاني قصي.

وسوف نتعرض هنا لتفاصيل محاولة الاغتيال هذه لأنها تكشف الكثير عن شخصية عدي العدائية، و كيف كانت تدفع البعض للتخلص من شروره و جبروته وطغيانه .

كان لسياسة الطاغية أثرها بإنزال الضيم والحيف في الكثير من مناطق العراق، والتي كانت لا توالي هذا النظام نتيجة سياسته الرعناء والدموية، وكانت المحافظات الجنوبية مثالاً لذلك، فقد دفعت هذه المدن ثمناً غالياً لوقفتها في وجه الطاغية، فدفعوا دماء أبنائهم وأرواحهم على طريق المقاومة والتحدي لهذا النظام الطاغوتي، وتحولت الأهوار في الجنوب إلى ملاذ للثوار والمعارضين، ومنطلق لعملياتهم الجهادية ضد النظام ورموزه وأذنابه لا سيما بعد الأنتفاضة الشعبية في أذار ـ شعبان من عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين، ونظراً لطبيعتها الوعرة والقاسية، وتعذر وصول الحكومة بسهولة إليها، فضلاً عن آستعداد سكانها للتعاطف والمؤازرة مع المجاهدين والثوار، كما كان الوضع في كوردستان عاملاً مشجعاً لهم، حيث سبقهم الثوار والمعارضون من آتخاذ جبال كوردستان ساحة لعملياتهم الجهادية البطولية .

شكلت في أهوار العراق ولا سيما أهوار ميسان وذي قار قواعد للثوار والمجاهدين بعد الآنتفاضة الشعبية عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين ،وقامت بتنفيذ جملة من العمليات النوعية داخل المدن القريبة وعلى أطرافها، وباتت تشكل تهديداً وخطراً وإزعاجاً لرموز السلطة، إلا أن الثوار والمجاهدين لم يقفوا عند هذا الحد بل أخذوا يفكرون بشكل جدي لتطوير عملهم نوعياً، والانتقال به إلى العاصمة بغداد، والقيام بعمليات تستهدف الخط الأول من عناصر النظام ورموزه، وذلك لسببين أولهما هو كسر حاجز الخوف والتردد عند المعارضين لهذا النظام، والثاني محاولة حقيقية لتفنيد نظرية الطوق والحاجز الأمني الحديدي الذي كان النظام يحتمي ويتباهى به، فآنتقلوا نتيجة ذلك إلى واقع التخطيط والتنفيذ، متجاوزين مرحلة التنظير والأحلام والرغبات .

قامت حركة الخامس عشر من شعبان برئاسة (رزاق ياسر مطهر، الملقب سيد حمزة)، وهي إحدى المجاميع الجهادية التي تتخذ من أهوار ذي قار، وبالذات في مناطق عشائر آل جويبر مقراً لها بعد انتفاضة أذار ـ شعبان من عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين بدراسة أمكانية نقل العمل العسكري إلى بغداد، وجرى

اختيار العناصر الكفأة والمؤهلة، وأرسالها إلى بغداد لتأسيس قيادة ميدانية تعمل على أنضاج العمل العسكري ضد النظام، وكان على رأس هذه المجموعة (سلمان شريف دفار، الملقب أبو أحمد البزاز)، وبعد مرور مدة على العمل الآستطلاعي الميداني توافرت معلومات تفيد بالوجود شبه المنتظم في منطقة المنصور لـ (عدي صدام حسين) النجل الأكبر لطاغية العراق، والذي أخذ يعدة ويدربه على تسلم السلطة من بعده، وكان عدي هذا نزقاً ومستهتراً وصاحب شهوات ونزوات غريبة، مع ميله إلى العنف والسادية التي كانت تكم تصرفاته، فضلاً عما اشتهر به من كثرة علاقاته بالنساء والاغتصاب، وولعه بالمجون والليالي الحمراء، حتى عد رمزاً بغيضاً لهذا النظام .

قامت قيادة الحركة بدراسة المعلومات الاستخبارية وتحليلها التي تم ارسالها من قبل القيادة الميدانية، بعدها تم التوصل إلى قرار البدء بالتخطيط ومن ثم الانتقال لتنفيذ عملية الاغتيال الجريئة والبطولية .

بعد جهد جهيد تم جمع المعلومات الاستخبارية الدقيقة عن تحرك (عدي) في منطقة المنصور وجرى تحليل المعلومات ودراستها مع قيادة الحركة في أهوار ذي قار وخصوصاً عند عشائر آل جويبر في منطقة (الزورة)، وبعد توافر القناعة، والآطمئنان إلى صحة المعلومات، ومع وجود أدوات التنفيذ، وبإمكانيات بسيطة وتمويل ذاتي من الحركة دون دعم خارجي تم أتخاذ قرار العملية، وآختيرت المجموعة التي ستقوم بتنفيذ العملية .

انتقلت المجموعة المكلفة بالتنفيذ إلى بغداد، لتستقر في دار مؤجرة في منطقة (الزعفرانية)، وأخذت بالتجهيز وشراء سيارة خاصة تستخدم في العملية المرتقبة، بعدها جرى نقل السلاح وعلى شكل مراحل من ذي قار إلى بغداد من قبل (حيدر رشيد الخالدي، الملقب أبو زهراء) و(تحسين مجيد عليوي)، بعد معاناة طويلة وقاسية .

استطلعت المجموعة بالكامل منطقة التنفيذ ودرست مداخل المنطقة ومخارجها، ومنطقة القتل المثلى، ومن ثم شرعوا بمرحلة التنفيذ الحقيقي لآصطياد الهدف، إلا أن طارئاً قد حدث وهو إن الهدف لم يتردد على المنطقة في الأسابيع الثلاثة الأولى، وعرف فيما بعد أن السبب وراء هذا الآنقطاع هو اشتغال (عدي) بمتابعة المسابقات الدولية بكرة القدم .

تأخر تنفيذ العملية أكثر من المدة المقررة المتفق عليها، ما دعا قيادة الحركة أن تقلق وتتخوف على عناصرها من الكشف والوقوع بأيدي السلطة، فأوفدت (حير رشيد الخالدي) إلى بغداد ليبلغ المجموعة المنفذة بضرورة الانسحاب والعودة للأهوار، إلا أن قائد المجموعة (سلمان شريف دفار) طلب من الموفد عن القيادة أن يمهلوهم أسبوعاً آخر، وكفرصة أخيرة، فتمت الموافقة على ذلك .

في مساء يوم الخميس ١٢/ ١٢/ ١٩٩٦، وتحديداً في الأسبوع الرابع من عملية الرصد والانتظار لاصطياد الفريسة، جرى توزيع المجموعة في منطقة المنصور وتحديداً بالقرب من محلات الرواد، وكانت على الشكل التالي، (مؤيد راضي وتحسين عبد مكتوب) يقومان بالرمي على الهدف عند وصوله بعد تسلم الإشارة من (سلمان شريف دفار) حين مشاهدته لوصول الهدف كما سيقوم إضافة إلى ذلك بعملية الأسناد والتغطية، أما الرابع (عبدالحسين جليد عاشور) فسيمكث في السيارة استعداداً لنقل المجموعة بعد التنفيذ، وفي تمام الساعة السابعة ظهرت سيارة (عدي) البورش، وعلى بعد خمسة عشر متراً من المجموعة المنفذة كان (سلمان شريف دفار) يقف ليعطي الإشارة، وبمجرد تلقي الأمر وثب المكلفان بالرمي وبصولة صاعقة وسريعة وشجاعة تشبه صولة القسور على فريسته ثأراً للعذارى والمفجوعين بأحبتهم، فأمطروا الهدف بوابل من رصاصات رشاش كلا شنكوف روسي الصنع، وبعد أن تأكدوا من إصابتهم الهدف، انسحبوا على إثرها بسرعة فائقة لم ينتبه لهم أحد من المارة أو الموجودين في المنطقة، واختفت المجموعة من ساحة الرواد، بعد أن جعلت الشارع والأجهزة الأمنية المنتشرة في المنطقة بحالة من الصدمة والذهول، وهي ترى (عدي) مضرجاً بدمائه .

انسحبت المجموعة بعد العملية مباشرة إلى القواعد في الأهوار، ما خلا (سلمان شريف) الذي التحق بهم بعد أيام من تنفيذ العملية، وبعد إن آستطاع أن يموه على الأجهزة الأمنية التي انطلقت بتنفيذ عمليات مسعورة من الآعتقالات العشوائية في العاصمة بغداد وخاصة في المدن التي لا توالي النظام .

ذعرت الأجهزة الأمنية وصدمت، ومن قبلهم (صدام حسين) وحاشيته، الذين كانوا يعتقدون أنهم في منأى عن بطشة الشعب المظلوم، وأن أجهزتهم الأمنية والجدار الحديدي الذي يضرب حولهم، والتي كانوا يتباهون بها لن تخترق، فتبادر إلى ذهنهم العاجز والمهوس أن خيانة حدثت من داخل صفوفهم، فجرت حملة آعتقالات عشوائية طالت الكثير من ضباط الجيش وعناصر الأجهزة الحزبية والأمنية المشكوك بولائها للنظام، ولكن دون جدوى .

أعلنت (حركة الخامس عشر من شعبان) مسؤليتها عن تنفيذ العملية البطولية، وتناقلت وسائل الإعلام ذلك، فجن جنون النظام، فقام بتجهيز حملة عسكرية ضخمة بقوة فرقة، وبإسناد الأجهزة الأمنية، وما يسمى بالجيش الشعبي، وكان على رأس هذه القوة (قصي صدام حسين) و(عزة الدوري) و (على حسن المجيد) وغيرهم من القيادات الحزبية والعسكرية، وتم تطويق الهور ومنطقة آل جويبر حيث قواعد المجاهدين، وكانت تحد المنطقة سداد ترابية أقامها النظام فيما سبق لأغراض أمنية، وادعى في حينها أنه يقوم بمشاريع تطويرية واستصلاح للأراضي، في حين كانت في الواقع تشكل جزءاً من حملة لتجفيف الأهوار لغرض السيطرة عليها .

قصفت منطقة (الزورة)، حيث القواعد الرئيسية للمجاهدين بالطائرات والمدفعية، وجرت معركة غير متكافئة بين القوات الحكومية وبين المجاهدين والأهالي، وبعد سبعة أيام من القتال البطولي أدرك فيها المجاهدون بخطر الاستمرار في القتال المباشر مع العسكر، فتم وضع خطة سريعة، تتلخص بفتح ثغرة في الجدار الذي ضرب حولهم والانتقال إلى الجانب الآخر للتخلص من هذا الطوق، وبعملية

شبه خيالية (سنكتب لاحقاً تفاصيلها الدقيقة) أستطاع المجاهدون الانتقال إلى الجانب الآخر، بعدها قام الجيش بإقتحام المكان دون أن يقتل أو يجرح أي شخص، فضلاً عن عدم حصولهم على أي شيء يذكر من وثائق أو معدات وموجودات المجاهدين، صعق القائمون على العملية العسكرية من هذا الموقف وكأنهم كانوا يقاتلون أشباحاً، فقاموا وكردة فعل بإعدام مجموعة من الضباط في المكان نفسه، وفوق السداد الترابية بتهمة التعاون مع المجاهدين، وتسهيل مهمة هروبهم، وجرى بعد ذلك هدم الدور والقناطر الصغيرة وتجريف المباني البسيطة في المنطقة، وتمت عمليات آعتقال طالت النساء والأطفال والشيوخ، وجرى إبعاد الكثير من العوائل إلى محافظة السماوة، وبذلك رجع النظام مصاباً بخيبة الأمل .

قررت قيادة الحركة إلزام المجموعة المنفذة بالسفر إلى خارج العراق حفظاً على سلامتهم، عقب ذلك قام النظام بإعتقال جميع عوائل المجموعة المنفذة للعملية، ومن ثم إعدامهم، وهدم دورهم وتجريفها، وبعد مدة أستطاع النظام وعن طريق الصدفة من اعتقال أحد المشاركين في عملية الاغتيال في بغداد وهو (عبدالحسين جليد عاشور)، ليكشف عن تفاصيل العملية والجهة المنفذة ومن هم الأشخاص الذين نفذوا الضربة .

لقد كانت هذه العملية بالرغم من التضحيات التي قدمت، ضربة للنظام الشمولي الذي كان يتبجح بقوة مؤسساته الأمنية وحطمت أسطورة السياج الأمني الموهوم .

وكان عدي يشغل ايضا منصب نقيب الصحفيين العراقيين لسنوات طويلة، كما كان رئيسا لتحرير صحيفة بابل اضافة إلى امتلاكه لتلفزيون الشباب وصحيفة زوراء الاسبوعية.

ولم ينج أعمام وأقرباء عدي من بطشه. ففي عام ١٩٩٥ طلبت ابنة عمه وزوجته الطلاق منه لقيامه بضربها والاعتداء عليها. كما قام لاحقا بإطلاق النار على عمه وطبان وأصابه في ساقه.

ويأتي عدي في المرتبة الثالثة على لائحة الشخصيات العراقية التي تلاحقها القوات الأميركية في العراق، وهو كان مسؤولا عن المليشيات المعروفة باسم "فدائيو صدام".

وبعد أن تسلم مسؤوليات إعلامية عدة مثل الإشراف على صحيفة وتلفزيون وترؤس تنظيمات شبابية ورياضية انتخب عضوا في المجلس الوطني العراقي (البرلمان) عام ٢٠٠٠ محاولا دخول المعترك السياسي.

وعدي من مواليد عام ١٩٦٤ تخرج مهندسا من جامعة بغداد كما حصل على دكتوراه في العلوم السياسية. ويصفه خصومه بالقساوة وحب للعنف وتقلب مزاجه ومغامراته النسائية وحبه للسيارات الباهظة الثمن.

أما أخوه قصي فعرف بابتعاده عن الأضواء وبتسلمه مراكز حساسة في قلب النظام العراقي برئاسة والده صدام حسين.

وقبل سقوط العاصمة العراقية كان قصي يقود قوات الحرس الجمهوري قوات النخبة لنظام حزب البعث، وفي مايو عام ٢٠٠١ تسلم أيضا منصب مساعد رئيس المكتب العسكري لحزب البعث. واستفاد عدي من السلطة التي يتمتع بها بصفته ابن رئيس الدولة لإقامة إمبراطورية مالية وتجارية، وتردد أنه كان يشرف مباشرة على تهريب النفط إلى تركيا بشكل خاص في خرق لقرارات الأمم المتحدة.

وبعد فترة من مقتل عدي صدام ظهر ابن له فجأة من العدم و طالب بأحقيته في ميراث أبيه .

نعم أعلن شخص يدعى طالب مسعود طورون أنه حفيد الرئيس العراقي الراحل صدام حسين وطلب بميراثه من الحكومة العراقية . وصرح أمام الكاميرات أنه سيرفع دعوى مطالبا بميراثه.

وقال طورون إن أمه الآن تعاني من مرض السرطان ولكي يوفر لها مصاريف العلاج الباهظة فإنه سوف يرفع دعوى لدى السلطات العراقية ليطالب بميراثه لأبيه عدي وحتى جده صدام حسين أيضا.

وأضاف أنه لم يكن يعرف أنه حفيد صدام حسين حتى سن الخامسة عشرة وأن كل من يراه يتعجب للشبه الكبير بينه وبين والده عدي.

وتابع قائلا: "إنه أحب أباه كثيرا وإن لم يكن قد رآه قط وأنه لا يزال مصدوما لإعدام جده ".

ومسعود طورون حفيد صدام حسين، أمه هي سفيم التركية الجنسية كانت قد اختيرت كـ "ملكة جمال بغداد" لعام ١٩٨٠ تزوجها عدي نجل صدام حسين وأنجب منها مسعود طورون ليكون بذلك حفيد صدام التركي وفي العام ١٩٨١ هربت أمه إلى بلدها تركيا.

وبعد سنوات من الصمت، فجأة وفي مقابلة مع جريدة " يني شفق " التركية قالت والدة الشاب مسعود وأسمها سيفيم اورون في العام ١٩٨٢ قمت بزيارة إلى العراق من أجل زيارة (عمتي) التركمانية والتي تملك فندقاً في العاصمة العراقية بغداد.

في إحدى الليالي وضمن منهاج حفل وسهر موسيقي طلبوا من الحاضرات أن يتقدمن لأجراء مسابقة أختيار ملكة جمال تلك الجلسة .

تقدمت انا مع عدد من الموجودات بعد المنافسة كنت الأولى ولذلك توجت كملكة لجمال الحاضرات وبالصدفة كان من بين الحضور عدي صدام حسين .

بعد التتويج طلبني عدي لأجلس على طاولته.. بعد التهنئة والمجاملة أبدى إعجابه بها وبجمالي وأنوثتي بعدها تكررت اللقاءات وبعد فترة تزوجنا على سنة الله ورسوله وأصبحت زوجته شرعاً وقانونا!!.

تقول سيفيم عشت لمدة ثلاثة أشهر كأية أميرة حيث قصور وسيارات فارهة ومجوهرات وخدم وحشم وهدايا ... الخ من التفاصيل المملة ولكن (يافرحة اللي ما تمت) بعد الأشهر الثلاثة تحول زوجي عدي إلى إنسان آخر حيث أمسى يعاملني بقسوة وإهانات وضرب .. حينها كانت حامل في شهرها الثالث.

لم أستطع مقاومة تلك الحالة.. لذلك عودت سراً إلى بلدي تركيا وهناك جرت أكثر من محاولة لاغتيالي ولكن الجهات الأمنية أحبطت المحاولات.. بعدها قررت السلطات نقلي إلى مكان آمن ومجهول.

بعدها أنجبت ولداً أسميته مسعود وأسميته باسم والدي (مسعود أورون) وفي محاولة مني لإخفاءته سجلته بكونه أكبر من عمره بسنوات.

وبعدها الحديث لـ "مسعود عدي" يقول عشنا سنوات من القلق والخوف.. كنا نعتقد بأن المخابرات العراقية تتبعنا في كل مكان وزمان.. لذلك كانت حياتنا جحيم في جحيم .

وحول كيفية كشف أمرهما قال مسعود إن سبب تلك الملاحقة هو صدور كتاب باللغة التركية تحت عنوان "كنة "(زوجة ابن) صدام حسين التركية، بعد الكتاب مباشرة تحرك المخابرات العراقية لأغتيالنا والتخلص منا الأثنين.

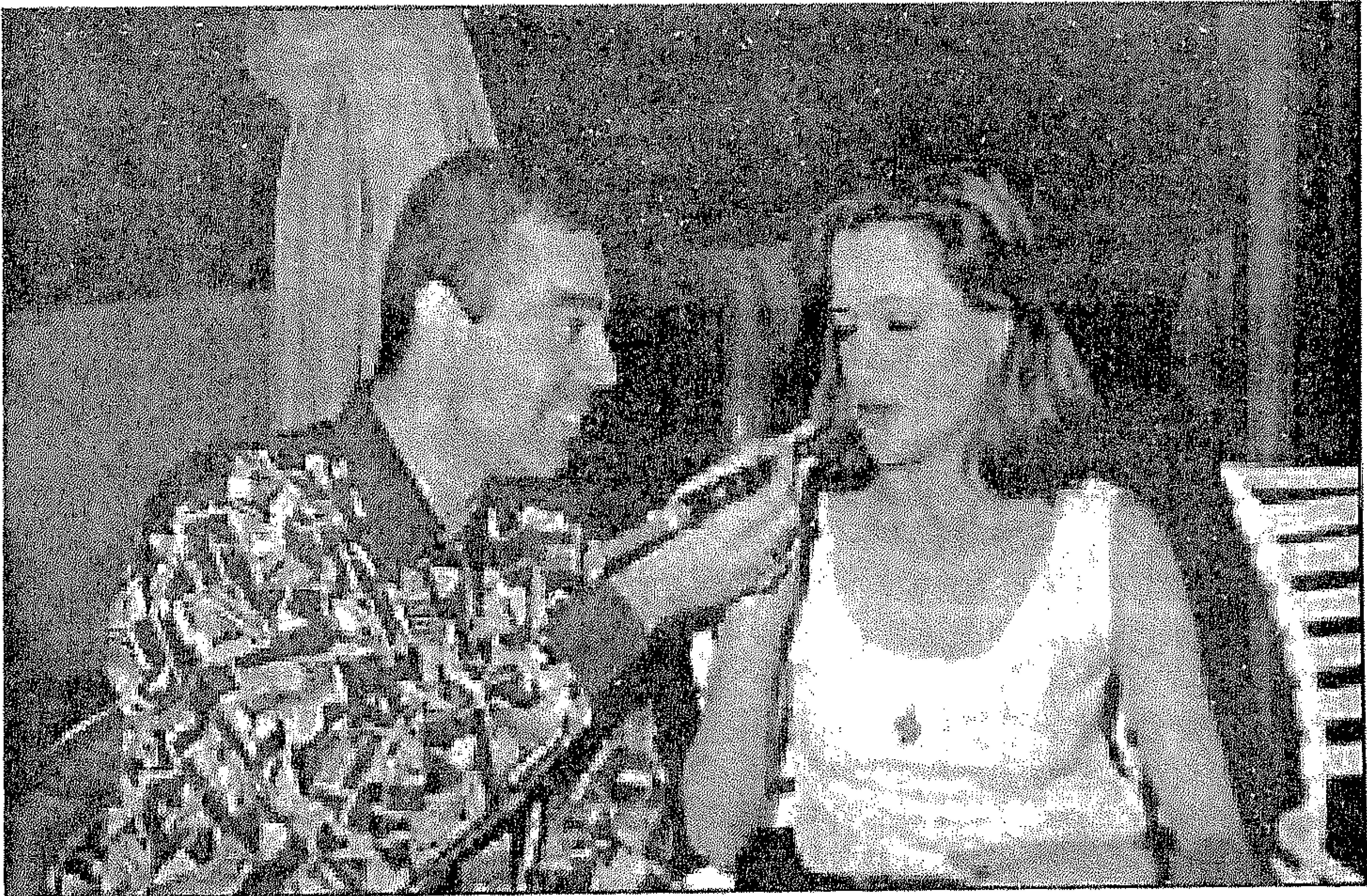
ويضيف أيضا واليوم بعد أن تأكدنا من أن الأمور هدأت وكل شيء تمام وأنزاح الخوف.. ها أعلن بأنني الأبن الشرعي لـ "عدي صدام حسين" لذلك من حقي وفق القانون أن أطالب الحكومة العراقية بورث والدي لكوني الوريث الشرعي له.

وحول سؤال عما إذا كان بإمكانه أن يثبت ذلك رد مسعود وبكل ثقة نعم.. لدينا من الوثائق والمستمسكات مايؤيد أقوالي وادعاءاتي ١٠٠٪ .. سأعلن عنها في الوقت المناسب.

يذكر أن عدي صدام حسين ولد في عام ١٩٦٤ بعد تسلم أبيه منصب نائب الرئيس دخل كلية بغداد التي تدرس باللغة الانكليزية بعدها دخل كلية الهندسة وتخرج منها بامتياز وحصل على دكتوراه فخرية في العلوم السياسية حول السياسة الأميركية تجاه العراق وسيطرته على الصحافة والتلفزيون.

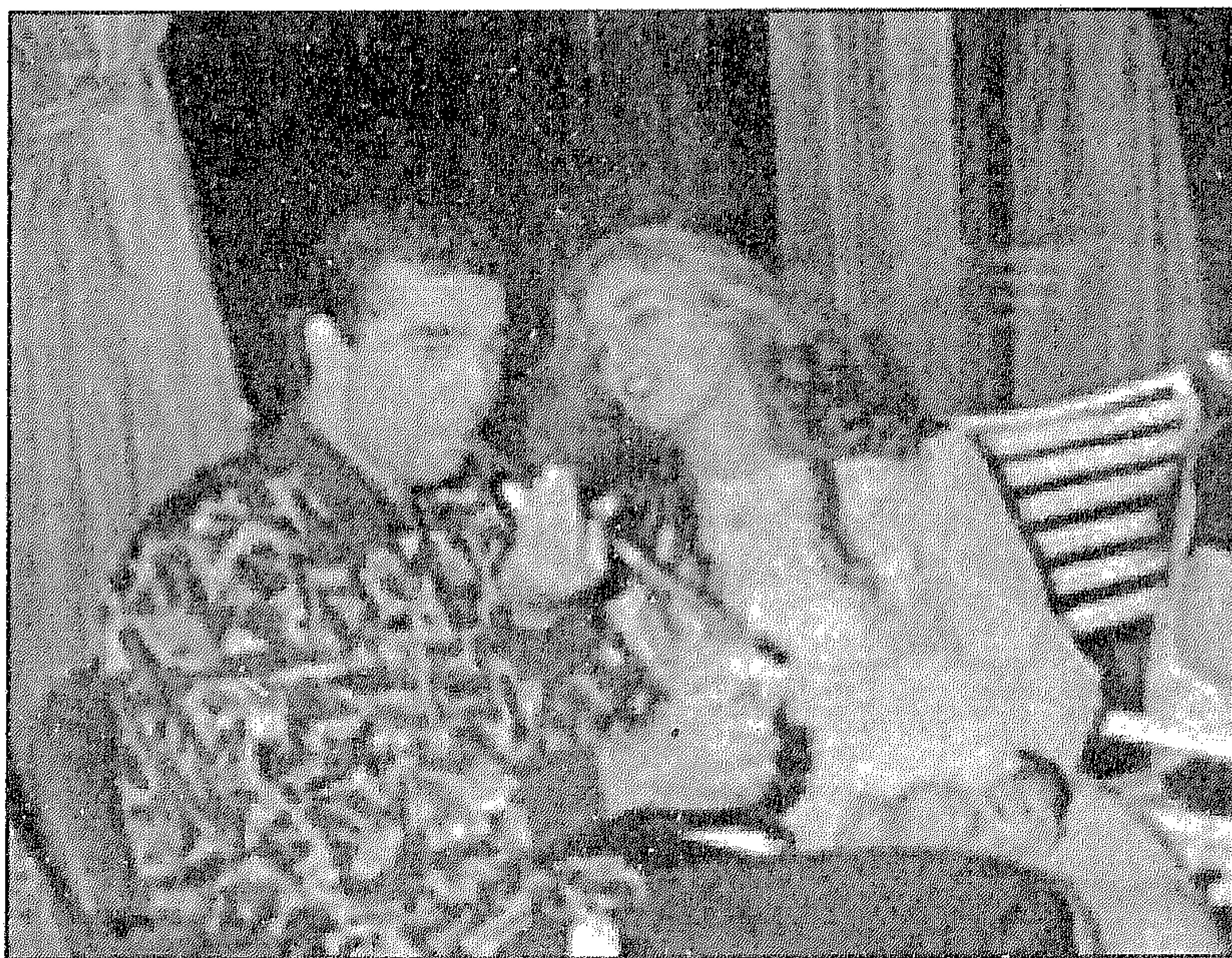
تزوج ثلاث مرات من دون ان ينجب زوجته الأولى ابنة عزت الدوري طلقها قبل الدخول بها وطردها إلى بيت أبيها زوجته الثانية ابنة عمه برزان التكريتي طلقها وطردها أيضاً أما زوجته الثالثة هبة بنت علي حسن المجيد (علي الكيماوي) تزوجها حين كان راقداً في المستشفى إثر محاولة اغتياله.



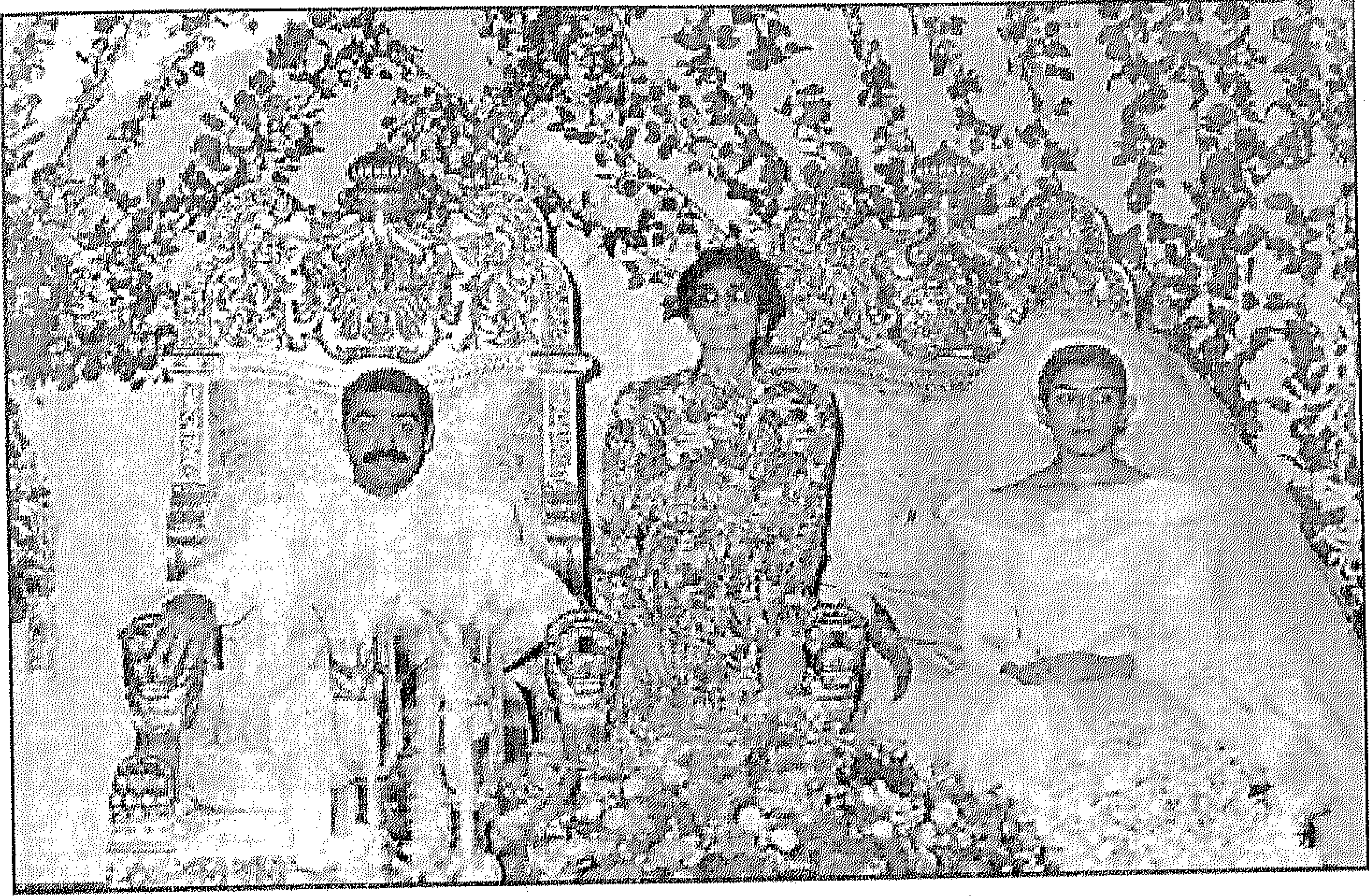


عدى الماجن أيام سطوته وبطشه .





استمراره أيضا فى المجون.



صوره عدي مع الزوجه الأولى له سجى برزان التكريتي



مسعود عدي حفيد صدام الذي ظهر فجأة بعد مقتله ليطالب بميراثه مع أمه التي قدمت

ما يفيد أنها كانت زوجته في السر !!



عدي .. هكذا بدا المشهد بعد أن طالته لعنة العائلة !!

٣- قصي صدام حسين ..

لا مفر من اللعنة !!



•• وكما حلت اللعنة بأخيه حلت به، وأصبح واضحاً أنهما البداية لنهاية عائلة، وأن الأب الطاغية ليس بعيداً عن ملاقاة مصيرهما !!

قصي صدام حسين التكريتي الذي وُلد في ١٧ مايو ١٩٦٦ هو الابن الثاني للرئيس العراقي السابق صدام حسين. وأخاه الاكبر عدي وكان ينظر إليه ان يكون خليفة لصدام حتى إصابته في محاولة اغتيال عام ١٩٩٦.

وقد أوكل إليه والده مسؤلية حمايته، وكذلك وكلت له مهمة قيادة قطاعات الجيش في منطقة بغداد خلال حرب العراق عام ٢٠٠٣. وقتل في مدينة الموصل هو وأخوه بعد أن كشفت القوات الأمريكية مقر اختبائهما علما أن ابنه مصطفى، الذي طالته لعنة العائلة، قد لقي حتفه معه في المعركة التي أدارها الجيش الأمريكي وصمد فيها الثلاثة حتى لفظوا أنفاسهم. وقبل سقوط العاصمة العراقية كان قصي يقود قوات الحرس الجمهوري قوات النخبة لنظام البعث، وفي مايو عام ٢٠٠١ تسلم أيضا منصب مساعد رئيس المكتب العسكري لحزب البعث.

وبحكم تسلمه هذه المسؤوليات كان قصي يشارك في أهم الاجتماعات السياسية والعسكرية المصيرية برئاسة والده صدام.

وعرف عنه تكتمه وبعده عن وسائل الإعلام وكان يحظى بثقة صدام حسين الذي كلفه بالملفات الأمنية الحساسة في البلاد.

درس قصي الحقوق في جامعة بغداد وهو متزوج وأب لثلاثة أولاد. وكان قصي في المرتبة الثانية على لائحة المطلوبين العراقيين الـ ٥٥ التي وضعتها القوات الأميركية.

وفي ما يلي نورد قصة الفصل الأخير من حياة عدي وقصي كما نقلها مراسل صحيفة "الحياة" اللندنية ميسر الشمري:

يقول مواطن عراقي من سكان المنطقة الواقعة جنوب جبل سنجار في محافظة الموصل (شمال العراق) أنه وجد نفسه فجأة، ومن دون سابق معرفة، أمام ابني الرئيس العراقي المخلوع عدي وقصي صدام حسين يرافقهما السكرتير الشخصي للرئيس الفريق عبد حمود التكريتي.

وقال المواطن الذي فضل الإشارة إلى الأحرف الأولى من اسمه ع.م. والذي التقته «الحياة» في منطقة ربيعة على الحدود السورية أنه وبينما كان في منزله بعيد سقوط بغداد في قبضة القوات الأميركية فوجئ بسيارة من نوع فان مضللة ترجل منها رجل في الأربعين من العمر وبادر بالسؤال: هل أنت من قبيلة شمر؟ فأجابه نعم، فطلب منه أن يدله على بيت ع.ص. فقال له إن الوقت متأخر وإن بيت ع.ص. بعيد بعض الشيء من هنا، والوضع غير آمن، أضف إلى ذلك أن "العادات لا تسمح لنا بمرورك من دون القيام بواجب الضيافة".

وأوضح المواطن ع. م. الذي روى لـ"الحياة" الأيام الأخيرة لنجلي الرئيس العراقي المخلوع وطلب منا عدم نشرها إلى أن يعطينا الإشارة بذلك، أن الرجل طلب منه استشارة زملائه في السيارة مشيراً إلى انه في هذه الأثناء ترجل قصي صدام حسين من السيارة وكان في يده رشاش فيه ثلاثة مخازن مربوطة بشريط لاصق اسود اللون وقال لي: "نحن بحاجة إلى الراحة، هل المكان آمن؟ فقلت له على الرحب والسعة. وأوضح ع.م. أنه بعد ذلك ترجل عدي صدام حسين وكان يرتدي زياً عربياً ويتزنر بمسدس ٩ ملم وفي يده رشاس كلاشنيكوف فضي اللون ثم ترجل بعد ذلك عبد حمود وكان يرتدي الزي العربي، أيضاً، وهو يتأبط مسدساً من نوع "كولت سمث"، فيما توجه السائق إلى السيارة ووضعها في وضع استعداد أمام المنزل. بعد ذلك، قال ع.م: "اتصلت عبر هاتف بشقيقي وطلبت منه الحضور مع أبناء عمي ولما حضروا هب قصي صدام حسين موجهاً سلاحه صوبهم، فطلبت منه التريث لأن هؤلاء أخي وأبناء عمي وطلبت منهم الحضور لتأمين الحماية اللازمة لكم، وعندما عرَّفت قصي بأخي قلت: هذا شقيقي أ.م. فنهض عدي من مكانه، وقال موجهاً الكلام لشقيقي:

«لقد صدرت بحقك أحكام عدة بسبب التهريب، كيف تخلصت منها"، فأجابه أخي: "باللجوء إلى الصحراء كما تفعل أنت الآن"، وأضاف أخي: "تلك مرحلة وانقضت يا أستاذ عدي، وأنتم، الآن، في حمايتنا إلى أن يفرجها الله".

بعد ذلك ارتاح الضيوف ووزعت أخي وأبناء عمي حول المنزل في شكل غير ملحوظ، وطلب قصي من السائق إنزال الأسلحة والصندوق ووضعها في الغرفة التي كانوا يجلسون فيها، ثم قام عبد حمود وفتح الصندوق وطلب مني أن آخذ من الدولارات التي فيه ما أريد، فرددت عليه: «لم نتعود أن نأخذ من ضيوفنا أثناء استقبالهم وحمايتهم يا عبد حمود، وأنت تعرف ذلك، فما كان من قصي إلا أن وبخ عبد حمود، قائلا: "ألا تعرف عادات العرب وأنت منهم".

وبعد تناول العشاء أضاف ع.م: خلدوا إلى النوم باستثناء قصي الذي بقي يسامرني حتى الفجر ولما غالبه النعاس طلب من عبد حمود أن يستيقظ لإكمال الحراسة. في الصباح وبعد تناول الإفطار طلب قصي أن أوصله إلى منزل ع.ص. فقلت له إنه خارج العراق، فقال: "اعرف ذلك ولكنني أريد أن أصل إلى منزله"، فقلت له إن منزله وسط الصحراء وبعيد بعض الشيء فدعني أرسل من يستطلع الوضع هناك، مشيراً إلى أن قصي وافق على رأيي، ولكن عدياً أصر على الذهاب، وعندما وافقت على إيصالهم شرط أن أقود السيارة بنفسي وان يقود شقيقي سيارتي أمامنا بمسافة كافية، وافق الجميع.

وشرح ع.م. الذي وجد نفسه بين ورطتين: الأولى تتمثل بحمايته نجلي الرئيس الذي شرد شقيقه على مدى ثلاث سنوات والثانية أعرافه وتقاليده البدوية التي تفرض عليه حمايتهما، بحسب قوله، إنه وأثناء السير في الصحراء لاحظت ان شقيقي ينحرف عن الطريق الصحراوي في شكل مفاجئ ويزيد سرعة سيارته فما كان مني إلا أن انحرفت إلى اليسار حيث كان بالقرب مني واد صغير لكنني فوجئت بقصي يضع رشاشه خلف رأسي، فأوقفت السيارة وترجلت وبيدي سلاحي، وقلت

قصي: "ليس من طبعي الخيانة، وأنا الآن أقدم لك ولأخيك خدمة ليس لأنكما نجلا الرئيس صدام حسين بل لأنكما لجأتما إلى منزلي، ولو كنت أريد الخيانة لقمت بتسليمكما إلى أقرب دورية أميركية عندما مررنا في مدينة بعاج وكانت الدوريات الاميركية منتشرة فيها". بعد أن أنهيت كلامي، يقول المواطن العراقي، ترجل قصي من السيارة واعتذر اليّ، وقال: "ان وضعنا لا يسمح بالخطأ ولا تنفع به الثقة"، مشيراً إلى انه في هذه الأثناء ترجل الجميع وقضى بعضهم حاجته وفجأة قرر قصي أن أغير وجهة السير بطلبه مني أن انقله إلى منزل المواطن أ.م. وهو من البدو المقربين من الرئيس المخلوع صدام حسين. وأوضح ع.م. لضيوفه انه لا بد من استشارة المواطن أ.م. في ما إذا كان في امكانه استقبالكم أم لا، لكن قصي أصر على الذهاب، ونزولاً عند رغبته قمت بإيصاله إلى المكان الذي طلبه وعدت وشقيقي إلى منزلنا.

بعد ثلاثة أيام، يقول ع.م. فوجئت بالسيارة نفسها تقف أمام منزلي، وعلى الفور ترجل عدي وقصي وعبد حمود ورحبت بهم وطلبت إليهم الجلوس. وبعد تناول القهوة طلبوا مني أن أوصلهم إلى الحدود في المنطقة الواقعة إلى الشمال من ربيعة، وقالوا: "إن لديهم الاستعداد لدفع أي مبلغ أحدده"، وأضافوا: "ان مواطناً نافذاً اسمه ن.ع. سيكون بانتظار اتصال منهم وان مهمتي تقتصر على إيصالهم إلى الحدود". وأشار ع.م. إلى أنه وافق على إيصالهما بعد أن يتحدث مع المواطن لأنه يعرفه جيداً ولا يريد إحراجه، وعلى الفور، يقول ع.م. قام عبد حمود بالاتصال عبر هاتف فضائي بالمواطن وقال له: تكلم مع فلان (يقصد ع.م) ولما تحدثت إليه أبدى استعداده لاستقبال عدي وقصي، ولما سألته عن عبد حمود، قال: "إن عبد حمود سيستقل سيارة الفان مع السائق ويعود إلى تكريت بعد أن يعبر عدي وقصي الحدود". وقال المواطن ع.م. انه قام بأخذ عدي وقصي بعد أن أخذا صندوقاً من الدولارات وعدداً من الأسلحة والرمانات اليدوية وقمت بعبور جبل سنجار ومن ثم الأراضي الزراعية شمال الجبل إلى أن وصلت إلى المكان

المحدد فأوقفت سيارتي في احد الأودية بانتظار الإشارة المتفق عليها مع المواطن وبعد قليل استلمنا الإشارة وتركت سيارتي وذهبت معهم سيراً على الأقدام إلى أن سلمتهما إلى ن.ع. وعدت إلى سيارتي ومن ثم إلى منزلي في الليلة نفسها.

بعد أقل من ٤٨ ساعة اتصل المواطن ن.ع. بالمواطن العراقي ع.م. وهم أقرباء وطلب منه أن يلتقيه في المكان نفسه، يقول المواطن العراقي، وذهبت إلى الموعد فوجدت عدي وقصي وعرفت أن السلطات أعادتهما وطلبا (عدي وقصي) مساعدتهما في الوصول إلى منزل المواطن العراقي ا.م. الذي التجأ إليه لمدة ثلاثة أيام.

وأشار المواطن العراقي ع.م. أنه نقل عدي وقصي من الحدود إلى منزله وانهما قضيا تلك الليلة في ضيافته وطلبا منه في الصباح ايصالهما إلى منزل أ.م. بعدما طلبا من عبد حمود هاتفياً الحضور إلى المنزل نفسه قبل مغيب الشمس، لافتاً إلى أنه نقلهما إلى حيث يريدان بعدما استبدل سيارته البيك أب بسيارة مظللة، ولما وصل إلى المكان المحدد كان عبد حمود ينتظر. و حاولا التوجه عبر الحدود لكنهما لم يتمكنا، و طلب منه إعادتهما إلى المكان الذي جاءا منه .

ويضيف ع.م: بعد ذلك عدت في اليوم نفسه إلى العراق وفي اليوم التالي توجهت إلى منزل المواطن أ.م. حيث التقيت عدي وقصي وعرفت من صاحب المنزل أنه مستاء من وجودهما لكن الأعراف والتقاليد لا تسمح له بطردهما، وأضاف: كان عبد حمود لا يقيم معهما بل تردد عليهما على مدى أربعة أيام وفي اليوم الرابع غادرا منزل المواطن أ.م. برفقة عبد حمود باتجاه الموصل، وهناك احتمى عدي وقصي في منزل نواف الزيدان والتحق بهما مصطفى قصي الذي كان يقيم مع جده لأمه الفريق أول ركن متقاعد ماهر عبدالرشيد، كما زارتهما والدتهما ساجدة طلفاح وابنتها الصغرى حلا صدام حسين فجر اليوم الذي قتل فيه عدي وقصي ومصطفى.

وقال المواطن العراقي إن عبد حمود الذي القي القبض عليه في ١٨ حزيران (يونيو) ٢٠٠٣ تركهما في منزل الزيدان وغادر إلى جهة مجهولة للعناية بالرئيس

صدام حسين، بحسب قول قصي الذي التقيته بضع مرات في أماكن متفرقة من الموصل بعدما ارتاح إلى إلى درجة انه كان يطلب مني الجلوس بجانبه والعمل معه لكنني كنت ارفض ذلك، مشيراً إلى انه سأل قصي قبل مقتله بأيام اذا كانت لديه نية للخروج من العراق، فأجاب نجل الرئيس المخلوع: "لم يعد هذا وارداً. سأبقى في العراق بانتظار تعليمات السيد الوالد". وكان ذلك يوم ١٦ يوليو ٢٠٠٣، وبعد سبعة ايام قتل عدي وقصي ومصطفى ومرافقهما في منزل نواف الزيدان بعد معركة حامية الوطيس مع القوات الاميركية.

ويروي علاء بشير الطبيب الخاص لصدام و عائلته عن قصي إنه في العاشر من فبراير، وفيما مفتشو الأمم المتحدة في بحث محموم عن أسلحة الدمار الشامل، والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تعدان العدة لبدء الحرب، استدعيت للحضور على الفور إلى بيت قصي، وطلب مني إجراء عملية تجميل لابنته التي تبلغ الخامسة عشرة من العمر، وقال لي إنها غير مرتاحة من شكل أنفها. لقد أرادت العائلة مسرورة أن أجمل أنفها وأقلل حجمه. بعدها مباشرة طلبت رغدة، بنت صدام، إجراء عملية مشابهة، ثم تقدمت حماة قصي بالطلب نفسه. قبل أسبوع واحد من بدء الحرب الأخيرة، أجريت الفحوصات والترتيبات النهائية لمريضاتي الثلاث. وأثناء حضوري إلى بيت قصي لاحظت أن ثريات الكريستال الثمينة وأطقم الأثاث الإيطالي الفاخرة قد اختفت تماما. لقد بدا البيت فارغا على نحو ما. صدام نفسه سلم مقاليد الحكم وإدارة البلاد اليومية إلى قادته الأربعة والذين يوليهم ثقته "علي كيمياوي"، طه ياسين رمضان، طارق عزيز وعزت الدوري الذي ما زال مختفيا. وبينما مشاكل البلاد تتفاقم على المستوى القومي والدولي كان الديكتاتور منشغلا بإنهاء روايته الرابعة. وفي خضم المعمعة أرسل مسودتها إلى وزير الثقافة حامد حمادي، وطلب منه مراجعتها لغويا وإرسالها إلى المطبعة!

خلاصة القول إن النهاية الدرامية لعدي وقصي نجلي الرئيس المخلوع صدام حسين جعلت الأمر يبدو و كأنه الفصل ما قبل الأخير لمأساة شعب عانى لفترة طويلة

من الاضطهاد والقمع والقتل لفترة ثلاثين سنة على أيدي زمرة كانت تحكم دولة عريقة كالعراق .

وبدا أن الدور قد جاء على صدام حسين ليشرب من نفس الكأس التي أذاقها لغيره بمقتل نجليه المجرمين عدي وقصي اللذين سارا على نفس النهج لوالدهما.

وكان السؤال هو : هل سيؤدي رحيل هذين الشقيقين عن الساحة العراقية إلى بث الطمأنينة في نفوس العراقيين؟ وهل يعني هذا أن الحلقة بدأت تضيق على عنق صدام؟.. وهل ستعمد الولايات المتحدة إلى قتل صدام حسين أم القبض عليه حيا لمحاكمته على ما ارتكبت يداه من جرائم بحق الإنسانية؟

ولم يمض وقت طويل حتى سقط صدام و حوكم و أعدم ليكتمل المثلث العائلي الشهير، الذي طالما ذاق العراق و جيرانه الأمَرَّيْن من أضلاعه الرهيبة !!

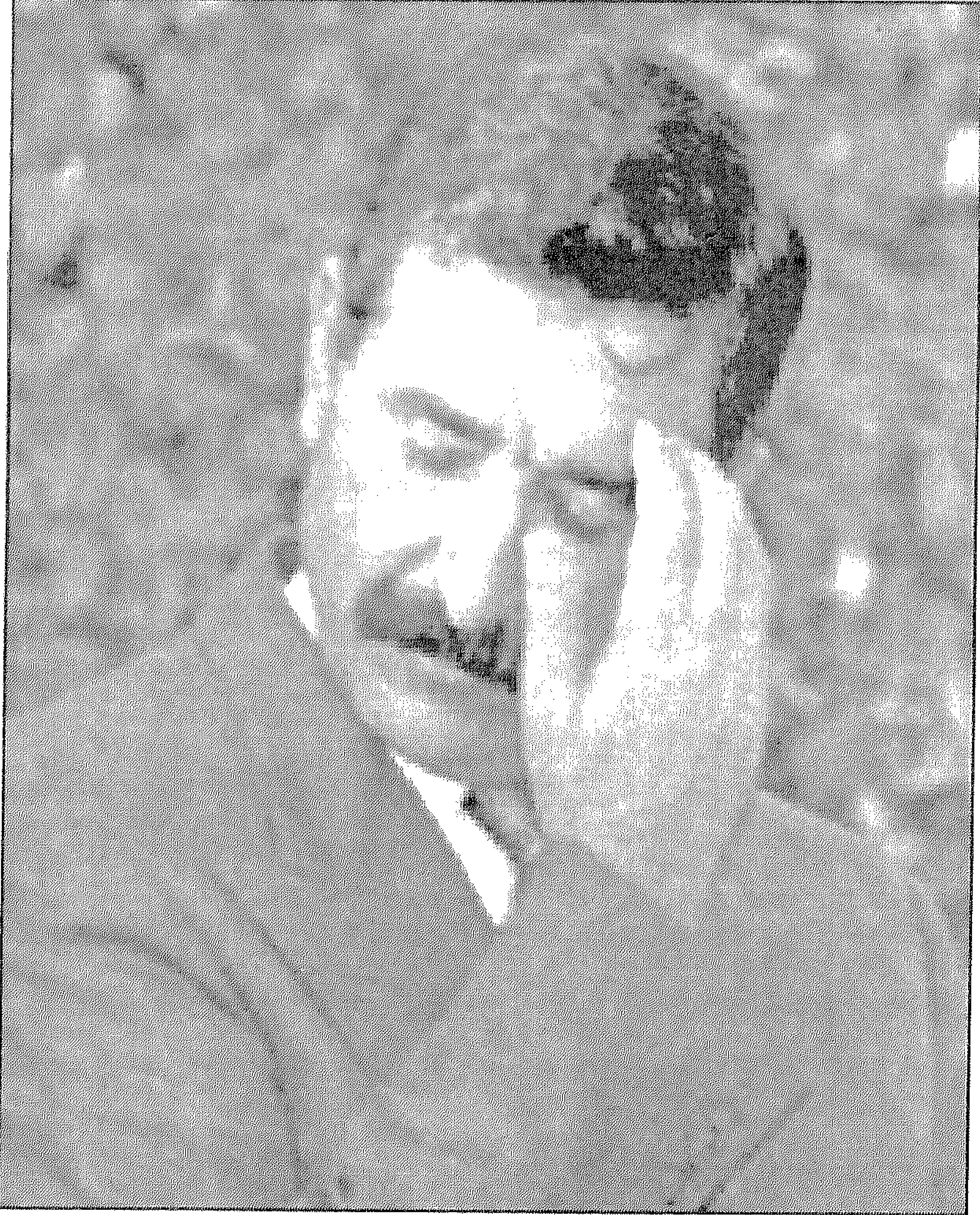




قصي في أيام الطغيان .. وقصي بعد مقتله .. هكذا لا تكذب الصورة !!

٤ - حسين كامل

حتى زوج الابنة !



•• وبعد أن اقترب كثيراً من العائلة، وأصبح فرداً منها وجزءًا من النظام ، وزوج رغد ابنة صدام حلت عليه اللعنة وقتله من ارتبط بابنته لتستمر لعنة العائلة !!

في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠ اجتاح صدام الكويت و كان لأول مره يتحدى مصالح أمريكا وقد أصبح يمتلك خمس إنتاج العالم من النفط ضرب صدام إسرائيل ٤٣ صاروخا فقام أثر ذلك تحالف دولي كبير و استغرق تحرير الكويت ١٠٠ ساعه ولكن الكويت كانت مدمرة و آبار النفط تحترق فأدرك صدام أن أمريكا قد خدعته.

نجا صدام من " انتفاضة الشيعة " التي قادها فيلق بدر بدعم من إيران لكن الحرس الجمهوري حافظ على ولائه لصدام وقضى على الثوره سجل وزراء صدام تعذيب وإعدام المتمرديين على أشرطة فيديو عرض في التلفزيون العراقي حتى يكونوا عبرة لغيرهم.

قررت واشنطن تجريد العراق من أسلحته الاستراتيجية فدمر مفتشو الأمم المتحدة معظم الأسلحة الكيميائية والجرثومية ولكن صدام احتفظ ببعض أسلحته لكن كان لحسين كامل زوج رغد والممسك بأسرار أسلحة صدام رأي آخر فقام بالفرار هو وأخوه وزوجتاهما كريمتا صدام إلى عمان حيث عقد مؤتمر صحفي كشف أسرار الأسلحه المتبقيه لدى صدام وكان ذلك في تاريخ ٧ أغسطس ١٩٩٥ .

تلقى حسين كامل مكالمه هاتفية من صدام وقال إنه سامحه فصدقه حسين بغباء وعاد إلى بغداد ولكن مره أخرى كان هناك رأي آخر ولكن هذه المره لعلي حسن المجيد فقام وقال سيدي إن كنت قد سامحت كرئيس فإننا لن نسامحه كعشيرة) فقال صدام هذا شأنكم كعشيره وليس لي أن أمنعك .. و لكن من هو على حسن المجيد ؟

علي حسن المجيد الملقب بـ«علي كيمياوي»، الذي صادقت هيئة الرئاسة على قرار الحكم باعدامه شنقاً، هو أحد ابناء عمومة الرئيس العراقي السابق صدام حسين وذراعه اليمنى، الذي كان مكلفا القضاء على حركات المعارضة في العراق. وقد حصل على لقب «علي كيمياوي» بعد ان كان مسؤولاً عن استخدام الاسلحة الكيماوية ضد الاكراد في الثمانينات من القرن الماضي، التي كانت سبب ادانته بتهمة «جرائم حرب». واطلق عليه هذا اللقب وهو متهم بقصف مدينة حلبجة الكردية باسلحة كيميائية عام ١٩٨٨، قبل ان يشارك في اجتياح الكويت عام ١٩٩٠، وقمع الانتفاضة الشعبية ضد نظام صدام عام ١٩٩١.

ويتحدر علي كيمياوي، وعمره ٦٧ عاماً، من مدينة تكريت وكان من رفاق الدرب الأوائل لصدام ومن أوفى الأوفياء له. وكان المجيد الذراع اليمنى لصدام وكان يكلف بتنفيذ المهمات ذات الطابع الدموي.وفي مارس (اذار) ١٩٨٧، عين المجيد مسؤولا عن حزب البعث الحاكم في منطقة كردستان العراق وسيطر على الشرطة والجيش والميليشيات في هذه المنطقة. وبعد شهرين من توليه هذا المنصب، قام الجيش العراقي بعملية إخلاء واسعة لمناطق عدة شمال البلاد، اذ اقتيد سكان وماشيتهم بالقوة إلى مناطق صحراوية متاخمة للحدود الاردنية والسعودية. وشكل ذلك بداية لسياسة «الارض المحروقة» التي اعتمدت في كردستان العراق وتعززت بعدما دعم الأكراد حملة «نصر ٤» التي شنتها إيران على العراق في يونيو (حزيران) ١٩٨٧. وفي ١٧ و١٨ مارس ١٩٨٨، قصفت مدينة حلبجة الكردية (٧٠ ألف نسمة) بالقنابل الغازية (الكيميائية) في عملية بقيادة «علي كيمياوي». وقال المجيد أثناء محاكمته «لقد أعطيت الأوامر للجيش لكي يدمر القرى وينقل السكان إلى مكان آخر، لن أدافع عن نفسي ولا أعتذر لأنني لم أرتكب أي خطأ». وتتراوح التقديرات لأعداد ضحايا حملات القمع التي قادها المجيد بين خمسين ومئة الف شخص. وفي أغسطس (آب) ١٩٩٠، عين حاكما للكويت تحت الاحتلال العراقي، حيث عمد إلى إخماد جميع جيوب المقاومة هناك. وفي مارس ١٩٩١، أدى المجيد دورا إساسيا في قمع

التمرد الشعبي في جنوب البلاد، الذي يطلق عليه تسمية "الانتفاضة الشعبانية". وسعيا منه لاثبات الولاء الذي لا لبس فيه، قرر على حسن المجيد شخصيا الانتقام من حسين كامل صهر الرئيس، الذي فر إلى الاردن مع شقيقه وعائلاتهما عام ١٩٩٥ وقتلهما بيده فور عودتهما إلى بغداد في فبراير ١٩٩٦ بعد العفو عنهما.

وأقدم المجيد على قتل حسين كامل وشقيقه، وهما ابنا أحد أشقائه "غسلا للعار". وعين " على كيمياوي "، وهو عضو مجلس قيادة الثورة أعلى هيئة حاكمة في عهد صدام حسين، مسؤولا عن المنطقة العسكرية الجنوبية لمواجهة اجتياح القوات المتعددة الجنسية للعراق، الذي بدأ في ٢٠ مارس ٢٠٠٣. وأعلنت قوات التحالف اعتقاله في ٢١ اغسطس ٢٠٠٣ .

المهم، قبل دقائق من وصول حسين كامل وكريمتي الرئيس صدام حسين إلى أرض الوطن كانت قد وصلت إلى الحدود طائرة مروحية تحمل السيدة ساجدة خير الله طلفاح عقيلة الرئيس صدام حسين الأولى وأم كريمتيه العائدتين، يرافقها عدي صدام حسين، الذي كان السبب الأول في خروج حسين كامل من العراق، وعلى أثر خلافات حادة وتهديد عدي لحسين كامل بالقتل بعد تزايد نفوذه، شعر حسين كامل يومها بأنه لم يعد له مكان في السلطة وكان مجيء عدي إلى الحدود علامة أقلقت حسين كامل وأخافته، لما عرف عن عدي من ممارسات مجنونة وعنف واضح وعدم اتزان، وكانت قد وصلت أيضاً مجموعة من السيارات المحملة بفدائيي صدام ومنتسبي الحرس الرئاسي، ويبدو أن مهمتهم كانت هي التأكد من أن كل شيء سيجري مثلما يريد عدي، فقد أخذت الأم ابنتيها بالأحضان والبكاء وكذلك الأولاد ولم يتصافح عدي وأمه مع صهريهما وتمتم عدي بكلمات فهم حسين كامل منها التهديد والوعيد وأن مصيراً مجهولاً ينتظره وفكرصدام كامل بالعودة ثانية إلى الأردن وقال لحسين كامل ألم أقل لك أنك تأخذنا إلى الموت، دعنا نعود من هنا، رفض حسين كامل وأصر على المواجهة مفترضاً أن ما قاله عدي يمثل موقفه الشخصي وإن الرئيس سيحترم توقيعه والعهد الذي قطعه بالعفو عنه .

أخذ عدي أمه وأختيه وأولادهما في الطائرة المروحية وترك حسين كامل وصدام كامل وعبد الحكيم كامل بمفردهم بسياراتهم، ويبدو أن تعليمات واضحة قد صدرت على الحدود بعدم السماح لهم بالخروج ثانية وبقى بعض فدائيي صدام والحرس الرئاسي في نقطة طريبيل الحدودية لإفشال أية محاولة قد يقوم بها حسين كامل وأخواه بالخروج من العراق بعدما لاحظوا الأجواء التي قوبلوا بها عند الدخول.

في الصحراء الممتدة بين الحدود وبغداد اقترح صدام كامل على شقيقه الأكبر حسين أن يهربا عبر طرق البادية وقال له إنهم سيقتلوننا، وما دام الرئيس قد ترك حسم الأمور لعدي فإن الأشياء لن تكون على خير، وعدي سوف لن ينسى رفضك مقابلته لشقيقتيه عند مجيئه إلى عمان، أما في الطائرة فقد جرى عتاب بين عدي وأختيه وسألهما كيف رفضتا الحديث معه على الهاتف عندما حضر إلى عمان وهاتفهما بحضور الملك حسين..؟ أنكرتا معرفتهما بهذا الأمر ووضحتا أنهما كانتا أشبه بالمعتقلتين وممنوع عليهما استخدام الهاتف أو استقبال الزوار، وحتى الأميرات من الأسرة الملكية كان يسمح لهن بالزيارة وبمقابلتهن بحضور الأزواج وحاولتا بوسائل شتى أن يوصلا هذه المعلومات إلى السلطات الأردنية وربما قد تمكنتا من ذلك في وقت متأخر وتحدثتا عن الخدعة التي تعرضتا لها من قبل حسين كامل وكيف غرر بهما عندما غادروا العراق بحجة الذهاب للسياحة أو الإقامة المؤقتة في عمان لحين تسوية الأمور بشكل هادئ مع عدي عبر توسط الملك حسين، وأنهما لم تعرفا بقصة المؤتمر الصحفي إلا في وقت متأخر، وتدخل الأولاد يؤيدون كلام أمهما. قالوا أنهم منعوا من الذهاب إلى المدرسة واللعب مع أحد.. وإن أقصى ما أتيح لهم اللعب معهما هما كلبان صغيران طلبهما الأب من ألمانيا.. وإن الأولاد كانوا أشبه بالمحتجزين !!

واشتاط عدي غضبا وتوعد وحاولت زوجة صدام أن تقول إن زوجها لا علاقة له بكل هذه القضية وأنه أيضاً أرغم على كل ما جرى لكن عدي لم يقتنع بهذا الكلام وقال كان بإمكانه أن يتصل أو يتمرد أو يرفض المؤتمر الصحفي أو يحرركما من

قيود الإقامة الجبرية وقالت زوجته انها كانت تخرج معه وإنها ليست مقيدة بالمفهوم المطلق كما هو حال أم على - تقصد زوجة حسين كامل -، لكن لم يكن بمقدورها أن تعود إلى العراق أو تتصل بأهلها..

كان الطريق إلى بغداد طويلاً، هبطت الطائرة على سطح أحد القصور ومن هناك انتقلوا بالسيارات إلى حيث كان الرئيس صدام حسين ينتظر في أحد المواقع السرية..أما حسين كامل وأشقاؤه وشقيقته أم عمر زوجة عز الدين وأطفالها الخمسة فقد ذهبوا إلى منزل يملكه الأب في منطقة - السيدية - أحد أحياء مدينة بغداد الواسعة وهناك كان بانتظارهم والدهم ووالدتهم، أما شقيقهم الآخر جمال فقد رفض الحضور للسلام عليهم وكان الأب قد ملأ البيت بالأسلحة وكان يعرف أن أشقاءه الآخرين وأبناء عمومته ينوون قتل العائدين، وحاول بكل الطرق أن يثنيهم عن ذلك ولم يتمكن، وذهب لمقابلة الرئيس صدام حسين، الا أنه اعتذر عن مقابلته، وقام وفد من العشيرة يضم على حسن المجيد عضو القيادة العراقية وعم حسين كامل وجمال مصطفى زوج حلا البنت الصغرى للرئيس صدام حسين، وثائر عبد القادر ابن عمة حسين كامل وزوج كريمة الرئيس الراحل أحمد حسن البكر، وعشرة أخرين يمثل كل منهم العوائل في الأسرة الحاكمة وقابلوا مجتمعين الرئيس صدام حسين وقال على الذي يسميه العراقيون - على كيماوي - لمسؤوليته المباشرة عن المجزرة التي تعرض لها الأكراد في مدينة حلبجة عندما قصفت بالسلاح الكيميائي وقتل فيها الآلاف من الأبرياء وأحرقت الأرض يوم كان هو مسؤولاً عن كل ما يتعلق بملف كوردستان العراق، قال على للرئيس الذي هو ابن عمه في ذات الوقت، أنك عفوت يا سيادة الرئيس عن الجزء المتعلق بحق الدولة وعفوت عن الجزء المتعلق بحقك الشخصي لكننا لا نعفو عن حق العشيرة، فهذا جزء فاسد في العشيرة فما هو مصير الجزء الفاسد؟.

قال الرئيس تعلمنا أن الجزء الفاسد يبتر قبل أن يستشرى. وحق العشيرة مسؤوليتكم ولا أتدخل أنا فيما تريدون أن تفعلوا، لكنني أتمكن من منع أولادي من

المشاركة المباشرة في أي عمل تنوون القيام به، فأنا حين أعفيت، أعفيت عن حقي وحق أولادي.

لقد فهم الزوار أنها مباركة وتأييد من الرئيس وعليهم أن يهيئوا أنفسهم للتنفيذ، وكانوا يدركون أيضاً أن حسين كامل ليس خصماً سهلاً وأنه سيقاتل وقال أحد الحضور للرئيس صدام حسين: سيادة الرئيس إنهما لازالا صهريك من الناحية القانونية والشرعية وليس بمقدورنا أن نقتلهما، فأمر الرئيس على الفور بأن يقوم حسين وصدام كامل بتطليق زوجيتيهما لكي لا توصفا على أنهما أرملتي خائنين، واتفق الجميع على أن يطلب من قاضي بغداد الأول إجراءات مستعجلة لإجراء الطلاق بناءً على طلب خطي تقدمه كريمتا الرئيس صدام حسين. ووعد عدي الحضور أنه سيهيئ الطلبات..انصرف الجميع وعرفوا مهمتهم القادمة.

كان هذا يوم ١٩٩٦/٢/٢٠ وكان حسين كامل ومن معه قد وصلوا العراق يوم ١٩٩٦/٢/١٩، ذهب عدي إلى شقيقتيه وطلب منهما التوقيع على طلبات القاضي الشرعي لكي يتم الطلاق وأحضر عدي هذه الأوراق بعد أن وقعت الشقيقتان عليها، دون أي اعتراض، ويقال إن زوجة صدام كامل حاولت الدفاع عن زوجها ورفضت ما يجري وقالت افعلوا بحسين ما تريدون لكن صدام لا علاقة له بهذا، لكن الأوامر كانت حاسمة وعندما أفهموهما أن العشيرة ستقتلهما وأنهم لا دخل لهم في هذا، رفضت أم أحمد زوجة صدام وانهارت لكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً.!؟

لقد تم استدعاء الأب من قبل أشقائه وطلبوا منه أن يذهب حسين كامل وشقيقه إلى المحكمة لتطليق زوجتيهما، رفض الأب، ولكنهم هددوه ومن ثم وعده أشقاؤه أن الطريقة الوحيدة التي يستطيع أن يحافظ بها على حياة ابنيه هي أن يقوما بتطليق زوجيتهما وهو وعد آخر قطعته العائلة وسينقض أيضاً.. وافق الأب وذهب إلى ولديه اللذين رضخا للأمر وصحبهما إلى حيث قاضي بغداد الأول عبد القادر إبراهيم الذي قام بالإجراءات القانونية والشرعية للطلاق.

أما على الجانب الآخر فقد شعر بالفزع كل من التقى بحسين كامل أثناء إقامته في الأردن وكنت أنا واحداً منهم وكان هذا الشعور يستند إلى عدة مخاوف أولها أن يستغل النظام عودة حسين كامل ويرتب معه مقابلة تلفزيونية يقوم خلالها بتلفيق قصص عنا نحن من عمل أو تعامل معه كأن يقول إننا طلبنا منه العمل مع هذه الجهة الأجنبية أو تلك أو أردنا إقناعه بتقسيم العراق أو علم بصلات لنا مزعومة مع أعدائنا بما يمكن النظام من إسقاطنا وطنياً في نظر أهالينا ومؤيدينا داخل العراق، وثاني المخاوف هو أن بعضنا قد أسّر حسين كامل بعلاقاته مع من هم لازالوا في داخل العراق، وجرى ذلك في جلسات تبادل معلومات وتقييم لمن هم لازالوا في خندق السلطة. فمثلما كنا نعرف من هم الذين اتصلوا بحسين كامل أو أرسلوا بعض من يثقون به إليه معلنين تأييدهم له، عرف حسين كامل بعض مناصرينا في مؤسسة الحكم، وكان يقلقنا أن حالة الإحباط التي يشعر بها حسين كامل من المعارضة العراقية التي دفعته للعودة إلى العراق ستجعله يقدم هذه المعلومات للسلطات العراقية ويتسبب بمجزرة كبيرة.

وخلال العودة، وقبل معرفة ما جرى في العراق، سألت مسؤولاً مهما، ماذا تفعل لو كنت أنت الرئيس صدام حسين قال : سأقول إن خروج حسين كامل كان عبارة عن مسرحية وأنه قام بدور وطني لمعرفة مشاريع الأعداء ضد بلده وأيضاً في محاولة لاختراق المعارضة العراقية وتوريط أمريكا بمعلومات مشوهة لا أساس لها من الصحة وكنا نريد أن نعرف أعداءنا من أصدقائنا، وخاصة حقيقة الموقف الأردني الذي هو بوابة العراق الوحيدة إلى العالم، وحين انتهت مهمته عاد إلى الوطن، وقدم كل هذا الكم من المعلومات وسيكون من اليوم مسؤولاً عن أحد أجهزة الأمن المعنية بملف المعارضة العراقية والشؤون العراقية.

لكن من أين للرئيس صدام حسين، بردود فعله الغاضبة، هذه الحكمة والصبر التي لو كان لديه منهما، لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه، حيث ربع الشعب مهجّر في اتجاهات الأرض الأربعة تبتلع بعضهم حيتان البحار والوحوش الكاسرة في البحار التي يقطعونها بطرق بدائية بحثاً عن مكان يأويهم بأمان.

وقد لا تتوفر الفرصة في وقت آخر أن أشير إلى أن الصحفي رئيس تحرير جريدة البلاد الذي أقام الدعوى على حسين كامل بتحريض من المخابرات الأردنية قد اعتقل في عمان من قبل جهاز أخر هو جهاز الأمن الوقائي وأحيل إلى القضاء وجرت محاكمته علناً بتهمة استلامه أموالاً من المخابرات العراقية والتخابر مع دولة أجنبية، وأثناء المحاكمات وعند الدفاع عن نفسه طلب شهادة أحد ضباط المخابرات الأردنية الذي كان مسؤولاً عنه مدعياً أن صلاته مع المخابرات العراقية كانت بعلم المخابرات الأردنية وأنه وكيل معتمد لدى المخابرات الأردنية وقد حضر مندوب من المخابرات وأعطى إفادة أيد فيها إدعاءات هذا الصحفي المخبر وأطلق سراحه، وهو ما يؤكد أن قصة الدعوى التي أقيمت ضد حسين كامل واعتبرتها السلطات الأردنية سبب المواجهة معه هي مفتعلة من قبل المخابرات بهدف إبعاد حسين كامل الذي رفض تأييد مشروع الفيدرالية الذي تبناه الأردن كمشروع سياسي للعراق لما بعد الرئيس صدام حسين.

كان والد حسين كامل ووالدته قد صدّقوا إلى حد ما أن أولادهم قد أصبحوا بمأمن، لكنهم علموا بطريقة ما أن جميع مداخل بغداد وبواباتها قد وضعت تحت سيطرة جهاز الأمن الخاص وفدائيي صدام، وبدأ تفتيش دقيق للسيارات الداخلة والخارجة، وكان لدى نقاط التفتيش أوامر صارمة بمنع حسين كامل وأشقائه من مغادرة بغداد، وهذا ما يؤكد أن السلطة كانت جزءاً مما سيحدث لاحقاً أي أنهم ما كانوا يريدون له أن يخرج من بغداد، كأن يذهب إلى معقل أهله في قرية - العوجة- في ضواحي تكريت ١٦٠كم- شمال بغداد - في المساء طرقت بابهم سيدة مسنة كانت تسكن إلى جوار المنزل الذي يتواجدون فيه وقالت لوالدة حسين كامل التي تربطها بها علاقة جوار وصداقة تخبرها إن مفرزة من جهاز الأمن الخاص قد حضرت إليهم وأبلغتهم أن يخلوا المنزل خلال ثلاث ساعات وأن الدولة ستوفر لهم سكناً في أحد الفنادق إذا لم يكن لهم أقارب من الممكن أن يناموا عندهم هذه الليلة، وإن هذا الموضوع يتعلق بأمنهم وحمايتهم وافترضت السيدة أن الدولة ربما بصدد

مهاجمة منزل عائلة حسين كامل ونصحتهم بالمغادرة. ولقد تم إخلاء الحي الذي يوجد فيه حسين كامل وأشقاؤه وشقيقاته ووالداه من السكان وانتشر في المنطقة أشخاص يرتدون ملابس سوداء وأقنعة لا تظهر من وجوههم غير العيون ومدججين بمختلف الأسلحة. كما ذكرنا فإن الوالد كان قد كدس أنواعاً مختلفة من الأسلحة وبعد أن عرفوا بما أبلغتهم به الجارة خرج الوالد للاجتماع مع أشقائه الذين هم أصغر منه سناً وأقربائه الآخرين الذين كان أغلبهم من أولاد شقيقاته، وسألهم عن الوعد الذي قطعوه من أنهم لن يصيبوا ولديه بسوء إن هما طلقًا زوجتيهما. قالوا له لم نتمكن فقد اتخذت العشيرة قراراً بقتل أولادك ولا يستطيع أحد إلغاء هذا الأمر غير - السيد الرئيس - صدام حسين.

ونحن نطلب منك أن تغادر المنزل أنت وزوجتك وبناتك وأطفالهن وعلى أولادك أن لا يحتمون بك أو بالأطفال، وإن أمر قتلهم قد اتخذ ولا رجعة فيه، أدرك الحاج كامل إن شقيقه علياً الذي بدأ حياته مساعداً في الجيش - نائب ضابط - وأصبح عضواً في القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة ويحمل رتبة فريق ركن وتبوء منصب وزير الدفاع، والمعروف بقسوته وميله للعنف الشديد، وحصل على كل هذه المواقع والامتيازات بسبب طاعته العمياء لابن عمه الرئيس صدام حسين وما عرف عنه من أنه كان يطلق الرصاص على رأس بعض المعتقلين عندما كان مديراً للأمن العام ويرديهم قتلى دون محاكمة.

أدرك أن لا فائدة من الحوار مع هذا الأخ وعليه أن يسعى لمقابلة ابن عمه الرئيس صدام حسين، فذهب إلى القصر الجمهوري وحاول التحدث مع كل من يعرفه من أقاربه الذين كان أغلبهم يتهرب من الحديث معه في تلك الليلة الحامية، لكنه لم يستطع الوصول إلى الرئيس صدام حسين، فتبين أن أغلب الذين أراد أن يوسطهم واسطة لتأمين مقابلته مع الرئيس وهم مرافقوه الشخصيون مثل ابن أخته اللواء روكان رزوقي أو ابن عمه شبيب كانوا مع القوات المتجمعة للهجوم على منزله. عاد إلى المنزل وأخبر أولاده بما جرى واتفق الجميع على المقاومة. نصبوا أسلحتهم فوق

سطح المنزل. واتفقوا أن يكون لكل منهم دور في حماية المنزل من الهجوم المرتقب، مر الليل طويلاً ولم يأت أحد. لم ينم أو يأكل أحد حتى الصباح الباكر حيث قالت أم حسين كامل إلى أبنائها، طالما عاملني الرئيس بود واحترام وأنا من أسميت أولادي الكبير على اسم والده عندما مات والأصغر على اسمه يوم كان مطارداً من قبل السلطة ومشاكساً لا يستقبله أحد من أقربائه، فربما سيقابلني وأطلب منه التدخل لحمايتكم، ومنع ما يخطط له أعمامكم.

وعندما خرجت من المنزل شاهدت الحي وقد ازدحم بمختلف أنواع السيارات والأشخاص الملثمين استقلت السيارة بصحبة أحد السائقين وعند أحد الحواجز قال لها شخص من الملثمين يا عمتي إذا لم تستطيعي خلال ساعة أن تجعلي الرئيس يأمر بإيقاف الهجوم فسيقتل كل من في البيت.

شكرته دون أن تعرفه وقد خمنت أنه بالتأكيد أحد أقاربها. ذهبت إلى القصر الجمهوري. ووعدت بالمقابلة وكانت تنتظر التشريفات على أمل أن تحضر سيارة تقلها إلى أحد المواقع التي يتواجد بها الرئيس صدام حسين حيث لا يعرف مكانه إلا أقرب المقربين إليه. وفي هذه الأثناء وفي العاشرة صباحاً وقف علي حسن المجيد يتقدم أقاربه ونادى بمكبرات الصوت على شقيقه الحاج كامل أن يخرج من المنزل هو والنساء والأطفال وإلا سيقتل كل من في المنزل رفض الحاج كامل المغادرة وقال لهم سأموت مع أولادي فأعطوني فرصة لبعض الوقت لأن أم حسين ذهبت لمقابلة الرئيس وربما تحصل على عفو.

كان إلى جوار علي واحد من أكثر المتحمسين لقتل حسين كامل، وهو ثائر عبد القادر المجيد، وثائر هذا كان قد قال لي عنه حسين كامل يوم كنا سوية في عمان إنه قد أرسل رسالة إليه وأعلن عن استعداده وقدرته على اغتيال الرئيس صدام حسين إن طلب منه حسين كامل ذلك وفيما إذا رتب أوضاعه مع الدول الكبرى والإقليمية، ويبدو أن ثائراً كان خائفاً من أن تكون هذه المعلومة قد سربت أو ستسرب مما جعله يحاول أن يكون متحمساً وفي مقدمة المهاجمين للقضاء على حسين كامل.

لقد بدأ المهاجمون بإطلاق النار على المنزل الذي يضم كامل حسن المجيد وأولاده حسين وصدام وعبد الحكيم وابنته أم عمر زوجة عز الدين، الذي رفض العودة، وأولادها الخمسة الذين كان أكبرهم في الثانية عشرة من عمره ولم يكن أولاد حسين كامل وصدام كامل وقد أصبحوا شباباً لم يكونوا في المنزل وقت شن الهجوم.

لقد رد من في البيت على مطلقي النار، وكان أول من قتل من المهاجمين هو ثائر ابن أخت الحاج كامل، وقتل شخص أخر هو أحمد رزوقي سليمان المجيد وهو أيضاً ابن شقيقة أخرى للحاج كامل أي أنهم يتقدمون الصفوف لقتل خالهم وأولاده، لقد قاتل من في البيت قتالاً شرساً ويمكنني القول اليوم أن حسين كامل لم يكن يجيد مهنة أفضل من القتال. لقد استمرت المواجهات عدة ساعات ولم يستسلم من في البيت أما الوالدة فكانت لا تزال تنتظر في تشريفات القصر الجمهوري دون أن تعرف شيئاً عما حل بأولادها.

بعد ست ساعات من المواجهات كان هناك ستون شخصاً بين قتيل وجريح من المهاجمين وتراجع على حسن المجيد ومن معه من المقدمة وتركوا الهجوم للملثمين من منتسبي فدائيي صدام الذين كان أغلب الضحايا من بينهم.

لقد قال لي أحد المشاركين في ذلك الهجوم أنه بانت على سطح المنزل راية بيضاء فهم المهاجمون أنها علامة استسلام الموجودين في المنزل، وهو ما جعل على حسن المجيد يقول لأحد الرماة عندما يظهر رأس ما صوّب عليه أياً كان. وقبل أن يعرف إن كان هو أحد الأطفال أو شقيقه أو ابنة شقيقه رجلاً كان أم امرأة. وفعلاً سرعان ما ظهر الرأس وإذا به صدام كامل ونفذ الرامي تعليمات على المجيد وأصابه في فمه وأرداه قتيلاً في الحال، بعد أن تناثر رأسه.

هذه الراية لم تزد المهاجمين إلا إصراراً على الاستمرار، وصدرت الأوامر باستعمال الأسلحة المتوسطة ومن أجل هد البيت وحرقه على من فيه، ويبدو أن أغلب الموجودين في الداخل قد قتل، وخرج حسين كامل من المنزل جريحاً إلى حديقة

الدار موافقاً على الاستسلام الذي لا يريدونه بقدر ما يريدون قتله وهو ما تحقق فعلاً، إذ أردي قتيلاً في حديقة المنزل وذهب إليه عمه على المجيد وحرك رأسه بحذائه ورفس الجثة ليتأكد من مقتله وعندما شعر أن في الجثة بقايا روح صوب مسدسه نحو رأسه ونثره أيضاً.

وتوقف إطلاق النار ودخل المهاجمون إلى أطلال المنزل ليجدوا الحاج كامل وابنته وخمسة أطفال هم مجموع أطفال عز الدين محمد قد قتلوا إضافة إلى عبد الحكيم وصدام وحسين كامل.في الوقت الذي كانت الأم تنتظر فيه موافقة الرئيس على استرحامها والعفو عن أبنائها من خلال تدخله لإيقاف الهجوم الذي كانت بدايته قد لاحت حين مغادرتها المنزل، وبقيت هناك دون أن يتجرأ أحد على إبلاغها بما حدث، وعندما حل الليل وعادت أدراجها منعت من الوصول إلى البيت وأبلغت بأن تعليمات مشددة قد صدرت بعدم الوصول إلى الموقع حيث قتل كل من فيه والأوامر تمنع دفن الجثث وتركها على الرصيف.

لقد تركت الجثث أربعة أيام حتى انتفخت وانبعثت منها رائحة كريهة بحيث اشتكى جيران المنزل الذين سمح لهم بالعودة في اليوم الرابع لإعمار ما أصاب بيوتهم من ضرر من الرائحة الكريهة فصدرت الأوامر أن تنقل الجثث إلى إحدى المقابر لدفنها.

في اليوم الثاني لهذه المجزرة تعرضت جدارية للرئيس صدام حسين في مدخل قريته العوجة بعد رميها بالرصاص للتشويه، وفي نفس اليوم تعرض منزل عبد الحميد الخربيط في أطراف مدينة الرمادي إلى هجوم مسلح قيل إن مرتكبيه قد حضروا بسيارات يفهم منها أنها مثل تلك التي يستعملها الحرس الخاص وفسر البعض ذلك بأن الذين قاموا بالهجوم هم موالون لحسين كامل أو أن شقيقه جمال مع آخرين قد قاموا بالهجوم على المنزل الذي لم يكن بداخله غير الحرس في محاولة للانتقام لمقتل شقيقه معتبراً أن عودة حسين كامل جاءت بسبب وساطة عبد الحميد الخربيط وأنه هو الذي غرر بشقيقه ومن معه وأغراهم بالعودة إلى العراق.

أما عز الدين والذي ترك الأردن لاحقاً بسبب مضايقات السلطات الأردنية فقد انتقل للإقامة بين بريطانيا وأبو ظبي، بعد أن فقد زوجته وأولاده جميعاً في تلك المجزرة الرهيبة.

أما أولاد حسين كامل وصدام كامل فقد انتقلوا للعيش مع أميهما برعاية جدتهم الزوجة الأولى للرئيس صدام حسين السيدة ساجدة خير الله طلفاح، ولم يلقوا مصرعهم كما ذكرت وسائل الإعلام عندما نقلت أخبار المجزرة، وقد التقطت لهم صورة حديثة قبل عدة أشهر، في بغداد نشرتها الاتجاه الآخر في حينها وتعيد نشرها اليوم.

أما والدة حسين كامل والتي بقيت في رعاية ابنها الأصغر جمال، فقد وجدت مذبوحة قبل عدة أشهر في منزلها ببغداد حيث كانت بمفردها. وقد قال البعض إنها ذبحت بسبب تعليقاتها المتكررة وتعرضها بالسب للرئيس صدام حسين وللذين قاموا بالمجزرة بحق أبنائها في حين ادعت السلطات العراقية إن القتلة هم مجرمون محترفون ذبحوها بهدف السرقة وقد تم إلقاء القبض عليهم وأحيلوا إلى القضاء ونالوا جزاءهم العادل.

والسؤال هو.. أي حكام هؤلاء..؟ وأي حظ عاثر أصاب العراق حتى يحكمه أفراد لازالوا يتصرفون بعقلية العصابات..؟ وكيف يمكن للمرء أن يثق بهكذا حكم أو قيادة بلد لا تحترم العهد ولا الميثاق ولا الكلمة؟ فإذا كانوا قد فعلوا كل هذا بأفراد أسرهم وبأشقائهم وبأبناء عمومتهم، فماذا يفعلون بخصومهم أو بمن يتجرأ على إعلان خصومته لهم؟.. إنها مجزرة.. حقاً!!

وبعد مرور عام على هذه المجزرة اصدر الرئيس صدام حسين مرسوماً جمهورياً اعتبر فيه الضحايا شهداء الغضب ربما حتى لا يسمي أحفاده أبناءً خونةً وما انفك الرئيسُ يطلق لقب الشهداء بمرسوم جمهوري على من بصفتهم بلحظات شك وغضب وما أكثرهم حيث لم يسلم أحدٌ من أصدقائه ورفاق دربه إذ أن اغلبهم قضوا نحبهم بأوامر منه.

٥ - عدنان خير الله
وابن الخال أيضاً !!

•• هو ابن خال صدام .. رفيق عمره .. وكان أبوه يعتبر صداما ولده الذي لم ينجبه .. رباه يتيماً .. ساعده .. دعمه .. وجعله أخاً لابنه عدنان .. ومع رحلة الصعود انتهى عدنان إلى أن يكون وزير دفاع صدام .. لكن كل ذلك لم يمنع الطاغية من تدبير مقتله، وكان ممن حلت عليهم لعنة العائلة قبل أن تمتد لتطول صداما نفسه وولديه !!

نعم شغل عدنان خير الله منصب وزير الدفاع في العراق منذ عام ١٩٧٩ حتى مقتله في ٥مايو عام ١٩٨٩ في تحطم لمروحيته .

عدنان خير الله طلفاح هو ابن خال الرئيس العراقي السابق صدام حسين وشقيق زوجته الأولى ساجدة خير الله طلفاح كانت له علاقه حميمة مع صدام منذ أيام الطفولة حيث أن الثاني تربى وترعرع في بيت خاله خير الله طلفاح والد عدنان، ودخل عدنان خير الله الكلية العسكرية وأصبح من كبار الضباط بعد مساهمته في انقلاب ١٧ يوليو ١٩٦٨ ، ضد نظام عبد الرحمن عارف والتي قادها حزب البعث.

وأصبح وزيرا للدفاع في أثناء حرب الخليج الأولى، (الحرب العراقية- الايرانية) ، وبدا نجمه بالسطوع حيث كسب حب الجيش والشعب العراقي من خلال مواقفه المتزنة، مما أدى إلى إثارة ريبة صدام حسين فقام صدام بتدبير حادث طائرة مروحية للتخلص منه، وادى الحادث إلى مصرع عدنان خير الله. ويقال إنه كان عائدا من شمال العراق أثناء وجوده مع صدام هناك إلى بغداد لإعلان انقلاب ضد نظام الحكم وهذا ما أكدّه كثيرون.

عائلة صدام كانت تريد منه ان يصبح مزارعا، على اساس انه لا فائدة من التعليم، لكن صدام اصبح مهتما بفكرة التحصيل العلمي والذهاب إلى المدرسة بعد ان التقى بابن خاله عدنان خير الله، الذي ابلغه كيف انه يتعلم القراءة والكتابة والحساب.

وعدنان هو ابن خير الله من زواجه الأول الذي أثمر أيضا عن إنجاب ساجدة التي ستصبح الزوجة الأولى لصدام، بعد إطلاق سراحه تزوج خير الله من امرأة

اخرى وانتقل عدنان وساجدة اللذان كانا يعيشان مع امهما في منزل والدها في بغداد أثناء سجن والدهما للسكن في تكريت، وقد أصبح عدنان أعز أصدقاء الطفولة لصدام، وتبوأ فيما بعد منصب وزير الدفاع وهو منصب احتفظ به حتى مقتله .

وبعد سقوط نظام صدام خرجت إلهام خيرالله طلفاح، الشقيقة الصغرى لعدنان خير الله وزوجة صدام ساجدة وزوجة وطبان الحسن الأخ غير الشقيق لصدام عن صمتهن، وراحت تروي ما تحتفظ به في ذكرياتها عن أيام صدام و قصة مقتل أخيها عدنان .. وتقول :

"والدي خيرالله طلفاح وأخي عدنان خيرالله. العائلة مكونة من خمس أخوات وخمسة إخوة". أكبر الذكور عدنان وأكبر النساء السيدة ساجدة زوجة الرئيس صدام وانا الرابعة في الترتيب.

عدنان شخصية يندر وجودها، ولد سنة ١٩٤٠. متواضع وبسيط... لم تغره السلطة ولم يطمع في اي منصب... وحسبما اسمع، فإن الرئيسين احمد حسن البكر وصدام حسين قررا ان يتولى وزارة الدفاع. واحتاجا إلى فترة لإقناعه بتسلم هذه الحقيبة، وكان قبل ذلك تزوج من السيدة هيفاء ابنة البكر.

كان عدنان قبل تسلمه حقيبة الدفاع يعمل آمراً لكتيبة دبابات أبو غريب (جنوب غربي بغداد) ، كان مرتاحاً في عمله، وهو عسكري محترف تخرج من الكلية العسكرية مقتدياً بوالدي الذي كان عسكرياً وحمل في صدره رصاص الانكليز.

عمل عدنان خلال تدرجه في السلك العسكري في معظم محافظات العراق. وخلال تنقله اسس علاقات وصداقات مع جميع ابناء الشعب العراقي على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، وكان من النوع الذي لا يفرق بين الناس لأسباب مذهبية أو عرقية أو غيرها من الفوارق الاخرى. كما كان حريصاً على علاقاته بالآخرين في الوقت الذي كان يلتزم العادات والتقاليد.

عرف الناس عدنان قبل ثورة ١٩٦٨، وكان محبوباً بين اهالي البصرة والسليمانية وسائر المحافظات التي عمل فيها. كان وفياً لجميع من عرف، حافظ على اصدقائه منذ الصغر. واذكر منهم الذين استمروا على الاتصال به إلى ان توفاه الله، وهم نجم وسمير ونعيم، وهم من مدن عراقية مختلفة. لم تتغير علاقته بأصدقائه عندما أصبح وزيراً بل استمرت على وتيرتها، وكان يلتقيهم بشكل مستمر ومنتظم ويزورهم في بيوتهم. وكان بينهم المسلم والمسيحي، السني والشيعي، العربي والكردي، العشائري والحضري، العسكري والمدني. كانوا خليطاً رائعاً لا يمكن ان يجتمع الا حول عدنان الانسان وليس حول عدنان الوزير المسؤول.

كان عدنان يحدثني كم كان يتعذب عندما يتلقى أوامر الإعدامات من صدام. وبحكم كوننا إخوة وأصدقاء كان يفتح صدره ويصارحني بأشياء كثيرة، منها: الاحكام التعسفية التي يصدرها صدام ضد العسكريين بناء على قناعات وتقديرات شخصية او بناء على توصيات مسؤولين مقربين منه. وكان عدنان يطلب مني مساعدته على التفكير بطريقة يقنع بها صدام بتغيير أحكام الاعدام.

عدنان إنسان طيب مؤمن دمث الخلق، حلو المعشر، في غاية البساطة والتواضع مع كل من يلتقيه. قلبه مفعم بحب الخير للآخرين لا يحتمل تنفيذ أوامر الإعدام لمجرد ان جندياً فر من الجبهة أو أن جندياً تقاعس عن أداء الخدمة. كان يحاول جاهداً استصدار عفو عن العسكريين الهاربين من الخدمة. وكان يقول: إن أسعد أيام حياته عندما يحصل على أمر ينقذ أحد الجنود من الإعدام. والدليل على ذلك سجل الزيارات عند ضريح عدنان، فقد امتلأ بأسماء من حكم عليهم بالاعدام وتمكن، بحول الله وقوته، من استصدار امر بالعفو عنهم، والناس الذين يتوافدون لزيارة ضريحه يأتون تعبيراً عن وفائهم لهذا الانسان. وهو ما دفعهم إلى تسجيل عبارات حميمة في السجل، وأكثرهم كان يكتب أن بقاءه على قيد الحياة إلى الآن كان بفضل الله ثم بفضل عدنان خير الله.

وتضيف إلهام : علاقة صدام حسين وعدنان خيرالله، حسبما كنا نرى ونسمع، كانت علاقة أخوة حقيقية. حدثني، رحمه الله، انه عندما كان صغيراً كان بحلول العطلة الصيفية يترك بغداد ويسافر إلى (العوجا) حيث مسكن عمته والدة الرئيس صدام. وعلى رغم قساوة الحياة الريفية على شخص مديني مثل عدنان كان يمضي غالبية ايام الصيف في قرية العوجا حيث بيوت الطين والحياة الريفية الصعبة... لكن سرعان ما كان ينصهر معهم. ربما كان عدنان يشعر بالوحدة لعدم وجود أخ... لكنه كان يرتبط بعلاقة صداقة حقيقية مع صدام حسين.

كان عدنان يقول لي، إنه كان يحس بوحشة في الأيام الأولى من إقامته في العوجا، لأن أبناء عمومته لا يتقبلون سلوكه الحضري. ومن جانبه كان من الصعب عليه أن يتقبل حياة القرية إذ أن وسيلة الترفيه الوحيدة هناك ممارسة السباحة في النهر والعمل في الزراعة نهارا. ولدى عدنان أكبر أرشيف صور لصدام حسين والعائلة. فقد تعوّد عدنان منذ ان كان في الرابعة عشرة ان يحمل معه الكاميرا... كما ان لديه مجموعة كبيرة من الصور عن المناطق التي خدم فيها وهي تحكي قصة تطور المدن والاقضية العراقية.

وزاد من علاقة عدنان وصدام ان الاخير انتقل بعد ذلك إلى بغداد لاكمال دراسته وأقام في دارنا وكان والدي يعامله كما يعامل عدنان حتى لا يشعر صدام بالغربة في منزل خاله وهكذا نشأ عدنان وصدام كأخوين.

وعن مقتله تقول : غاب عدنان في حادث تحطم مروحية في منطقة بدوية نائية بين منطقتي (بيجي) و(الشرقاط) (شمال بغداد). سمعنا مثل هذا الكلام عن (مؤامرة وراء مقتله) ولكن لم نتأكد من ذلك آنذاك، لكننا أصبحنا نميل إلى تصديقها بعدما عزل عدي صدام حسين أبناء عدنان وأعطى تعليماته لجميع المسؤولين العراقيين بعدم الاهتمام بهم، بحيث أصبح هو الشخص الوحيد المتحكم بمصير أبناء خاله الذين استبعدوا حتى من العمل التجاري ومنافسة إمبراطوريته التجارية.

5

الفصل الخامس

لعنة آل رومانوف

ومذبحة عائلة القيصر !!



١ - نيقولا الثاني ..

وذبح عائلة حلت عليها اللعنة !!



•• ولم يتورع لينين عن إصدار أوامره بإعدام عائلة بأكملها في أكبر لعنة تحل بعائلة ملكية في التاريخ !!

أسرة رومانوف هي الأسرة الروسية المالكة التي حكمت روسيا حوالي ثلاثة قرون ما بين عامي١٦١٣ و١٩١٧ حينما قامت الثورة الشيوعية بقيادة لينين وأطاحت بها وأعدمت آخر أفرادها.

مؤسس الأسرة هو القيصر ميخائيل رومانوف وهو ينتسب من جهة الأم إلى نبيل ألماني كان قد هاجر قبل ذلك إلى روسيا. وقد حكم إمارة موسكو عام١٦١٣ وقد أصبحت روسيا تعرف منذ ذلك الوقت بدولة القياصرة.

خلف ميخائيل ابنه ألكسيس عام١٦٣٣ الذي تولي أبناؤه الثلاثة من بعده حكم روسيا وهم فيدور الثالث وإيفان الخامس وبطرس الأول. وهذا الأخير، الذي عرف باسم بطرس الأكبر وحكم بين عامي١٦٨٩ -١٧٢٥ يعتبر مؤسس الإمبراطورية الروسية ومن أشهر حكام القياصرة.

من أشهرهم ايضا كاترين الثانية التي حكمت من١٧٦٢ إلي١٧٩٦ وجددت سياسة بطرس الأكبر من حيث التوسع الإقليمي جنوبا نحو البلقان والقوقاز وشرقا نحو آسيا الوسطي وغربا حتي شواطيء البلطيق. وقد اتصل تاريخ كل منهما خاصة بالحروب الروسية التركية التي كانت تهدف للاستيلاء على القسطنطينية أو بسط السيطرة الروسية على المضايق مع فرض وصايتها على الشعوب المسيحية الداخلة في إطار الإمبراطورية العثمانية.

انقرضت هذه الأسرة بقيام الثورة البلشفية في اكتوبر١٩١٧ ثم إعدام نيقولا الثاني آخر القياصرة مع زوجته وأولاده في١٦ يوليو١٩١٨.

القيصر نيكولا الثاني اسمه الكامل نيكولاي الكسندرفيتش رومانوف و هو الابن الأكبر للقيصر القوي الكسندر الثاني ولكنه عاش طفولة مهذبة ومفعمة بالحساسية مما صبغ حياته بصبغة من الضعف وقد حكم روسيا من سنة ١٨٩٤م إلى ١٩١٧ بدا خلالها القيصر نيكولا غير قادر على ضبط الهيجان السياسي ولا على السيطرة على الجيش في الحرب العالمية الأولى مما أدى إلى هزيمته أمام اليابانيين .

وبدأ التدهور السياسي في روسيا حتى أجبره الثوار البلاشفة على التنحي في شهر مارس من عام ١٩١٧ .

والحقيقة أن الثوار وعلى رأسهم لينين لم يتحلوا بأخلاق الفروسية مع العائلة القيصرية ولم يكن لديهم المروءة في معاملة الخصوم فاعدموا العائلة القيصرية في يوليو عام ١٩١٨ في يختنبرغ بطريقة ثار حولها الجدل الكبير .

ويهتم المؤرخون كثيراً بحقبة حكم آل رومانوف، و يعتبرونها من أكثر المراحل التاريخية في عمر الدولة الروسية، بل و يعتبرون تصفية القيصر نيقولا الثاني وعائلته على أيدي رجال الثورة البلشفية نذير شؤم بحكم ديكتاتوري دموي في الطريق وقد كان .

فحكم آل رومانوف كان نهاية لعصر ما يسمى بالفتنة في تاريخ روسيا، و لهذا قصة سنعرج عليها بسرعة .

يطلق المؤرخون الروس على المرحلة التي شهدتها الدولة الروسية في بداية القرن السابع عشر تسمية الفتنة ((سموتا)) والتي تجسدت في استفحال أزمة سياسية واجتماعية وروحية عميقة شملت كافة أوجه الحياة في الدولة الروسية تمثلت في توسع دائرة الصراعات الدموية الحادة على السلطة وترافقت بالتدخل الأجنبي وخضوع الدولة الروسية للعرش البولوني . ففي هذه الفترة انحدرت عقول النخبة الحاكمة في الدولة الروسية إلى الدرك الأسفل وانتشرت الممارسات الدنيئة والمنحطة

في داخل الأجنحة المتصارعة على السلطة مع بروز أعلى درجات العنف والقسوة والإرهاب على سطح الحلبة السياسية والاجتماعية .

تمتد جذور الفتنة إلى مرحلة حكم القيصر الروسي إيفان الرابع المشهور بلقب ((الرهيب)) الذي حكم الدولة الروسية على مدى نصف قرن بالحديد والنار، حيث يسود الاعتقاد بين المؤرخين بأن سيكولوجية ايفان الرهيب الغنوصية المتعصبة المتسمة بالتناقض المعقد والسادية اللامتناهية وتوجهاته لتوطيد سلطته الشخصية المطلقة والتي أضفت عليها الكنيسة الروسية الارذوكسية الصبغة الدينية المستمدة مشروعيتها من الإرادة الإلهية أدخلت الدولة الروسية في متاهة الميتافيزيق السديمي المظلم والتي تجلت في مرحلة تطبيق سياسة ((الاوبريجنينا)) الإرهابية التصفوية وأخرجت المجتمع الروسي من سيرورة قوانين التطور الاجتماعي وزجته في بوتقة أزمة بنيوية عميقة شملت كافة أوجه الحياة في الدولة الروسية ووضعتها على حافة الكارثة الوطنية الشاملة التي تجسدت في مرحلة الفتنة والفوضى السديمية التي شهدها المجتمع الروسي في بداية القرن السابع عشر الميلادي .

قبيل وفاته بفترة وجيزة زرع القيصر إيفان الرهيب البذور التي أوجدت الأسباب المباشرة لاشتعال نيران الفتنة في الدولة الروسية . ففي عام ١٥٨٠ تزوج ايفان الرهيب للمرة السادسة وكانت زوجته الجديدة الأميرة ماريا نوغاي التي أنجبت له الأمير ديمتري . وفي عام ١٥٨١ وفي قمة غضبه وانفعاله أقدم القيصر ايفان الرهيب على قتل ابنه الكبير وولي عهده الأمير الشاب إيفان، وعندما توفي القيصر ايفان الرابع الرهيب في عام ١٥٨٤ ترك العرش لابنه المعتل فيودر الذي لم يكن قادرا على إدارة دفة الحكم .

في عام ١٥٨٤ اعتلى الأمير فيودر العرش القيصري في الدولة الروسية، ونظرا لمعرفة ايفان الرابع بتدني قدرات ابنه العقلية شكل قبل وفاته مجلسا استشاريا لمساعدته على إدارة دفة الحكم .

وسرعان ما بدأ الصراع على السلطة في داخل المجلس الاستشاري وانحسم لصالح البويار (الإقطاعي) بوريس غادونوف أولا بسبب زواج القيصر الجديد فيودر من شقيقته وثانيا زواج بوريس شخصيا من ابنة الجلاد سكوراتوف الذي كان أيضا عضوا في المجلس الاستشاري، وتشير المصادر التاريخية إلى أن عائلة غادونوف كانت تتارية الأصل والتحقت للخدمة لدى العرش الروسي في مرحلة ايفان الثالث في نهاية القرن الخامس عشر.

بعد أن أصبح بوريس غادونوف الحاكم الفعلي للدولة الروسية برزت مواهبه كرجل دولة محنك حيث استطاع أن يحقق في البلاد استقرارا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، وذلك من خلال الاستمرار في تطبيق نظام القنانة وربط الفلاحين عنوة بالأراضي الزراعية وتحسين أوضاع المزارعين الكبار والصغار وسكان المدن . وفي عهده توسعت مدن ((سامارا)) وكورسك وبيلغورود وغيرها، وفي عهده تحولت المطرانية الروسية الأرثوذكسية إلى بطريركية .

وفي السياسة الخارجية نظم بوريس غادونوف حملة عسكرية على السويد في عام١٥٩٥ حقق خلالها الجيش الروسي انتصارا على الجيش السويدي واستطاعت روسيا بنتيجتها أن تستعيد الأراضي التي فقدتها في حرب الليفون وأصبح لها مرة أخرى موطئ قدم على بحر البلطيق .

خلال ذلك جرت في الحياة السياسية الداخلية الروسية حادثة سيكون لها تأثير كبير على تطور الأوضاع الداخلية الروسية . ففي عام ١٥٩١ توفي الأمير ديمتري أخ القيصر فيودر وابن ايفان الرهيب الذي أنجبته زوجته الأخيرة ماريا ناغوي، وانتشرت الإشاعات الواسعة في موسكو تتهم بوريس غادونوف بتدبير مقتل الأمير ديمتري لأنه كان يشكل منافسا له على العرش في حال وفاة القيصر المريض فيودر.

ولذلك شكل بوريس غادونوف لجنة رسمية للتحقيق بأسباب وفاة الأمير ديمتري برئاسة البويار شويسكي الذي ينتمي إلى عائلة أميرية عريقة النسب وتوجد لديها

طموحات لاستلام السلطة، وبنتيجة التحقيقات توصلت اللجنة الرسمية إلى أن الوفاة تمت بنتيجة حادثة عرضية وبمحض الصدفة، ولكن الإشاعات استمرت بالانتشار في داخل الأوساط الشعبية .

في عام ١٥٩٨ توفي القيصر المعتل فيودر بدون أن يترك وريثا لاعتلاء العرش، ونظرا لانقراض سلالة ريوريك الفارياغية اجتمع مجلس الدولة (الزيمسكي) وانتخب بوريس غادونوف قيصرا على الدولة الروسية (من عام ١٥٩٨ وحتى عام١٦٠٥) .

في البداية رفض بوريس غادونوف جديا اعتلاء العرش ولكن تحت تهديد فصله من الكنيسة وافق على اعتلاء العرش حيث وعد برعاية شؤون السكان وتحسين ظروف معيشتهم وإلغاء عقوبة الاعدام . ولأول مرة في تاريخ الدولة الروسية اعتلى عرش السلطة قيصر منتخب وليس بالوراثة .

في فترة حكمه للبلاد بشكل رسمي برز غادونوف كشخصية حكومية بارعة وذكية وتبنى عدة مشاريع إصلاحية كانت ستؤدي إلى تطور البلاد وازدهارها، وفي عهده برزت علائم الانفتاح على دول أوربا الغربية حيث استقدم عدة شخصيات أجنبية للخدمة في الدولة الروسية وأوفد مجموعة من الشباب النبلاء للدراسة في أوربا الغربية.

ولكن بداية حكم بوريس غادونوف الموفقة والناجحة توقفت بسبب وقوع كوارث طبيعية طارئة . ففي عامي ١٦٠١ – ١٦٠٢ وعلى التوالي شحت الأمطار الربيعية ترافقت معها موجات من الصقيع الجاف مما أدى لهلاك المحاصيل الزراعية بشكل كامل وعمت البلاد مجاعة مخيفة. وسارع بوريس غادونوف لاتخاذ سلسلة من الإجراءات النشيطة للتخفيف من حدة الكارثة، حيث سمح لبعض الفئات من الفلاحين بمغادرة الأراضي الزراعية المثبتين عليها، وأصدر أوامره بتوزيع القمح مجانا من مستودعات القيصر على الفقراء والمحتاجين، ولكن لم تستطع هذه الإجراءات إيقاف شبح المجاعة الشاملة، التي انتشرت بشكل خاص في العاصمة

موسكو وضواحيها وفي المناطق الغربية والجنوبية، حيث بدأ الأهالي بالتهام الأعشاب وجذور النباتات والقطط والكلاب والجرذان وبدأت تنتشر ظاهرة أكل لحوم البشر .

لقد نظر الشعب الروسي إلى وقوع الكارثة على أنها عقاب إلهي رباني حل على روسيا بنتيجة ارتكاب الفئة الحاكمة الذنوب والآثام وانتشرت الإشاعات التي تتهم بوريس غادونوف في تدبير حادثة مقتل الأمير صغير السن ديمتري في عام ١٥٩١، واعتبرت الأوساط الشعبية عملية اعتلاء غادونوف للعرش من الآثام العظيمة لأنها لم تأت من الرب (بالوراثة) وإنما من البشر (بالانتخاب من قبل أعضاء مجلس الزيمسكي) . لقد أدت المجاعة وخيبة الأمل بحكم بوريس غادونوف إلى حدوث أولى الانتفاضات الشعبية والتوقع بقدوم المنقذ المنتظر .

ففي عام ١٦٠٣ استطاعت قوات القيصر أن تقمع جماهير الفلاحين الجائعة التي هاجمت مستودعات الأغذية في ضواحي موسكو، ولكن لم يعد بمستطاعها القضاء على انتشار الإشاعات القائلة بأن الأمير ديمتري نجى من الموت بشكل خارق وهو متخف ضمن الأوساط الشعبية وسينقذ روسيا من الكارثة .

ولا تزال إلى الآن تدور الحوارات بين المؤرخين الروس حول الهوية الحقيقية لشخصية الرجل الذي هرب إلى بولونيا في عام ١٦٠٢ وادعى أنه الأمير ديمتري ابن القيصر الروسي ايفان الرهيب . فمن ناحية تؤكد بعض المصادر التاريخية الروسية بأنه كان خادما لدى أحد القساوسة واسمه الحقيقي غيورغي اوترويبيف. وتشير مصادر تاريخية أخرى إلى أن أصوله تعود إلى إحدى العائلات الروسية النبيلة حل بها الفقر وأصبح خادما (خولوب) لدى الأمير فيودر نيكيتش رومانوف ابن خال القيصر فيودر ايفانوفيتش، وأنه عندما قام بوريس غادونوف بملاحقة عائلة رومانوف بتهمة تدبير مؤامرة للإطاحة بحكمه في عام ١٦٠٠، اختفى غيورغي أوتريبيف وقام بحلق شعر رأسه وتنكر في شخصية قسيس وعمل سكرتيرا لدى

الأسقف إيوف (اللقب الديني للأمير فيودر رومانوف)، وسيرة حياته تؤكد بأنه كان ذكيا ومحنكا.

وتؤكد مصادر تاريخية أخرى بأن عائلة رومانوف هي التي أعدته لتقمص شخصية الأمير ديمتري، لأنها كانت على إطلاع جيد بأوضاع حاشية القصر وبتفاصيل حادثة وفاة الأمير ديمتري . ومن المثير للاهتمام أنه عندما اعتلى اوتريبيف العرش الروسي تحت اسم ديمتري عين الأسقف إيوف مطرانا على مقاطعة روستوف .

في عام ١٦٠٢ هرب اوتريبيف إلى بولونيا (مملكة رتش بوسبوليتا) الكاثوليكية وعدوة روسيا اللدود وأقام فيها وكان يتابع تطور الأحداث في روسيا . وفي عام ١٦٠٣ م قرر أن يكشف عن سره وأعلن نفسه الأمير ديمتري الابن الأصغر للقيصر الروسي ايفان الرهيب، ومن خلال تقديم الوعود للحكومة البولونية بالتنازل عن مساحات واسعة من أراضي الدولة الروسية استطاع أن يكسب حاشية الملك البولوني وتزوج من إبنة القائد العسكري البولوني ساندو ميرسكي .

وفي شهر أكتوبر عام ١٦٠٤ عبر ديمتري الكذاب الأول الحدود الروسية الغربية الجنوبية على رأس أربعة آلاف مقاتل نصفهم بولونيون وتوغل في الأراضي الروسية الجنوبية الغربية التي تجمعت فيها أعداد كبيرة من الفلاحين الهاربين (الخولوبي) وقطعات من الحركة القوزاقية .

وفي شهر ديسمبر عام ١٦٠٥ ألحقت القوات القيصرية الروسية هزيمة ساحقة بقوات ديمتري الكذاب الأول في منطقة دوبريجني الجنوبية الغربية، وعلى إثر ذلك تركه البولونيون وبدأ يعد نفسه للهروب إلى بولونيا، ولكن في هذه اللحظة الحرجة أنقذه المزاج الروسي الشعبي العام، فقد زحفت نحوه جماهير غفيرة من الروس القاطنين في المناطق الجنوبية الغربية والتفوا حوله واعتبروه الوريث الشرعي للعرش الروسي والمنقذ من الأزمة وطلبوا منه متابعة الصراع ضد القوات الحكومية .

بلا شك كانت الفئات الدنيا تنتظر من ديمتري الكذاب الأول تحسين أوضاعها المعاشية، أما فئة النبلاء والحركة القوزاقية فكانت تنتظر منه الامتيازات والثروة . ومع تصاعد تعاطف سكان المناطق الجنوبية الغربية مع حركة ديمتري ((الكذاب)) الأول وبدء انتشار التعاطف معه في المناطق الوسطى أصيبت القوات القيصرية بحالة من التردد . وفي هذه اللحظة حالفه الحظ مرة أخرى، ففي شهر أبريل (نيسان) عام ١٦٠٥ توفي القيصر بوريس غادونوف بشكل مفاجئ وبدأت قطعات من القوات القيصرية بالانتقال إلى صفوف القيصر المزيف ديمتري الكذاب الأول .

وفي موسكو هاجمت الجماهير المنتفضة الكرملين وخلعت وريث القيصر بوريس غادونوف ابنه الشاب فيودر . وفي ضواحي موسكو تم تنظيم لقاء بين زوجة ايفان الرهيب السادسة ماريا نوغا وديمتري ((الكذاب)) الأول، وبنتيجته تم الإعلان بأنها (اعترفت به على أنه ابنها ديمتري) .

وعلى أثر ذلك اقتنع أهالي موسكو بشكل كامل ونهائي بأنه القيصر الحقيقي وهاجمت الجماهير المنتفضة الكرملين وطلبت مقابلة البويار فاسيلي شويسكي الذي ترأس اللجنة الحكومية الرسمية التي حققت في عام ١٥٩١ بحادثة وفاة الأمير ديمتري، وفي هذه اللحظة أشعل المنافق شويسكي نار الفتنة الحقيقية عندما أعلن بأن الأمير ديمتري حي يرزق، وعلى أثر ذلك اقتحمت الجماهير المنتفضة الكرملين وقتلت القيصر فيودر ابن بوريس غادونوف، الذي تؤكد المصادر التاريخية بأنه كان شابا ذكيا وأعده والده بشكل جيد لتحمل أعباء الحكم.

وفي يوم ٣٠ يونيو عام ١٦٠٥ دخل ديمتري الكذاب الأول إلى العاصمة موسكو وتم تتويجه قيصرا على الدولة الروسية .

للوهلة الأولى توجه القيصر المزيف ديمتري لكسب دعم الشعب لتقوية سلطته، ولكن الوضع في البلاد كان شائكا ومعقدا للغاية إلى حد لم تنفعه مواهبه ونواياه الطيبة في معالجة الأوضاع البالغة التعقيد . فقد رفض تنفيذ الوعود التي قطعها

على نفسه أمام العرش البولوني مما أفقده الدعم الخارجي . ومن ناحية أخرى أثارت آراؤه ((الغريبة)) وسلوكه البسيط الشكوك لدى فئة البويارين (الاقطاعيين) والبطريركية الروسية، وفي المحصلة لم يعثر ديمتري في داخل النخبة السياسية الروسية العليا ركيزة تدين بالولاء له . عدا ذلك دعا ديمتري في ربيع عام ١٦٠٦ للتعبئة العسكرية العامة في البلاد لتنظيم حملة عسكرية على إمارة القرم التتارية مما أثار نقمة الفئات الاجتماعية الدنيا التي أنهكتها المجاعة والحرب الأهلية .

أما الحركة القوزاقية التي شكلت القوة العسكرية الضاربة التي اعتمد عليها القيصر المزيف ديمتري، فقد توسعت صفوفها بشكل كبير على أثر انضمام جماهير الفلاحين الهاربة من أراضي الإقطاعيين، وطالبت القيصر المزيد من الإمتيازات والهبات، ورفض الفلاحون العودة للعمل في الأرض ومارس القوزاقيون أعمال النهب والسرقة وأشاعوا الفوضى في موسكو، وتحت ضغط البويارين وأهالي موسكو اضطر القيصر المزيف ديمتري لإخراج القوزاق من العاصمة وبذلك فقد دعمهم وأصبح ضعيف أمام البويارين .

في خلال فترة زمنية قصيرة فقد ديمتري كافة أوراقه القوية ومقومات إدارة السلطة مما سهل على البويارين الإطاحة به في شهر مايو (أيار) عام ١٦٠٦ بنتيجة مؤامرة دبرها البويارون بزعامة المنافق فاسيلي شويسكي وقاموا باعتقال ديمتري وقتلوه بشكل شنيع حيث تم تثبيت جثته على فوهة المدفع وأطلقوها نحو الغرب، وانتخب مجلس الدولة (الزيمسكي) البويار فاسيلي شويسكي قيصرا عل الدولة الروسية .

حكم القيصر فاسيلي شويسكي روسيا المضطربة من عام ١٦٠٦ وحتى عام ١٦١٠، وعند اعتلائه العرش القيصري اضطر أن يوقع على وثيقة تحدد من صلاحيات السلطة القيصرية، وتعهد بعدم إصدار حكم الإعدام بدون محاكمة وعدم مصادرة أملاك أقرباء المحكومين . ويعتبر بعض المؤرخين هذه الوثيقة بأنها أول اتفاق رسمي

بين القيصر ورعاياه أفسحت المجال للإنتقال من الدولة الاستبدادية إلى الدولة الحقوقية، ولكن هذه العملية لم تتحقق في الدولة الروسية بسبب تسارع الأحداث السياسية والاجتماعية بالإضافة لميزات القيصر الجديد فاسيلي شويسكي الذي اتسم بالوضاعة والرياء .

رغم كل الإجراءات التي اتخذها القيصر شويسكي للقضاء على الفتنة والفوضى في البلاد، إلا أن الأوضاع في الدولة الروسية كانت تتدهور بشكل متسارع، فرغم القرار الذي أصدره القيصر القاضي بنقل رفات الأمير ديمتري الحقيقي ودفنه في كنيسة أرخانغلسك، وقيام البطريركية الروسية الأرثوذكسية بإضفاء صبغة القدسية على الأمير ديمتري المتوفى وبالتالي أصبح أنصار ديمتري الكذاب من الكفرة، إلا أن الإشاعات استمرت في البلاد القائلة بنجاة القيصر ديمتري من الموت مرة أخرى، ومن جديد بدأ أنصاره بالتجمع في المناطق الجنوبية الغربية .

في عام ١٦٠٦ وفي مدينة بوتفيل الجنوبية الغربية بدأت حركة عصيان شعبية عارمة بقيادة الفلاح العبد (خولوب) بولوتنيكوف ضد السلطة القيصرية، وطرح نفسه قائدا للانتفاضة مدعيا بأنه القائد العسكري للقيصر ديمتري، وخلال زحف جيش الانتفاضة نحو العاصمة موسكو حقق عدة انتصارات على جيوش البويارين واتخذت الحرب طابعا دمويا بالغا في العنف وعكس حالة الحقد والكراهية التي يضمرها الشعب تجاه الفئات العليا الحاكمة .

وبعد أن ألحقت قوات بولوتنيكوف الشعبية عدة هزائم بقوات القيصر فاسيلي شويسكي التحقت بها قوات النبلاء من مقاطعتي ريازان وتولا وحاصرت العاصمة موسكو، ورغم ضخامة قوات الانتفاضة الشعبية إلا أنها فشلت في احتلال العاصمة بسبب الخلافات التي دبت في قيادة الانتفاضة وانتقال قوات النبلاء إلى جانب القوات الحكومية، واضطر بولوتنيكوف لفك الحصار عن موسكو وانسحب نحو مدينة كالوغا ومنها إلى مدينة تولا، وفيها توحدت قوات الانتفاضة مع القوات القوزاقية

بقيادة القوزاق موراميتس الذي طرح نفسه على أنه الأمير بيوتر فيدوروفيتش (ابن القيصر فيودر ايفانوفيتش ابن ايفان الرهيب الذي كان مريضا ولم يخلفه أحد).

وفي خريف عام ١٦٠٧ حاصرت القوات الحكومية مدينة تولا واستطاعت أن تحتلها بعد أن أعطى القيصر فاسيلي شويسكي الأمان لقيادة الانتفاضة، إلا أنه سرعان ما نكث بوعده وأعدم كافة أعضاء قيادة الانتفاضة .

ورغم نجاح القوات القيصرية في القضاء على انتفاضة بولوتنيكوف إلا أن أجواء الفتنة والفوضى استمرت بالتصاعد في الدولة الروسية . ففي صيف عام١٦٠٧ ظهر في جنوب البلاد المنقذ ديمتري الكذاب الثاني مرة أخرى والذي ساندته الحكومة البولونية بعدة آلاف من المقاتلين وانضمت إليه بقايا حركة بولوتنيكوف من الفلاحين والقوزاقيين، وزحف نحو موسكو وتمركزت قواته في قرية توشينو التي تقع حاليا ضمن العاصمة موسكو .

وفي معسكره تعرفت عليه زوجة ديمتري الكذاب الأول وادعت بأنه زوجها المفقود، وانضم إليه مجموعة من بوياري موسكو المنافقين الذين بدلوا ((القيصر)) أكثر من مرة بهدف الحصول على المزيد من الهبات والإمتيازات إسوة بالقيصر المنافق فاسيلي شويسكي .

وبهدف التفرغ لمواجهة قوات ديمتري ((الكذاب)) الثاني عقد القيصر فاسيلي شويسكي معاهدة صلح مع السويد في عام ١٦٠٩، وقامت القوات الروسية — السويدية المشتركة بقيادة ابن أخ القيصر الأمير سوبكين شويسكي بالهجوم على قوات ديمتري الكذاب الثاني المتمركزة في منطقة توشينو وألحقت بها عدة هزائم .

ولكن بولونيا احتجت على التدخل السويدي في الأوضاع الداخلية الروسية وأعلن ملك بولونيا سيغيزموند الثالث الحرب على الدولة الروسية وتوغل الجيش البولوني في الأراضي الروسية، وعلى أثر ذلك تركت القطعات العسكرية البولونية معسكر

ديمتري الكذابالثاني والتحقت بالجيش البولوني الذي كان يحاصر مدينة سمولنسك الروسية .

وبنتيجة ذلك انهارت قوات ديمتري الذي هرب إلى مدينة كالوغا وقتل في أواخر عام ١٦١٠ على يد أحد حراسه، أما زوجته وإبنه فقد بقيا أحياء واختطفهما الأتمان القوزاقي زاروتسكي الذي كان يتمركز مع قواته في منطقة الدون العليا وكان ينتظر اللحظة المناسبة لإعلان إيفان ابن ديمتري الكذاب الثاني قيصرا على الدولة الروسية .

وبعد أن أحكم الجيش البولوني حصاره لمدينة سمولنسك استمر بالتوغل في الأراضي الروسية بقيادة الملك سيغيزموند الثالث .

وفي شهر يونيو عام ١٦١٠وفي منطقة موجايسك على أبواب موسكو ألحقت القوات البولونية هزيمة منكرة بالجيش الروسي، وعلى أثر ذلك أطاح البويارون بالقيصر المنافق فاسيلي شويسكي وشكلوا حكومة مؤقتة برئاسة البويار مستيسلافسكي التي وقعت على معاهدة الاستسلام الكامل أمام الملك البولوني سيغيزموند الثالث الذي نصب وريثه ابنه الأمير فلاديسلاف حاكما على الدولة الروسية، وتعهد الملك البولوني بالحفاظ على التقاليد والانظمة الروسية وعلى حقوق البويارين وعدم إنزال عقوبة الإعدام بدون محاكمة وعدم مصادرة أملاك أقرباء المحكوم عليهم بالإعدام.

وفي شهر سبتمبر عام ١٦١٠ دخلت القوات البولونية بقيادة ولي عهد العرش البولوني وحاكم الدولة الروسية العاصمة موسكو دخول الفاتحين . أما القيصر الروسي المخلوع فاسيلي شويسكي فقد نظمت له عملية إعدام مدني في الساحة الحمراء (وهذه العملية عبارة عن مراسيم لا يعلم المحكوم عليه بالإعدام بالعفو عنه وتبديل حكم الإعدام إلى حكم مدني إلا في اللحظة الأخيرة حيث يتم كسر السيف على رأسه ونفيه) وتم حلق شعر رأسه هو وزوجته وأرسلوهما إلى وارسو العاصمة البولونية ضمن غنائم الحرب وقاما بالركوع أمام عرش الملك البولوني سيغيزموند الثالث وقبلا أطراف ثوبه بحضور ممثلي وسفراء الدول الأوربية .

أما السويد فقد استغلت استسلام الجيش الروسي أمام بولونيا وانقلبت على معاهدة الصلح التي عقدتها مع القيصر المخلوع فاسيلي شويسكي واحتلت مساحات كبيرة من الأراضي الروسية الشمالية . وفي شهر يوليو (تموز) احتلت القوات السويدية مدينة نوفغورود وحاصرت مدينة بسكوف .

وبذلك أدت حالة الفتنة والصراع على السلطة والفوضى الاجتماعية الشاملة إلى فقدان روسيا لسيادتها الوطنية ووضعتها على حافة الانهيار الشامل . ففي شهر يونيو (حزيران) عام ١٦١١ سقطت مدينة سمولنسك بيد القوات البولونية بعد حصار استمر سنتين، وأعلن ملك بولونيا سيغيزموند الثالث أنه سيعتلي بنفسه عرش روسيا بدل ابنه فلاديسلاف وبذلك برز خطر ضم روسيا إلى مملكة رتش (بوسبوليتا البولونية – الليتوانية الموحدة) .

ضمن هذه الأوضاع الاستثنائية التي عاشتها روسيا برز في داخل الفئات الاجتماعية الروسية المتناحرة اتجاهان :

الاتجاه الغربي الداعي للانسجام مع المشروع البولوني لتوحيد الشعوب السلافية تحت العرش البولوني والكنيسة الكاثوليكية والانتماء للحضارة الأوربية الغربية، وقد انسجمت مع هذا الاتجاه المناطق الروسية الشمالية –الغربية المطلة على حوض بحر البلطيق والغربية – الجنوبية المحاذية للحدود البولونية والليتوانية .

الاتجاه الشرقي القومي الأرثوذكسي الذي دعا للارتقاء فوق المصالح والتناقضات الاجتماعية ووقف الحرب الأهلية والعودة إلى الأنظمة والتقاليد القومية المحافظة وإحياء السلطة القيصرية المطلقة ونبذ كل ما هو جديد وغربي ورفض الإنصياع لسلطات الاحتلال البولونية الكاثوليكية، وقد تبنت هذه الطروحات المناطق الوسطى المحيطة بموسكو و المناطق الشرقية في حوض نهر الفولغا.

وتحديدا في منطقة حوض الفولغا تشكلت أولى القطعات العسكرية الشعبية بقيادة النبلاء التتار وخاضت المعارك ضد قوات الاحتلال البولونية، ومن ثم توحدت

القطعات العسكرية الشعبية مع حركة المقاومة الشعبية الروسية والتتارية في منطقة نيجني نوفغورود الشمالية- الشرقية بقيادة تاجر اللحوم التتاري كوزما مينين والقائد العسكري الروسي الأمير ديمتري بوجارسكي وتم تشكيل جيش وطني موحد تحت قيادة ((المجلس الوطني لعموم الأراضي الروسية)) الذي رفض الاعتراف باعتلاء الأجنبي للعرش الروسي و طرح مهمة تحرير العاصمة موسكو من السيطرة البولونية .

وفي صيف عام ١٦١٢ اقترب الجيش الشعبي من موسكو والتحم مع القطعات القوزاقية بقيادة الأمير تروبيتسكوي، واستطاعت القوات الروسية صد هجمات القوات البولونية التي أرسلت لفك الحصار عن موسكو، وفي شهر أكتوبر تم تحرير موسكو من السيطرة البولونية .

انتقال الحكم في روسيا إلى عائلة رومانوف وانتهاء مرحلة الفتنة والتحرر من السيطرة الأجنبية

ففي بداية عام ١٦١٣، اجتمع مجلس الدولة الروسية (الزيمسكي) وشارك في أعماله كافة ممثلي الفئات الاجتماعية باستثناء الخولوبي وفلاحي الإقطاعيين، واستمرت أعماله لفترة امتدت أكثر من شهر نوقشت خلاله المسألة الأساسية وهي انتخاب قيصر جديد للدولة الروسية.

وبعد مداولات مطولة طرحت خلالها عشرات الخيارات، من ضمنها الخضوع للعرش السويدي، حسم الصراع لصالح الاتجاه الروسي المحافظ المدعوم من قبل الكنيسة الروسية الأرثوذكسية حيث تم الاجماع على انتخاب ميخائيل رومانوف ابن المطران فيودر رومانوف قيصرا على الدولة الروسية. والمثير للاهتمام أن القيصر المنتخب ووالده كلاهما لم يشاركا في اجتماعات مجلس الدولة .

كان عمر القيصر المنتخب ميخائيل رومانوف ثمانى عشرة سنة ويعيش في ذلك الحين مع والدته في مقاطعة كوستروم الشمالية – الشرقية بعد أن تم فك أسره على

أثر تحرير موسكو في نهاية عام ١٦١٢، أما والده المطران فيودر فكان معتقلا في وارسو لنشاطه المعادي للسيطرة البولونية .

لقد أجمعت العائلات البويارية الروسية على انتخاب ميخائيل رومانوف لحداثة سنه ولعدم مشاركته شخصيا في أحداث الفتنة بالإضافة إلى صلة قرابة عائلة رومانوف مع السلالة السابقة، فقد كان المطران فيودر رومانوف شقيق القيصرة اناستاسيا زوجة القيصر ايفان الرهيب، وكان خال القيصر فيدور ايفانوفيتش، وكانت له علاقات واسعة مع مختلف الأمراء والبويارين الروس ويتمتع بنفوذ قوي في داخل الكنيسة الروسية الارذوكسية، وضمن النخبة الروسية العليا كان ينظر إليه على أنه أحق من بوريس غادونوف في اعتلاء العرش بعد وفاة ابن أخته القيصر فيودر ايفانوفيتش .

وبانتخاب ميخائيل رومانوف قيصرا على الدولة الروسية انتصرت القوى الروسية المحافظة الداعية للعودة إلى أنظمة الحكم الروسية التقليدية المتجسدة في السلطة الاستبدادية الارذوكسية .

توجهت السلطة القيصرية الجديدة لتدعيم سلطتها الداخلية وتركزت بشكل أساسي على قمع الحركة القوزاقية الجنوبية بقيادة الأتمان ايفان زاروتسكي المتمركز في منطقة الدون العليا والذي رفض الانصياع لسلطة القيصر الجديد ميخائيل رومانوف و دعى للاعتراف بسلطة القيصر ايفان ابن ديمتري((الكذاب)) الثاني وزوجته القيصرة مارينا منيشيك، وفي عام ١٦١٤، زحفت قوات زاروتسكي نحو مدينة استراخان وسيطرت عليها وفيها جرت مراسم تنصيب القيصر ايفان ابن ديمتري الكذاب الثاني وكان عمره أربع سنوات .

ويبدو أن صغر سن ايفان وبعد المسافة عن الحدود البولونية سمحتا للقوات الروسية الموالية للقيصر ميخائيل رومانوف بقمع حركة زاروتسكي القوزاقية بعد سلسلة من المعارك العنيفة، حيث تم قتل الأتمان وألقي القبض على مارينا مينشيك وابنها ايفان وتم إعدامهما في الساحة الحمراء في موسكو .

وبنفس الوقت أحكمت السلطة القيصرية الجديدة سيطرتها على الحركة القوزاقية الجنوبية من خلال عقد اتفاقات جماعية مع أبرز أتمانات القوزاقيين منحتهم بموجبها الحكومة الروسية مساحات واسعة من الأراضي الجنوبية بشرط الولاء للعرش القيصري الروسي وتأدية الخدمة العسكرية لديه .

لقد خرجت الدولة الروسية من مرحلة الفتنة مرهقة بالخسائر البشرية والاقتصادية، حيث تؤكد الدراسات التاريخية أن عدد سكان روسيا انخفض في مرحلة الفتنة إلى الثلث من أصل عشرة ملايين نسمة في نهاية القرن السادس عشر، وفقدت روسيا موقعها على الساحة الدولية وأصبحت أسيرة العزلة الخارجية وضعفت قدرتها العسكرية، وتعززت في داخل المجتمع الروسي النزعات المحافظة المعادية للغرب الأوروبي ولكل ما هو أجنبي .

لقد شكلت الفتنة مرحلة انعطافية في تاريخ الدولة الروسية تمثلت في انهيار النخبة الحاكمة التي كانت تجسد تاريخيا مركز الثقل الأساسي في الدولة الروسية، وبانهيار المركز تحطمت مجمل تركيبة المجتمع الروسي ودخلت كافة الفئات الاجتماعية في أتون حرب أهلية بالغة العنف استمرت أكثر من عشر سنوات .

لقد خرجت الدولة الروسية من بوتقة الفتنة والحرب الأهلية فقط على أثر إعادة تشكيل المركز الجديد للدولة الروسية الذي تجسد في اتفاق كافة الفئات الاجتماعية على تأسيس سلالة حاكمة جديدة تقوم بتسيس شؤون الرعية وادارة الدولة ضمن الأصول والتقاليد الروسية المحافظة وترسيخ النزعات الاستبدادية المطلقة في السلطة القيصرية الجديدة .

تشغل مرحلة الفتنة حيزا أساسيا في كافة الدراسات المكرسة لتاريخ الدولة الروسي وتثير جدلا واسعا في أوساط المؤرخين الروس والأجانب المتخصصين بتاريخ الدولة الروسية، ويطفو موضوع الفتنة على السطح في المراحل التاريخية الانعطافية التي مرت بها الدولة الروسية وبالأخص في مرحلة الحرب الأهلية التي أعقبت وصول البلاشفة للسلطة في عام ١٩١٧ و تصفيتهم لآل رومانوف .

وقد ارتبطت لعنة أو مأساة عائلة رومانوف باسم سيء السمعة في التاريخ هو الراهب راسبوتين الملقب بـ " الدجال " و " الشيطان " و " الفاسق " .

ولهذا الفلاح الشهير راسبوتين والذي تسلل إلى القصر الإمبراطوري، وكان سببا في القضاء على القيصر نيقولا الثاني وأسرته آخر سلالة رومانوف الحاكمة قصة عجيبة ؟

راسبوتين هو راهب روسي عاش واشتهر قبيل الثورة البلشفية. عاش طفولة غريبة حيث مات أخوه وأخته غرقا.

حكت عنه الأساطير وقيل إنه كان لديه قدرة على شفاء المرضى. وذاع صيته عندما استعانت به الامبراطورة لعلاج ابنها الذي كان يعاني مرض (الهيموفيليا) الذي ورثه من عائلة والدته التي تنحدر من الاسرة المالكة الانجليزية..

ولد غريغوري يافيموفيتش راسبوتين في العاشر من يناير عام ألف وتسعمائة وتسعة وستين في قرية بوكروفسكوي الريفية الواقعة في سيبريا، بعيدا عن صالونات العائلة الملكية البراقة في سان بطرسبرغ. وفي طفولته، ظهرت لدى راسبوتين رؤى مستمرة عن القوى الإلهية وقدرات الشفاء الخارقة، إذ كان باستطاعته مثلا أن يبرئ حصانا بمجرد لمسه. لكنه اكتسب في فترة مراهقته اسم راسبوتين (أي الفاجر) بسبب علاقاته الجنسية الفاضحة

وحين بلغ راسبوتين الثلاثين من عمره كان زوجا وأبا لأربعة أطفال، إلا أن ولعه بالشراب وسرقة الجياد كان دائما ما يتناقض وأصول الحياة العائلية التقليدية. وكان حادث اتهامه ذات مرة بسرقة حصان نقطة تحول في حياته، هرب على أثرها من القرية ولاذ بأحد الأديرة حيث اتخذ صفة الرهبانية التي لازمته بعد ذلك طيلة حياته.

ومع تأثره بتجاربه الروحانية، رحل راسبوتين عن قريته ليصبح مسافرا جوالا في أنحاء روسيا وخارجها. وخلال هذه الرحلات لم يغتسل أو يبدل ملابسة لفترات بلغت

عدة أشهر، وكان يرتدي قيودا حديدية زادت من المعاناة. وقد شملت هذه الرحلات لدينية الشاقة رحلة إلى جبل اثوس باليونان وساعدته على اكتساب أنصار ذوي فوذ مثل " هيرموجن، أسقف ساراتوي

وأثناء فترة تجواله، أصبح راسبوتين تحت تأثير طائفة متطرفة غير شرعية تعرف باسم خاليستي، وتنزع إلى الجلد والممارسات الجنسية. ولعل سمة الجمع الشاذ بين الورع والأفعال الجنسية غير الشرعية، وخاصة الفاضح منها، هي التي شكلت القاعدة التي ارتكزت عليها ممارسات راسبوتين الدينية فيما بعد. فلم تفارقه أبدا فكرة أن الفرد يمكن أن يصبح أكثر قربا من الله إذا ارتكب عمدا ذنبا شهوانيا ثم تاب توبة نصوح

وفي عام ألف وتسعمائة واثنين كان أول تحرك لراسبوتين باتجاه العاصمة، حينما زار مدينة كازان الواقعة بالقرب من نهر فولجا. وبدأ سريعا في تكوين أكبر مجموعة من الحواريين والمعارف على مستوى الطبقات العليا. ولم يعوقه عن ذلك عيناه المغناطيسيتان، ولحيته الطويلة القذرة، وشخصيته المشبوهة. إذ نظر "مجتمع موسكو المهذب" إلى راسبوتين باعتباره "مرشدا روحيا" أو (رجلا مقدسا).

وبحلول عام ألف وتسعمائة وثلاثة وصل إلى سان بطرسبرغ كلاما عن قوى صوفية قادمة من سيبريا ذات عيون وحشية مضيئة، ونظرة مجنونة. وبدا أن راسبوتين كان قد حدد موعدا لدخوله المجتمع الراقي في الوقت المناسب،. وقد ساهم في ذلك أن الطبقة الأرستقراطية كانت مولعة بمسائل السحر والتنجيم، و كانت عمليات تحضير الأرواح أمرا مألوفا

وقد سجل القيصر نيقولا الثاني في مذكراته اللقاء الأول براسبوتين في الرابع عشر من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وخمسة، قائلا "تعرفنا على غريغوري، رجل الرب، من أبراشية توبولساك". وبنجاحه المعهود مع النساء، ترك راسبوتين انطباعا عميقا لدى الإمبراطورة ألكسندرا فيوديورو فونا. إذ اقتنعت تماما بقدراته حين

استطاع بإعجاز أن يخفف من المعاناة والنزيف الذي أصاب أليكسيس نيكولايافيتش، وريث عرش روسيا المريض بسيلان الدم. ولم يمضي وقت طويل منذ أثبت راسبوتين قوته الخارقة للأكسندرا، حتى أصبح مستشارها الشخصي المؤتمن على أسرارها، يزورها في القصر في موعد أسبوعي محدد

وبذيوع شهرة راسبوتين، نجح في جذب المزيد من الأنصار من جميع الطوائف الاجتماعية. وقد تطوع هؤلاء " البلهاء" كما كان يطلق عليهم "لارتكاب الخطيئة من أجل التطهر من آثامهم" مع رجل بدوا عاجزين أمام جاذبيته

وكان اثنان من أنصار راسبوتين السابقين هما راهب يميني متعصب يدعى ليودور، وهيرموجان أسقف ساراتوف، على اقتناع تام بأن راسبوتين ما هو إلا تجسيد للشيطان. وفي عام ألف وتسعمائة وأحد عشر استدرجاه إلى طابق سفلي حيث اتهماه باستخدام قوى الشيطان للقيام بمعجزاته وضرباه بصليب.

وأبلغ راسبوتين الإمبراطورة بالواقعة وادعى أنهما حاولا قتله، ومن ثم تم نفي الرجلين. وفي السابع والعشرين من يونيو عام ألف وتسعمائة وأربعة عشر عاد راسبوتين إلى قريته في سيبريا. وفي اليوم التالي تلقى برقية، وبينما كان في طريقه لإرسال الرد هاجمته عاهرة سابقة مشوهة مجدوعة الأنف، تدعى شيونيا جاسيايا، بوحشية مستخدمة سكينا، دفعها ليودور لقتل راسبوتين

وبينما كان راسبوتين يتعافى في المستشفى من الطعنات التي أوصى بها ليودور، كان القيصر نيقولا يحشد قواته استعدادا للحرب العالمية الأولى، التي جلبت كارثة على وطنه، حيث فقد أكثر من أربع ملايين روسي أرواحهم. وبالعودة إلى سان بطرسبرغ ومع غياب القيصر، استطاع راسبوتين اكتساب المزيد والمزيد من القوى السياسية، وساهم في تعيين وطرد الوزراء. وبنفوذه الطاغي على قرارات القيصر السياسية، زاد اللوم الموجه للراهب السيبيري على المشاكل التي عانت منها البلاد، حتى أن مدينة سان بطرسبرغ أصبحت تعرف باسم " مدينة إبليس".

وفي ديسمبر عام ألف وتسعمائة وستة عشر كتب راسبوتين خطابا للقيصر يتنبأ فيه بقتله. وعن قتلته المحتملين، كتب يقول" إذا قتلني أقاربك فلن يبقى أي فرد من عائلتك حيا لأكثر من عامين، وتستطيع أن تقول أي من أولادك أو أقاربك، فسوف يقتلهم الشعب الروسي.. سأقتل، لم يعد لي وجود في هذه الحياة. صلي أرجوك، صلي، وكن قويا، وفكر في عائلتك المصونة".

وبعد ثلاثة وعشرين يوما فقط، قتل اثنان من أقارب القيصر نيقولا الثاني راسبوتين. وبعد مرور تسعة عشر شهرا على مقتله، أعدم قيصر روسيا وعائلته بأيدي الثوار البلشفيين. فقد تزامن مع نبوءته أن حضر راسبوتين لمقابلة الأمير فيليكس يوسوبوي، الزوج لإيرينا ابنة أخ القيصر. وأراد يوسوبوي قتل راسبوتين، شأنه شأن ابنا عم القيصر الغراندوق ديميرتي بافالويتش، والسياسي فلاديمير بيرشيكفيتش. وتآمر الثلاثة معا على قتل راسبوتين والحفاظ على سلالة العائلة المالكة.

ففي ليلة السادس عشر من ديسمبر عام ألف وتسعمائة وستة عشر دعا يوسوبوي راسبوتين إلى قصر مويكا بحجة أن إيرينا التي يشاع عنها أنها أجمل امرأة في سان بطرسبرغ تريد مقابلته. وبينما كان ينتظر ظهورها، قدم رجل لراسبوتين كعكا وخمرا مدسوسا بهما سُم الزرنيخ المميت. وقد أصيب المتآمر بالهلع لما بدا من حصانة راسبوتين ضد السم،وقد كان راسبوتين منذ صغره ياخذ جرعات من الزرنيخ كنوع من العلاج ووقاية ومع الايام كان يزيد الجرعات حتي اصبح جسمه لديه مناعه من هذا السم

ولم يستطع يوسوبوي السيطرة على نفسه فنزع مسدسه وأطلق النيران على راسبوتين. وبصعوبة بالغة ترنح راسبوتين خارجا إلى ساحة القصر حيث كان بفالوفيتش وبيرشيكفيتش يستعدان للمغادرة، فأطلق يرشيكفيتش النيران ثانية على راسبوتين المترنح، وضرباه بهراوة وقيداه قبل أن يلقيا بجسده في نهر نيفا. وعندما تم العثور على الجثة بعد يومين دل تشريحها الذي كشف عن وجود مياه في الرئتين أن راسبوتين كان ما زال حيا عندما ألقى به في النهر.

وكانت نهاية راسبوتين علامة على بداية النهاية للقيصر نيقولا والإمبراطورة ألكساندرا. فبعد عشرة أسابيع فقط من وفاته، أطاحت الثورة الروسية التي اندلعت عام آلف وتسعمائة وسبعة عشر بأخر جيل من سلالة رومانوي. وبعد مرور أقل من عامين قامت فرقة معزولة بإعدام القيصر نيقولا وعائلته بأكملها في سيبريا. وبعد حوالي قرن ما زال السؤال مطروحا، هل كان راسبوتين معجزة حقيقية، أم نصاب بارع؟ سواء كان فلاح غامض، أم شيطان في جسد إنسان، فما زال إرث راسبوتين اسطورة حتى الآن.

قام الناس خلال ثورة فبراير عام آلف وتسعمائة وسبعة عشر بإخراج جثة راسبوتين وحرقها.

وقد اهتم المؤرخون والباحثون والكتاب العالميين بلعنة عائلة رومانوف و منهم بيير لوران أحد الصحافيين الفرنسيين الأخصائيين بالعالم الروسي وبالاتحاد السوفييتي السابق. أصدر العديد من المؤلفات حول ميدان اهتمامه الرئيسي مثل " الانجيل حسب القديس ماركس" و"عميل موسكو" و"الصعود الخفي لفلاديمير بوتين" و"التحالف الغريب بين روسيا والولايات المتحدة الأميركية".

في ليلة السابع عشر من شهر يوليو ١٩١٨ أُعدمت أسرة قياصرة روسيا «آل رومانوف»، وكانت تلك هي " النهاية المأساوية" لجميع الآمال الديمقراطية للثورة الروسية، هكذا يشرح بيير لوران في هذا الكتاب مؤكداً أنها كانت "مأساة إنسانية في قلب مأساة تاريخية"، وهي مأساة أثارت حولها أدباً غزيراً طيلة القرن الماضي العشرين.

لقد أحيطت تلك المأساة بالكثير من الأسرار، فإذا كان مؤكداً موت نيكولا الثاني فإن أقاويل كثيرة قد انتشرت مفادها أن لينين وضع زوجة القيصر وبناتها في مكان آمن بهوية جديدة.. وان الدوقة أناستازيا قد بقيت على قيد الحياة. لكن سقوط الاتحاد السوفييتي سمح بفتح الأراشيف التي كانت محميّة طيلة وجوده رهن الأقفال مما أزال الكثير من الغموض الذي أحاط بمصير سلالة رومانوف..

وذلك بالاعتماد على العديد من الوثائق مثل مذكرات وكتابات السجانين وبعض أولئك الذين شاركوا في تنفيذ الإعدامات، وكذلك رسائل ويوميات القيصر وزوجته وأقاربه، وأيضاً الوثائق الرسمية لتلك الفترة من رسائل وبرقيات وتقارير ممهورة بخاتم السرّية.

وتحت عنوان " ثأر التاريخ " يشير بيير لوران منذ البداية إلى أنه «من السهل تبرير أبشع الجرائم عندما تحاط بوهم أنها تتموضع في اتجاه مسيرة التاريخ وانها تزعم تقديم السعادة للإنسانية.

هكذا قام لينين ورفاقه بإعدام أعدائهم وهم على أقصى درجة من راحة الضمير "مثل بستاني يقتلع الأعشاب الضارة"، وكان ذلك يتماشى مع ما تطرحه أجهزة الدعاية البلشفية مثلما جاء في مجلة "الرعب الأحمر" في الأول من نوفمبر عام ١٩١٨ ومفاده: " لا تبحثوا عن إثبات ان المتهم قد ثار ضد السوفييت بالسلاح أو بالكلام. تساءلوا أولاً إلى أية طبقة ينتمي وما هي أصوله وتكوينه ومهنته. هذه هي النقاط التي ينبغي أن تقرر مصير المتهم، وهذا هو جوهر الرعب الأحمر".

وفي ليلة ١٦، ١٧ يوليو ١٩١٨ قام جهاز الشرطة الذي شكله لينين تحت اسم "اللجنة الاستثنائية لمكافحة أعداء الثورة والتخريب» بإعدام أحد عشر شخصاً رمياً بالرصاص، أي تسعة بالغين ومراهقين اثني ن، وجرى تهشيم ملامحهم إلى درجة عدم إمكانية التعرف عليهم.. ودُفنوا في مكان بقي طي السرية..

كذلك لم تذكر التقارير الرسمية عن عملية الإعدام سوى موت شخص واحد، دون أي ذكر للآخرين، واكتفى الإعلان الرسمي الصادر يوم ٢٠ يوليو ١٩١٨ عن رئيس اللجنة التنفيذية لمجلس سوفييت مندوبي العمال والفلاحين والحرس الأحمر في منطقة الأورال بالقول إن «رئاسة المجلس التنفيذي قررت، بالاتفاق مع الإرادة الشعبية إعدام القيصر نيكولا المدان أمام الشعب بارتكاب عدد لا يحصى من الجرائم».

وكانت السلطات المركزية في موسكو قد أصدرت بياناً وقّعه «سفيردلوف» رئيس اللجنة المركزية لمجلس السوفييت الأعلى، وحُفظت نسخة من هذا البيان في الأرشيف المركزي الثوري.

أكد المسؤولون تنفيذ حكم الإعدام بالقيصر نيكولا الثاني، نيكولا رومانوف، ليلة ١٦ يوليو ١٩١٨ ووجود زوجته وابنه في مكان آمن.بل وأكد البعض ان البلاشفة قد أكدوا مراراً وتكراراً أن الامبراطورة وابناءها بخير بل وعرضوا على برلين مبادلتهم مقابل سجناء حرب. لكن بالمقابل استمرت الشائعات في الشارع حول إعدام القيصر وزوجته وابنائه اليكسي، وريث العرش، وبناته الثلاث اولغا وتاتيانا وماري والخدم الثلاثة الآخيرين ممن بقوا معه وطبيب العائلة ايفغيني بوتكين.

اختلفت الروايات وتعددت، وفي الوقت الذي دلت فيه التحقيقات أن جميع أفراد العائلة قد أعدموا بالفعل لم يتم العثور أبداً على الجثث، وساد الاعتقاد انها أبيدت أو أحرقت أو أذيبت بالأسيد، وبسبب عدم التيقن من أية رواية خاصة بالمصير الحقيقي لآل رومانوف شاعت أساطير كثيرة بل وعمليات تزوير واحتيال، ووصل الحد بالمدعو «جاك بيرجييه» إلى أن يزعم في مذكراته المنشورة خلال سنوات السبعينيات المنصرمة أن أحد أعمامه شارك في المجموعة التي أعدمت القيصر.

كانت حالة التشويش السائدة حول مصير آل رومانوف تصب في مصلحة السلطة السوفييتية، بل يحاول مؤلف هذا الكتاب تقديم البراهين والدلائل على أنها قدمت كل ما في وسعها من أجل إطالة هذه الحالة.

كما حاولت بنفس الوقت أن تبرر إعدام القيصر باسم «الأخلاق الثورية» دون أي ذكر للظروف التي تمت بها العملية والتي «تبدو أنها لا تليق بنظام كان يطرح نفسه كمصدر تنوير للإنسانية «كما يشير المؤلف قبل أن يقارن بين مصير القيصر نيكولا الثاني ومصير «شارل الأول» الذي حكمت المحكمة العليا الانجليزية بإعدامه عام ١٦٤٩ ولويس السادس عشر الذي أصدرت المحكمة الثورية الفرنسية حكماً عليه بالموت عام ١٧٩٣.

لكن في الحالتين كانت هناك محاكمة ودفاع عن المتهمين على عكس القيصر، وينقل المؤلف في هذا العدد عن الكاتب الأميركي ريتشارد بيب وصفه إعدام القيصر وأبنائه وبعض المقربين منه في كتاب له حمل عنوان «الثورة الروسية» الصادر عام ١٩٩٠ انها «تشابه أكثر مذبحة على الطريقة المافيوزية مما تشابه عملية إعدام باسم القانون».

استمرت السلطات السوفييتية سنوات طويلة بعد إعدام القيصر وأبنائه في مدينة «ايكا ترينبيرغ» في الأورال في رفضها أية مسؤولية مباشرة عن العملية عبر تحميلها لـ «السلطات المحلية».

وهنا يفتح المؤلف قوسين ليشير إلى مقال كتبه «بافيل بيكوف» عام ١٩٢١، الذي كان رئيساً سابقاً لمجلس سوفييت المدينة، أكد فيه أن قرار إعدام القيصر نيكولا الثاني و«أولئك الذين كانوا برفقته» جرى اتخاذه في موسكو في مطلع شهر يوليو ١٩١٨ وتلقى سوفييت المدينة الأورالية الأمر بتحضير عملية الإعدام وتحديد موعدها.

وبعد وفاة لينين غيّر قادة النظام السوفييتي من الموقف الرسمي واعترفوا بحقيقة وقوع المجزرة، بل سمحوا لبعض الذين شاركوا فيها بالحديث عن تفاصيلها حيث تنازعوا «شرف» إطلاق أول رصاصة على القيصر. لكن إلى جانب الاعتراف بحقيقة المجزرة تابعت سلطات موسكو تحميل مسؤوليتها لشيوعيي الاورال بعيداً عن أي اهتمام جدي بـ «الحقيقة التاريخية».

يعود مؤلف هذا الكتاب في الكثير من المعلومات التي يقدمها إلى نتائج العمل الذي قام به قاضي التحقيق الروسي «نيكولاي سوكولوف» منذ سنوات العشرينيات في القرن الماضي الذي انتهى إلى تأكيد وقوع المجزرة.. ويؤكد «بيير لوران» ان فتح الأراشيف السوفييتية بعد سقوط النظام الشيوعي سمح بتأكيد النتائج التي كان سوكولوف قد توصل لها وبإلقاء الضوء على مناطق الظل العديدة التي كانت لاتزال قائمة بل وتكدّست خلال ما يزيد على سبعين سنة.

وفي المحصلة يعود المؤلف إلى تحليل النتائج التي توصل لها القاضي سوكولوف ويقارنها مع ماأثبته علماء روس وغربيون بالاعتماد على آخر مبتكرات علم الإحياء. كان القاضي قد توصل إلى قناعة ثابتة تقول ان فريق القتلة أذابوا بالأسيد جثث الضحايا.. لكن الأخصائيين أكدوا من جهتهم ان الشروط التي تمت فيها العملية لا تسمح بإذابة جثة واحدة بشكل كامل خلال عدة ساعات..

ثم لابد من بقاء آثار تدل على ما جرى خاصة الأسنان التي لا تذوب عملياً في الحموض المستخدمة. فأين ذهبت الجثث اذن؟

كان المؤرخ باثيو بيكوف قد أشار منذ عام ١٩٢٦ إلى نقلها لمكان بعيد عن موقع التنفيذ.

واعتماداً على هذه المعلومة غير المحددة قرر الكسندر اقدونيين، عالم الجيولوجيا، البحث عن بقايا الأسرة الامبريالية، هكذا قام بزيارة المتاحف وقرأ الوثائق المتوفرة وقابل بعض الأحياء الذين كانوا قد ساعدوا القاضي سوكولوف في تحقيقه عندما كانوا مراهقين. لم تتوصل تحرياته إلى شيء ملموس لكن السلطات المحلية في الاورال حددته عام ١٩٧٦ كمصدر معلومات للسينمائي «غيلي ريابوف» الذي كان يبحث عن وثائق حول المجزرة.

فقرر الرجلان جمع جهودهما. واستطاعا بفضل علاقات ريابوف الاطلاع على كتاب القاضي سوكولوف المحفوظ في (المستودع الخاص) الذي يحتوي على الكتب التي كان يتطلب الوصول لها اذناً خاصاً. وفي هذا الكتاب وجدا مفتاح اللغز إذ حدد القاضي موقعاً في منطقة مستنقعات تبعد عدة كيلومترات عن مكان تنفيذ عملية قتل القيصر ومن كان معه..

لم يتوصل سوكولوف إلى أية نتيجة لكن هذا لم يمنع اقدونين من الذهاب عام ١٩٨٧ بصحبة زوجته وصديق إلى الموقع المحدد حيث بدأوا تفحصه شبرا شبرا حتى عثروا على مكان بدا فيه سطح التربة مقعراً قليلاً بعرض مترين وطوله ثلاثة أمتار.

واستطاع ريابوف من جهته الوصول إلى الأبن البكر لـ «ياكوف اييروفسكي» قائد فريق تنفيذ إعدام القيصر والآخرين، الذي اعطاه نسخة مكتوبة عن التقرير الذي كان والده قد أعدّه للسلطات السوفييتية وحدد فيه الموقع التقريبي للقبر الجماعي.. وكان نفس الموقع الذي حدده اقدونين.

تتمة العمل تكفل بها أكثر من فريق غربي وروسي وثبت أن الجثث تخص بالفعل القيصر وزوجته وأطفاله ومرافقيه باستثناء جثتي اليكس وماري. هذا ما أثبتته الفحوص المخبرية للحمض النووي التي اجريت في بريطانيا. وبتاريخ ١٧ يوليو ١٩٩٨، أي بعد ثمانين سنة بالتمام والكمال على مرور مذبحة آل رومانوف.

جرى نقل رفاتهم إلى المقبرة التقليدية لقياصرة روسيا من سلالتهم في سان بطرسبورغ بحضور الرئيس الروسي آنذاك بوريس يلتسين الذي افتتح حفل التأبين بالقول: «هذا يوم تاريخي بالنسبة لروسيا.. وعندما نضع هذه الرفاة في الأرض إنما نريد التكفير عن خطايا أجدادنا».

وبهذه الكلمات يختتم المؤلف حديثه عن النهاية المأساوية لآل رومانوف، قياصرة روسيا السابقين.

وفي السابع من نوفمبر عام ٢٠٠٧، تم الكشف عن آخر صفحة من صفحات أكثر الأحداث أهمية في القرن العشرين. فعلى بعد خطوات من مجموعة من أشجار الزان الفضي تم دفن القتلة جثامين ضحاياهم من أسرة رومانوف القيصرية بعد تعرضها للتقطيع والحرق والتذويب في حمض النتريك لإخفاء هوياتها. كان يجب أن يمر ٧٣ عاما على مقتل القيصر الروسي نيكولاس الثاني وأفراد أسرته قبل اكتشاف بقايا رفاتهم في عام ١٩٩١. لكن القصة لا تنتهي عند هذه النقطة، إذ قيل إن ١١ شخصا قتلوا في ذلك اليوم من يوليو ١٩١٨ بناء على أوامر لينين الذي قضى على عائلة اخر قياصرة روسيا.

ولم يتم استخراج سوى تسع مجموعات من رفات الضحايا، ثم تم التوثق منها باستخدام تحليل الحمض النووي. ولم يتم العثور على رفات اليكسي بينما لم يتم التوثق تماما من رفات إحدى بناته. فهل تستقر عظامهما في مكان آخر أو أنهما تمكنا من الإفلات من الإعدام، مثلما تقول الإشاعات منذ وقت طويل.

ولم تتم الإجابة على أسئلة من هذا النوع إلى خلال الأشهر الأخيرة ولم يتحقق ذلك إلا من خلال محققين هواة قضوا أيام نهايات الأسبوع يتحرون هذه القضية. ويبدو أن المفاتيح لحل هذا اللغز المتعلق بالمفقودين من العائلة المالكة كانت متوفرة بانتظار العثور عليها. وكل ما كان ضروريا هو الاستماع إلى أصوات القتلة المتفاخرة بعناية أكبر.

فشهاداتهم جاءت في تقارير سرية موجودة ضمن بعض الملفات الخاصة بالحقبة السوفياتية. ففي جملة واحدة رددها كبير القتلة تشير إلى الموقع المحتمل الذي دفنت جثثهم فيه.

قال فيتالي شيتوف الذي يعيش في المنطقة وقام بمراجعة الشهادات الهادفة للعثور على البقايا: «الجميع أراد أن يترك أثرا في التاريخ، لأنهم اعتبروا ما قاموا به من قتل هو عمل بطولي، أرادوا أن يروجوا لأدوارهم».

وباتباع أحد المفاتيح التي تركتها شهادات القتلة، تمكن شيتوف والمحققون الهواة الآخرون أن يعثروا على الموقع الذي دفن فيه ابنا القيصر الروسي. فهم ظلوا يمشون بعيدا عن الشارع بمسافة ٧٠ ياردة من موقع الدفن، وهي منطقة مرتفعة قليلا بين الأشجار، وهناك تم العثور على رفات اليكسي، ١٣ سنة، واخته.

وجد المحققون الهواة العظام وكان أكثرها محترقا بالنار ومتناثرة ما بين طلقات الرصاص وقطع من حاويات مملوءة بحوامض لتشويه الجثث. وتبدو تلك القطع شبيهة بما عثر عليه من القبر الجماعي الأول.

ويقوم علماء روس وأميركيون بإجراء اختبارات كثيرة على البقايا. ويسود اقتناع أن الأخت هي ماريا، ١٩ سنة، لكن ذلك لم يحسم تماما بعد. لكن البعض كانوا يظنون أن الأخت المفقودة هي أناستاسيا، ١٧ سنة، وتلك النظرية غذت قناعة تقول إنها تمكنت من النجاة (ظلت امرأة اسمها انا اندرسون تزعم لسنوات مثل عدة نساء أخريات أنها اناستاسيا، لكن تحليل الحمض النووي أثبت لاحقا أنها لم تكن البنت الحقيقية للقيصر الروسي).

ومثلما كان متوقعا كانت تحاليل الحمض النووي لرفات المفقودين قاطعة. مما أنهى كل الشائعات حول مصيرهما.

ومن بين الأكثر تشككا الكنيسة الارثوذوكسية الروسية، التي لم تعترف ابدا بصحة أي من العظام هنا، ويعود ذلك جزئيا إلى أنها تقول ان البقايا المفقودة تطرح أسئلة حول ما اذا كانت المجموعات التسع أصلية.

وبين الروس، والأجانب أيضا، أثار مصير ألكسي وشقيقته اهتماما مكثفا في السنوات الأخيرة كما لو أن العجز عن اكتشاف بقاياهما والقيام بمراسم دفن ملائمة لهما كان آخر إهانة للعائلة المالكة من جانب البلاشفة. وقد بحث الناس عن العظام في مختلف أنحاء يكاترينبرغ التي تعتبر مركزية بالنسبة لروسيا وتقع على بعد ٩٠٠ ميل شرق موسكو على الخط الفاصل بين أوروبا وآسيا.

وقد مروا على أحداث السابع عشر من يوليو عام ١٩١٨ عندما ذبح القتلة وأطلقوا الرصاص على نيقولا الثاني وأطفاله الخمسة والطبيب وثلاثة من الخدم في سرداب بيت، حيث كانوا يحتجزون بعد أن أرغم نيقولا على التنازل. ولم يكن من السهل تقرير ما الذي ظهر، وكانت الجهود الخاصة بترتيب الجثث ذات تخطيط بائس وغير ملائم. وكانت عمليات اعادة التجميع اللاحقة في الأرشيفات متناقضة أحيانا.

وأراد القتلة إخفاء الجثث حتى لا تكون قبورهم نقاط تحشد لمؤيدي القيصر. وألقوا بها في البداية في مدخل منجم، ثم نقلوها إلى موقع الدفن خارج الطريق.

وفي السنوات الأخيرة جرى تفتيش المنجم في مسعى للعثور على المجموعتين المفقودتين. كما أن الناس كانوا يقومون بصورة دورية في البحث في المنطقة المباشرة حول المقبرة، حيث عثر على المجموعة الأولى من العظام، ثم قرر شيتوف وزملاؤه أن يدققوا في افادة القاتل الرئيسي ياكوف يوروفسكي في الأرشيف. وروى يوروفسكي كيف أنه وضع جانبا اثنتين من الجثث معتقدا انهما اذا ما أحرقتا ودفنتا بصورة منفصلة فان ذلك سيربك أفراد العائلة اللاحقين الذين قد يسعون إلى ١١ جثة وليس تسع جثث.

حكمت سلالة (آل رومانوف) روسيا من عام ١٦١٣ حتى شهر فبراير من سنة ١٩١٧ . هذه العائلة انحدرت من أحد نبلاء مدينة موسكوويدعى (أندريه أيفانوفيتش كوبيلا) والذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع عشر . واسم (رومانوف) نسبة إلى (رومان يوريف) (الذي توفي سنة ١٥٤٣) وهو والد السيدة (استانسيا رومانوفا) (ت ١٥٦٠) وهي الزوجة الأولى للقيصر(إيفان السادس) .

في عام ١٦١٣ انتخب المجلس الوطني ((ميخائيل رومانوف)) قيصرا لروسيا وكان حفيدا لشقيق (انستانسيا) فأصبح أول حاكم لروسيا من سلالة (آل رومانوف) والذي يعتبر حكمه بداية لإمبراطورية روسيا القيصرية .

(كاثرين الثانية) ألمانية تزوجت أحد أفراد (آل رومانوف) وهو (الكسندر الأول) والذي هزم نابليون في سنة ١٨١٤ .

ومن حكام هذه السلالة (الكسندر الثاني) وهو الذي أعتق الأرقاء الذين استعبدهم الإقطاعيون للعمل في الأراضي الزراعية .

بقي أن نقول أنه في ١٧ يوليو ١٩٩٨، قام الرئيس الروسي — آنذاك - بوريس يلسين بالانحناء أمام رفات قيصر روسيا نيقولا الثاني بكتدرائية سان بطرسبورج، بعد العثور عليها و استخراجها بعد ٨٠ سنة من قتله و أسرته ن في احتفال مهيب !!

وفي الثامن والعشرين من سبتمبر عام ٢٠٠٦، شهدت مدينة سانت بطرسبرغ لروسية مراسم إعادة دفن رفات الإمبراطورة الروسية ماريا فيودروفنا أم القيصر نيقولا الثاني التي كانت قد لاذت بالفرار من روسيا قبل مذبحة البلاشفة بزعامة لينين لأسرة ابنها !

وجرى الاحتفال المهيب بحضور ممثلين عن أسر أوروبا المالكة، تنفيذا لوصية الإمبراطورة الراحلة، والدة نيقولا الثاني آخر القياصرة الروس من آل رومانوف.

والإمبراطورة ماريا الروسية، دنماركية الأصل، وكانت قد لاذت بالدنمارك بعد الثورة البلشفية في عام ١٩١٧ .

وعاشت الإمبراطورة ماريا ما تبقى لها من عمر في وطنها الأم الدانمرك، حتى توفيت في عام ١٩٢٨.

وما تزال قصة الأيام الأخيرة في حياة القيصر وعائلته – كما أسلفنا – تثير الجدل بين المؤرخين، وكُتب حولها العديد من الأبحاث والكتب.

وقد أعيد رفات الإمبراطورة من الدنمارك بعد موافقة ملكة الدنمارك مارجريت الثانية على طلب موسكو بذلك.

وأعيد دفن الرفات في المقبرة الملكية بقلعة بيتر وبول في سانت بطرسبرغ، بجوار زوجها وأولادها.

وقال نيقولاي رومانوف، أحد أبناء عائلة رومانوف: "إن هذه المناسبة ليست حزينة، لأننا لا ندفن رفات الامبراطورة، وانما نحن نعيدها إلى مكانها ومكانتها في روسيا".

كانت ماريا من أحب الإمبراطورات في روسيا . وكانت ماريا قد وُلدت وهي تحمل اسم أميرة داغمار، ولكنها غيرت اسمها طبقا للعادات والتقاليد الروسية عندما تزوجت في سن الصبا من قيصر روسيا ألكسندر الثالث.

وأنجبت ماريا ستة أبناء، من بينهم نيقولاي الثاني آخر القياصرة الروس. وعادت ماريا إلى الدانمرك بعد الثورة البلشفية، ولم تتقبل أبدا فكرة أن ابنها القيصر وعائلته قد جرى اعدامهم.

وحظيت ماريا كإمبراطورة بمحبة الشعب الروسي، وعرف عنها عدم تدخلها في السياسة.

وكانت واحدة من أفضل اللاتي حكمن روسيا، و كان من اللائق – كما أجمع الروس – إعادة رفاتها إلى جوار زوجها".



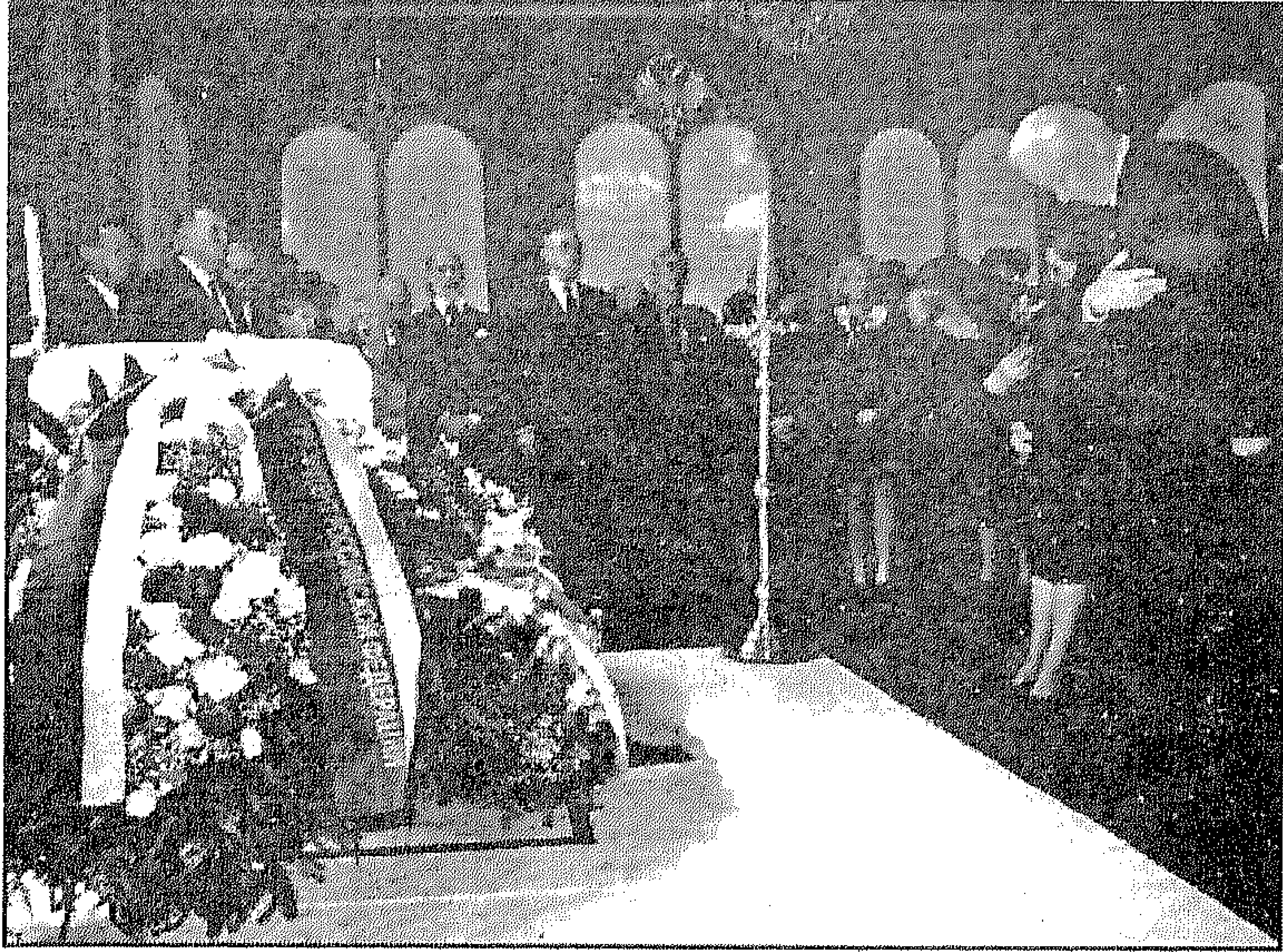
القيصر نيكولا الثاني والإمبراطورة الكسندرا أصابتهماً لعنة العائلة وقتلتهم رصاصات البلاشفة بأوامر من لينين زعيم ثورتهم !!



آخر قياصرة آل رومانوف مع أفراد اسرته ابنه و بناته الأربع و زوجته قبل المذبحة التي قتلوا جميعاً فيها ما عدا ابنته الأميرة انستازيا التي تضاربت التقارير حول موتها من هروبها و نجاتها !!



نيقولا رومانوف قبيل قتله و عائلته .. لم يكن يتوقع مصيره المؤلم الذي لا يزال يتذكره التاريخ !!



الرئيس الروسي بوريس يلتسين ينحنى أمام رفات قيصر روسيا نيقولا الثاني بكتدرائية سان بطرسبورج في ١٧ يوليو ١٩٩٨، بعد العثور عليها و استخراجها بعد ٨٠ سنة من قتله و أسرته !!



الإمبراطورة ماريا أم القيصر نيقولا الثاني أخيراً أعاد الروس رفاتها من الدانمارك إلى بطرسبورج واحتفوا بها تكفيراً عن خطايا الشيوعيين في حق عائلتها التي حلت عليها لعنة آل رومانوف !!

٢ - الأميرة انستازيا..

نجت من اللعنة أم لا ؟!



•• ولا يدري أحد حتى الآن ما إذا كانت سليلة آل رومانوف قد نجت من المذبحة أم طالتها اللعنة و ذبحت مع بقية العائلة؟!

وسوف نتوقف هنا عند أحد أفراد أسرة رومانوف التي تضاربت الروايات حول مقتلها في مذبحة البلاشفة لعائلتها، لا سيما وقد أصبحت حتى يومنا هذا الأميرة الأكثر شهرة ليس في تاريخ أوربا فحسب، و لكن في تاريخ العالم كله، ولدرجة أنها لا تزال تلهب خيال الأدباء والشعراء في بلادها، وفي بلدان أوربية أخرى !!

ولدت الأميرة أنستازيا في سنة ١٩٠١ و هي أصغر أطفال القيصر نيقولا رومانوف الذي أصيب بخيبة الأمل بعد مولد الأنثى الرابعة في سلالته، فقد كان يتوق لولي عهده الذي سيخلفه في عرشه.

وقد روى منفذو مذبحة العائلة القيصرية مناظر بشعة للطريقة التي عوملت بها أسرة القيصر واستمر إجرام البلاشفة بحق القيصر وعائلته حتى بعد تنفيذ الإعدام حيث أذابوا جثثهم بالأسيد ومنهم من روى أمورا أخرى تفوق هذا الفعل بشاعة . ولكن ظل مصير الأميرة الصغيرة انستازيا مجهولا حتى يومنا هذا حيث يقال إنها نجت من كارثة الإعدام الرهيبة .

وتقول بعض الروايات أن اناستازيا وقد اوقظت في منتصف الليل بقرع شديد على باب غرفة نومها وسمعت صوت بلغة روسية :البسي ثيابك فهناك مشاكل واطلاق نار في البلدة وفي الطابق السفلي سيكون الوضع اكثر امنا ، وبسرعة لبست اناستاسيا وهرعت للخارج ، وقد ربطت ألماسة ثمينة كان قد قدمها اليها والدها إلى قميصها، في الخارج كان والدها وشقيقاتها يحيط بهم الحراس ووالدها يحمل اخاها بين يديه لانه كان مريضا جدا بمرض دموي نادر .

وعندما اقتيدوا إلى المعتقل لاحظت اناستاسيا أن ديميدوفا وصيفة أمها كانت معهم وكذلك الخدم وصديق العائلة الطبيب بوتكين ، وقد كان طاقم البيت كله

موجودا باستثناء صبي المطبخ الصغير ليونيد ، سمعت اناستاسيا صوت سيارة كبيرة بالخارج ولم تكن تدري بالفاجعة التاريخية على وشك الحدوث في بيت ايباتيف في ايكاترينبرج. في أحد جوانب الغرفة نظمت أناستاسيا وعائلتها بترتيب وفق بروتوكول صارم ،وتقدم الضابط يوروفروسكي وهو من البوليس السري وقليل الرحمة وشق صوته توتر الصمت في الغرفة بقوله " يا نيكولاي الكسندروفيتش لقد حاول أتباعك إطلاق سراحك ولكنهم فشلوا والآن سيتم إعدامك " .

ولما علت صرخات القيصر، أجاب الضابط هكذا رافعا مسدسه واقتربت القيصرة من إحدى بناتها بينما أطلق الضابط النار على القيصر وقتله وتابع رجال يوروفسكي إطلاق النار دون تمييز على كل عائلة القيصر وهوت الضحية تلو الأخرى.

خلال الصمت دقق القتلة في الضحايا الساكنة في دخان البنادقة كانت رائحة مخيفة من الدم والبارود ولكن يوروفسكي ورجاله من المجرمين أخذوا ينقبون في الجثث عن كل ما هو ثمين وغال كجائزة لمجزرتهم ، وبعجلة تدل على ضمير مذنب جمع القتلة ضحاياهم ورفعوهم إلى الشاحنة في الخارج وفي هذه العجلة اخفق يوروفسكي في التأكد من ان الجميع موتى فعلا وفي هذه العجلة لم يفطن احد لتعداد الجثث ،لقد استمر هذا الكابوس لمدة عشرين دقيقة وبعدها باشارة من يوروفسكي تحركت الشاحنة نحوهدفها ، منجم مهجور في الغابات وهناك سكب البترول وحمض الكبريت على الجثث وأحرقوهم والقيت بقاياهم في حفرة وهكذا كانت نهاية عائلة رومانوف التي حكمت روسيا اكثر من ٣٠٠ عام .

بعد هذه المجزرة بفترة قليلة انتشرت قصص غريبة عن هروب أناستاسيا فهناك جثة ضائعة وتقدم عدد من الشهود لتأكيد ذلك ويبدو أن الحكومة السوفييتية قد صدقت ذلك لذا جندت كل إمكانياتها للبحث عن الدوقة الضائعة في مساحة تمتد من بحر البلطيق وحدود رومانيا حتى سيبيريا وكان البحث كبيرا فدوهمت البيوت

وروقبت المستشفيات بالأخص الأجنحة النسائية وأهمية هذا البحث كانت تكمن في خوفهم من ان تقوم لهذا الشخص ثورة مضادة ولكن أطبق عليهم اليأس بعد أن أعدم الكثير من الناس ممن كان مشكوك فيهم ولم يصلوا إلى نتيجة .. وقد ورد في احد البيانات إلى الناس والجيش ما يلي :

خلال تنفيذ حكم الاعدام على عائلة رومانوف الصادر عن مجلس ايكاتريبوج، تصرف بعض الاشخاص في فرقة الاعدام بشكل غير نظامي وساعدوا على تهريب بعض الانـاث من العائلة . وهكذا يتبين انهم ظنوا ان هناك اكثر من ناج من الاعدام.

وهناك قصة تذكر أن شخصين ممن استدعوا للمساعدة في نقل الجثث إلى الشاحنة انحنيا على جثة مليئة بالدم لأحدى الدوقات الصغيرات وهي اناستاسيا كانت لاتزال على قيد الحياة وعلى الرغم من أنه كان يبدو مشكوكا انها ستعيش بسبب الجرح الكبير في رأسها لفها الحارسان برفق بملاءة وحملاها إلى الشاحنة ولكنهما لم يتوجها إلى الشاحنة وبعد التأكد من ان احدا ما لا يتبعهما اسرعا في الظلمة وراء الشاحنة إلى بيت صغير في أول السهل يبعد حوالي ١٨٠ مترا عن بيت ايباتييف وهناك وضعا اناستاسيا على الفراش وغادرا راجعين بسرعة قبل أن ينتبه أحد لغيابهما ولو لم يكن البلاشفة على قناعة كاملة بهروب إحدى بنات القيصر لما اجروا هذا البحث الشامل .

وقد كتب الكونت كارل بوند في احد الاوقات رئيس لبعثة الصليب الاحمر السويدية إلى سيبيريا خلال الاعوام ١٩١٧=١٩١٨ ما يلي :

وفق منصبي كرئيس لبعثة الصليب الأحمر السويدية إلى سيبيريا ، كنت مسافرا في قطار خاص عام ١٩١٨ وفي احد الاماكن اوقف القطار وتم تفتيشه من اجل الدوقة اناستاسيا ابنة القيصر نيقولاي الثاني ولكنها لم تكن في القطار ولم يعرف احد اين ذهبت ، ثم في شباط ١٩٢٠ انتشلت من قناة في برلين فتاة مع اوراقها تدعى انا

تشايكوفسكي، ادعت انها اناستاسيا وانها تتذكر انها حملت في عربة زراعية وكان هناك ألما حادا في رأسها يزداد بتأثير حركات العربة وكانت تتذكر حدث الإعدام وصراخ افراد عائلتها وكانت تحكي أنها بعد أن صحت عرفت الأربعة أشخاص الذين اعتنوا بها وكانت امرأة وثلاثة أبناء لها أخبرتهم أن اسمها كان انا تشايكوفسكي وكانت لدى الفتاة ذكريات مبهمة عن السفر طويلا في الغابات لأشهر طويلة وما عانته من أمراض وحمى .

وشاهد الماي كان يحاول العودة لألمانيا قال انه رأى في طريقه عربة فركب مع اصحابها لمسافة ما وكان هناك امرأتان نائمتان على القش احداهما جرية وادعى انها الدوقة اناستسيا الصغيرة .

ووفق الماني اخر هو الكولونيل هاسنشتاين وهو ضابط الاتصال عند بلد على النهر تحدث عن عربة يجرها ثور تمر على الجسر الذي كان تحت سيطرة الالمان وعندما عرف ان احدى بنات القيصر على متنها اخبر رئيسه وهو الجنرال جيلهاوزن للسماح للعربة بالمرور .

وقد ساعد الأمريكي سارشا كريجوريان العربة لعبور نهر دينيستر إلى رومانيا ثم أخبر شرطة بوخارست وترجمة لما ذكره (قبل عبور نهر دينيستر في طريقه من روسيا إلى رومانيل في ٥ كانون الاول ١٩١٨ مكث في دير بالقرب من الحدود الرومانية وكانت هناك أيضا اناستاسيا ابنته القيصر نيقولاي الثاني والتي انقذت ليلة الجريمة من قبل احد الحراس الذي كان من حراس بيت ايباتييف حيث اعتقلت عائلة) رومانوف وبعد قطع النهر في رزينا قابلت المجموعة احد ضباط القيصر والذي اخذهم بسيارته إلى أورهي ، ومن هناك اخذوا إلى بوخارست وذكرت اناتشايكوفسكي انها شعرت بالراحة والحرية في رومانيا حيث افلتت من قبضة البلاشفة الذين قتلوا اسرتها وبيعت الجوهرة التي كانت بحوزتها من اجل تأمين المبلغ لها وللباقين ..ثم حدث ما جعل بعض اقارب امها يقفون ضدها!!

لقد وضعت ولدا وكان أبوها الكسندر تشايكوفسكي ورغم أنهما تزوجا فأن كثيرا من الأسر الملكية في ألمانيا ووسط أوروبا تخلوا عنها كقريبة لهم إذ أن امرأة كهذه تضع نفسها ف مثل هذا الموقف كان لا يمكن ان يكون لها محل في قصور ملكية وبعد الزواج ببرهة قصيرة وجه القدر إلى انا ضربة جديدة :

أطلق بعض عملاء البلاشفة النار على الكسندر وقتلوه وبعدها لم تجد انا سوي الرحيل ووضعت الطفل في إحدى المياتم(الملاجئ) باسم مستعار لم يعرف عنه احد ولم يظهر.

وفي برلين اختفى سيرجي مرافقها والقت انا بعدها بنفسها في القناة بهدف الانتحار وعندما انتشلت لم تجيب على اسأله الناس فالناس لن يصدقوا انها الدوقة اناستاسيا لذلك فضلت الصمت ورفضت ذكر اسمها!

وفي كتاب نشر سنة ١٩٩٢ باسم "القيصر الأخير" سردت وقائع الليلة الأخيرة لهذه الأسرة، حيث أوقظ أفراد الأسرة في منتصف الليل و أجبرت على ارتداء ملابسها بدعوى نقلهم لمكان جديد أكثر أمنا. و ما هي دقائق حتى دخل عليهم ضابط يدعى "يوروفسكي" الذي بدأ باطلاق النار عشوائيا على أفراد الأسرة وسط دخان كثيف. وبعد أنجلاء الدخان عرف الخاطفون سر المجزهرات الملكية التي تم أخفاءها في أحشاء الوسادات و ملابس الأطفاء حتى يتم ابعادها عن اعين الطامعين.

يقول يوروفسكي في مذكراته إن المجوهرات كانت كالدرع الواقي ضد الرصاص وأنه تم اكتشاف اختفاء أنستازيا و أختها ماريا و هربهما، الا أن ضابطا آخر أفاد بأنه تم العثور على جثة أنستازيا و لكن خلال نقل الجثث تم اكتشاف بأن بعض الأميرات ما زلن على قيد الحياة و كن يصدرن أصواتا أقرب إلى الأنين.

ومن ذلك الحين قامت الكثيرات بالادعاء بأنها الأميرة أنستازيا الهاربة سليلة ووريثة روسيا القيصرية. فعلى الأقل ادعت ١٠ فتيات هذا الأمر. بل قد تم دفن

نتاتين شقيقتين تعيشان في جبال الأورال تحت هذه المسميات. وعزز هذه الشائعات بأن الكثير من فرق البحث أنتشرت في المناطق الجبلية النائية و محطات القطار تبحث عن طفلة نبيلة هاربة. بل ان أحدى الأميرات أدعت فيما بعد أن العديد من الأطفال قد تم عرضهم عليها من قبل رجال الثورة الحمراء على أمل العثور على أنستازيا لهاربة.

إلا أن أشهر المدعيات كانت فتاة تدعى آنا أندرسون. ففي عام ١٩٢٣ أقدمت فتاة مجهولة على الانتحار بإلقاء نفسها في أحد الأنهار بلندن و تم إنقاذها لكنها فقدت ذاكرتها. وفجأة وبلا مقدمات استعادت بعضا من ذاكرتها لتعلن بأنها الأميرة الهاربة. وذكرت التقارير بأن تم العثور على آثار رصاصات على جانبي ذراعيها.

الغريب في الأمر أن جدة أنستازيا الحقيقية كانت قد تمكنت من الهرب إلى الولايات المتحدة ورفضت مقابلة تلك الفتاة مؤكدة بأن حفيدتها أعدمت مع بقية أفراد الأسرة وهي متأكدة من ذلك، حتى تمكن صحفي روسي من نقل الفتاة لمقابلة جدتها المزعومة التي سرعان ما توقفيت فجأة ليصدر بيانا من أثنى عشر من أقرباء أنستازيا ينكرون فيه أي صلة قرابة مع تلك الفتاة من أجل التمتع بالارث الحصري للجدة المتوفية.

وسرعان ما نست الصحافة هذه القصة لتعود الفتاة إلى بريطانيا وتدخل في معركة قضائية طويلة انتهت بحكم شهير في سنة ١٩٧٠، حيث قررت المحكمة بعد سماع المئات من الشهود ومراجعة كمية ضخمة من الملفات والوثائق التاريخية بأنه لم يثبت بشكل قاطع بأن "أنستازيا رومانوف" قد لقيت حتفها خلال إعدام أفراد الأسرة، كما لم يثبت أيضا أن هذه الفتاة هي نفسها أنستازيا، لتعود القضية إلى نقطة البداية.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فبعد انهيار الأمبراطورية الشيوعية، أعلن مجموعة من الباحثين أنهم كانوا على علم - ومنذ مدة طويلة - بالمكان السري الذي دفنت فيه عائلة رومانوف، الا أنهم كانوا يخشون اثارة الموضوع مرة أخرى خوفا من عقاب

الحكومة السوفيتية، أما الآن و بعد أنهيار النظام الشيوعي فهم على أتم الاستعداد للكشف عن المكان.

وهـذا ما حدث فقد تم استخراج العظام التي كانت متكدسة عشوائيا و تم عرضها على فريق متخصص روسي و كانت النتيجة الرهيبة التي أكدت بأن الأطباء الشرعيين استطاعوا تمييز عظام جميع أفراد الأسرة ما عدا أنستازيا و ماريا اللتين كانتا مفقودتين.

ما لم يذكره الكتاب هو أن آنا أندرسون توفيت في سنة ١٩٨٤ و تم أجراء فحوصات جينية عليها في سنة ١٩٩٤ وتمت مطابقتها مع عينات لأقارب الأسرة القيصرية وقد تم الانتهاء بأنها ليست الأميرة أنستازيا بل هي أبنة أحد عمال المناجم في بولندا. الأمر المثير هو أنه لم يتم التأكد بأن العينة التي تم اختبارها هي فعلا لآنا أندرسون.

في سنة ١٩٩٥ تم إجراء اختبار لمطابقة وجه و تقاسيم جمجمة آنا أندرسون مع الأميرة أنستازيا. هذه المرة كانت النتائج إيجابية. ولكن تبقى البحوث الجينية هي الأكثر دقة.



انستازيا الأولى (وقوفاً) من اليمين مع شقيقاتها الأربع و أمهن الإمبراطورة قبل الكارثة !!

6

الفصل السادس

لعنة آل فاروق

الملكة الأم والأميرات والملك !!

١ - الملك فاروق ..

من العرش إلى القبر !!



•• ولم يشفع لفاروق أن تنازل عن العرش طواعية حقناً للدماء، وانطلاقاً من مسئوليته الوطنية، حيث طاردوه في منفاه، وقاموا بتصفيته جسدياً !

من أكثر الأسر التي حلت بها " لعنة العائلة " في التاريخ هى أسرة الملك فاروق الأول آخر ملوك مصر . ربما تكون هناك أسباب داخل العائلة كانت سبباً رئيسياً في اللعنة التي أصابت جميع أفرادها تقريباً، و لكن هذا لا ينفي وجود أخطاء كبرى ارتكبها ضباط حركة ٢٣ يوليو في حق الملك، الذي لم يثبت التاريخ أنه كان أقل وطنية أو حباً لمصر منهم، بل ربما يزيد !!

لعنة أسرة فاروق لم يسلم في الغالب منها أحد .. فضائح .. قتل .. اغتيال .. نفي، لتتحول السعادة إلى شقاء .. فقد لقي اثنان منها مصرعهما غدراً و بفعل فاعل، و في جريمتين بشعتين يندى لهما الجبين .. الأولى دفعت ثمنها شقيقة فاروق الجميلة فتحية .. أما الجريمة الثانية فدفع ثمنها الملك نفسه في عملية اغتيال نكراء دبرها العسكر المراهقين سياسياً، و الذين لم يكتفوا بقلب نظامه و الانحراف بالسلطة في بلادها لتتحول من مملكة مصر والسودان إلى مصر فقط ناقصة سيناء التي أخذتها منهم إسرائيل في غفلتهم و دفع المصريون الشرفاء من دمائهم و من قوت يومهم الكثير لاستردادها في أعظم ملحمة انتصار في التاريخ العربي الحديث .. فمن هو الملك فاروق و كيف حلت عليه لعنة العائلة التي أصابت الكثيرون من قبله و من بعده ؟

الملك فاروق هو ابن الملك فؤاد الأول ابن الخديوي إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد على باشا (١١ فبراير ١٩٢٠ - ١٨ مارس ١٩٦٥) آخر ملوك مصر وآخر من حكم مصر من الأسرة العلوية ولد ونشأ في القاهرة كابن وحيد بين خمسة شقيقات أنجبهم الملك فؤاد الأول ن ثم أكمل تعليمه بفرنسا وبإنجلترا، أصبح ولياً للعهد وهو صغير السن، واختار الملك الوالد فؤاد الأول لولي عهده لقب أمير الصعيد.

وتحمل فاروق المسؤولية وهو صغير السن، حيث إنه تولى العرش في السادسة عشرة من عمره بعد وفاة والده الملك فؤاد الأول، حيث خلف أباه على عرش مصر بتاريخ ٢٨ أبريل ١٩٣٦، ولأنه كان قاصراً فقد تم تشكيل مجلس وصاية رأسه ابن عمه الأمير محمد على ابن الخديوي توفيق أخ الملك فؤاد الأول وكان سبب اختياره هو من بين أمراء الأسرة العلوية بأنه كان أكبر الأمراء سناً، واستمرت مدة الوصاية ما يقارب السنه وثلاثة شهور إذ أنّ والدته الملكة نازلي خافت بأن يطمع الأمير محمد على بالحكم ويأخذه لنفسه فأخذت فتوى من المراغي شيخ الأزهر - آنذاك - بأن يحسب عمره بالتاريخ الهجري، وأدّى ذلك إلى أن يتوّج فاروق ملكاً رسمياً بتاريخ ٢٩يوليو ١٩٣٧، وتم تعيين الأمير محمد على باشا ولياً للعهد وظل بهذا المنصب حتى ولادة ابن فاروق الأول أحمد فؤاد. استمر حكم فاروق مدة ست عشرة سنة إلى أن أرغمته حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على التنازل عن العرش لإبنه الطفل أحمد فؤاد والذي كان عمره حينها ستة شهور والذي ما لبث أن خلع، بتحويل مصر من ملكية إلى جمهورية، وبعد تنازله عن العرش أقام فاروق في منفاه بروما عاصمة إيطاليا وكان يزور منها أحيانا سويسرا وفرنسا، وذلك إلى أن تم قتله بروما، وكان قد أوصى بأن يدفن في مصر.

تزوج الملك فاروق الأول مرتين، الأولى كانت وهو في سن الثامنة عشرة وذلك من صافيناز ذو الفقار وقد تغير اسمها إلى فريدة بعد الزواج، وأنجبت له بناته الثلاث الأميرة فريال و الأميرة فوزية والأميرة فادية، ثم طلقها أثر خلافات كبيرة بينهما، ومن بين الخلافات هو عدم إنجابها لوريث للعرش، وقد اعترض الشعب على الطلاق وخرجت مظاهرات مندّدة بطلاقهما.

وتزوج بعدها من زوجته الثانية ناريمان صادق، وكانت حينها في سن السادسة عشرة، وهي التي أنجبت له ولي العهد الأمير أحمد فؤاد الذي تولى العرش وهو لم يتجاوز الستة أشهر تحت لجنة وصاية برئاسة الأمير محمد عبد المنعم بعد تنازله عن العرش مجبرا تحت رغبة الجيش المصري بقيادة الضباط الأحرار وعلى رأسهم قائد مجلس قيادة الثورة اللواء محمد نجيب.

وقد أُجبر على التنازل عن عرشه على يد ما عرف بحركة الضباط الأحرار في يوليو ١٩٥٢ فيما عرف لدى البعض بثورة يوليو ١٩٥٢ لما تبعها من تغيرات اجتماعية وسياسية ويراها البعض مجرد انقلاباً عسكرياً لسيطرة الجيش على الحركة والسلطة.

كانت مصر تعيش حياة سياسية غير مستقرة نتيجة صراع الأحزاب وضياع فلسطين وكذا انخفاض شعبية فاروق الأول عند معظم المصريين لأسباب عديدة منها محاولات تشويه صورته، و الترويج لفضائح كثيرة لم تثبت صحتها بشكل مطلق، وهناك تضارب حول دوره فيها كفضيحة بيع وزارة نجيب الهلالي لعبود باشا بمليون جنيه مصري، واغتيال الشيخ حسن البنا على يد البوليس السياسي وأسباب طلاقه للملكة فريدة وكثرة الإشاعات التي كانت تقال عنه فضلا عن الإضرابات التي شاهدتها القاهرة من مظاهرات وعنف وحرائق مدبرة حريق القاهرة وتدخل الملك في انتخابات نادي الضباط وما قيل عن نيته لتعيين وزير حربية مكروه لدى الجيش.

وفي الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢، أطاحت حركة الضباط الأحرار بعرشه وكانوا مجموعة من الضباط صغار السن نسبياً بقيادة اللواء محمد نجيب أطلقت على نفسها اسم " الحركة المباركة " ثم - فيما بعد – أطلقوا عليها " ثورة يوليو ".

وقد رفض الملك فاروق الاستعانة بالحرس الملكي والذي كان له الأفضلية في التسليح أو بالقوات البريطانية التي عرضت المساعدة عليه لإخماد الحركة في مهدها، حيث فضل فاروق الأول ملك مصر والسودان التنازل عن العرش لابنه فؤاد الثاني وذلك لحقن دماء المصريين، والذي كان دائما يراهن على حب المصريين له ولاعتقاده أن ما يحدث مجرد أمر عارض وأن الشعب سوف يقف بجانبه لأنه ملك محبوب و متواضع، وزعيم عربي يرى أنه المؤسس الحقيقي للجامعة العربية، إلا أن الأوضاع العامة في مصر ساعدت الحركة العسكرية التي أحست أن الطريق مفتوح لها للسيطرة على الحكم بدون اى مقاومة تذكر ونفي على أثر ذلك إلى إيطاليا في ٢٦ يوليو ١٩٥٢، ولم يعد إلى مصر إلا بعد مقتله بعام.

على صعيد آخر يرى آخرون أن الملك قد حاول فعلاً اللجوء للإنجليز من خلال اتصالات مكثفة تمت في اليوم الأول للثورة كما تذكر بعض الوثائق الإنجليزية المفرج عنها و أنهم لم يهرعوا لمساندته كما فعلوا مع جده الخديوي توفيق لتغير الظروف الدولية و عدم رغبة القوى العظمى الجديدة في استمرار نفوذ الإنجليز في المنطقة فخرج الملك من مصر بدون دعم واضح من السياسيين و لا طبقات الشعب المختلفة و سقط نظامه على يد مجموعة من الشباب الصغار في ٣ أيام و ذلك بسبب ما زعمه البعض من ضعف مؤسسات الدولة و تآكلها و تطلع المصريين لقائد جديد.

وسرعان ما ألغى الضباط الأحرار الملكية تماما وتحول نظام الحكم في مصر من ملكي إلى جمهوري أواخر عام ١٩٥٣.

بعد الثورة سيطر ضباط الجيش على الحياة السياسية والاقتصادية ويرى البعض أن مصر تحولت يديهم إلى دولة بوليسية وتم إلغاء الأحزاب بعد ان تم عزل محمد نجيب عن رئاسة الجمهورية نتيجة ميوله الديمقراطية مع سيطرة نفوذ العسكريين داخل الدولة مع قلة قدرتهم وخبراتهم السياسية تم فصل السودان عن مصر.

بينما يرى آخرون من مبرري الخطايا الكبرى في التاريخ أن كل التحولات الجذرية في تاريخ الشعوب مرت بأخطاء لا تقلل من حجم ما قدمته لأبناء وطنها.

وفى تمام الساعة السادسة وعشرون دقيقة مساء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ غادر الملك فاروق مصر على ظهر اليخت الملكي المحروسة (وهو نفس اليخت الذي غادر به جده الخديوي إسماعيل عند عزله عن الحكم) وكان في وداعه اللواء محمد نجيب وأعضاء حركة الضباط الأحرار والذين كانوا قد قرروا الاكتفاء بعزله ونفيه من مصر بينما أراد بعضهم محاكمته وإعدامه كما فعلت ثورات أخرى مع ملوكها.

غادر الملك فاروق مصر إلى إيطاليا دون أدنى اعتراض منه على الرغم من صلافة جمال سالم الذي كان يمسك عصاه تحت إبطه، إلا أن فاروق اكتفى بتنبيهه

بمقولته المعروفة "أنزل عصاك أنت في حضرة ملك" مشيرا إلى ابنه الرضيع الملك أحمد فؤاد الثاني. وقد اعتذر اللواء محمد نجيب عن ذلك، وأدى الضباط التحية العسكرية وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة لتحية الملك فاروق عند وداعه.

وبعد جلاء القوات البريطانية عن مصر في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤، ما لبث أن اصطدم النظام الجديد بجميع القوى السياسية في المجتمع، و حطم مكاسب سياسية كثيرة، كان المصريون قد حصلوا عليها في عهد فاروق كحرية التعبير، و حرية انتخاب ممثليهم، و حرية إصدار الصحف، و عصرنتهم، و مسايرتهم لركب الحضارة الحديثة .

ولا أدل على ذلك من أن أعظم مفكري مصر و أدبائها و علمائها هم أبناء عهد فاروق كطه حسين وعباس محمود العقاد ونجيب محفوظ الذي نال جائزة نوبل فيما بعد على ما كتبه قبل انقلاب ٢٣ يوليو، و رغم دفع البعض بمجانية التعليم في عهد الثورة، يرد البعض بأن الفقراء النابغين كانت مصر فاروق تحتضنهم وترسلهم في بعثات، رغم فقر معظمهم المدقع .

لقد قامت الحركة بقمع السياسيين على اختلاف توجهاتهم و انتماءاتهم و منهم الليبراليين والشيوعيون والإخوان المسلمين وزعماء الحركة الوطنية كرموز حزب الوفد الشرفاء . واعتقل عبد الناصر الآلاف من أعضاء تلك الجماعات، وعقدت لهم محاكمات عسكرية وحكم بالإعدام على عدد منهم.

وامتدت المواجهات إلى النقابات المختلفة، فقد تم حلّ مجلس نقابة المحامين في ٢٦ ديسمبر ١٩٥٤، ثم تلتها نقابة الصحفيين في عام ١٩٥٥، كما ألغى الحياة النيابية والحزبية و وحد التيارات في الاتحاد القومي عام ١٩٥٩ ثم الاتحاد الاشتراكي بعام ١٩٦٢.

وفي ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ أرسل عبد الناصر في أسوأ قرار غير وطني يمكن أن يخرب به رئيس ثروات بلاده، ودون مبرر، وبسذاجة غريبة، وكل همه البحث عن

زعامة عربية لم يكن فعلاً مؤهلاً لها .. أرسل قواته إلى اليمن لدعم الثورة اليمنية، و كان لقراره هذا أثره السيئ في استنزاف موارد مصر وإضعاف قوتها العسكرية، وكانت أبرز عواقبه الوخيمة تلك الهزيمة العسكرية الفادحة التي منيت بها القوات المسلحة في حرب ١٩٦٧" و أيضاً بأخطاء سياسية ساذجة، و دون مبرر .

وفي يونيو ١٩٦٧ قصف سلاح الطيران الإسرائيلي جميع المطارات العسكرية لدول الطوق واستطاع تدمير سلاح الطيران المصري على الأرض، و قتل الآلاف من الجنود المصريين في انسحاب الجيش غير المخطط له من سيناء مما أدى إلى سقوط شبه جزيرة سيناء .

يروى عن الملكة فريدة وكذا ابنته فريال أن الملك فاروق لم يكن يملك الشيء الكثير بعد أن أخرجته حركة يوليو من مصر وزعم شهود العيان في المحكمة التي فبركتها الحركة لمحاكمة حاشية فاروق ومعاونيه بعد خروجه من مصر أن الملك السابق حمل معه إلى إيطاليا ٢٢ حقيبة بها ملابسه وزوجته ناريمان وملابس الأميرات الصغيرات بالإضافة إلى مبلغ ٥٠٠٠ جنيه مصري و أن حسابه البنكي في سويسرا كان به ٢٠ ألف جنيه فقط.

وبعد أقل من عامين في المنفى طلبت الملكة ناريمان الطلاق من فاروق وسافرت إلى مصر دون إذنه، وأذنت لها حكومة الثورة بذلك وأعلن عن الطلاق أمام محكمة الأحوال المدنية وفي الصحف الرسمية.

وتحولت حياة فاروق بعد ذلك إلى جحيم، لم يعد يملك ما يعيل به أطفاله ويصرف به المظاهر الملكية التي كان يحرص عليها في شؤون حياته ونتيجة لذلك، طلب فاروق أن يحل ضيفاً على إمارة موناكو وبالفعل عاش فيها معظم سنوات المنفى ومنحه الأمير رينيه جنسية موناكو وجواز سفر دبلوماسي عام ١٩٦٠ قبل مقتله بخمس سنوات.

يرى البعض أنه عاش حياة البذخ والسهر في منفاه، وأنه كان له العديد من الصديقات منهم الكاتبة البريطانية باربرا سكلتون، إلا أن آراء أخرى ترى أن فاروقًا كان محبا مخلصا لوطنه وشعبه وهو الأمر المؤكد.

وحول حقيقة الصورة المرسومة عن الملك فاروق تقول الدكتورة لوتس عبد الكريم وهي صديقة مقربة من ملكة مصر السابقة فريدة المطلقة من فاروق: لم يكن فاسدا كما قيل وانتشر على نطاق واسع، فعرفت من شقيقي الملكة فريدة، سعيد وشريف ذو الفقار إن ذلك غير صحيح بالمرة، فلم يرياه يشرب الخمر إطلاقا، لكن ربما لعب القمار. وتابعت: هذا أيضا ما قالته لي الملكة فريدة التي نفت عنه أنه كان زير نساء كما صورته الصحافة والسينما والدراما، فلم تكن هذه الأمور من اهتماماته أو من حقيقة حياته الشخصية.

وقد زُادت محبة الشعب المصري لملكهم الشاب فاروق عندما تزوج من الملكة فريدة العام ١٩٣٨ فقد أحبوها وشعروا بأنها لصيقة بطبقاتهم وبأحوالهم، وعندما طلقها لأنها لم تنجب له وريث العرش، غضبوا عليه بشدة. وقالت مستطردة: كان الشعب عاشقا لها، فطافت المظاهرات الشوارع بعد طلاقها تهتف "خرجت الفضيلة من بيت الرذيلة". لقد رأوا فيها وردة مصرية طاهرة نقية.

ورغم الطلاق وصفته الملكة فريدة بأنه كان أبيض القلب، حنونا للغاية، بريئا كطفل، ولم يكن زير نساء يحيط نفسه بالعشيقات والفنانات كما أفاضت القصص الصحفية في ذلك، ولا يشرب الخمر على عكس كل ما كتب عنه، فقد كان يكره رائحتها، خلافاً لما نشرته عنه صحف الثورة وكتابها وعلى رأسهم مصطفى أمين وإحسان عبد القدوس .

وقد قُتِل الملك فاروق في إيطاليا في عام ١٩٦٥، حيث تم اغتياله بالسم (كوب عصير الجِوافة) بأحد مطاعم إيطاليا على يد البغدادي بتكليف من القيادة السياسية والتي كانت تخشى تحقق شائعة عودته لمصر.

وقد أوصى بأن يدفن في مصر، وقد رفض عبد الناصر هذا الطلب — آنذاك- إلا أن الرئيس أنور السادات الذي صحح خطيئة ناصر الكبرى مرة بانتصار أكتوبر

المجيد، واسترداد الكرامة، ومرة بتكريم ملك كان أولاً وأخيراً مواطناً مصرياً ،فسمح بذلك في وقت لاحق، وتم نقل رفاته إلى مصر حيث دفن في مسجد الرفاعي ليلا !

ويظهر أن هناك لعنة تطارد الملك "فاروق" فى أسرته من بداية صباه، وامتدت لابنه ذلك أن ابنه "أحمد فؤاد" ولى العهد الذى نودى به "ملكا تحت الوصاية" بعد تنازُل "فاروق" عن العرش بقرار من مجلس الثورة يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢، ثم جرى خلعه بإلغاء النظام سنة ١٩٥٣) . وسافر "أحمد فؤاد" رضيعا مع "فاروق" و"ناريمان"، لكن "ناريمان" (وكانت فى حقيقة الأمر ضحية لظروفها) لم تستطع مجاراة "فاروق" فى حياة المنفى، لأنها كانت أكثر صخبا من حياة المُلْك، وهكذا عادت وحدها إلى مصر، ثم واجه ابنها ظروفا صعبة. وعندما أصبح شابا فقد تزوج من فتاة يهودية فرنسية، وأنجب منها ابنا أسماه "محمد علي" . ثم سمح له الرئيس "أنور السادات" بالعودة إلى مصر بناء على وساطة من شاه إيران "محمد رضا بهلوي"، ومن ملك السعودية "فيصل بن عبد العزيز" . وهنا فإن "أحمد فؤاد" اختار لزوجته اليهودية اسم "فضيلة" (بداية بحرف الفاء المتوارث عن الملك فؤاد) . ثم اختلفت الوقائع عن النوايا، ذلك أن "فضيلة" التى تصورت أن عودة زوجها لعرش مصر يمكن أن تكون محتملة، لكنها لم تلبث أن فقدت الأمل، ثم تطورت علاقتها بزوجها إلى قضايا أمام المحاكم، ووصل الأمر إلى حد أنها رفعت عليه دعوى حجر أمام محكمة سويسرية فى "لوزان" تتهمه بخلل فى قواه العقلية، وبالفعل فإن "أحمد فؤاد" أودع فى مصحة للأمراض النفسية فى سويسرا، لفترة، ولعل حالته مما ينطبق عليه المثل السائد المشهور: "إن الآباء يأكلون الحُصْرُم . والأبناء يضرسون!".

والواقع أن الملك "فاروق" لم يترك لورثته ثروة كبيرة حين مات، لأن حسابات سرية عديدة ضاعت أرقامها بوفاته، فقد شاء أن يحتفظ بها سرا لا يعرف به غيره، وفى حين أن ثروته حين خرج من مصر قُدِّرت بثلثمائة مليون جنيه، فإن ما تركه فعلا لم يزد على ثمانية عشر مليونا (ذهب أكثر من نصفها أتعابا للمحامين والخبراء الذين كلفهم الورثة بتعقب مواقع الثروة)، والباقى ضاع فى حسابات البنوك!



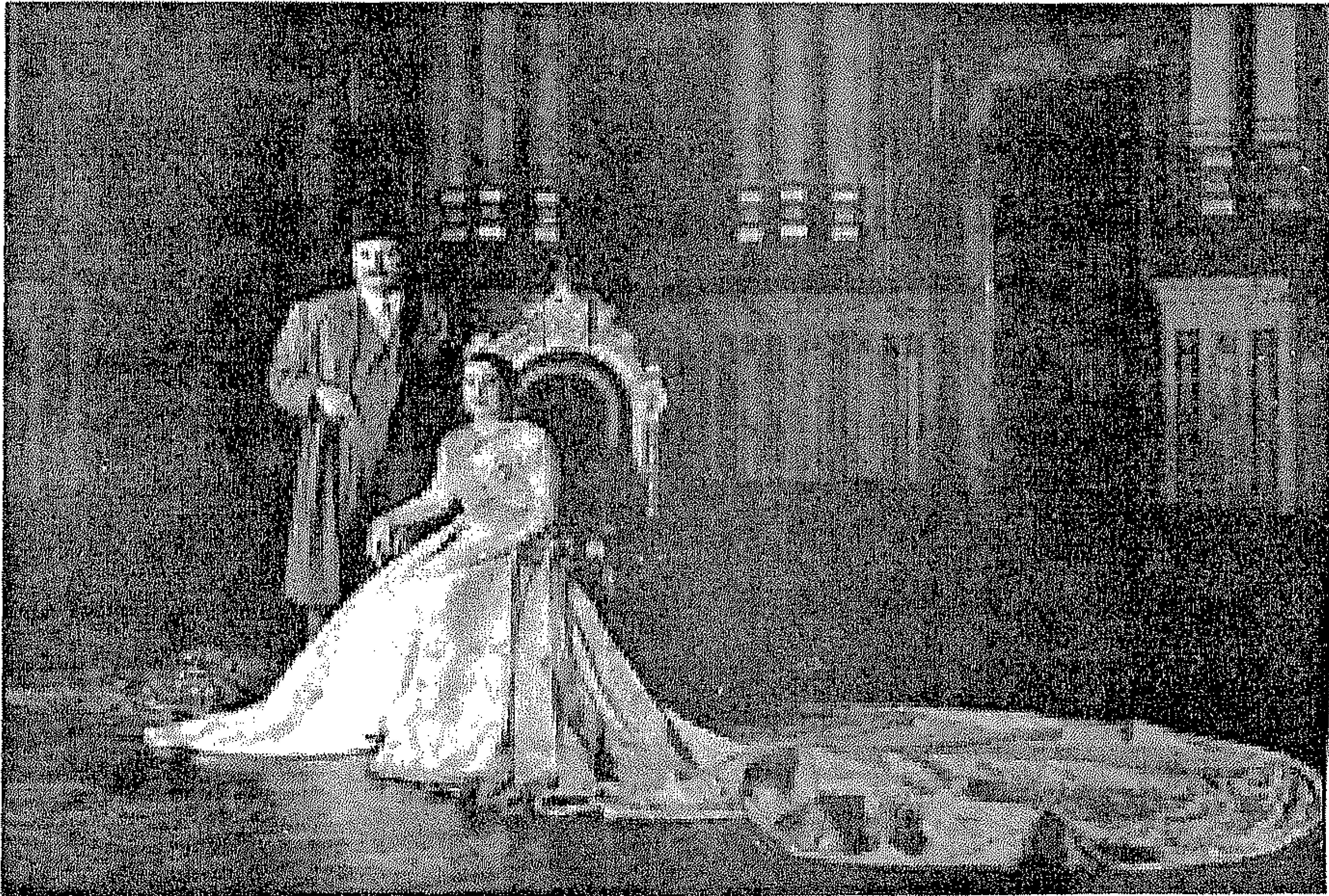
صورة نادرة للملك فاروق الأول في صباه وكان وقتها ولي العهد



الأمير فاروق ولي العهد (وملك مصر لاحقاً) سنة ١٩٣٥



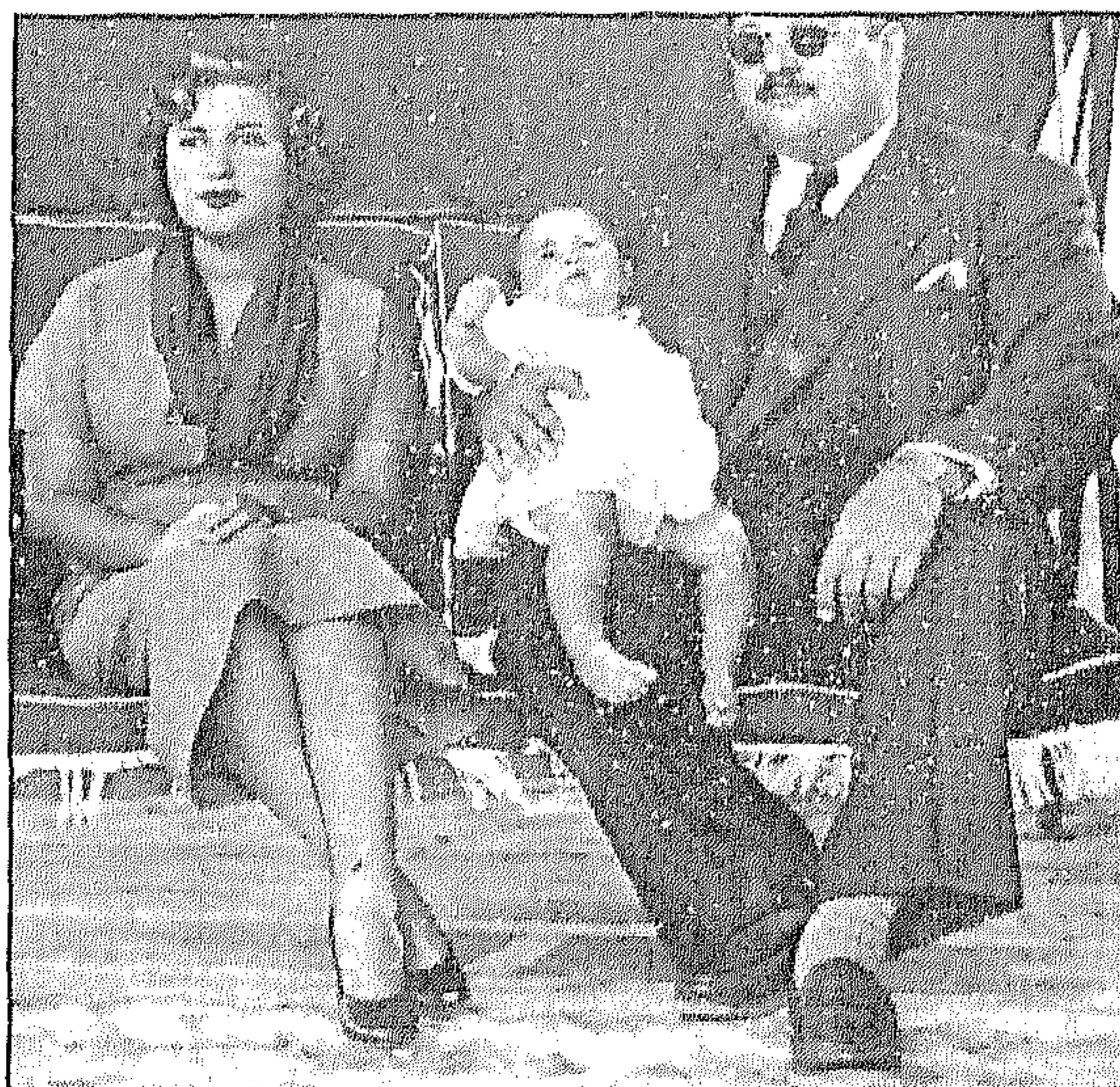
الملك الشاب فاروق و زوجته الأولى فريدة



صورة زفاف الملك فاروق والملكة ناريمان في قصر عابدين سنة ١٩٥١



ولي العهد الأمير أحمد فؤاد (الملك فؤاد الثاني لاحقاً) في يناير ١٩٥٢ - بعد ستة أشهر أصبح ملك مصر بعد تنازل والده الملك فاروق عن العرش ثم غادر الاثنان مصر نهائياً .



الملك فاروق و الملكة ناريمان وابنهما أحمد فؤاد.



الملكة ناريمان زوجة الملك فاروق في روما سنة ١٩٥٣ .



الملكة ناريمان والملك فؤاد الثاني آخرملوك مصر في كابري بإيطاليا سنة ١٩٥٣ بعد قلب نظام حكم أبيه الملك فاروق .



آخر صورة للملك فاروق قبل رحيله !

٢ - الملكة نازلى ..

فضائح بالجملة !!



•• ومثلت نازلى قمة اللعنة عندما تحل بعائلة فتطول الجميع فضائح وقتل واغتيال وزيجات فاشلة ونهايات كارثية !!

ربما تكون الملكة نازلى من أكثر الملكات في التاريخ، التي أصابتها " لعنة العائلة "، التي يمكن أن تدفع أصحاب المقامات العالية إلى أن تأخذهم العزة بالإثم، فيبدأون في رحلة السقوط المدوي و التحول من حياة الرخاء إلى حياة الشقاء .

الملكة نازلي ملف كبير شائك، عندما تفتحه تشعر فعلاً أنها ملكة أصابتها لعنة، فترددت في سلوكياتها، لتدفع في النهاية ثمناً غالياً، بل فاحش الغلاء !!

الملكة نازلي عبد الرحيم صبري (٢٥ يونيو ١٨٩٤ - ٢٩ مايو ١٩٧٨) الزوجة الثانية للملك فؤاد الأول بعد طلاقه من زوجته الاولى الأميرة شويكار وابنة عبد الرحيم باشا صبري الذي كان وزيرا للزراعة، وجدها لامها سليمان باشا الفرنساوي الذي جاء لمصر معالحملة الفرنسية ولكنه رفض الرحيل ومكث بمصر واشهر اسلامه

وقد أنجبت من الملك فؤاد خمسة أبناء هم : الملك فاروق، الأميرة فوزية الأميرة فائزة الأميرة فائقة ثم الأميرة فتحية وقد تركت الملكة نازلي مصر عام ١٩٤٦ وسافرت إلى الولايات المتحدة الامريكية مع ابنتيها فايقه وفتحيه التى ارتبطت مع رياض غالى القبطى المصرى بقصة حب وقامت ضجه كبيرة في مصر ودعا الملك فاروق رياض غالى إلى اشهار اسلامه وتزوج الأميرة الصغيرة فرفض، عادت الأميرة فائقة من أمريكا وبقيت نازلى وفتحية في أمريكا ومالبث الملك فاروق ان حرمهما من كل الألقاب الملكية والثروة أيضاً ،ثم أعلنتا تحولهما إلى المسيحية . فى عام ١٩٧٦ قتل رياض غالى فتحية ثم حاول الانتحار وفى عام ١٩٧٨ ماتت نازلى في لوس انجلوس بأمريكا عن عمر يناهز ٨٤ عاما.

ويمكن القول إن الملك فاروق نفسه هو أكثر من انكوى بنار أمه الملكة نازلي، و أنه كان من الممكن لفاروق أن تسير به سفينة الحياة في طريق أكثر أمنا وآمانا، خاصة

أنه كان شابا وسيما صغير السن، محبوبا من الشعب، ولكن أمه و حاشيتها أخذته بعيدا عن نبض الشارع المصري، فلم تراع إلا مصالحها وطموحاتها الشخصية .

وكانت أمه الملكة نازلي أحد الاسباب في تصدع الملكية في مصر وسقوطها بعد ذلك فهي لم تكن حريصة على عرش ابنها ومستقبله بقدر حرصها على الانطلاق، وتحقيق ما تصبو إليه، وأن تعيش حياتها بعيدا عن قيود التصور، وتعوض الأيام التي عاشتها في كنف زوجها الملك فؤاد حيث كانت لاتحب القيود حتي لو كانت من ذهب وها نحن نري محمد التابعي يصور حياتها عندما ذهبت إلى باريس في صحبة الملك الشاب، حيث بدأت تسير على ما تشتهي .

ويروي الكاتب الصحفي الراحل محمد التابعي الذي كان قريباً جداًّ من القصر عنها الكثير و الكثير فيقول :

بدت على جلالتها أعراض التصابي فقد انطلقت تزور صالونات التجميل وصبغ الشعر، وتجرب كل يومين تقريبا صبغة جديدة، ولونا جديدا لشعرها الذي بدأت تظهر فيه شعرات بيضاء .. ولاحظنا أن حسنين بدأ يقتصد إلى حد ما في (إخلاصه وتفانيه) في خدمة الملكة نازلي والسير في ركابها، وأصبحنا نراه بيننا أكثر من أي وقت مضى في الرحلة لماذا ؟

هل كان يخشي افتضاح علاقته بالملكة الوالدة؟ .. وأنه يسمع ابنها أو يلاحظ شيئا مريبا على أمه ورائده الأمين؟

أم ترى حسنين قد رأى أن الوقت قد حان لكي ينتقل من الفصل الأول إلى الفصل الثاني، أي من إظهار الحب والتفاني إلى إظهار (النقل) والتحفظ والبرود؟

ومهما يكن من شيء.. فقد نجح أحمد حسنين في أن يجعل من نازلي رهن إشارة من إصبعه، حتى إنه طلق زوجته وأم أولاده حتي يحقق أهدافه في السيطرة على الملك والقصر من خلال حب الملكة نازلي له.

والتي انتهت على كل حال بزواجه الوفي منها، وبعلم الملك، ومباركته هذا الزواج على مضض، لأنه أراد أن يستريح من رعونتها وعدم قدرتهما على فهم واقع العرش الذي يعتليه ابنها فاروق، الذي كان في حاجة إلى من يقف بجانبه، ويرشده إلى ما فيه نفعه ونفع الوطن..ولكن لم يجد هذا المرشد الأمين، فقد كان حسنين يكره هو الأخر حزب الأغلبية (الوفد). وأن هذا يعني اصطدام الملك بالدستور، فالملك وقد ورث كراهية الوفد عن أبيه كان لابد أن يصطدم بهذا الحزب الذي يمثل الأغلبية.. وبالتالي فإنه لن يتيح له فرصة الانفراد بالحكم لمدد طويلة.. وهذا ما يجعل الصدام حتميا.

ولاشك أن أحوال الملك فاروق تأثرت بأحمد حسنين الذي ما كان يأخذ كل هذه القوة لولا ارتباط الملكة العاطفي به، وعدم تقديرها هي الأخرى لحساسية العرش، وأهمية الحفاظ عليه ولكن طيشها دفعها أن تقوم بما لاينبغي أن تقوم به.

كتب التابعي يقول: تهدلت نازلي ملكة مصر وتهتكت في حب حسنين ولم تخجل من أن تعلن حبها له أمام رجال القصر، ثم أمام ابنها الملك فاروق، ونسيت مقامها كملكة وأرملة ملك وأم ملك ونسيت حرمة سنها وقد تجاوزت الأربعين!

وكانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة على فاروق الذي كان يومئذ في الثامنة عشرة من عمره، وكان فاروق يحب أمه، ولم يكن يفوق حبه سوى احترامه لها.

قدمت نفسها له، لكنه يرفض، فتصرخ وتصيح أنها من لحم ودم! وتطلب من ابنها ان يزوجها من حسنين. و كانت صدمة قاسية لفاروق.و تهاوت المثل العليا التي كان يراها في أمه .

كان فاروق يكره لأنه يشعر بأنه زوج أمه الذي أرغم على أن يكون شاهدا على زواجه العرفي.. ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان حيث قتل أحمد حسنين في حادث سيارة في ١٩ فبراير سنة ١٩٤٦.

فبينما كان متجها إلى بيته بعد أداء عمله في القصر الملكي بعابدين، وبينما هو في طريقه إلى الدقي حيث كان يسكن، صدمت سيارته سيارة لوري تابعة للجيش الإنجليزي، وقتل أحمد حسنين، وارتسمت علامات استفهام كثيرة في الأذهان، هل قتل بتدبير من الإنجليز ولتصفية حسابات سابقة، أم أنه قتل قضاء وقدرا ؟!

وعندما سمع الملك فاروق بهذا الخبر، ذهب بسرعة إلى بيت أحمد حسنين، ودخل حجرته، وأخذ يفتش في الأوراق، حتى عثر على ورقة الزواج وأخذها!

وكانت الشائعات يوم وفاة أحمد حسنين، كانت قد تواترت بأن الملك فاروق هو الذي دبر مقتله، ولكن هذا الاتهام لم يثبت أبداً .

وبعد وفاة أحمد حسنين وجدت الملكة نازلي أن وجودها لامعني له بعد أن فقدت الانسان الذي تجده، وقررت السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٦، بصحبة ابنتها فتحية.

وقد ظلت الملكة نازلي تسير وفق أهوائها، وتركت مصر عام ١٩٤٦، وسافرت مع ابنتها فتحية إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث ارتبطت فتحية بقصة حب مع رياض غالي موظف الخارجية الذي اصطحبته رغم أنف الملك، و زوجته الشقيقة فتحية رغم أنف الملك، و ترددت أنباء حول أنه كان أيضاً عشيق الملكة، و انتهت لعنة العائلة بمأساة أخرى و هي قتل رياض غالب لفتحية ثم انتحاره !

وهكذا كانت الملكة نازلي إحدى أهم الملكات اللائي استحوذن على اهتمام كل من شغله تاريخ مصر الحديث كارثة لجميع المحيطين بها و خاصة أسرتها الملكية، و في مقدمتهم ابنها فاروق نظراً لتحولها التدريجي ضده، لتصبح أحد أكبر نقاط ضعفه .

قد صدر كتاب جديد تحت عنوان " نازلي ملكة في المنفى "، ليبحث في حياة نازلي، التي بقيت لقرابة قرن من الزمان مطوية بين أدراج الأرشيفات وصفحات كتب التاريخ.

والكتاب لمؤلفته الإعلامية راوية راشد الذي يسلط الضوء على تلك الحقبة من حياتها التي تزوجت فيها من الملك فؤاد الأول، وأصبحت أمًّا لابنه فاروق وبناته الأربع، وغيابها المفاجئ عن مسرح الأحداث، و يقدم حقائق ظلت مجهولة عن حياة الملكة الأم في النشأة والمنفى، وأهم من هذا وذاك يلفت الأنظار إلى العنصر الدرامي، الذي غلف حياتها، والذي تصفه المؤلفة بأنه كفيل ليدهش أبرع الكتاب ويوقفهم مشدوهين أمام الدراما التي يخلقها البشر والأقدار.

الكتاب الذي كلف مؤلفته قرابة عشر سنوات من البحث الدؤوب في الصحف والأرشيفات الأمريكية، بدأ في لوس أنجليس، حيث عاشت نازلي لأكثر من ثلاثين عاماً بعد خروجها من مصر في رحلة علاجية، قررت بعدها أن تعيش في المنفى، بعد أن أضنتها حياة القصور ومؤامراتها، وساءت علاقتها بفاروق إلى حد لم يعد يحتمل أحد منهما أن يتعايش مع الآخر.

و من خلال الكتاب يكاد البعض يعرف لأول مرة أنه كان لنازلي زوج قبل الملك فؤاد، وأنه كان على وشك أن تعلن خطبتها من سعيد زغلول، ابن شقيق الزعيم سعد زغلول، لولا أن تدخلت الأقدار فشاهدها الملك في إحدى حفلات دار الأوبرا وأغرم بها، لأنها كانت مثالاً للفتاة المثقفة المودرن في عصر الحريم، ومع ذلك يشاع أنه ضيق الخناق عليها، وأصر أن يعاملها معاملة الجواري.

وقد لا يعلم البعض أيضاً أن صفية زغلول كانت بمثابة الأم الروحية لها بعد وفاة والدتها توفيقة هانم، وأن جدها الأكبر هو سليمان باشا الفرنساوي، أحد قادة نابليون، الذي رفض الرجوع إلى فرنسا، وعاش في مصر ليعلن إسلامه ويستدعيه محمد على ليستفيد من خبراته في تحديث الجيش المصري.



الملكة نازلي والدة الملك فاروق سنة زواجها من الملك فؤاد الأول ١٩١٩



ومع فاروق وشقيقاته .



الملك فؤاد الأول زوج الملكة في صورة له سنة ١٩٢٥



أحمد حسنين باشا الذي عشقته نازلي وتزوجته رغم أنف فاروق !!

٣- الأميرة فتحية ..

اللعنة تصل لذروتها !!



•• وتبدت قمة المأساة في هذه الأميرة التي حلت عليها لعنة العائلة فكانت حياتها هى الثمن !!

تمثل الأميرة فتحية اللعنة عندما تصل لذروتها، فيكون المصير الذي ينتظر صاحبها أو صاحبتها القتل، ليخرج من دائرة الأحياء، و ربما لو لم تكن فتحية تنتمي لأسرة فاروق، و ربما لو لم تكن ابنة لأم أصابتها لعنة فنقلتها إلى عائلتها، لو لم تكن كذلك لما سقطت صريعة برصاصات الرجل الذي أحبت و باعت من أجله الدنيا !!

كان مقتل فتحية من أشهر الجرائم العاطفية و السياسية، وربما يكون أكثرها شهرةً في تاريخ مصر، تلك التي شهدها عهد الملك فاروق، وكان أبطالها الملكة نازلي، وابنتها الأميرة فتحية وزوجها رياض غالي .

ففي أواخر يونيو عام ١٩٤٦ قررت نازلي السفر إلى أوروبا بحجة العلاج والراحة النفسية، ولم يكن ذلك صحيحاً على الإطلاق، وغادرت الملكة نازلي مصر على ظهر باخرة، وبصحبتها الأميرتان فائقة وفتحية .. كانت مارسيليا، أجمل موانيء فرنسا، هي المحطة الأولى لنازلي وابنتيها .. و طار خبر سفر الملكة من القاهرة إلى قنصلية مصر في مارسيليا التي قررت انتداب أمين المحفوظات رياض غالي ليساعد الملكة والأميرتين في تسهيل سفرهن إلى سويسرا. وبمجرد وصول الملكة وابنتيها إلى ميناء مارسيليا كان رياض غالي واقفاً في انتظارهن منذ الصباح. ما كادت الملكة تراه حتى سألته بالفرنسية: هل أنت مصري؟

وحسب شهادة الكاتب الصحفي مصطفى أمين، فقد انحنى رياض غالي بين يدي نازلي وقال لها إنه مصري ..

واندهشت الملكة نازلي من إجابته وقالت: غريبة، كنت أظنك من أميركا الجنوبية.
ابتسم رياض غالي وسار إلى جوار الملكة، وفجأة قال لها: لقد جئت بالشمس معك إلى فرنسا فوجئت نازلي بكلام رياض وقالت: غريبة، ألم يكن عندكم شمس؟

قال لها رياض ببساطةٍ رائعة: لقد مضت بضعة أيام بغير أن نرى الشمس، وها هي تشرق مع إشراق جلالتك.

التفتت الملكة نازلي ناحية مندوب إدارة البروتوكول الذي أوفدته وزارة الخارجية الفرنسية ليكون في استقبالها، وسألته في جديةٍ شديدة وباللغة الفرنسية: هل ما يقول صحيح، أم أنه يجامل؟

وقال مندوب وزارة الخارجية بالفرنسية: بل هو الصحيح يا صاحبة الجلالة . وكلفت نازلي الشاب رياض غالي بأن يعتني بحقائبها وكان عددها ٣٦ حقيبة ثم سافرت نازلي إلى بلدة برن ولحق بها رياض في لوري ضخم حاملاً الحقائب .

وعندما وصلت نازلي إلى الفندق - في مدينة برن - كان في استقبالها موظفو المفوضية ولاحظوا مشهداً مثيراً وغريباً، فقد رأوا رياض ينزل من جانب سائق اللوري، ويقدم نفسه على أنه رياض غالي من القنصلية الملكية في مارسيليا ثم صعد مع الحقائب إلى جناح الملكة. وبعد أن انتهى من إدخال كل الحقائب إلى جناح الملكة قالت له نازلي: أتعبتك معي .

وفوجئت نازلي برياض وهو ينحني ويقول لها: إن هذا شرفٌ عظيم لقد كنت أود لو أنني حملت كل هذه الحقائق على ظهري. إن اليوم هو أسعد أيام حياتي لأنني ركبت سيارة مع حقائب الملكة .

فرحت نازلي بما تسمعه وسألته: ما اسمك؟.. ولدهشتها سمعته يقول لها: خادمك رياض غالي .. التفتت نازلي ناحية الأميرة فتحية وقالت لها بالفرنسية: كم هو مؤدب.

وهنا تقدم رياض ليستأذن من الملكة في الانصراف قائلاً: كنت أود أن أبقى طوال حياتي خادماً لك هنا، ولكنني مضطر لأن أعود إلى وظيفتي في مارسيليا . وببساطةٍ شديدة قالت له نازلي: ابق هنا يوماً أو يومين .

اعتذر رياض لها بأن الأوامر تقضي بأن يعود، وفوجئ بالملكة تحسم الأمر بقولها: أنا أصدرت الأوامر بأن تبقى .. وبالفعل بقي رياض .

ويقول الكاتب الصحفي الكبير الراحل مصطفى أمين: إن وزارة الخارجية كانت قد حددت لرياض خمسة جنيهات كبدل سفر ما دام في خدمة الملكة، لكنه أخفى ذلك عنها، وقال إنه قرر البقاء ليكون في شرف خدمتها .

حرص رياض على استخدام أبرز مواهبه وهي شدة التأنق، ورشاقة الرقص، وبراعة البروتوكول، والخنوع حتى التمكن .أعجبت نازلي بلياقة الشاب ونشاطه فطلبت السماح له بمرافقتهن إلى سويسرا. وبدأ الشاب في التقرب إلى قلب وثقة الملكة الكبيرة، والتغزل بشبابها الضائع ورفع روحها المعنوية بعد أن فقدت زوجها الثاني أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي .

وبعد طرده من وزارة الخارجية، أصرت نازلي على إلحاق رياض في حاشيتها كسكرتير خاص لها براتبٍ شهري قدره مئة جنيه.. وأرسلت خطاباً شديد اللهجة إلى فاروق تتهمه فيه بالظلم والاستبداد، وتقول له: إن رياض غالي لن يموت من الجوع وإنها ستدفع له أضعاف مرتبه.

ومن سويسرا انتقلت نازلي إلى الولايات المتحدة حيث أجريت لها عمليات جراحية، في الوقت الذي كان الملك فاروق يرسل إليها بين الحين والآخر طالباً إليها أن تعود إلى مصر فكانت تعتذر، ثم راحت تصرح برفض العودة نهائياً مما جعل الملك يكلف سفير مصر في واشنطن بمحاولة إقناعها بالعودة، فأصرت على الرفض

اختارت نازلي أن تسكن في لوس أنجليس وعلى مقربةٍ من هوليوود عاصمة السينما، وتعرفت على كثيرين من نجومها، وأصبحوا زواراً لبيتها يحضرون حفلاتها إذا وجهت لأحدٍ منهم أو منهن دعوة، لأن الكل يريد أن يكون في "أجواء صاحبة الجلالة" .

واختارت الملكة لإقامتها في البداية بيتاً في شارع قريب من هوليوود اسمه تاور رود، قد زارها الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل في هذا البيت، الذي يقول: "حين عبرت الحديقة ماراً بحافة حمام السباحة مع رياض غالي كان رجاؤه وقد وصلنا إلى باب البيت أن أنتظر في الصالون قليلاً، لأن "جلالتها تؤدي صلاة الظهر حاضراً"".

كان الملك فاروق يعرف أن والدته صادقت رجل بترول أميركي اسمه ريتشارد باولي، وأن باولي أقنعها أن تبيع مجوهراتها وتستثمر أموالها في حقل بترول كبير في منطقة جيتسبرغ. وبالفعل باعت الملكة مجوهرات بما قيمته ثلاثة ملايين دولار (وبقيمة النقود وقتها فإن ذلك كان مبلغاً هائلاً) ثم إن باولي دفع للملكة مبالغ مما قال لها أنه أرباح الحقل، ثم "نفد الحقل" قبل الأوان، وكذلك زادت طلبات نازلي من مصر وراحت تتهم "الخاصة الملكية" بأنها تسرق إيراد أرضها وتستولي على دخلها من غير الأرض، ولا تبعث لها بشيء مما يتوافر لها من إيرادها، ثم راحت تتهم ابنها مباشرة بأنه يحاول "أكل حقها"، وهددته برفع قضايا مطالبة بمستحقاتها.

وزاد الطين بلة أن اثنتين من بنات نازلي كانتا معها في الولايات المتحدة، وهما الأميرتان فائقة وفتحية، وقد وقعت كل منهما في غرام لم يكن فاروق راضياً عنه: الأميرة فائقة مع دبلوماسي مصري هو فؤاد صادق وقد تقدم بالفعل يطلب يدها من الملكة نازلي، والأميرة فتحية مع رياض غالي الذي تقدم لخطبتها هو الآخر من الملكة نازلي.

وكان الملك فاروق قد تلقى تقارير من بعض أصدقائه في الولايات المتحدة أن رياض غالي كان على علاقة مع الملكة نازلي نفسها، وأن تلك العلاقة هي التي مهدت له الاختلاط بـ "فتحية".

ووصلت سيطرة رياض غالي على الملكة نازلي إلى حد أنها قالت إنها إذا أرادت أن تختار بين صداقتها لرياض غالي وأمومتها لفاروق فإنها تختار صداقة رياض غالي، لأن فاروق أثبت في كل مناسبة أنه ولدٌ عاق، أما رياض فقد أثبت أنه ولدٌ مخلص

ولم يكن رياض غالي يحلم بنازلي ولكن كان يحلم بفتحية، ولكنه كان يعلم أنه لن ينال قلب فتحية إلا برضاء نازلي، بكل ما تعنيه الكلمة، وبكل ما توحي به. وقد كانت فتحية ابنة السادسة عشرة من العمر ترى فيه فارساً من فرسان القصص والروايات الغرامية

وقيل إن هذا الفارس عثر لفتحية على مشبك من الألماس كان قد سقط منها في أحد المسارح، وبهذا المشبك شبك قلبها.. إلا أن مجلة "تايم" الأميركية (بتاريخ ٢ يوليو عام ١٩٤٧) نشرت خبرا مفاده أن الملكة نازلي كانت في زيارة إلى مانهاتن مع ابنتيها فتحية وفائقة حين قررن حضور أحد عروض برودواي، وأن فتحية فقدت مشبك صدر يضم ٣٦ ألماسة و ٢٥ قطعة سفير. وأضافت "تايم" أن فتحية استعادت المشبك الثمين في اليوم التالي، ومنحت المرأة التي عثرت عليه مكافأة قدرها ١٠٠ دولار.

وزاد إعجاب فتحية بالشاب رياض عندما وجدته يشتري مسدساً سريع الطلقات؛ ليحميها ويحمي الملكة الأم، ولم يخطر على بالها أن هذا المسدس هو الذي ستُقتَلُ به، وأن الخطر الحقيقي سيكون أقرب إليها مما تتصور .

بدأ رياض غالي يسهر مع فتحية بموافقة الملكة نازلي..وسرعان ما نقل السفير المصري في الولايات المتحدة إلى الملك فاروق أنه رأى الأميرة فتحية وهي في مشهد غرامي مع رياض غالي في ملهى ليلي. استشاط فاروق غضباً فقال للسفير: "يا نهاراً أسود.. إذا لم تعد غالي هذا فسوف أقتلك".

غير أن محاولات السفير مع غالي باءت بالفشل، فطلب فاروق من رئيس الوزراء مصطفى النحاس الاتصال هاتفياً بالملكة نازلي في الولايات المتحدة لمنعها من تزويج فتحية من غالي، ولكن الملكة العنيدة قالت للنحاس: "أظن أن موضوع زواج ابنتي ليس من اختصاص رئيس الوزراء. قل للملك فاروق إننا لن نعود والبنت حأجوزها لرياض لأنه بيحبها وبتحبه"..ثم أغلقت السماعة في وجه رئيس الوزراء .

طار عقل فاروق وأرسل إلى أمه يحذرها من إتمام مشروعها الخاص بزواج شقيقته وطلب سرعة عودتها، لكنها أصرت على موقفها. كما فشلت محاولة فاروق خطف فتحية من الولايات المتحدة، فوجه طلباً رسمياً إلى الولايات المتحدة لطرد أمه وشقيقته، غير أن نازلي هددت بنشر هذه الفضائح على صفحات الصحف الأميركية. ورفضت نازلي كل المساعي الرامية إلى منع إتمام هذا الزواج، مثلما رفضت مساعي حسن يوسف باشا رئيس الديوان الملكي بالإنابة، وردت طلب شقيقها الذي سعى إليها في الولايات المتحدة لإقناعها برفض هذا الزواج وعاد من هناك يجر أذيال الخيبة .

وأغلب الظن أن إجلاء نازلي عن الولايات المتحدة كان أصعب من إجلاء الإنجليز عن مصر .

وفي لحظة تفكك وتشرذم، تحولت العائلة الملكية إلى كتيبة إعدام شديدة القسوة.. فقد انهالت الطعنات على النظام الملكي من الداخل، ولم يكن المغامر رياض غالي سوى ريح هبت على العائلة الملكية فإذا بها تقتلع معها جذور الروابط العائلية الممزقة .. ولم يجد فاروق أمامه سوى إعلان الحرب.. على الملكة الأم .

لقد جاء الخبر من كاليفورنيا ليهز أركان العرش في مصر.. خرجت الملكة الأم للصحفيين لتهاجم "رجعية" الشعب المصري و"تخلف"ابنها.. وأكدت"أنها اختبرت زوج ابنتها وعرفت عمق حبه لها"..فهو "جنتلمان"لا" دونجوان"..وهو"رجل"بمعنى الكلمة تثق في أنه سيحافظ على شرفها وشرف عائلتها.

في ذلك اليوم الذي وصفه فاروق بأنه أسود وأسود يوم في حياته أصيب بالسكر والضغط وتعرض لأول أزمة قلبية.. وبعد أن اعتكف عدة أيام في جناحه خرج ليتخذ أصعب قرار في حياته.. دعوة مجلس البلاط لاتخاذ قرار بتجريد أمه وشقيقته من ألقابهما الملكية وحرمانهما من مخصصاتهما المالية.. ويعترف رئيس الديوان حسن يوسف بأن "جلالته" أرسل برقية مطولة إلى أمه.. خاطبها فيه بلغة الابن

لا بلغة الملك ووصف نفسه فيها بأنه "رجلها الوحيد" الذي يشعر بمدي الخطأ الذي ارتكبته في حق نفسها وعرشها ووطنها ودينها". إن قلبي يا أمي جرح ولن يضمده أحد سواك".. "لقد كسرني تصرفك وأشعرني بالعجز عن رفع عيني في وجه أصغر خادم في حاشيتي".. "لا شيء أصعب من ضربة أخلاقية توجهها أم لابنها".. "إنها ضربة قاضية تجهز عليه".

لم تكن القضية قضية مسلم أو مسيحي أو قضية مواطن عادي تجرأ واقترن بالدم الملكي الأزرق وإنما قضية صائد نساء بارع نجح في السيطرة على العائلة الحاكمة في مصر وساهم في تدميرها.

لقد كان رياض غالي موظفا في وزارة الخارجية يخدم في سفارتنا بسويسرا عندما رافق الملكة نازلي ليحمل عنها مشترواتها من الأسواق.. وفي ملف خدمته: تبديد سيارة وتعاطي هيروين.. لكنه.. لفت نظر الملكة إليه بوسامته ونعوميته وقدرته على فهم النساء.. واستسلمت الملكة المحرومة إليه.. وعرف بسهولة أن الجنس والخرافة هما نقطتا ضعفها.. فتسلل منهما إليها.. بل أكثر من ذلك جعلها تشاركه حفلات الشم. كانت نازلي قد عرفت بولعها الشديد بالسحر والشعوذة.. وفي كل بلد كانت تزوره لم تكن لتتردد في زيارة الدجالين.. أو دعوتهم إلى القاهرة. . و قد سيطر رياض غالي على نازلي بالجنس والمورفين والمشعوذين ثم تزوج ابنتها.

وانقسم الشارع المصري في ذلك الوقت بسبب زواج فتحية ورياض غالي إلى فريقين.. فريق يرفضه ويعتبره خروجا عن التقاليد المصرية والشريعة الإسلامية ويري أنه لا يزيد على زواج متعة بين أميرة طائشة ورجل يدمن الشهرة والأفيون.. وفريق يتحمس للزواج ويري في رياض غالي محبا وعاشقا مظلوما وقفت الظروف كلها ضده ولم يكن أمامه سوي الهرب من دينه ووطنه ليتزوج من حبيبته.

وانتقلت متاعب الزواج المختلط دينيا من القصر إلى الشارع وفجرت قضايا طائفية كانت مكتومة ومسكوتا عنها.. لكنها سرعان ما تحولت إلى قنابل لهب تهدد الوحدة الوطنية وتثير النعرات الدينية.

لقد حاول رياض غالي تصوير اعتراض القصر على زواجه من الأميرة فتحية بأنه اعتراض طائفي لا اعتراض سياسي وفي ظل مجتمع كان مضطربا ونظام كان يتأرجح نفعت حيلته وقفزت إلى السطح حكايات الزواج الديني المختلط وانقسم الجميع حولها.. ثم تحول الانقسام إلى خلاف.

وإزاء تشبث الملكة نازلي بموقفها من العودة إلى مصر ومن زواج الأميرة فتحية من رياض غالي، أصدر الملك أمراً بحرمان أمه من لقب "الملكة" وشقيقتيه من لقب الإمارة، وطلب عقد مجلس البلاط وهو مجلس يضم عدداً من القانونيين ومن بعض الأمراء للنظر في القضايا والخلافات التي تقوم بين أفراد الأسرة المالكة

طلب فاروق من المجلس الحجر على أمه والحجز على أموالها هي وشقيقتيه وتعيين ناظر الخاصة الملكية حارساً عليها .

وفيما يلي نص الرسالة التي عرضها الديوان الملكي على مجلس البلاط في ١٢ مايو أيار عام ١٩٥٠:

"جمع ديوان حضرة صاحب الجلالة الملك جميع المستندات التي تقوم مقام أدلة الإثبات في القضايا العادلة، وهي عبارة عن التحريات الخاصة التي قامت بها السفارة المصرية في الولايات المتحدة، في ما يتعلق بشخصية رياض غالي (أفندي)، والكيفية التي تعرف بها على جلالة الملكة نازلي وسمو الأميرتين منذ سنة ١٩٤٦، والطرق التي كان يستغل بها أموالهن، مع بيان الوسيلة التي كان يفرض بها نفسه عليهن، والتقارير التي تلقاها ديوان جلالة الملك من مختلف الجهات عن هذه المسألة، وفيها بيان شامل للمساعي التي قامت بها الحكومة المصرية والسفارة المصرية في الولايات المتحدة.

وقد تفضل جلالة الملك مبالغة من جلالته في العناية بهذه المسألة، فأعد مذكرة ستفيضة تتألف من صفحتين من الحجم الكبير وقعها باسمه الكريم، جاء في مستهلها:

"رأى المغفور له جلالة والدنا الملك فؤاد الأول وضع نظام للأسرة المالكة، فأصدر بذلك القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٢، وقد راعى بثاقب فكره في وضع هذا النظام أن الأسرة المالكة ركن من أركان الدولة لما بينها وبين الجالس على العرش من أواصر القرابة، وهي من جهة أخرى أكبر الأسر وأكرمها، والمثال الذي يُحتذى به في ضبط النفس وكمال السلوك، واعتبر بحُسن تقديره أن مسائل الأحوال الشخصية مسائل عائلية محضة، وأن كرامة الأسرة ومركزها في البلاد يقضيان بأن لا تتعرض مثل هذه المسائل الشخصية لأحاديث الناس، ولذلك فقد أراد والدنا إنشاء مجلس للبلاط وأن يصبح هذا المجلس فوق ما له من اختصاص قضائي، هيئة استشارية في الأمور المهمة التي تهم الأسرة المالكة عندما يطلب إليها الرأي فيها" .

وانتقلت مذكرة المقام السامي إلى أن ظروفاً قد طرأت على جانب كبير من الأهمية والخطورة وتقتضي العرض على المجلس، إذ إن جلالة والدتنا الملكة قد سافرت إلى الخارج في صيف سنة ١٩٤٦ للعلاج، وقد اصطحبت معها شقيقتينا الأميرتين فائقة وفتحية، وأنهن يقمن الآن في أميركا، ونظراً إلى طول مدة إقامتهن بعيداً عن مصر وعنا، وإلى صغر سن شقيقتينا الأميرتين، وما عليه جلالة الملكة من حالة مرضية ونفسية قد وقعن تحت تأثير بعض المتصلين بهن، وقد دعوتهن مراراً بعد إتمام العلاج للعودة إلى مصر، فلم تقبلن، حتى كان من نتيجة ذلك زواج الأميرة فائقة في أميركا قبل الحصول على موافقتنا، وكان من نتيجة ذلك أيضا أن اعتزمت جلالة الملكة الوالدة أن تُزَوِّج شقيقتنا الأميرة فتحية التي لم تبلغ سن الرشد بعد ولا تزال تحت الوصاية إلى الآن بمن يُدعى رياض غالي المسيحي الذي دَلَّتْ التحريات على سوء سيرته.

ولما عَلِمْنا بما اعتزمته جلالة الملكة الوالدة، بذلنا جميع المساعي الممكنة لمنع هذا الزواج قبل وقوعه، وهي مساع عديدة كانت لدى جلالة الملكة الوالدة ولدى الأميرة فتحية نفسها، وقد قدمت لهما فيها النصيحة تلو النصيحة بوجوب المحافظة على كرامة الأسرة المالكة.

وقد ساهمت الحكومة كما ساهم سفيرنا في أميركا بنصيب موفور في هذه المساعي، ولكنها كلها مع الأسف الشديد، لم تؤد إلى النتيجة المرجوة. وقد أبلغ سفيرنا في أميركا ديواننا تفصيلات مسعاه التي لم تزد جلالة الملكة إلا إصراراً على تنفيذ ما اعتزمته، وقد كانت تصرح في كل مرة، وعند أي مسعى، بأنه لا يهمها ولا يضيرها أن يكون من يصاهرها من عائلة مالكة أو ممن يُقال أنهم من عائلات عريقة، وكانت تُزيد على ذلك فتذكر بأنها لا تبالي بما ينشب عن هذا الزواج من نتائج وعواقب مهما يكن نوعها.

وقد أوضح جلالة الملك أن جلالته قد أرسل إلى جلالة الملكة الوالدة برقية مُطوَّلة مستفيضة يوضح فيها ما يساور جلالته من الألم المرير، ويناشدها أن تكف عن هذا الزواج، ويدعوها أن تقدر ما قد ينشأ عن إصرارها على ما اعتزمته من العواقب الوخيمة السيئة، ولكنها أصرت على موقفها، وردت على جلالته ببرقية قالت فيها "إن عاطفة الأمومة لديها مقدمة على كل اعتبار"، حتى وقعت المأساة مع الأسف البالغ، فتم الزواج مدنياً في يوم ١٠ من شهر مايو الحاضر.

وقد اشتملت هذه المذكرة السامية الكريمة على بيان تفصيلى بالمبالغ التي أُرسِلت إلى جلالة الملكة نازلي والأميرتين في الفترة الواقعة من صيف سنة ١٩٤٦ حتى الآن، وهي تبلغ في مجموعها نحو أربعمئة وثلاثة وثمانين ألف جنيه.

وقد تبين من المعلومات الرسمية التي وصلت إلى ديوان جلالة الملك من مختلف المصادر أن رياض غالي (أفندي) قد استولى على نحو أربعين ألف جنيه من هذه المبالغ .. وقد ختم جلالته هذه المذكرة الكريمة بقوله: "لهذا كله أود أن نقف على ما يشير به المجلس من إجراءات نحو هذا الزواج، وما يَصِح أن يُتَّبَع نحو جلالة الملكة".

لكن الأميرة فائقة استطاعت بعد ذلك أن تحصل على عفو أخيها، فعادت إلى مصر مع فؤاد صادق تضع نفسها ومعها زوجها تحت أمر الملك ومجلس البلاط، في حين بقيت نازلي مع فتحية صغرى بناتها في الولايات المتحدة.

وفيما يلي نص المذكرة التي قدمها رئيس الديوان الملكي حسن يوسف (باشا) بالإنابة إلى مجلس البلاط بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٥١ بطلب الحجر على الملكة نازلي وفتحية، والإشارة بالعفو عن الأميرة فائقة:

"وصل إلى ديوان جلالة الملك أن زواجاً مدنياً عُقد في أميركا بين حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة فتحية ورياض غالي المصري الجنسية المسيحي الديانة، وبما أن هذا الزواج باطل شرعاً، إذ إن الشريعة الإسلامية لا تُجيز لمسلمة أن تتزوج من غير مسلم، فضلا عن عدم توافر شرط الكفاءة بينهما على افتراض أنه اعتنق الدين الإسلامي كما يزعُم. لذلك يطلب ديوان جلالة الملك الحكم ببطلان هذا الزواج.

وقد تقدم محمد نجيب سالم (باشا) ناظر خاصة جلالة الملك وجلالة الملكة نازلي بطلب النظر في الطلب المرفوع بتوقيع الحجر على جلالتها، وتعيين قيم عليها، وبعزلها من الوصاية على كريمتها فتحية هانم، وإقامة وصي آخر بدلا منها، وقد أعلنت بالتوقيع منها بالاستلام .

وقد وقع رفع مذكرة مجلس البلاط من سعادة محمد نجيب سالم (باشا) في هذا الصدد ما يأتي:

بناء على الأمر السامي الكريم، يتشرف ناظر خاصة جلالة الملك بأن يطلب إلى المجلس الموقر:

أولاً: توقيع الحجر على حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلي وتعيين قيم على جلالتها.

ثانياً: عزل جلالتها من الوصاية على كريمتها فتحية هانم. وذلك للأسباب الموضحة بالطلب المؤرخ ١٢ مايو سنة ١٩٥٠، والمستندات المُرفقة به .

وبناءً عليه يتقدم حضرة صاحب السعادة محمد حسن يوسف (باشا) إلى المجلس بوصف كونه "كاتم سر مجلس بلاط الملك" يطلب النظر في الموضوعين الآتيين:

أولاً: إجازة صدور التصادق على زواج حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة فائقة من صاحب العزة فؤاد صادق (بك) أمام فضيلة وكيل الجامع الأزهر نيابة عن مجلس البلاط، والإذن بتسجيله في سجلات المجلس (وكان ذلك الزواج قد تم فعلاً وقضى العروسان شهر العسل في جزر هاواي)

ثانياً: تعديل قرار المجلس الصادر في ٢٠ مارس سنة ١٩٤٥ الخاص بإنابة شيخ الجامع الأزهر عن المجلس في سماع إشهادات الزواج الخاصة بأمراء وأميرات ونبلاء ونبيلات الأسرة المالكة بإضافة نص يبين العضو الشرعي الذي يحل محل شيخ الجامع الأزهر عند غيابه، وذلك حسبما يراه المجلس في هذا الشأن

وهذا وأتشرف بأن أرفع إلى المجلس الموقر أن حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة فائقة شقيقة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم قد استجابت لرغبة المجلس التي أبداها في ١٦ مايو سنة ١٩٥٠، بشأن عودة سموها من أميركا، فعادت فعلاً إلى القاهرة في ٢١ مايو سنة ١٩٥٠ .

وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم، فأَذِنَ بالتصادق على عقد زواج سموها من صاحب العِزة فؤاد صادق (بك) الصادر بينهما في أبريل سنة ١٩٥٠ وفقا لأحكام الشريعة الغراء لدى إمام مسجد ساكرامنتو بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأميركية. كما تعطف حفظه الله بقبول الوكالة عن سموها في إقرار التصادق والإقرار بقبض المهر. وبناء على هذا الإذن السامي الكريم صدر هذا التصادق في ٤ يونيو سنة ١٩٥٠ بقصر القبة العامر لدى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الجامع الأزهر نيابة عن مجلس البلاط، على اعتبار أن فضيلته يحل محل الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفقاً للمادة الأولى من القانون رقم ٤ لسنة ١٩٤٨، وعلى أن شيخ الجامع هو النائب عن مجلس البلاط في سماع شهادات الزواج الخاصة بأمراء وأميرات ونبلاء ونبيلات الأسرة المالكة بناء على قرار المجلس الصادر في ٢٠ مارس سنة ١٩٤٥

وبمناسبة ما أُثير حول هذه الإنابة في سماع الإشهاد الخاص بالتصادق سالف الذكر، أرجو من المجلس الموقر التفضل بما يأتي:

أولاً: إجازة صدور التصادق المذكور أمام وكيل الجامع الأزهر نيابة عن مجلس البلاط، والإذن باتخاذ اللازم نحو تسجيله في سجلات المجلس، وذلك منعا لكل شبهة في صدور الإشهاد أمام جهة غير مختصة.

ثانياً: تعديل القرار الصادر في ٢٠ مارس سنة ١٩٤٥ بإنابة شيخ الجامع الأزهر عن المجلس في سماع إشهادات الزواج الخاصة بالأمراء والأميرات والنبلاء والنبيلات، وإضافة نص الإنابة الذي يحل عن شيخ الجامع الأزهر عند غيابه حسبما يراه المجلس الموقر في هذا الشأن.

صدمت نازلي بقرار حرمانها من مخصصاتها الملكية فراحت هي وابنتها تبيع مجوهراتها لتأكل وتنفق على رجل لم يتعود العمل.. فلم تجد فتحية مفرا من أن تبحث عن مهنة تطعمها هي وأمها وتجلب الهيروين لزوجها.. لكنها مع الأسف لم تكن تجيد شيئا سوي أنها أميرة.. وهي ليست وظيفة مطلوبة.. فتنازلت درجة وعملت موظفة استقبال في فندق خمس نجوم.. ثم تنازلت درجتين وعملت موظفة إدارية في فندق ثلاث نجوم.. ثم تنازلت خمس درجات وعملت بارميد في بار صغير.. ثم تنازلت عشر درجات وعملت خادمة في مطعم.. تغسل وتكنس وتنظف الصحون.

لم يتحرك رياض غالي من مكانه وحاول أن يكسب رزقه من لعب القمار وترويج المخدرات لكنه لم ينجح حتي في ذلك.. فلم يجد أمامه سوي زوجته المسكينة يسرق منها ما تدخره من دولارات قليلة كي تشتري بها ثيابا شتوية لها ولأمها.. ولم يتردد في أن يضربها ويعاملها بقسوة حتي يحصل منها على ما يريد.

وأرسلت نازلي خطابات إلى ملوك عرب مختلفين تطلب منهم إعانة تعيش عليها وتلقت أموالا مناسبة من التسول دخلت بها في مشروعات تجارية مع شاب أحبته فاستولى عليها ولم تستول عليه.

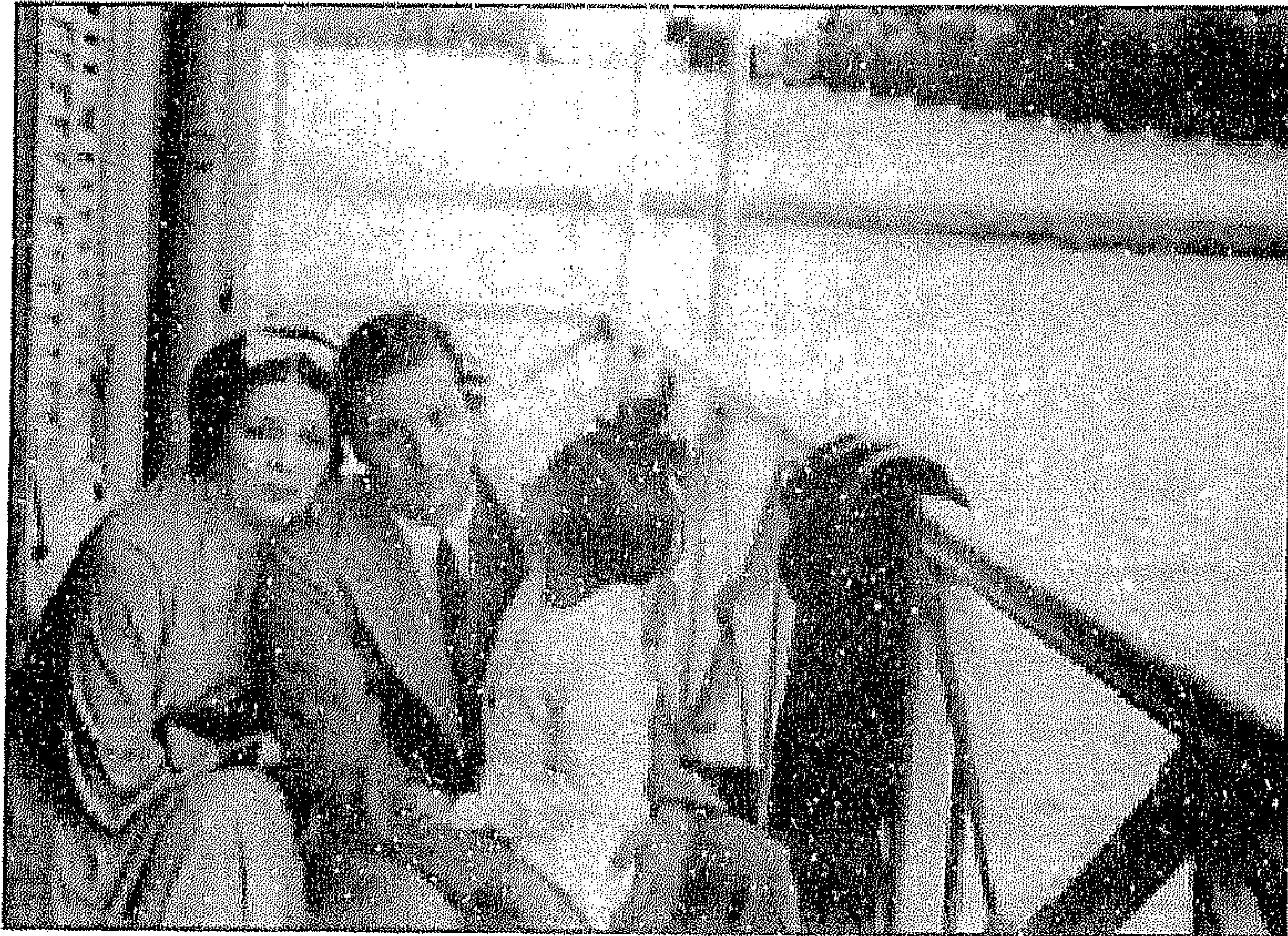
وفي تلك اللحظة وقع خلافٌ وشجار وصراع، انتهي بدماء سالت و أرواح زهقت، و جريمة مروعة تحولت إلى قضيةٍ ذات أبعاد سياسية شغلت العالم !!

فقد أطلق رياض غالي النار على زوجته ثم اطلق النار على نفسه ليسدل الستار على قصة حب لم يكن من الممكن أن تستمر.

ومن المُحزن أن الملكة نازلي كانت لا تزال على قيد الحياة حين أقدم رياض على قتل فتحية، وقد سارت في جنازة ابنتها تتوكأ على عصا . و بقيت نازلي في لوس أنجليس حتى توفيت هناك في ٢٩ مايو عام ١٩٧٨ .



صورة زفاف الأميرة فتحية ورياض غالي .. الزفاف الذي حمل الموت لكليهما !!



فتحية ورياض مع ابنهما رابيد !!

٤ - الأميرة فوزية ..

اللعنة لها أشكال أخرى !!



•• تزوجت إمبراطوراً، وكان يحبها حتى الثمالة، وفجأة تحول العرس إلى مآتم بعد أن حلت اللعنة !!

كانت الأميرة فوزية أجمل شقيقات الملك فاروق فهي الأميرة المدلّلة التي قال عنها السير "مايلز لامبسون" السفير البريطاني في مصر: "لقد رأيت بها أجمل نساء الأرض ورغم ذلك كانت طبيعتها تميل إلى الحزن وكان زواجها قد تم بشكل أسطوري من شاه إيران الذي كان مولعا بها، قبل أن تحل عليها اللعنة، التي طاردت معظم أفلاد العائلة، فلم تُستثن من اللعنة .. وكما كان الزواج سريعاً، كان الطلاق سريعاً وتستمر اللعنة" !!

عبر القنوات الدبلوماسية، بدأ ترتيب زواج الشاب محمد رضا بهلوي بشقيقة ملك مصر والسودان فاروق الأول الأميرة فوزية، ولم يهتم ولي العهد بمشاعره كإنسان، ولم تعر العروس هذا الأمر التفاتا، فقد كانت فتاة "خام" بكل معاني الكلمة على الرغم من الأبهة الملكية التي كانت تحيط بها أينما ذهبت، كانت لا تعرف من الحب الا اسمه، وبالتالي لم تكن تحلم بالزواج من رجل بعينه.

كانوا يصفونها بالأميرة العاقلة، قليلة الكلام، كثيرة التفكير، كانت أكثر شقيقاتها رصانة وأقلهن مرحا، حتى ان من يراها كان يعتقد على الرغم من رقتها وجمالها العذب أنها مصابة ببعض الاكتئاب، فقد كان عشقها الأول أن تختار مكانا هادئا نائيا عن الأعين لتجلس فيه مع نفسها أو بصحبة كتاب.

كانت رقيقة ناعمة، كطفلة لا تعرف من الدنيا الا الأحلام، هامسة الصوت، ناعسة الطرف، ابتسامتها شمس اذا شرقت، وضحكتها أمل لا يتحقق كثيرا.

ويروى أن الملك فاروق هو أول من فاتحها برغبة شاه إيران في مصاهرته، وأنه اختار لها ولي العهد الايراني ليكون زوجا لها اذا وافقت، فكان ردها على سؤاله يعكس طبيعة شخصيتها البسيطة المتفائلة التي تثق فيمن حولها، ولا تفكر في غدر الأيام إذ

قالت لشقيقها الملك: "ان كنت تريد زواجي منه فليكن ما تريد"، فلما أراد الملك أن يقنعها أكثر بفكرة الزواج قدم لها صورته لترى كم هو وسيم وجميل، فما كان منها الا أن نظرت للصورة نظرة قصيرة ثم قالت: انني لا أعرفه ولا أعرف غيره، ولكنني أعتمد على رأيك وأعمل به، وهنا أصبح الباب مفتوحا للمصاهرة بين أكبر عائلتين ملكيتين في الشرق في ذلك الوقت.

امتلأت قلوب الأسرة الشاهانية في إيران بالغبطة والسرور بزواج ولي العهد محمد رضا بهلوي من الأميرة المصرية فوزية، والذي تم في العام ١٩٣٩.

ويقول كريم ثابت الصحافي الذي كان مقربا من الأسرة المالكة في مصر عموما ومن الملك فاروق بوجه خاص: "إن الشاه - الوالد - رضا بهلوي أحبها حبا جما وأحاطها بعنايته وحنانه، وأنه بلغ من شدة تعلقه بها وخوفه عليها أن أضحى يتفاءل بوجودها بالقرب منه، ويحرص على أن تكون في مقدمة الجالسين حوله إلى المائدة ساعة غدائه، حتى أنه لما دخل حجرة الأكل يوما وسأل عنها، وقيل له انها متخلفة لوعكة طارئة قطب حاجبيه واستغنى عن غدائه وعاد إلى مكتبه، ولم يهدأ له بال حتى أبلغوه أنها استردت عافيتها".

وكأنما أراد أن يساعدها على كل التأهب لليوم الذي يخلفه فيه زوجها على العرش، فكان يقابل الوزراء أحيانا بحضورها، ويناقشهم في شؤون الدولة على مسمع منها.

أما ولي العهد فقد كانت الدلائل تؤكد أنه في الفترة الأولى من الزواج كان يحب عروسه ويقدرها ويحترمها وأنه يبذل جهده لينسيها غربتها ويعودها على الحياة الجديدة في وطنها الجديد.

وعندما ارتقى العرش بعد الزواج بعامين لم يطرأ تغيير يذكر على علاقة الشاه بزوجته، بل استمر يعيش معها أياما سعيدة مليئة بالدفء، حتى أثمرت زيجتهما عن ابنتهما الوحيدة الأميرة "شاهيناز".

لكن تقريرا سريا وصل إلى الملك فاروق من طهران قلب حياته رأسا على عقب، إذ جاء بالتقرير الذي أرسله شاب مصري كان يعيش في إيران ويتصل بالإمبراطورة فوزية عن طريق فتاة مصرية مقربة لها، أن "الإمبراطورة" تعيسة جدا في حياتها مع الشاه وأن النكد أصبح سمة عيشتهما معا. وقد أزعج هذا التقرير الملك فاروق لسببين أولهما أن فوزية كانت تحتل مكانة خاصة لديه، لطيبتها ونقائها، وثانيهما أنه كان يعتبر نفسه مسؤولا عن هذا الزواج، وأن فوزية لم تقبل بالشاه زوجا لها، الا نتيجة لثقتها في حكمه عليه، وترشيحه لها.

وتوالت التقارير السرية على الملك فاروق مرة تقول: إن الإمبراطورة وقعت في غرام معلمها الفروسية، وأنها تفكر في الهروب معه إلى مكان بعيد عن طهران، ومرة أخرى تقول: إنها مصابة بمتاعب نفسية وعصبية، ولم يكن أمام فاروق في ذلك الوقت إلا أن يفعل أي شيء ليطمئن على شقيقته، فكان أن فكر في أن يطلب من الشاه أن يسمح لها بزيارة مصر، لقضاء بعض الأيام، ولتهنئة شقيقتها الأميرة "فائزة" على زواجها من محمد على رؤوف وكانت المفاجأة أن الشاه وافق على الفور على الزيارة، بل وأرسل معها حاشية كبيرة إلى مصر ليحيطها بأكبر قدر من الاجلال والاحترام كامبراطورة على عرش الطاووس.

وجاءت فوزية إلى مصر، ونزلت ضيفة مع حاشيتها في قصر "انطونيادس" بالإسكندرية.

وعلى الرغم من أن كل الشواهد فيما بعد قد أكدت عدم صحة ما جاء في تلك التقارير السرية، وأن كل ما كانت تعانيه فوزية هو بعض من الهزال نتيجة لإصابتها بالملاريا، فإن هذه الزيارة كانت بداية النهاية في علاقة الشاه بزوجته الأولى.

وقد جاء سيناريو الطلاق مثيرا أقرب إلى دراما إنسانية نسج خيوطها شيطان بإحكام فائق الدقة.

كانت بداية السيناريو دعوة على العشاء في قصر رأس التين، دعوة وجهها الملك فاروق لشقيقته الامبراطورة، ولا أحد يعلم بطبيعة الحال ما دار من حوار على مائدة العشاء، ولكن الرواية التي يرجحها "كريم ثابت" أن الملك فاروق ربما يكون قد نسج لها في حديثه علمه بأنباء مؤامرات تدبر لها في القصر الإمبراطوري في طهران، لأن هناك من يسوؤهم أن تكون إمبراطورة إيران مصرية، ولما كانت فوزية تذعن لفاروق في كل آرائه فيبدو أنها صدقت ما قال، وما أكده بأن هذه المؤامرات قد تقضي عليها في النهاية، وبالتالي فان انفصالها عن الشاه أمر لا يجب التردد فيه، ويبدو أنه أيضا . بعدما خطط ودبر - قرر أن يبدأ التنفيذ على الفور.

وبالفعل وافقت فوزية على أن تبقى اعتبارا من هذه الليلة في قصر رأس التين، وأن تقطع أي اتصال لها بالحاشية الإيرانية التي جاءت معها، وكانت الطامة الكبرى عندما نفذ فاروق خطته بإحكام، وقام بتهريب كل ملابس ومتعلقات فوزية من قصر "انطونيادس" في الليل، وأمر في الوقت نفسه بسحب جميع الخدم والشماشرجية وحتى ضباط وجنود الحراسة من القصر.

وعندما استيقظ أفراد الحاشية الإيرانية من نومهم في اليوم التالي صدمتهم مفاجأة إخلاء القصر من جميع الحراس والخدم، باستثناء ضابط حراسة واحد و"مخبر"، لم يكن لديهم أي شيء يقولونه لهم سوى أن الأوامر قد صدرت بإخلاء القصر من الخدم والحراس وهو ما يعني بشكل لا يخلو من الفظاظة أنهم لم يعودوا من تلك اللحظة ضيوفا على جلالة الملك.

وعلى الرغم من ثورة الغضب التي استبدت برجال الحاشية وبدوائر السفارة الإيرانية في مصر، فإن الملك فاروق مضى في خطته لطلاق فوزية من الشاه، وربما كان يضمر في نفسه - كما قيل - أن يتزامن طلاقهما مع طلاقه من زوجته الملكة فريدة، حيث كانا يعيشان منفصلين منذ فترة طويلة، وقد كان يعرف أن تزامن الطلاقين سوف يصرف الناس عن التركيز في الكلام عن طلاقه بسبب مجونه، وسهراته ونزواته بين القاهرة والإسكندرية وكابري.

أرسلت فوزية إلى شاه ايران رسالة اختير نصها بعناية شديدة عن طريق رجال البروتوكول في القصر، حيث اختاروا نصها من نماذج الرسائل الملكية الفرنسية، وتولى السفير المصري في إيران أمر إبلاغ الشاه بالرسالة وبرغبة الإمبراطورة في الطلاق.

وكان وقع الصدمة كبيرا على الشاه، فقد كان لايزال يحب زوجته، ويرى أنه لم يحدث بينهما ما يستوجب الطلاق، وعلى الرغم من ذلك فإن كرامته كامبراطور كانت أكبر من رغبته في الاحتفاظ بزوجة بادرت بطلب الطلاق، ولذلك سارع بالموافقة، وبكل كرم وافق على أن تحتفظ فوزية بكل مجوهراتها، بل انه تمادى فى كرمه فوافق على تأجيل الاعلان الرسمي للطلاق لمدة شهر كامل، بناء على طلب الملك فاروق لذلك، حتى يتزامن هذا الحدث مع حدث طلاقه من الملكة فريدة.

وفي الموعد المتفق عليه أعلن "الطلاقان" الملكيان في وقت واحد، وخابت ظنون وتدابير الملك فاروق، إذ احتل الحديث عن طلاقه حيزا صغيرا من اهتمامات الناس الذين كانوا يدركون أن طلاقه أمر لا مفر منه، بعد أن ترك زوجته محبوسة في قصرها، ومضى إلى نزواته، بينما كان لطلاق فوزية النصيب الأكبر من الاهتمام لدى عامة الناس وفي الأوساط السياسية على حد سواء.

انتهت قصة الزواج الأول للشاه، بهذا التدبير المحكم الذي استمر حتى بعد الطلاق، حيث منع الملك فاروق وصول أي رسالة إلى فوزية من إيران، حتى رسائل ابنتها وصورها منعها عنها، بل إنه منع عنها أي أخبار عن إيران، وحجب كل الصحف التي كانت تحمل أخبار طلاقها، أو أخبار ابنتها ومنع كل أفراد العائلة من الحديث معها عن زوجها السابق وابنتها ومنع عرض أي فيلم تأتي به سيرة إيران، وأمر بمنع عزف مقطوعة السوق الفارسي داخل القصر في حضور فوزية التي استعادت لقبها السابق وهو "الأميرة فوزية"، ولم يعد هناك من يسبق اسمها بلقب إمبراطورة.

ولم يتوقف الملك فاروق في تخطيطه عند هذا الحد، بل بدأ في البحث عن عريس جديد لشقيقته، فكان أن وقع اختياره على إسماعيل شيرين الذي تعمد توجيه الدعوات له في كل مناسبة حتى يقربه إليها، وبالفعل تم الزواج الثاني في حياة فوزية، التي دخلت سريعا إلى دائرة النسيان في قلب شاه إيران.





الأميرة فوزية جميلة الجميلات ..



الأميرة فوزية وخطيبها ولي عهد إيران الشاه محمد رضا.



الأميرة فوزية وقت أن كانت امبراطورة إيران (أثناء زواجها من شاه إيران محمد رضا) سنة ١٩٤٥

7

الفصل السابع

لعنة آل برمك

ونكبة البرامكة على يَدَيْ الرشيد!!



يحيي والفضل وجعفر البرمكي..

الدم ضريبة النفوذ والسلطة !!



•• اختلف المؤرخون في السبب الذي دفع هارون الرشيد للتخلص من البرامكة، إلا أنهم اتفقوا جميعاً على تسمية ما حدث لهم بـ " نكبة البرامكة " !!

حظي البرامكة بوضع مميز لدى خلفاء العصر العباسي، وخاصة في بداياته، إذ كان لرجالهم شأن في عصر أبي العباس السفاح، والمنصور، والمهدي، والرشيد، والمأمون. وبالرغم من قيام بعض هؤلاء الخلفاء بالقضاء عليهم لأسباب مختلفة، إلا أننا أمام فترة كان لهم فيها السطوة والنفوذ، وتنفيذ سياساتهم بحكم قربهم من الخلفاء وما اعتلوه من مناصب .

والبرامكة أسرة عريقة في المجوسية، وقد أعلنوا الإسلام، وبداية في نفوذ البرامكة كانت بإعلان خالد بن برمك إسلامه، وتقربه إلى أبي العباس السفاح، ثم من بعده إلى أبي جعفر المنصور، وبعد خالد جاء ابنه يحيى الذي كان له التأثير الكبير على سياسة هارون الرشيد، بل وحتى أموره الشخصية حتى يعتقد بأن يحيى بن خالد البرمكي هو الذي أقنع الرشيد بالزواج من (مراجل) الفارسية، أم المأمون.

ثم كان تأثير (جعفر) و(الفضل) أكبر من تأثير أبيهما يحيى واستطاعا كسب رضى الرشيد، حتى جعل يحيى وزيره، وفوّضه أمورَه كلَّها سنة ١٧٨هـ، وولّى ولده الفضل بن يحيى على خراسان.

وحين فوض الرشيد أمر الخلافة إلى يحيى بن خالد، استعظم العلماء الصالحون هذا الأمر، وكتب أحدهم وهو محمد بن الليث إلى الرشيد يقول: "يا أمير المؤمنين" إن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئاً، وقد جعلته فيما بينك وبين الله، فكيف أنت إذا وقفت بين يديه...؟ فما كان من يحيى البرمكي إلاّ أن أوغر صدر الخليفة حتى أمر بحبس محمد بن الليث، وهكذا كان تعامل هؤلاء البرامكة مع علماء المسلمين، فضلاً عن عامتهم، الأمر الذي جعل المسلمين يكرهون هؤلاء البرامكة إضافة إلى كره الخلفاء.

وعندما أفرج الرشيد عن ابن الليث بعد خلافه مع البرامكة واستبعاده لهم، قال ابن الليث لهارون مبيناً حقيقة ما يدين به البرامكة: ".. وضعتَ في رجلي الأكبال، وحُلت بيني وبين العيال بلا ذنب أتيتُ، ولا حدثٍ أحدثتُ، سوى قول حاسد، يكيد الإسلام وأهله، ويحب الإلحاد وأهله.."

ويرى البعض أن عمل هؤلاء البرامكة في بلاط الخلفاء لم يكن عشوائيًّا، بل كان جهداً منظماً مدروساً استخدموا فيه أساليب عديدة من التضليل والتذلل للخلفاء وغير ذلك.و يرون أن مجالس البرامكة لم تكن إلا مجالس الشرك والفساد، كما وصفها الأصمعي .

وتغير هارون الرشيد فجأة تجاه البرامكة، فقتل جعفر بن يحيى وسجن يحيى وابنه الفضل، وصادر أملاكهم وأموالهم، واختلفت التفسيرات في ذلك، فالبعض أرجعها إلى زيادة نفوذهم، ومغالاتهم بالتبذير والمصروفات، وعدم اهتمامهم بالخليفة حيث أصبحوا يدخلون عليه من غير إذن، وهذا ما جعل العامة والخاصة تحقد عليهم، وتتناولهم بالنقد، بل وتتناول الرشيد نفسه الذي فسح لهم المجال،فخاف الرشيد على ملكه من نفوذهم ومن نقمة العامة عليه...وقيل غير ذلك.

وبالرغم من أن عصر الرشيد شهد القضاء على أسرة برمك، إلاّ أن صنائعهم وآثارهم ظلت بعد ذلك، خاصة في عصر المأمون. حيث لما ولد المأمون بن الرشيد، رشّح يحيى البرمكي مجوسيّاً أعلن إسلامه هو سهل الفارسي لخدمة المأمون والإشراف على رعايته وتربيته، وصار لولدي سهل - الفضل والحسن - المكانة الكبيرة، في عهد المأمون، وخاصة الفضل بن سهل الذي لا يمكن عند الحديث عن البرامكة المرور عليه مرور الكرام.

وفي سنة ١٩٦هـ، عيَّن المأمون الفضل بن سهل بمركز رفيع، وعقد له على المشرق من همذان إلى التبت طولاً، ومن الخليج العربي إلى بحر الديلم (قزوين) وجرجان عرضاً، ولقّبه ذا الرئاستين، وجعل أخاه الحسن بن سهل على ديوان الخراج.

وفي سنة ١٩٧هـ ولّى المأمون الحسن على العراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن. وفي سنة ٢٠٢هـ تزوج المأمون من (بوران) بنت الحسن بن سهل، وأقام عرساً في غاية البذخ ومظاهر الأبهة.

وكان الفضل بن سهل وأخوه الحسن من زعماء الزنادقة، ولكنهم كانوا يتظاهرون بالإسلام - كما جاء في كتاب الفهرست لابن النديم.

وعن أطماعه السياسية يقول ابن طباطبا: إن الفضل كان من أولاد ملوك الفرس قبل الإسلام، ولذلك كان يطمع في أن يستعيد هذا النفوذ للفرس عن طريق الخلفاء المسلمين، فقد تحدث الفضل ذات مرة عن علاقته بالمأمون قائلاً: والله ما صحبته لأكتسب منه مالاً قلّ أو جلّ، ولكن صحبته ليمضي حكم خاتمي هذا في الشرق والغرب.

ونجح الفضل في إذكاء الخلاف بين المأمون وأخيه الأمين على الخلافة، بل وفي حياة والدهما الرشيد، وكان يذكر للمأمون أن أمه ليست عربية مثل أم الأمين، حيث أخواله من بني هاشم.

وكان الفضل يحذر المأمون من التنازل عن الخلافة للأمين، واستعمل عدداً من وسائل الغدر والكذب لهزيمة جيش الأمين، وكان له ذلك، فزادت مكانته عند المأمون.

وكان الفضل يعمل لحساب نفسه كما يجمع المؤرخون، فقد حرص أن يمد سلطانه إلى بغداد عاصمة الخلافة، وكان المأمون حينها في خراسان، وكان الفضل يوغر صدر المأمون على طاهر بن الحسين، القائد الذي كان يخضع بغداد للمأمون، وقد تم نفيه إلى الرّقة كي يتم تسليم بغداد والعراق إلى الحسن شقيق الفضل وهذا ما كان.

وكانت النتيجة الطبيعية لدسائس الفضل ومؤامراته أن يقتله المأمون لما انكشف أمره، وكان ذلك سنة ٢٠٢هـ، لتبدأ بعدها مرحلة جديدة بدون الفضل ومؤامراته، وبدون صنائع البرامكة والمفسدين.

والبرامكة اسمهم بالفارسية (برمكيان) هم عائلة ترجع أصولها إلى برمك المجوسي من مدينة بلخ بخراسان. والبرامكة من أكبر الأسر الفارسية وكان لهم أخبارعجيبة، وشؤون غريبة، ارتقوا الرتب العالية والرفيعة في الدولة العباسية حتى شاركوا الخلفاء في أموالهم ولذاتهم وتصرفهم في الممالك، ثم انقلب الدست في يوم، فقُتلوا، ونكبوا. وكان ترتيب هذه الأسرة على قدر نفوذهم يأتي كما يلي:

١- خالد بن برمك

الوزير الكبير أبو العباس الفارسي، كان من دعاة الدولة العباسية، ومن رجال العالم ومن أفراد الرجال رئاسة، ودهاء، وحزما. وزر خالد للسفاح وللمنصور؛ ثم ولاه المنصور إمرة بلاد فارس. مات في سنة خمس وستين ومائة عن خمس وسبعين سنة . وخلفه في الوزارة والرئاسة والوجاهة ولده يحيى وأحفاده كما يلي:

٢- يحيى بن خالد البرمكي

أشهر شخصية في الأسرة، ووزير هارون الرشيد وأبوه في الرضاعة وكان من أعظم وزراء الدولة العباسية وأكفأهم وأمهرهم مع الفصاحة والكرم الواسع. بحيث إن المهدي ضم إليه ولده هارون الرشيد، فأحسن تربيته وأدبه، وكان الرشيد يعظمه وإذا ذكره يقول: قال أبي.

فجعل الرشيد إصدار الأمور وإيرادها إليه إلى أن نكب به وبأولاده عندما غضب عليهم فحبسهم .

فتروي كتب التاريخ أن ولده قال له – وهم في السجن-: يا أبت بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس فقال له أبوه: يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها.

٣- جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي

الوزير الملك أبو الفضل، كان وسيما فصيحا مفوها، أديبا، عذب العبارة، وكان حاتمي السخاء، وكان يقول : إذا أقبلت الدنيا عليك، فأعط، فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت، فأعط فإنها لا تبقى .

وكان لعَّابا غارقا في لذات دنياه حتى روي أن أمه كانت تهب له كل يوم جمعة جارية بكر جميلة ليستمتع بها.صار له اختصاص بالرشيد .

ولكن نجحت دسائس ووشايات الحاسدين في إيغار صدر الرشيد على جعفر وسائر أسرته وتفاقم الصراع القومي داخل البلاط العباسي بين العرب والفرس، فأمر الرشيد سنة ١٨٧ هـ بقتل جعفر وصلبه ودامت جثة جعفر معلقة مدة، وعلقت أطرافه بأماكن، ثم أحرقت .عاش حوالي سبعا وثلاثين سنة.

٤- الفضل بن يحيى البرمكي

الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي أخو جعفر، كان أخو هارون الرشيد من الرضاعة، وولاه الرشيد أعمالاً جليلة بخراسان وغيرها. وُلد بالمدينة سنة سبع وأربعين ومائة. كان الفضل أجود من أخيه جعفر وأندى راحة إلا أنه كان فيه كبرٌ شديد وكان جعفر أطلق وجهًا وأظهر بشرًا وكان الناس يؤثرون لقاء جعفر على لقاء الفضل .

ومن فضائله أنه كان كثير البر بأبيه، ومن أخباره العجيبة في ذلك أن أباه كان يتأذى من الماء البارد في الشتاء، فيحكى انهما لما كانا في السجن لم يقدرا على تسخين الماء، فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه ماء فيلصقه إلى بطنه زمانا عسى تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك.

توفي في السجن سنة ١٩٢ هـ وعاش خمسا وأربعين سنة.

وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي دفع الرشيد بالتخلص من الأسرة البرمكية على الرغم من أعمالهم العظيمة، واختلقت روايات كاذبة عن ذلك ولكن نستطيع

أن نلخص من خلال الروايات التاريخية المحققة الأسباب التي أدت بالبرامكة لهذه النهاية الأليمة في الآتي:

١) ازدياد نفوذهم:

ذلك أن هذه الأسرة قد أصبح لها نفوذاً عظيماً داخل كيان الدولة العباسية، وبلغ هذا النفوذ أوجه في عصر الرشيد، مما جعله يخشى على سلطانه منهم. فعمل على التخلص منهم، لا سيما وأن هذه هي سياسة الدولة العباسية تجاه كل من يزداد نفوذه ويخشى منه على سلطان الدولة.

٢) حادثة يحيى بن عبد الله الطالبي (نسبه يعود إلى على رضي الله عنه):

الذي خرج إلى بلاد الديلم ودعا بالخلافة لنفسه هناك، وبايعه كثير من الناس، وقويت شوكته، وذلك سنة ١٧٦ هـ، فأرسل إليه الرشيد الفضل بن يحيى، واستطاع الفضل أن يستنزل يحيى بالسلام على أمان له عند الرشيد، وذلك من غير أن تهراق نقطة دم، وعد ذلك من أفضل أعمال الفضل، وبعد فترة ظهر من يحيى ما أوجب عند الرشيد نقض الأمان، فأمر بحبسه عند جعفر بن يحيى، وفي ذات ليلة اجتمع يحيى مع جعفر، وما زال به حتى أطلقه جعفر وزوده بالمال اللازم لخروجه من بغداد، فوصل الخبر للرشيد، وكان ذلك يعد خيانة عظمى عند العباسيين لشدة خوفهم من الطالبيين، فخاف الرشيد من تآمر آل برمك مع الطالبيين من أجل إقصاء العباسيين، فأمر بقتل جعفر وحبس باقي الأسرة.

٣) الترف الشديد:

كان البرامكة يعيشون في ترف شديد جداً، حتى إنهم كانوا يبنون قصورهم ويضعون على الحوائط بلاط الذهب والفضة، وبنى جعفر بيتًا له كلفه عشرين مليون درهم، وكان الرشيد في سفر ذات يوم، فلم يمر على قصر ولا إقليم ولا قرية إلا قيل له: هذا لجعفر، وعندما عاد الفضل من حربه في الديلم أطلق لمادحيه ثلاثة مليون

درهم. وهذا السرف جعل الرشيد يتابعهم في الدوواوين والكتابات، فاكتشف وجود خلل كبير في مصاريف الدولة.

٤) الفضل بن الربيع:

وكان من موالي العباسيين، وكان شديد العداء للبرامكة، ويقال أنه هو الذي سعى بهم عند الرشيد، وأظهر عيوبهم، وغطى محاسنهم، ووضع عليهم العيون، حتى استطاع أن يرصد حادثة هروب يحيى الطالبي عند جعفر، فأخبر بها الرشيد، وزين له أن البرامكة يريدون الخلافة للطالبيين.

٥) أصل البرامكة:

حاول بعض المؤرخين الربط بين أصل البرامكة وهم مجوس، وبين ما حدث لهم على يد الرشيد، فيما أنهم حاولوا إظهار الزندقة، وإعادة دين المجوس مرة أخرى، وأنهم أدخلوا النار في الكعبة حتى تعبد هناك، والذي ساعد على ترويج هذه الفكرة مصاحبة جعفر بن يحيى لبعض الزنادقة أمثال أنس بن أبي شيخ الذي قتله هارون الرشيد بيده، ولكن هذا السبب بعيد المأخذ، ولا دليل عليه.

٦)جيش البرامكة:

ولعل هذا السبب هو الأوضح والأقوى مع حادثة يحيى الطالبي، وأصل هذا الجيش كما ذكرنا الذي كونه الفضل بن يحيى من جند خراسان .

وتلك البلاد معروفة تاريخيًّا بولائها للعباسيين، ولكن ميلهم أكثر للطالبيين من آل البيت، وتعداده خمسين ألفًا جعل ولاءه له مباشرة دون غيره، ثم استقدم منهم عشرين ألفًا لبغداد وسماهم الكرنبية مما حرك هواجس الرشيد، غير أنه لم يتحرك حتى جاءه خبر من والي خراسان على بن عيسى بن ماهان أن السبب في اضطراب خراسان هو موسى بن يحيى بن خالد البرمكي من بغداد، فتحقق الظن عند الرشيد، واجتمعت عنده كل ما سبق من الأسباب، وعندها قرر الرشيد عند

رجوعه من الحج، وفي آخر ليلة من المحرم سنة ١٨٧ هـ بالإيقاع بالبرامكة، فأمر بقتل جعفر وصلبه على جسر بغداد، وحبس باقي البرامكة في السجون، والاستيلاء على أموالهم وقصورهم وكل ما لديهم وساموهم في السجن سوء العذاب، وتبدل نعيمهم بؤسًا، وماتوا واحدًا تلو الآخر في السجون.

ويرى الكثيرون أن أسرة البرامكة كانت غرة على جبين الدولة العباسية، لما كان لهم من المآثر والفضائل والسخاء الشديد، والأعمال العظيمة في الدولة، وخاصة أيام الرشيد؛ فالأب يحيى بن خالد كان المسئول عن تربية الرشيد، وزوجته أرضعت هارون الرشيد، وهو الذي حافظ لهارون على ولاية العهد عندما هم الخليفة الهادي بخلع أخيه الرشيد، وهو الذي قام على أمر وزارة الرشيد أفضل قيام حتى فوض الخليفة الرشيد له كل الأمور، أما ابنه الفضل - وكان أكبر أخوته - كان أخو الرشيد في الرضاعة والمسئول عن تربية الأمين ابن الرشيد، واستطاع أن يقضي على فتنة يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم، وولي خراسان وغيرها، واتخذ من جندها جيشًا كبيرًا تعداده ٥٠ ألف جندي، جعل ولاءهم له مباشرة، وسماهم العباسية.

أما جعفر سبب النكبة فهو نديم الرشيد وخليله في المجالس، وله من الأعمال الكبيرة أيضًا؛ فهو الذي قضى على العصبية القبلية في الشام سنة ١٨٠ هـ، ثم جعل له ولاية خراسان والشام ومصر، وجعله مسئولاً عن تربية ابنه المأمون. أما موسى الأخ الثالث فكان كل همه القتال والغزو بحكم شجاعته الفائقة، وتولى أمر الشام سنة ١٨٦هـ، وكانت هذه الشجاعة أحد أسباب نكبتهم؛ حيث غار منه بعض القواد الآخرين وسعوا فيه عند الرشيد.

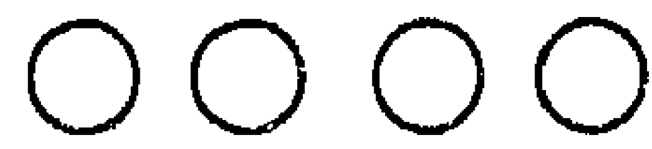
أما محمد الأخ الرابع فليس له ذكر معلوم في التاريخ، إلا أنه كان بعيد الهمة، ودوره في هذه الفترة يحيطه الغموض.

8

الفصل الثامن

لعنة ماري أنطوانيت

عندما أطاحت المقصلة بالرؤوس !!



١ - لويس السادس عشر..

ملك حلت عليه اللعنة !!



•• ودفع ثمن تهوره واندفاعه وانسياقه وراء زوجته وراحت اللعنة تحل عليه وعليها لتطير رأسه من تحت المقصلة، ومن بعده الملكة الزوجة وتستمر اللعنة !

لويس السادس عشر آخر ملوك فرنسا قبل الثورة الفرنسية، في عهده قامت الثورة الفرنسية وادت إلى إطاحه الحكم المطلق في عهده، تزوج من ماري انطوانيت وهو في عمر الخامسة عشرة، و كان زواجه منها كما يقول المؤرخون هى اللعنة التي انتهت بقتله و هى معه في أبشع نهاية شهدها التاريخ !!

ففي سنة ١٧٩٣ حاول لويس السادس عشر الفرار من فرنسا برفقة زوجته ماري انطوانيت، ولكن ألقي القبض عليهما وتم إعدامهما في باريس.

كانت ماري انطوانيت تعتقد عندما تزوجته و هو الذي سيصبح ملك فرنسا لويس السادس عشر،، إنما كانت تقوم باعادة الحياة إلى العلاقات الفرنسية ـ النمساوية التي كانت بصدد الانحلال والتضاؤل.. ذلك أنها ابنة إمبراطورة ملكة النمسا ماري تيريز من بين ١٦ مولوداً ـ لم يكن عمر ماري انطوانيت عندما عقدت قرانها على وريث عرش فرنسا سوى أربع عشرة سنة ونصف، لقد كانت لاتزال طفلة، لكنها كانت ايضاً تتمتع في الوقت نفسه بجاذبية كبيرة،

كانت شقراء، بل وشقراء تميل إلى الحمرة، وحيث كانت وجنتاها تحت طبقة المساحيق الخفيفة تعكس لون الورد، وكانت عيناها الزرقاوان تميلان إلى الجحوظ قليلاً بينما كان وجهها بجبهتها العريضة يميل بالاحرى إلى التطاول، ولم يكن أنفها دقيقاً تماماً لكنها كانت تعكس ملامح سلالة آل هابسبورغ ـ أباطرة النمسا ـ كما كانت تمتلك هالة من البشاشة تمحو كل أشكال ضعف الجمال لديها.

أحد مفاتيح شخصية ماري انطوانيت في علاقتها مع أمها الأمبراطورة، كانت الأم قد لاحظت بعض نقاط الضعف في شخصية ابنتها الشابة فما كان منها إلا أن

عهدت بتربيتها إلى اثنين من المقربين لها، هما قس وسفير.. وقد كان هذان الرجلان يقومان في الوقت نفسه بمهمة مزدوجة، فمن جهة كانا يسهران على تربية الشابة الصغيرة، ولكن من جهة ثانية كانا يتجسسان عليها لصالح الامبراطورة الأم.

لكن أسوأ دور لعبه هذان الرجلان تمثل، في أنهما بالغا جدا في التأكيد على السمات العظيمة لدى ماري انطوانيت، وذلك مقابل تأكيدهما ايضاً على تفاهة لويس السادس عشر، الذي بارك بكل براءة دور المربي. لكن النتائج الحقيقية لتلك التربية تمثلت في زيادة جرعة النفاق وفي منعها من أن تصبح فرنسية حقيقية وايضاً في دفعها إلى ازدراء زوجها. وتضيف المؤلفة «لم يؤد ذلك كله إلى زيادة سيطرة ماري تيريز - الأم - على ماري انطوانيت الابنة، بل على العكس زاد من تمردها مما جعل نصائحها وحتى الأكثر حكمة منها غير ذات فعالية».

وبالتالي ما كان لمثل هذا الزواج أن يكون مزدهراً.. وكان لويس السادس عشر قد كتب في يومياته غداة عرسه كلمة واحد هي «لا شيء» لكنه كان هادئا، واستمر هادئاً حتى عندما اندلعت الثورة فيما بعد عام ١٧٨٩.

لقد أنجبت ماري انطوانيت أربعة أطفال بعد ان كانت قد تجاوزت العشرين من عمرها وبعد أن كانت قد عاشت حياة صاخبة أمضت الكثير من لياليها في الحفلات التنكرية والرقص، إذ أنها لم تكن تأبه كثيرا لطقوس القصر ولما يمليه عليه موقعها كسيدة أولى في فرنسا،

كانت تعيش في الليل وتنام في النهار، تماماً على عكس زوجها الذي كان قد قبل مثل هذه الحياة بدافع المحافظة على ما تطلبه الأعراف والتقاليد الملكية آنذاك، لكن مع هذا كله قد ظلت ماري انطوانيت ورغم «صخبها الليلي» وفية لما يتطلبه عقد زواجها مع وريث عرش فرنسا، وانها قد عادت إلى عقلها وتقمصت بكل جدارة دور الملكة بكل ما تعنيه هذه الكلمة بعد ولادة أطفالها. واقتربت كثيرا من الملك الذي لم تكن توليه الكثير من الاهتمام قبل ذلك،

لكن وفوق كل شيء أظهرت أنها أم ممتازة. وعندما اندلعت الثورة الفرنسية الكبرى وقفت بحزم إلى جانب ملكها في تلك الساعات الصعبة التي قاتلت فيها من أجله ومن أجل أطفالها ومن أجل فرنسا كي تبقى تحت ظل التاج الملكي.

لكن الأمر كان قد حسم وعرف لويس السادس عشر طريقه إلى المقصلة التي قاده إليها الثوريون " اليعاقبة " .

وقد عرفت ماري انطوانيت نفس المصير بعد أن تم تسليمها للجماهير الثائرة في باريس.. هذه الجماهير التي كانت تظاهرت قبل فترة طويلة أثناء حكم زوجها وعندما سألت ماري انطوانيت عن سبب تلك المظاهرة أجابوها بأن الجماهير تطلب الخبز المفقود فأجابت " ما عليهم سوى ان يأكلوا البسكويت" .

لقد جزّت المقصلة رأس ماري انطوانيت بعد تسعة أشهر من إعدام زوجها بالطريقة نفسها،وهكذا أخذت صورة الضحية وبالتالي أصبحت أسطورة مثلها في ذلك مثل ملكات عرفن المصير نفسه ككليوباترة المصرية وماري ستيوارت الاسكوتلندية. لكن لاشك بأنها لم تكن تتمتع بحس سياسي مثل الذي عرفته ملكة مصر التي استخدمت جميع الوسائل من أجل الوصول إلى يوليوس قيصر. كما أنها، أي ماري انطوانيت» لم تكن تمتلك نفس طموحات ملكة اسكوتلندا التي سعت لبسط سلطتها وتوسيع رقعة نفوذها إلى أقصى حد ممكن.

وفي المحصلة تبدو ماري انطوانيت امرأة تثير الجدل كما يظهر من تضارب آراء أولئك الذين كتبوا سيرة حياتها، وخاصة فيما يتعلق بعلاقاتها ومدى اخلاصها لزوجها لويس السادس عشر، لاسيما طبيعة علاقتها بـ فيرسن الدنماركي الجميل والذي رفض فيما بعد نابليون التفاوض معه حول السلام بسبب ماضيه مع الملكة.

التاريخ لم يكن كريماً مع الملك لويس السادس عشر، ،ولعل ذلك سببه أن التاريخ نادرا ماكان كريما مع الفاشلين. فقد وصفه التاريخ بالتفاهة ونقص الذكاء وقلة

الفاعلية. ويدل على ذلك أنه يوم أن أقتحم الثوريين الباستيل كتب فى مذكراته "لم يحدث شىء".

أعدم بالمقصلة بعد أن أقتيد لها وهو في كامل أبهته كملك وبكل مظاهر الاحترام أركبوه عربته المذهبة، وداروا به في باريس بين شعبه الذي لم يحسن التعامل معه.

وتعتبر الثورة الفرنسية التي انطلقت شرارتها الأولى في العام (١٢٠٤هـ=١٧٨٩م) من أهم الأحداث ليس في تاريخ فرنسا فحسب بل في تاريخ أوروبا كلها، وثمة عوامل تضافرت مجتمعة في فرنسا أدت إلى حدوث هذه الثورة يمكن التعرف عليها من خلال إطلالة سريعة على أحوال فرنسا قبيل العام ١٧٨٩.

على صعيد الأحوال الاجتماعية والسياسية كانت فرنسا تعيش حالة من الاستقرار النسبي في ظل حكم لويس الرابع عشر الذي اهتم بالفنون والآداب ونال حب الشعب واحترامه، ولكن بعد وفاته، وانتقال العرش إلى رجال أقل منه شأنًا، بدأ العبء ينزلق تدريجيًا عن كاهل الملك ووزرائه إلى كاهل الطبقة المتوسطة (البرجوازية) التي كانت قد بدأت تبرز للوجود، وبخاصة في عهد لويس السادس عشر الذي اتسم بضعف الشخصية، والذي قامت في عهده الثورة وتم إعدامه فيها في ٢١ يناير ١٧٩٣، وكان أفراد هذه الطبقة المتوسطة في معظمهم متعلمين وميسوري الحال، ومن ثم بدءوا يشعرون بعدم الرضا عن المكانة الدنيا التي يحتلونها بالقياس إلى طبقة النبلاء، وأصحاب المقام الرفيع في الكنيسة. فكان تذمرهم وتمردهم على هذه الأوضاع من العوامل التي أشعلت فتيل الثورة بالتحالف مع العامة أو من يسمونهم بالطبقة الثالثة التي كانت ترزح في أوضاع سيئة في ظل النظام الإقطاعي السائد آنذاك.

أما عن الأحوال الاقتصادية فقد بلغت غاية السوء للدرجة التي لم تستطع فيها الحكومة أن توفر للشعب الغذاء الكافي، وكان ذلك نتيجة الحروب الطويلة، والبذخ على المستويين العام والخاص، وضعف الملوك وعجز الوزراء عن التمسك بالسياسات الموحدة، كل هذا أدى إلى حالة من الفوضى الاقتصادية في البلاد، ولم يستطع أحد علاجها حتى تفاقمت الديون على فرنسا.

بعد أن ساءت الأحوال الاقتصادية، وزادت الضرائب المفروضة قرر الملك عقد مجلس الطبقات في (١٢٠٤هـ = ٥ مايو ١٧٨٩م) الذي جاء على هوى الطبقة الأرستقراطية. فقد كانت التقاليد تقضي بأن يتألف المجلس من ثلاث هيئات منتخبة تمثل إحداها "الإقليدوس" (الملك- الكنيسة)، وتمثل الثانية "النبلاء"، والثالثة تمثل "الشعب". وكان الاقتراع يتم على هيئة ثلاث وحدات منفصلة وليس طبقًا لعدد الأعضاء. وحيث كانت طبقة رجال الكنيسة خاضعة لسيطرة النبلاء الذين يتقلدون المناصب الرفيعة في الكنيسة لقاء الخدمات التي يقدمونها، فقد كانت الطبقتان الأوليان على يقين دائم من الحصول على أغلبية الأصوات، وبالتالي يقوم أبناء الطبقة الثالثة –الشعب- بتحمل عبء الضرائب المفروضة وحدهم. وقد فطن أبناء هذه الطبقة لهذا الأمر، وطالبوا بأن يكون التصويت في المجلس طبقًا لعدد الأعضاء لا طبقًا للطبقة، ثم طالبوا بأن يكون للمجلس السلطة في تنفيذ المشاريع. وطالب الشعب في أول الأمر بأن يجتمع المجلس في قاعة واحدة، وكل هذه الإجراءات سعى العامة لتحقيقها لكي يحصلوا على الأغلبية بمن ينضم إليهم ممن يعطفون عليهم وعلى حركتهم من رجال الدين والأشراف الذين كانوا يريدون انضمامهم إلى العامة ليكون لهم القيادة والنفوذ.

وقبل ذلك كان المجلس يجتمع ويعرض الملك عليه آراءه ثم ينصرف أعضاؤه إلى مدنهم قانعين. ولكن هذا المجلس طالب بأن المسائل التي تعرض عليهم يجب تنفيذها وألا يُفضَّ المجلس بل يبقى بجانب الملك. أصر نواب العامة على تنفيذ مطالبهم التي رفضها الملك؛ فأضربوا عن دفع الضرائب، وكلما مر الوقت ازداد رجال العامة قوة بمن ينضم إليهم من أشراف ورجال الدين، وكلما زادت قوتهم تشددوا في مطالبهم.

وفي ذلك الوقت يظهر بين طبقة العامة نائب يدعى (سييس) وهو من رجال الدين الذين تولوا البحث في الدستور، وأعلن أنه إذا رفضت طبقة الأشراف ورجال الدين الانضمام إليهم فسيعلنون أنفسهم نوابًا للشعب ويطلقون على أنفسهم الجمعية

الوطنية، وقد ووفق على هذا الاقتراح في ١٦ يونيو ١٧٨٩، ولكن الملك لم يوافق على اجتماع الطبقات في قاعة واحدة، وأصر نواب العامة على مطلبهم فاضطر الملك مرغمًا إلى الموافقة، ورأى رجال الجمعية الوطنية أن يضعوا دستورًا للدولة.

وتوالت بعد ذلك الأحداث حتى نجح الثوار في إسقاط سجن الباستيل رمز الطغيان في ١٤ يوليه ١٧٨٩ وبسقوطه زادت قوة الثوار حتى أصدروا الدستور الجديد الذي اتخذ من الحرية والإخاء والمساواة قواعد انطلق منها إعلان حقوق الإنسان والمواطن في ٢٦ أغسطس ١٧٨٩ثم إعلان الجمهورية وإلغاء الملكية في ٢٢ سبتمبر١٨٩٢.

وقد سبق إعلان الجمهورية سجن لويس السادس عشر في ١٣ أغسطس ١٧٩٢م) ثم إعدامه في ٢١ من يناير ١٨٩٣، ثم إعدام زوجته "ماري أنطوانيت" في ١٦أكتوبر١٧٩٣.

واتخذت الثورة الفرنسية مبادئها من أفكار الفلاسفة: "جان جاك روسو" و"فولتير" و"مونتسكيه"، ورفعت عبارة: (الحرية – الإخاء – المساواة) كشعار لها، ولكن إلى أي مدى التزمت الثورة بهذا الشعار سواء على صعيد الداخل الفرنسي إبان الثورة أو على صعيد سياسة حكومتها الخارجية فيما بعد؟

ويعلق "روبرت دارنتون" أستاذ تاريخ أوروبا الحديث في جامعة "برنستون" في ذكرى احتفال فرنسا بمرور مائتي عام على قيام الثورة الفرنسية قائلاً: إذا كانت فرنسا تحتفل بمرور مائتي عام على سقوط الباستيل، وإزالة الإقطاع، وإعلان حقوق الإنسان والمواطن، فإن الوضع في فرنسا في الفترة التي قامت فيها الثورة لم يكن في حقيقة الأمر على كل ذلك القدر من السوء كما يعتقد الكثيرون. فالباستيل كان خاليًا تقريبًا من السجناء وقت الهجوم عليه يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩كما أن الإقامة فيه لم تكن سيئة تمامًا كما يتصور الناس، ولكن ذلك لم يمنع الثوار من أن يقتلوا مدير السجن لا لشيء إلا لأنه من النبلاء، ثم طافوا بعد ذلك بجثته في الشوارع. كذلك

كان الإقطاع قد انتهى بالفعل وقت أن أعلنت الثورة إلغاءه أو لم يكن على الأقل موجودا بمثل تلك الدرجة الفاحشة.

ويضيف قائلاً: وإذا كانت الثورة قد أعلنت حقوق الإنسان والمواطن فإنها لم تلبث أن أهدرت هذه الحقوق بما ارتكبته من جرائم ومذابح وموجات إرهاب اجتاحت فرنسا كلها بعد ٥ سنوات فقط من إعلان تلك الحقوق لدرجة أن بعض المؤرخين البريطانيين مثل "ألفريد كوبان" كان يصف هذه الإعلانات (حقوق الإنسان والمواطن) بأنها مجرد أسطورة.

ويقول المؤرخ الفرنسي "بيير كارون" الذي أصدر عام ١٩٣٥ كتابًا عن المذابح التي حدثت في السجون الباريسية إبان عهد الثورة في ٢ سبتمبر ١٧٩٢.. يقول عن هذه المذابح: إن هذه المذابح كان لها طابع (شعائري) جارف، وقد بدأت بالهجوم على بعض السجون بزعم القضاء على بعض المؤامرات التي كانت تدبر فيها للإطاحة بالثورة، وأقام "الدهماء" من أنفسهم محكمين وقضاة ومحلفين في فناء هذه السجون، حيث كان السجناء يقدمون للمحاكمة واحدًا بعد الآخر فتوجه إليهم التهم ويحكم لهم أو عليهم ليس تبعًا للأدلة والشواهد؛ وإنما تبعًا لمظهرهم العام وسلوكهم وشخصيتهم بل وتكوينهم الجسدي. كما كان أي تردد أو أي اضطراب يظهر على الشخص يعد دليلاً للإدانة وعلى ثبوت التهمة فيحكم عليه بالإعدام، وكان الذي يتولى المحاكمة وإصدار الحكم شخصًا عاديًا، كما كانت أحكامه تقابل بالتصفيق والصياح من الجماهير الذين تجمعوا من الشوارع المحيطة وأصبحوا بمثابة محلفين، وكان الشخص الذي يحكم ببراءته يؤخذ بالأحضان والتهنئة والقبلات ويطوفون به الشوارع، بينما كان الشخص الذي يحكم عليه بالإدانة يتم إعدامه طعنًا بالخناجر والسيوف وضربه بالهراوات الثقيلة ثم تنزع عنه ملابسه ويلقى بجسده فوق كومة من أجساد الذين سبقوه.

والغريب أن الذين كانوا يقترفون هذه المذابح كانوا يرتكبونها باسم الحرية وحقوق الإنسان والعدالة والمساواة!

أما "سيرجو بوسكيرو" رئيس الحركة الملكية الإيطالية فيقول: إن الثورة الفرنسية كانت عبارة عن حركة معادية للشعب الفرنسي إبان قيامها، كما أن أسطورة السيطرة الشعبية على سجن الباستيل لم تكن سوى عملية سطو على مخزن الأسلحة في الباستيل الذي كان يستضيف ٧ مساجين فقط، منهم ٣ مجانين.

ويضيف قائلاً: إن الثورة الفرنسية بحق قامت بأكبر مجزرة في التاريخ أو على الأقل في الشعب الفرنسي، حيث قتلت ٣٠٠ ألف فلاح، وهي بذلك تعد منبع الإرهاب العالمي؛ إذ ولدت "ظاهرة الإرهاب" من الثورة الفرنسية.

بقي أن نقول إنه بناء على ما كتبه الجلاد الذي قطع رأس لويس السادس عشر فإن الملك الفرنسي مات كملك محتفظا بكرامته مصححا بذلك معلومات بأن أعصابه إنهارت عندما واجه مثيري الشغب الثوريين والمقصلة في يناير عام ١٧٩٣.

النسخة الأصلية من الرسالة التي كتبها تشارلز هنري سانسون كبير الجلادين في باريس إبان الثورة الفرنسية وبداية حكم الرعب تم عرضها في معرض دار كريستي في لندن في شهر يونيوعام ٢٠٠٥ بسعر يبلغ ٢١٠ آلاف دولار.

ويصف سانسون في الرسالة حالة لويس النفسية الذي أعدمت زوجته النمساوية ماري أنطوانيت بعد تسعة أشهر من إعدامه والتي ذكر أنها اقترحت قبل الثورة أن يأكل المزارعون الجوعى الكعك، إذا كانوا لا يستطيعون الحصول على الخبز.

وكانت الرسالة قد غابت عن الأنظار لمدة تزيد عن ٢٠٠ عام في أرشيف عائلة غير معروفة، ورواية سانسون هذه هي ترديد لما قاله هنري إيدجورث القس الأميركي الذي كان يعيش في فرنسا آنذاك والذي اصطحب لويس في العربة التي توجهت به إلى المكان الذي نصبت فيه المقصلة.

وتحدث سانسون الذي شهد إعدام ما يقرب من ٢،٩٠٠ شخص ما بين عامي ١٧٧٨ و ١٧٩٣ عند تقاعده، كيف رفض لويس عندما وصل إلى درج المقصلة وضع

عصابة على عينيه كما رفض خلع معطفه من باب اللياقة، ولكنه خلعه بنفسه بعد ذلك. كما طلب عدم ربط يديه لكنه اقتنع بضرورة ذلك.

وقال سانسون إن لويس التفت إلى الغوغاء الذين جاءوا لمشاهدة قتله وقال لهم "أيها السادة إنني أموت بريئا". ثم توجه بالكلام للجلادين قائلا " إنني برئ من كل شيء اتهمت به . وآمل أن يعزز دمي سعادة فرنسا".

٢ - ماري أنطوانيت ملكة فرنسا ..

تهاوت المقصلة وطارت الرأس !!



•• الأخت الكبرى قتلها وباء الجدري، وصرع المرض ابنها، وقطعت المقصلة رأس زوجها الملك لويس السادس عشر، قبل أنْ تهوى على رأسها في أسوأ صورة للعنة العائلة !!

ماري انطوانيت هي الابنه التاسعة للملكة ماريا تريزا إمبراطورة النمسا تشربت بمبادئ والدتها وتعاليمها فكانت تطمح إلى اللهو والاستهتار وعزز فيها هذه الرغبة ما كانت عليه من مظاهر الجمال والرشاقة وامتشاق القد .

كانت ماري انطوانيت في الرابعة عشرة من عمرها مكتملة الأنوثة جميلة المظهر جذابة فاتنة وللشباب براءته وسحره.

وكان ولي عهد فرنسا فتى غير ناضج العقل والتفكير سريع الوقوع طائشا أبله ولعل ذلك يرجع إلى حداثه سنه فقد كان يكبر ماري بسنة واحدة واستعدت الدولتان لإقامة حفل الزفاف .

وكان الناس يتشاءمون كثيرا من الحوادث التي تقع في تلك الأيام ويحفظون تواريخها عن ظهر قلب فمثلا يوم ولدت ماري انطوانيت في ٢ نوفمبر سنه ١٧٥٥ حدث زلزال عنيف في البرتغال . وحدث يوم تزوجت حريق هائل بين مظاهر الفرح والحفلات فتشاءم الفرنسيون والنمسويون كثيرا !!

لم تستطع الفتاة الصغيرة تحمل أعباء الزواج وتفهم دقائق مركزها العظيم للظهور بمظهر الجد والرصانة التي تقتضيها الرسميات لهذا لم تستطع أن تقاوم طبيعتها الجامحة طويلا حتى بدأت بعد اشهر تعبث وتطلب المتعة في المراقص والاحتفالات والنزه ... كذالك كان زوجها الفتى الأمير لاهيا عابثا لا يهمه أمر زوجته هكذا انطلق كلا الاثنين إلى الناحية التي يريدها ففقدا احترام الناس لهما وخاصة النبلاء .

وقد مات لويس الخامس عشر سنه ١٧٧٤ أي بعد أربع سنوات من زواج ابنه فاحتفلت فرنسا احتفالا فخما بتتويج ولي العهد الملك لويس السادس عشر وهكذا أصبحت ماري أنطوانيت ملكه فرنسا .

أحبت الملكة من بين أصدقائها العديدين شابا سويديا فاتنا جميلا هو الكونت هانز إكسل فون فيرسن وقد اصطفته لنفسها من قبل أن تصبح ملكة فكان يهتمك بها ويتردد إليها كثيرا والخروج معها حتى اقترن اسمه باسمها في كل مكان .

ولم تلد الملكه اثر زواجها ولكنها بعد أن ارتقت العرش بسنوات وضعت طفلتها الأولى ماريا تريزا في ١٧٧٨ فتعالى الهمس وأخذ الفرنسيون يتساءلون من يكون والد هذه الطفلة.

وظلت الملكة ترعى صديقها الكونت فيرسن حتى حملت ووضعت طفلا هو ولي عهد فرنسا . و حدث أن وقف عم الطفل له يوم عماده فسأله الكاهن عن اسم الطفل فضحك الأمير وقال : كان يجدر بك أن تسألني عن اسم والده أولا.

وتناقلت الألسن هذه الكلمات حتى بلغت الملك والملكه نفسها . وخشي الكونت فيرسن من العاقبة وشاء أن يحرص على ماتيقى من كرامة الملكة وهجر فرنسا والتحق بحرب الاستقلال الأمريكيه لكنه غاب سبع سنوات ثم لم يستطع مقاومة لهيب الشوق فعاد إلى فرنسا.

كان من نتائج طيش الملكين وعدم رعاية مصالح الرعية ونظام الدولة أن تفككت أوصالها وبدأت روح الثورة وخاصة بعد أن أصيبت البلاد بالفقر والقحط الشديد ارتفع معه ثمن الخبز إلى حد لم يكن الفقراء ليستطيعوا شراءه .

وهنا سجل التاريخ لماري أنطوانيت قولتها الشهيرة التي ظل العالم يتندر بها حتى يومنا هذا : " إذا لم يكن هناك خبز.. لماذا لا تعطوهم بسكويتاً " !!

وكان من ضمن أعداء الملكه الكاردينال دي روهان ذلك الكاهن الذي اختقرته منذ كان سفيرا في النمسا وأعلنت أنه سرق قلادة من جوهري باسمها وحيث إن هو ايضًا كان لايعلم حيث ان مرأه تدعى جين بالوث وزوجها نيكولاوس دي لامونت هما اللذان خدعاه وكانت قضية القلادة احدى القضايا المهمة التي سجلها التاريخ ولها قصة طويلة جدا .

تفجرت براكين الثوره الفرنسية وكان لهذه الثورة اثر في نفس الملكة حيث ابدلها بقديسة طاهرة اخذها الثوار مع الملك وأولادها إلى إحدى القلاع إلى أن تتم المحاكمه وشاء الكونت فيرسن أن يلعب لعبته وينقذ حياه الملكة حيث حاول الهرب معهم لكنه فشل في ذلك فانتزعت الملكة في هذه اللحظة خاتما ثمينا وناولته للكونت ذكرى امانته ووفائه فظل يحرص عليه ويلبسه حتى مات .

أبعدوا الملك عنها ثم أخذوا منها أولادها وتركوها وحيدة وليس معها أحد غير امرأة السجان وروزالي لاموريل

قتل لويس السادس عشر بالمقصلة وجاء دور الملكة فاقتيدت إلى حيث القضاة وراحوا يلصقون بها التهم ..لم تنطق بكلمة واحدة فما فائدة ذلك وموتها محقق؟

وفي فجر يوم ١٦ أكتوبر سنه ١٧٩٣ اقتادها الحرس إلى عربة الموت حيث ازدحمت الطرقات بالرعاع والثوار وهم يبصقون عليها حتى إذا مرت العربة أمام قصر التويلري انحدرت الدموع الساخنة من عينيها لذكريات الماضي القريب .

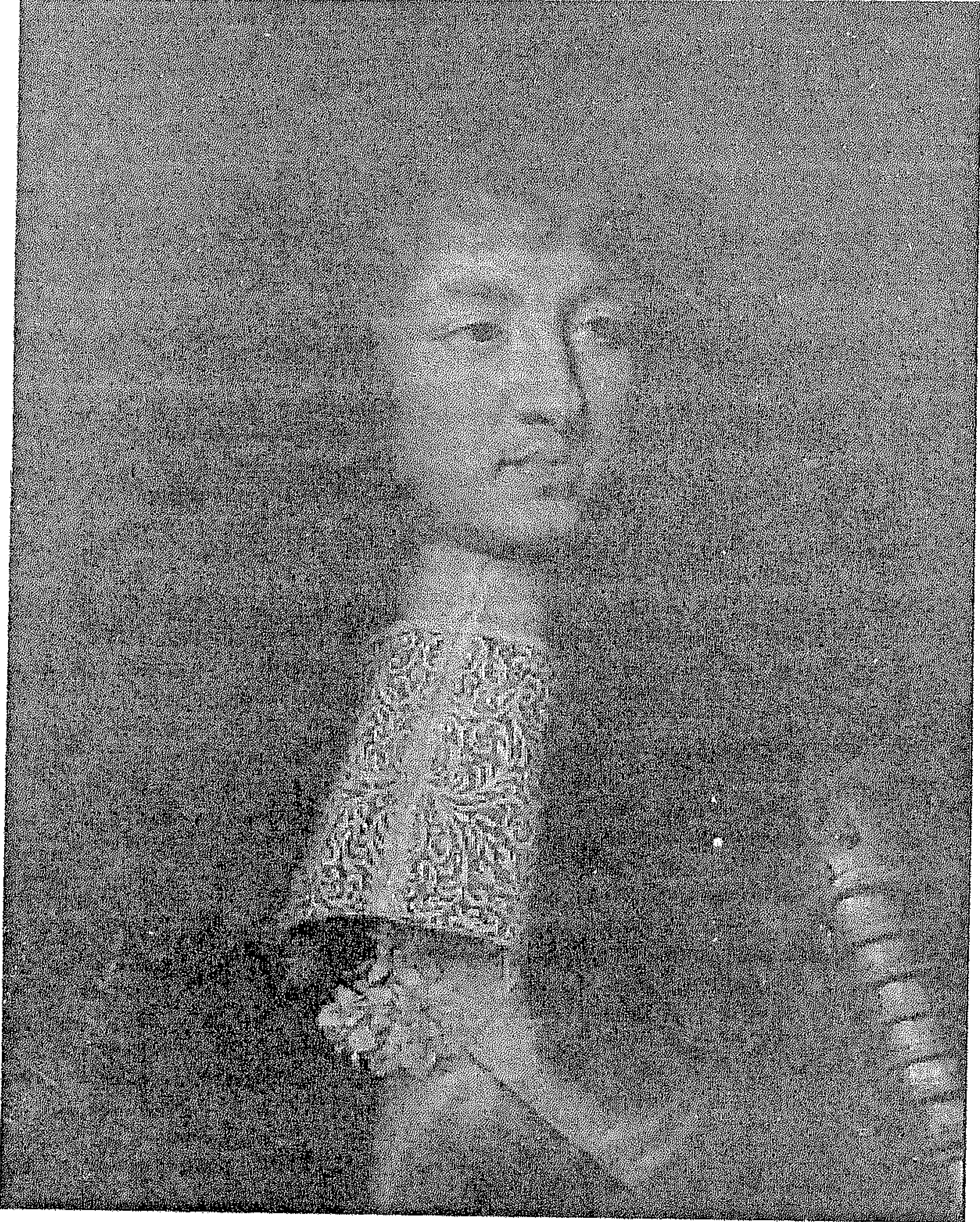
وفي ١٦ أكتوبر ١٧٩٣ أعدمت أنطوانيت بعد أن اقتيدت بعربة مكشوفة دارت بها في شوارع باريس حيث رماها الغوغائيين بالأوساخ وكل ما يقع تحت يدهم، فقصوا شعرها الطويل ثم وضعوا رأسها الصغير في المكان المخصص في المقصلة (الجيلوتين) وهوت السكين الحادة فأطاحت برأسها في السلة الجانبية.

ويروى أنه عندما وصلت العربة، نزلت وسارت إلى المقصله بقدم ثابتة وشجاعة تصعد السلم في خشوع وماهي إلا لحظة حتى كان رأسها قد فصل عن جثتها!

ويرى المؤرخون أن اللعنة أصابت ماري أنطوانيت مرتين في عام ١٧٨٩، حيث توفي ابنها الأكبر وبدأت الثورة الفرنسية، أما المرة الثانية. ففي أوائل أكتوبر ١٧٨٩ عندما اتجهت الجماهير الباريسية الجائعة البائسة في مسيرة إلى فرساي وأجبرت العائلة الملكية على الانتقال إلى قصر تويلري بباريس، ومنذ ذلك الحين أصبح لويس وماري سجينين بالفعل، تمهيداً لإعدامهما !!

٣- لويس السابع عشر..

صرعته لعنة العائلة !!



•• بصفتي عميد "بيت بوربون" وحفيد ملوك فرنسا، أطلب من سلطات الجمهورية الفرنسية أن تقوم، رسمياً، بدفن قلب الملك لويس السابع عشر بالقرب من رفاة والده الملك لويس السادس عشر ووالدته الملكة ماري انطوانيت".

لوي دي بوربون

لويس السابع عشر هو الابن الثاني للملك لويس السادس عشر وزوجته الملكة ماري انطوانيت. ولد في فرساي Versailles عام ١٧٨٥ ومات سجيناً في باريس عام ١٧٩٥ عن عمر عشر سنوات.

كان يحمل لقب "دوق دي نورماندي" وكان قدره ان يصبح ولياً للعهد بعد وفاة شقيقه الأكبر في ٤ يونيو ١٧٨٩ أي قبل اربعين يوماً من اندلاع الثورة الفرنسية واحتلال سجن "الباستيل" في ١٤ يوليو ١٧٨٩.

ولكن الثورة لم تخلع الملك فقط بل طالبت بإصلاحات دستورية تخفف من الصلاحيات المطلقة وعرضت على الملك سنة ١٧٩١ مسودة "دستور" فرفض العاهل الموافقة على ما جاء في الدستور وطلب مساعدة "الخارج" حتى انه في ليل ٢٠-٢١ يونيو ١٧٩١ حاول الهروب مع عائلته فغضب رجال الثورة ولحقوا به وألقوا القبض عليه وعلى عائلته في مدينة "فارين" ورجع إلى باريس حيث وافق على الدستور وأقسم اليمين.

والحقيقة أن تصرفه جعله يخسر مودة شعبه وعاطفة الشارع ففقد المصداقية وتصدعت هيبته. وفي العاشر من اغسطس ١٧٩٢ قامت المظاهرات العنيفة وطالبت بخلعه وساقت به وبالعائلة وبولي العهد الطفل إلى سجن " المعبد "وتولت جبهة " الكونفنسيون " محاكمته وحكمت عليه بقطع الرأس ونفذ الحكم في ٢١ يناير ١٧٩٣ في الساحة العامة.

وفي ١٧ اكتوبر من ذات السنة قطع رأس الملكة وكان عمرها ٣٨ سنة وقد تميزت بالشجاعة والنبل والعنفوان أثناء المحاكمة وعند لحظة الإعدام! وبقي ولي العهد

الطفل وحيداً في السجن وتولى حراسته إسكاف يدعى سيمون وكان عنده، في السجن، مشغل للأحذية.

وكان الطفل يشكو من مرض سل العظام ولم تتوفر له في السجن إمكانية العلاج والنظافة والطعام في الحد الإدنى لمقاومة هذا الداء. فمات في يونيو ١٧٩٥ ودفن في اليوم الثاني بطريقة سرية مما جعل الإشاعات المتنوعة تنطلق وتؤكد انه لم يمت بل بدّله الحارس الإسكاف بطفل آخر وبإنه غادر السجن مما سمح لكثيرين بانتحال صفة الملك الصغير وراح يدعي كل واحد منهم أنه هو لويس السابع عشر ومن هؤلاء : " هيرفاغولت" و"برينو" و"ريشمونت"وخصوصاً تاجر المجوهرات الشهير"كارل وليم نوندورف" الذي، كما سنرى، كان يصدّق في وقت من الأوقات، خصوصاً بعد وفاته، أنه الملك.

وقد تناول هذه الاشاعات وهذه الروايات كثير من المؤرخين وكثير من انصار العائلة المالكة ولم تظهر الحقيقة الاّ في خريف سنة ٢٠٠٠ وفي ولاية رئيس الجمهورية الفرنسية جاك شيراك وذلك بعد اللجوء إلى تقنية الفحوص الطبية والمخبرية على "الجينات البشرية" واستخراج الحامض النووي .

وفي يوم الاربعاء ١٩ ابريل ٢٠٠٠ قام الامير لوي دي بوربون الوريث الحالي لملوك فرنسا وعقد مؤتمراً صحفياً في قصره في باريس وقال: " اليوم، الأربعاء ١٩ نيسان- أبريل سنة ٢٠٠٠ يسقط القناع عن سر عمره ٢٠٠ سنة. فإن التحاليل الجينية والفحوصات المخبرية المتخصصة والتي أجريت على الحامض النووي قد أثبتت بصورة علمية غير قابلة للجدل أو الشك أن الطفل الذي مات في سجن "المعبد" في حزيران-يونيو ١٧٩٥ عند الساعة الثالثة بعد الظهر هو حقاً الملك لويس السابع عشر الوريث الشرعي لعرش فرنسا . وأن تاجر المجوهرات النمساوي " كارل وليم نوندورف " والذي كتب على ضريحه :"هنا يرقد لويس السابع عشر ملك فرنسا" ليس الاّ واحدا من مئات الأشخاص الذين انتحلوا صفة ملك فرنسا بالكذب والخداع والباطل وتزوير التاريخ.

وكانت لجنة علمية قد فتحت قبر "نـونـدورف" في النمسا وأخـذت عظماً من ساعده الأيمـن واخضعته إلى فحوصات مخبرية متخصصة بالأبحاث الجينية والحامض النووي وهي مختبرات "جان - جاك كاسيمن " في بلجيكا ومختبرات بيرند برنكمن في المانيا ومختبرات جامعة "نانت" في فرنسا فتبين بعد الدراسات والمقابلات الجينية ان لا صحة على الاطلاق بين مزاعم "المنتحل الصفة" وحقيقة جينات لويس السابع عشر التي كانت قد اخذت من شعر امه الملكة ماري انطوانيت من مقبرة ملوك فرنسا في " سان ديني " في باريس كما من شعر خالته الأميرة.

"ماريا - جوزافا " وخالته "جوهانا - غابريل" المدفونتين في أحد أديرة "النمسا" الكاثوليكية.

بقي أن نعرف كيف تم التأكد أن لويس السابع عشر هو حقاً ذلك الطفل الذي مات في السجن في ٨ يونيو ١٧٩٥ والذي دفن بسرية كاملة خوفاً من تحريك الشارع ومناصري العائلة المالكة.

الحقيقة أنه في ٩ يونيو ١٧٩٥ أي بعد يوم واحد من وفاة الطفل السجين، طلبت السلطة الحاكمة تشريح الجثة للوقوف على سبب الوفاة. وإذا بالتقرير الطبي الشرعي يقول، بعد التشريح، ان الوفاة ناتجة عن مرض "السل العظم" ويؤكد التقرير أن الجثة تعود إلى طفل عمره "حوالي العشر سنوات" ولا يذكر التقرير اسماً للجثة التي دفنت في مقبرة جماعية تدعى "سانت مارغريت" في باريس. وانتهى الأمر "رسمياً" في ٩ حزيران- يونيو ١٧٩٥.

وتوالت الأحـداث في فرنسا فسقطت الثورة وقامت الجمهورية الأولى ثم الإمبراطورية الأولى حتى عودة العائلة البوربونية إلى عرش فرنسا سنة ١٨١٥ بزعامة الملك لويس الثامن عشر . وسنة ١٨٤٦ وفي عهد الملك البوربوني " لوي - فيليب الاول"، ملك الفرنسيين، صدر أمر ملكي يطلب تقصي الحقيقة حول "لغز" موت لويس السابع عشر المتوفي سنة ١٧٩٥ أي من مدة ٥١ سنة.

ففتح التحقيق وكلفت النيابة العامة لجنة من الأطباء والقضاة للتحري والكشف و"إجراء اللازم". ففتحت مقبرة سانت مارغيريت واخرجت منها الجثة المزعومة فتبين من الفحوصات على "العظام" ان الموت قد نتج فعلاً عن مرض "سل العظم"٣ ولكن تبين ايضاً ان الجثة التي اجريت عليها الفحوصات لا تعود إلى طفل عمره "حوالي العشر سنوات" كما كان قد جاء في تقرير سنة ١٧٩٥ ولكن تعود الجثة إلى رجل عمره بين ١٨ وعشرن سنة! فرق كبير في العمر مما زرع الشك مجدداً في العقول والنفوس عند الاسرة المالكة. فاما ان يكون الطفل الذي مات في السجن ليس هو الملك لويس السابع عشر واما ان تكون الجثة التي سحبت من المقبرة ليست جثة ولي العهد! وعاد السؤال الكبير بدون جواب وسيطر القلق والخيبة على عرش فرنسا.

حقيقة اللغز الدامغة هي أن الفريق الطبي الذي كلف رسمياً بتشريح جثة الطفل في ٩ يونيو ١٧٩٥ كان مؤلفاً من اربعة اطباء بينهم الدكتور "فيليب - جان بالاتان" فعند نهاية عملية التشريح وبينما كان الاطباء منهمكين بجمع عدتهم وكتابة التقرير الشرعي سنحت الفرصة لهذا الأخير بأن انتزع القلب من صدر الجثة ووضعه في منديل من القماش وأدخله في جيبه دون أن يلفت انتباه الأطباء الثلاثة المرافقين. ثم وافق الجميع على نص التقرير الطبي الشرعي وأعطي الأمر بدفن الجثة المشرحة.

وعندما وصل الطبيب فيليب- جان بالاتان إلى منزله وفي جيبه قلب الطفل قام ووضعه في إناء من الكريستال مملؤء "بروح النبيذ" واحتفظ به في موضع أمين وفي تكتم شديد خوفاً من العواقب الوخيمة التي يمكن ان تنتج عن تفشي السر خصوصاً أنه كان مشبوهاً بحبه للأسرة الملكية في ذلك الزمن.

ومرت الأيام والسنون وسقطت جبهة "الكونفنسيون" ومعها "روبسبير" وقامت "المديرية" التي ما لبثت أن انهارت جارفة معها الثورة والجمهورية الأولى واستولى نابليون على السلطة واعلن الامبراطورية الاولى لتعود وتنهار فاتحة الطريق مجدداً إلى الاسرة المالكة بالعودة إلى الحكم مجدداً سنة ١٨١٥ في عهد "البعث الاول" مع

الملك لويس الثامن عشر حتى سنة ١٨٢٤ ثم الملك شارل العاشر حتى سنة ١٨٣٠ عندما اطاحت به ثورة الأيام " الثلاثة المجيدة "تاريخ ٢٧،٢٨ و٢٩ تموز- يوليو سنة ١٨٣٠.

كل هذه السنوات والأحداث الكبيرة والدكتور "فيليب-جان بالاتان" ما زال محتفظاً بإناء الكريستال الذي يحتوي على " قلب الملك الصغير " وقد حاول الدكتور عبثاً ان يسلّم "الوديعة والذخيرة" إلى "الأسرة الملكية البوربونية".

وفي سنة ١٨٢٨ أي بعد ٣٣ سنة من تاريخ تشريح جثة الطفل- الملك سنة ١٧٩٥ تمكن الدكتورفيليب من تسليم "الإناء" إلى رئيس أساقفة باريس سيادة المطران"دي كالان" المعروف بحبه وولائه للعرش والذي وعد الطبيب بأنه سيسلّم "الإناء" إلى الملك شارل العاشر عند أول مناسبة وبانتظار المناسبة وضع "الإناء" في مقر مطرانية باريس.

وبعد أقل من سنة توفي الدكتور فيليب ولكنه، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، اعترف بسره إلى ابنه "غبريال بالاتان" وأخبره أن قلب الملك لويس السابع عشر موجود في إناء من الكريستال وهو بامانة مطران باريس. ويوم جنازة الدكتور فيليب اعترف رئيس الاساقفة إلى غبريال بان وصية والده الدكتور فيليب هي صحيحة وبان "الاناء" موجود فعلياً في المطرانية وان الملك شارل العاشر على علم بذلك.

ولكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن. ففي ٢٧، ٢٨ ،و٢٩ يوليو ١٨٣٠ " الايام الثلاثة المجيدة "عصفت رياح الثورة مجدداً واجتاحت جحافل الثائرين القصور والمباني والكنائس وأشعلت النيران في كل مكان وقامت باعمال القتل والنهب والتدمير. وقبل أن يهرب رئيس أساقفة باريس المطران "دي كالان" سلّم "الإناء" إلى أحد عمال المطبعة في المطرانية وامره بنقله إلى "غبريال" ابن الدكتور فيليب. وبينما كان عامل المطبعة يحمل "الاناء" هارباً من "المعمعة" اصطدم بأحد الثوار فسقط "الإناء" على أدراج المطرانية وتحطّم وهو من الكريستال السريع العطب.

وسقط "القلب" سابحاً في "روح النبيذ" وهرول العامل مذعوراً وفارغ اليدين وأخبر "غبريال" بهول الفاجعة.

وبعد أن انتهت عاصفة النهب والشغب باستقالة الملك شارل العاشر، وعاد الهدوء إلى باريس، ذهب "غبريال بالاتان" ومعه عامل المطبعة إلى المطرانية بتاريخ ١٥ أغسطس ١٨٣٠ (أي بعد سبعة ايام من تحطيم "الاناء") والمدهش ان غبريال وجد "القلب" مجبولاً بالغبار والوحل والحطام! فحمله في منديل من القماش ووضعه في جيبه وهرول به إلى المنزل تماماً كما كان قد فعل والده الدكتور فيليب سنة ١٧٩٥!! ووضع "القلب" في "إناء" جديد مع "روح نبيذ" جديدة!

وراح "الإناء الجديد" ينتقل بصورة سرية من مالك إلى حفيد ومن وارث إلى وريث كما تنتقل "الذخيرة" من صدر إلى صدر "والأيقونة" من عنق إلى عنق حتى سنة ١٨٩٥ عندما استقر "الإناء الجديد" عند وريث عرش فرنسا وحفيد ملوكها "دون كارلوس دي بوربون" امير مدريد الذي احتفظ "بالوديعة الثمينة" لتدخل في الارث الملكي وتنتقل شرعياً بالتسلسل العائلي من العميد إلى الحفيد وحفيد الحفيد وكان آخر من تسلّم "الإناء الجديد" حفيدة قامت بدورها سنة ١٩٧٥ وبعهد رئيس الجمهورية الفرنسية "فاليري جيسكار ديستان وسلّمت "الإناء الجديد" (وفيه الوديعة الثمينة قلب الملك) إلى "الدوق دي بوفريمون" القيم على قبر فرنسا في "سان ديني" في باريس".

ودخلت "الوديعة" إلى " قبر الملوك " نهائياً" ولكن ليس بطريقة " رسمية " كما عاد وطالب عميد العائلة المالكة لوي دي بوربون في ١٩ أبريل سنة ٢٠٠٠.

وعندما تطور "علم الجينات وحصلت اكتشافات بيولوجية جديدة وكبيرة ووضعت أسس " الخريطة الجينية وأخذت الأدلة الجنائية والعدلية تستخدم معطيات الحامض النووي سمحت السلطات الفرنسية، بموافقة رئيس الجمهورية جاك شيراك إلى ورثة ملوك فرنسا باللجوء إلى التقنيات العلمية الحديثة للوصول إلى حل لغز "قلب الملك".

وفي ١٥ ديسمبر ١٩٩٩ دخل الأطباء الجراحون والبيولوجيون إلى قبر الملوك في "سان ديني" وأخذوا "مسطرة" من "قلب الملك" ويقول التقرير: "... إن القطعة التي فحصت هي قلب بشري. بحجم صغير يعود إلى طفل يقع عمره بين خمس واثنتي عشرة سنة وتبدو الأنسجة ناشفة، متكمشة ومخشبة مما جعلنا نعمد إلى قطعها بواسطة المنشار وقد اخذنا قطعتين من رأس القلب وقطعتين من اسفله" ثم وضعت "المساطر" في اكياس معقمة وارسلت إلى مختبرات "كاسيمن" ومختبرات "برنكمن".

حيث قام بالفحوصات كل مختبر على حدة، واحد في بلجيكا وواحد في ألمانيا وبعد "استخراج" الحامض النووي وبعد المقابلة مع الحامض النووي العائد من شعر الملكة ماري أنطوانيت وشعر أخوات الملكة "ماريا- جوزافا" و"جوهانا- غبريلا" وبالاضافة إلى المقارنة مع الاحياء حالياً من ورثة الملكة ماري انطوانيت وهما الاميرة "آن دي رومانيا" وشقيقها الامير "اندره دي بوربون بارم"، تبين بصورة علمية قاطعة للشك، ان "قلب الاناء" هو قلب الملك الطفل لويس السابع عشر. وعليه يخلص التقرير الرسمي والنهائي إلى النص التالي:

"في الثامن من يونيو ١٧٩٥ قبل الساعة الثالثة من بعد الظهر، فارق الحياة لافظاً النفس الأخير طفل سجين في برج "المعبد" في باريس. إن الأوفياء للعرش يعتبرون أن هذا الفقيد هو صاحب الجلالة لويس السابع عشر ملك فرنسا وسيدهم الشرعي".

ووقّع هذا التقرير فيليب ديلورم٥.

وهكذا يسدل الستار نهائياً عن لغز موت لويس السابع عشر. وقد قامت السلطات الرسمية و"البيت الملكي الفرنسي" وعضو العائلات الملكية والمالكة في أوروبا والعالم بمراسيم الدفن يوم الثلاثاء ٨ يونيو٢٠٠٤ في مقبرة ملوك فرنسا في كاتدرائية سان ديني في باريس.

ويعد فيليب ديلورم المؤرخ المعاصر الذي يعيش حالياً في باريس والذي يعد أكبر مرجع علمي وأكيد في تاريخ الأسرة المالكة وعرش فرنسا هوالمحرك الأساسي وراء اكتشاف لغز لويس السابع عشر. وسر عدم العثور على جثة الملك في مقبرة سانت مارغريت بالرواية التالية:" بعد تشريح الجثة وأمر الدفن حمل الإسكاف سيمون الجثة ودفنها ليس في المقبرة الجماعية ولكن في غير مكان من عقار مقبرة سانت مارغريت .

9

الفصل التاسع

لعنة آل جريمالدي

نهايات مأساوية لأميرات موناكو

١ - جريس كيلي ..

من القصر إلى القبر !!



•• وانقلبت السيارة بالأميرة الجميلة، وانقلبت معها أفراح الإمارة إلى أحزان، وحلت اللعنة على أفراد عائلتها .. فلم يعرف أحد منهم طعم السعادة والهناء" !!

عندما وصف الكاتب الإنجليزي سومرست موم إمارة موناكو بأنها أروع بقعة أرض مشمسة يمكن أن يحيا بها المشبوهون والمجرمون لم يجلب الشهرة الكافية للإمارة الصغيرة وهي المكان الذي قضي فيه فترات استجمامه في الأربعينيات عندما كانت فقط أفضل مكان في أوروبا يمكن أن يقوم فيه النازيون بعمليات غسيل الأموال.

ولكن ما جلب حقا الشهرة الأسطورية لموناكو كان زواج أميرها من نجمة هوليود الرقيقة جريس كيلي.

ولدت غريس كيلي عام ١٩٢٩ في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا لعائلة لمعت في مجال الرياضة، وكان جدها مهاجراً من ايرلندا عمل في الصناعة وجمع ثروة كبيرة وكان يلقب بـ«ملك الطابوق الأحمر». أما هي فقد درست في دير للراهبات لكنها قرّرت أن تصبح ممثلة خلافاً لرغبة عائلتها وظهرت في إعلان لمشروب «كوكا كولا» ومعجون أسنان «كولغيت» لكي تدفع ثمن دروس للتمثيل في نيويورك. ولفتت الأنظار منذ أول أفلامها «القطار يصفر مرتين». وفي عام ١٩٥٤ حصلت على «الاوسكار» كأفضل ممثلة في دور رئيس عن دورها في «بنت الريف».

كانت الممثلة الحسناء تتمنى الزواج من الكونت أوليغ كاسيني، مصمم ثياب جاكي كنيدي، لكن عائلتها اعترضت لأنه كان يكبرها في السن كثيراً وسبق له الطلاق عدة مرات.. ثم تعرّفت على أمير موناكو .

وإمارة موناكو هى نقطة جذب لأثرياء العالم وتعتمد في دخلها الأساسي على السياحة وإقامة المسابقات وعلي نوادي القمار! إنها واحة راحة لتايكونات الصناعة وأمراء أوروبا ومشاهير عالم الفن في العالم.

ولكن الإمارة لم تكن على هذه الشهرة والبريق قبل أن يعلن أميرها الراحل رينيه خبر زواجه من نجمة السينما الأمريكية جريس كيلي التي كانت نجمة لأفلام المخرج العبقري هيتشكوك، وقد شاهدها الأمير رينيه في نهاية الخمسينيات لأول مرة وهي تقوم بتصوير أحد أفلامها في جزيرة موناكو التي يحكمها وبمجرد أن وقعت عيناه عليها حتى قرر أن يتزوجها.. إنه هذا الانجذاب الشديد من الثراء والسلطة.. أما أمير موناكو فقد ضمن بزواجه من نجمة السينما الأمريكية جريس كيلي دعاية مجانية لإمارته الصغيرة التي تعتمد في المقام الأول على السياحة وأصبحت الإمارة بعد إتمام الزيجة نقطة جذب لنجوم السينما الأمريكية والأوروبية فمن يستطيع أن يقاوم مشاهدة النجمة التي أصبحت أميرة وهي تتجول على شواطيء الريفييرا في حرية وانطلاق.. لقد كسب الاثنان من تلك الزيجة التي جمعت بين الشهرة والثراء والسلطة .

ومساحة إمارة موناكو لا تزيد كلها على رقعة صغيرة، طولها ميلان، ويتروواح عرضها بين ٢٥٠ ياردة وألف ياردة، يحدها البحر الأبيض من جهة، وفرنسا من بقية الجهات، وتتالف من ثلاث مدن، أو على الأصح ثلاثة أحياء : موناكو، وهى العاصمة ،ولاكوندمارين، ومونت كارلو، حيث يقوم الكازينو وليس للإمارة جيش : كل ما فيها خمسة وستون جندياهم حرس الأمير.

ونظام الحكم هناك دستورى منذ سنة ١٩١١، وقد أبرمت بين الامارة مستعمرة فرنسية اذا خلا عرشها يوما ما، ومن هنا كان الموناكيون يعيشون فى قلق قبل أن تخطب أميرهم جريس كيلى ولو استطاعت حجارة قصر موناكو أن تتكلم، لرددت عشرات من قصص الغرام التى جرت هناك، قبل قصة جريس ورينييه ففى أخر القرن الثامن عشر، كانت تجلس على عرش موناكو أميرة جميلة أحبت أمير كونديه الفرنسى، واستمر هواهما سنوات طويلة أسطورة بين الناس أثمرت ولدين قبل أن يرتبطا برباط الزواج !

وشب احد الولدين، ووقع هو الآخر فى غرام امراة من شوازيل ثم قامت الثورة الفرنسية . فكانت لحسناء شوازيل قصة جديرة بأن تروى، حين وقعت فى قبضة

الثوار . وأرادوا أن يعدموها . فاستمهلتهم قليلا بحجة أنها حامل . فأمهلوها يوما ولم تكن حاملا فى الواقع، ولكنها أرادات أن تكسب بضع ساعات، لا لتحاول خلالها الإفلات من مصيرها المظلم، بل لعلها تتمكن خلالهامن أن تترك وراءها أثرا يذكرها به بنوها وفى اليوم التالى – قبيل إعدامها – أرسلت إلى الثائر القاسى "فوكييه تانفيل" وريقة قالت فيها :

"سيدى : أننى لم أدنس فمى بهذه الأكذوبة التى انتحلتها. إلا كى تتاح لى فرصة أترك فيها أثرا لأطفال يذكروننى كلما رأوه" .

وضربت الحسناء شوازيل بيدها زجاج النافذة فانكسر، فتناولت قطعة منه، وجزت به جدائل شعرها الذهبى الجميل .. وتركت هذه الجدائل لأبنائها . ولا يزال أحفادها حتى اليوم يحتفظون بالوريقة وبالجدائل الذهبية الفاتنة .

وتعاقبت على القصر بعد ذلك عدة غراميات، لعل أشهرها قصة الأمير البرت الأول، الذى أحب أميرة فرنسية جميلة، وخطبها لنفسه، وفى ليلة الزفاف، عرف انها ليست عذراء، أحلامه المنشودة .. وعرف اكثر من ذلك، انها تنتظر مولودا بين لحظة واخرى ! وكانت الفضيحة، وتم الطلاق بين العروسين، وتزوج الأمير دوقة ريشيليو ثم خلفه على عرش موناكو، الأمير لويس الثانى . وكان هو الآخر بطل قصة غرام كادت أن تطيح بعرشه لقد أحب فتاة متواضعة من الشعب كانت أمها "غسالة" فى شمال أفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى، ورزق منها – سفاحا – طفلة اعترف بها أبوها، وحملت اسم دوقة فالاتينوا، واعتلت هذه الابنة غير الشرعية عرش الامارة فيما بعد !

المهم أن حسناء السينما العالمية جريس كيلي سعت إلى عرش هوليوود، وعندما أدركته كان تاج موناكو بانتظارها .. وجلست على العرش ووضعت التاج على رأسها، حتى قبل أن تصبح أميرة !!

وعندما بدأت الأخبار تلوح في الأفق باحتمال زواج أميرهم المحبوب من فاتنة السينما، و صاحبة الرصيد الأكبر من الشعبية، راح ثلاثون ألف مواطن، تتالف منهم امارة موناكو على شاطىء الرفييرا، يبتهلون إلى الله أن يتم زواج أميرهم بنجمة السينما الأمريكية، وأن ترزق منه مولودا ذكرا، و قد كان .. ولهذا الزواج قصة، و لكن انتهت بمأساة مروعة بدأت تحل معها لعنة العائلة على بقية أفراد الأسرة !!

بدأت القصة فى مهرجان السينما الذى أقيم بمدينة كان، فقد انتهزت مجلة " بارى ماتش " هذه الفرصة، ودعت النجمة السنمائية جريس كيلى – وكانت بين نجوم المهرجان – إلى زيارة لقصر الأمير رينيه أمير موناكو، حتى تلتقط لها فيه بعض الصور .

واعتذرت جريس عن الذهاب فى الموعد الذى حددته لها المجلة، بعد استئذان الأمير، لأنها ستكون المضيفة فى حفلة شاى يقيمها الملحق الأمريكى فى كان، ولكن مندوب المجلة أقنعها بأن زيارة القصر ستكون بعد الظهر، ولن تمتد إلى الساعة الثامنة مساء، موعد حفلة المللحق الأمريكي .

وركبت جريس سيارة مدير دعاية الشركة التى تعمل بها، وكان هذا ينهب طريق الريفيرا المتعرج نهيا، بينما أنطلقت خلفه سيارة مصورى المجلة .

وفجاة توقف مدير الدعاية، فقد ظهر أمامه جرار ضخم يسد الطريق، ولم تستطع السيارة المتابعة أن تقف على بعد مناسب، فاصطدمت بسيارة كيلى وهشمت مؤخرتها، واضطرت القافلة أن تسير ببطء، حتى تصل لقصر الأمير بأمان وفى الطريق – عند مدينة نيس – التقى موكب جريس بموكب النجمة الإيطالية جينا لولو بريجيدا .

وأراد مندوب الدعاية أن يلتقط مجموعة من الصور لجريس وجينا، ولكن مندوب المجلة منعه من ذلك، لأن النهار كاد ينتصف والأمير فى قصره ينتظر .

وعلى مقربة من القصر، شعرت جريس بجوع شديد، فعرجت القافلة على أحد الفنادق، وأمرت جريس ببعض الشطائر، ولكنها ما كادت تقضم لقمة حتى أقبل مندوب المجلة يدعوها للذهاب إلى القصر، فقد رأى العلم يرفرف عليه، ومعنى هذا أن الأمير موجود و فى الانتظار .

وفى القصر تبين أن الأمير لم يحضر بعد، وأنه يتناول الغداء فى مكان آخر، وقد أمر بأن يسمح للنجمة ومرافقيها بالطواف بين أرجاء القصر .

والتقط مندوبو المجلة عدة صور للنجمة المتالقة فى عدة أوضاع بالقصر، وعندما بلغت قاعة العرش وجدتها خالية، فطاب لها أن تجلس على المقعد الذهبى، وتضع التاج على رأسها !

وكانما كانت تتنبا بما سيكون .. فبعد ساعة، وبينما جريس تتأهب للانصراف، إذا الأمير يقف أمامها وجها لوجه، يحييها ويرحب بها، ثم يصحبها فى جولة بحديقة الحيوان فى قصره .

وفغرت جريس فمها دهشة عندما رأت الأمير رينيه الثالث يمسك قضبان قفص الأسد بيديه فى شجاعة نادرة، غير حافل بشراسة ملك الغابة، وشعرت بنوع من الإعجاب برجولته .

وعندما انصرفت جريس، ظل الأمير يتابعها ببصره حتى اختفت .. وتسلل النبأ خارج أسوار القصر، وأيقن سكان موناكو أن شيئا لابد أن يحدث بين الأمير وفاتنة السنيما الأمريكية، وعلقوا عليها أملا كبيرا فى أن تمنحهم ولياً للعهد !

وما هو إلا أسبوع واحد حتى طار الأمير إلى كاليفورنيا، وطلب القرب من والد النجمة التى حملت قلبه معها إلى هوليوود، وأعلنت خطبتهما، ولم تمض أيام حتى وضعت جريس على رأسها تاج أماراة موناكو، لتصبح الأميرة جريس كيلى، ولو أن السيارة التى حملت جريس إلى قصر الأمير، تهشمت من أثر الصدمة، أو لو أن

الأمير تاخر عن الحضور إلى القصر .. لو حدث شيء من هذا لما كان اللقاء الذى دبرته مجلة " بارى ماتش " ولما تم الفصل الأول فى قصة غرام ملكى، الذي أسمته الصحف العالمية " زواج القرن العشرين "، و ذهبت الصحف الأمريكية إلى حد تصوير الزواج على أنه نصر لامريكا، التي يمكن أن تكسب حليفة قوية جديدة، هى إمارة موناكو عن طريق الغرام !

وتساءلت صحيفة " لوموند " الفرنسية : " هل هذا الزواج إيذان بأن تتحول أمارة موناكو إلى قاعدة حربية أمريكية ؟ ! "

صحف أخرى هاجمت الأمير، وقالت إنه غير كفء لعروسه، وأبدت تعاطفها مع النجمة الجميلة، التى تزوجت الشريك الذى لا يلعب فى كازينو القمار " !

وجريس كيلى رغم ما قيل كانت من أسرة ثرية و ذات مكانة في أمريكا فأبوها "جون كيلى " كان من أصحاب الملايين، و لكنه كان عصامياً، بدأ حياته بناء بسيطا، يحمل الأحجارعلى كتفه، ويرصها بعضها فوق بعض، بعد أن يربطها بالملاط . وكان أبوه هو الآخر فلاحا أمريكيا فقيرا يعمل فى الأرض بفأسه وبيديه !

ولكن لجون كيلى – أبى جريس – قصة كفاح، فعندما خاضت أمريكا غمار الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧، ذهب مع المحاربين إلى فرنسا، وعقدت بطولته على صدره عدة أوسمة ونياشين وفى ميدان القتال، استقر عزمه على بناء مستقبله بأسلوب جديد، يصبح هو فيه سيد نفسه، لا أجيرا عند الناس ووضعت الحرب أوزارها سنة ١٩١٩، وعاد جون كيلى إلى فيلادلفيا، ليستقبله شقيقاه ن وقد كان شقيقاه هذان أوفر منه نصيبا فى العلم وحظا فى الحياة، فاولهماجورجكيلى، الكاتب المسرحى المعروف فى برودواى، وثانيهما والتر كيلى، النجم الهزلى المشهور وأقضى جون لشقيقيه بما يعتزم . فقد ما اليه هدية لطيفة.. شيكين بمبلغ سبعة الاف دولار، جعلها جون راسمالا له فى إنشاء مصنع للصلب .

وهكذا تحقق حلمه، وأصبح الرجل سيد نفسه وجعلت أعماله تتوسع عاما بعد عاما. واقتحم ميدان المقاولات .. فاصبحت اكثر البيوت فى فيلادلفيا تحمل لافتات باسم المقاول الذى صنعها : جون كيلى .. وانتهى أمره بأن اصبح من أصحاب الملايين ولكن لكل قصة نجاح حافز يكمن وراءها .. فما هو الحافز فى قصة نجاح جون كيلى؟

لعل هذا هو أطرف ما يروى فى هذه المناسبة كان جون كيلى البناء المتواضع رياضيا نابها فى ميدان التجديف . وقد أدرك أعضاء نادى " فسبر " الأمريكى الأنيق، مقدرة هذا البناء المتواضع، فاحتضنوه، وضموه إلى ناديهم، وكانوا ينظرون إليه وهو قادم إليهم عصر كل يوم، وآثار الأسمنت فى يديه وفوق ثيابه، ولا يملكون إلا الإعجاب بذراعيه القويتين حينما تضربان الماء فى سيطرة واعتداد بالنفس .

وبعد عام واحد من رجوعه من الميدان، اختير للاشتراك فى الالعاب الاوليبمية . ثم ذهب إلى انجلترا ليشترك فى المباراةالكبرى للتجديف، التى تقام فى " هينلى " تحت رعاية الملك نفسه وتسأءل منظمو المباراة، من يكون هذا الامريكى، فقيل لهم انه بناء متواضع، يعمل بيديه، ولكنه رياضى فذ وتقطبت وجوههم وقالوا :

– نحن فى غاية الأسف .. واستداروا إلى جون كيلى، وصارحوه بقولهم :

– إن سباق هينلى محجوز لطبقة السادة المهذبين " الجنتلمان " وحدهم، وانت لست منهم لست " جنتلمان " .. ومع السلامة !!

وكانت الإهانة قاسية على الشاب، الذى حملها فى نفسه، وصمم على الثار، ولو بعد عمر طويل وذهب إلى الالعاب الاوليمبية، وجذف بمجدافيه فى عنف حتى تهرأت بشرة يديه، ولكنه استطاع أن يترك بطل مباراة هينلى وراءه بأشواط وأشواط !

وكانت هذه أولى خطاه فى الثأر من الإنجليز، وبعد أن نزل من زورقه، لف قبعتهاالمنتصرة فى لفافة، وأرسلها إلى " حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى – بقصر بوكننجهام " .

وأرفق بها بطاقة كتب فيها عبارة ساخرة :

"مع تحيات لاعب أوليمبى ليس جنتلمانا محترفا !"

ولم تهدأ ثورته،، وأدراك أنها لم تهدا إلا إذا غزا اسمه سباق هينلى بأية وسيلة، وليست هناك وسيلة أجمل من أن يثرى، ويتزوج، وينجب ولدا ينشا فى ظل النعمة والرياضة معا، فاذا ما كبر، استطاع أن يذهب إلى " هينلى " ويغزوها دون أن يعترض عليه أحد ويقول له :

- إنك لست " جنتلمان " فأنت تعمل بيديك!

وتزوج جون كيلى، ورزق، طفلة أسماها مرجريت، ودللها بتسميتها " بيجى "، وفى سنة ١٩٢٧، رزق ولدا أسماه باسمه، ليحقق أمنية حياته .

ومنذ جعل جون كيلى يجاهد، ويعمل ليل نهار لكى يشب ولده من أبناء النعمة وأتى الجهاد ثمراته، وأثرى جون كيلى ثراء فاحشا، واصبح من أصحاب الملايين وبدا يدرب ولده – جون الصغير – على الرياضة وعلى سباق الزوارق، وهو ابن سبع سنوات وجاء اليوم الموعود فى سنة ١٩٤٧ وأختير جون الصغير للالعاب الاولمبية وهو طالب بجامعة بنسلفانيا، وابن ثرى من أثرياء فيلادلفيا، ولم يشتغل بيديه أبدا !

وذهب الولد إلى هينلى، وانتقم لأبيه، وربح السباق ! ثم مرت الأيام، وجاء أمير موناكو إلى البناء القديم يخطب ابنته وابتسم الشيخ لفكرة طرات على ذهنه .. ولعله قال لنفسه :

- الآن أصبحت أبا لأميرة على دولة فى الأرض ! الآن .. أستطيع أن أتلقى من ملك بريطانيا دعوة إلى العشاء فى قصر بوكنجهام !

ويبدو هذا من إجابته على الصحفيين عندما سألوه رأيه فى زواج ابنته :

قال : لقد التقت ابنتى بالأمير رينييه على شاطئ الريفييرا عندما كانت تمثل فليم " امسك حرامى " .. انظروا بمن أمسكت !؟

وهكذا أمسكت جريس كيلى بأميرها رينييه، لتقيم معه فى قصره الذى يشبه القلعة الحربية، فعليك إذا أردت الوصول إليه، أن تجتاز ثلاثة صفوف عتيدة من الحراس الأشداء، فالدخول إلى قصر باكنجهام حيث ملكة بريطانيا أهون شأنا من الدخول إلى قصر الأمير رينييه !

وهكذا و برغم كل ما كانت تحظى به جريس من شهرة وبريق وتوهج وسحر إلا أنها أدركت أن زواجها من الأمير رينيه موضوع آخر سوف يضعها في مكانة متميزة يصعب أن تصل إليها نجمة سينمائية، حيث ستحمل لقب أميرة!!

ويبدو أنها حسبتها جيدا فالسينما رغم كل ما تمنحه من مجد وشهرة وبريق وثراء لن تدوم كثيرا، ونجمة السينما مهما حققت من نجاح فكل ذلك مرهون بسنوات الشباب وتألق الأنوثة!!

ولم تتردد جريس كيلي في اختيار لقب الأميرة الذي ظل ملازما لها حتى بعد مصرعها في حادث سيارة مؤلم في سنوات السبعينيات، و لهذه الفاجعة قصة امتدت حتى الألفية الثالثة !!

ففي يوم ١٣ سبتمبر ١٩٨٢ انتهت الحدوتة الجميلة التي عاشها العالم بمأساة.. بموت البطلة وبعد ٢٠ سنة من هذا الحادث ظل مكانها شاغرا في حياة الأمير، وحتى رحيله !!

كان حفل زواج الأمير والنجمة يوم ١٩ ابريل ١٩٥٦ حديث العالم.. شارك ٥٠٠من المدعوين في حفل الزفاف بينهم أفا جاردنر.. الملك فاروق ملك مصر السابق.. أغاخان وزوجته. كان أول زفاف ملكي ينقله التليفزيون بالبث المباشر وتابعه ٣٠مليون مشاهد.

ومضت الحياة سعيدة بالزوجين ورزقا بثلاثة أطفال.. كارولين والبرت وستيفاني. لم تتخل جريس كيلي الأميرة لحظة واحدة عن امومتها. لأداء واجب رسمي.

واستمرت جريس كيلي تقدم صورة المرأة المشرقة حتى توالت الأحزان على جريس الأم.. علاقة ابنتها كارولين مع فيليب جونو وأصرت جريس مع الأمير ألا يتزوجا وطبعا كان هذا القرار في رأي الابنة الشابة تفكيرا رجعيا يعود إلى عصر مضى. ورضخت كارولين وتزوجت وفشل الزواج كما توقعت جريس كيلي.. وطلقت الابنة وعمرها ٢٣ سنة وترملت وعمرها ٣٣ سنة وتألمت الأم في صمت. وزاد من متاعبها سلوكيات ستيفاني الأميرة الشقية والمتمردة وكانت جريس تعتبرها كنز حياتها. المتاعب سببت لها الكثير من الإحباط في الثمانينات ولم تعد تتصور أنها ستقوي أن تظل دوما جريس كيلي الساحرة. ومع بداية ١٩٨٢ بدأت تعاني من صداع عنيف كان يؤثر على نظرها.

وسط هذه الظروف استقلت سيارتها يوم ١٣ سبتمبر ١٩٨٢ وجلست خلف عجلة القيادة وصحبت ستيفاني معها. لم تكن جريس تحب القيادة بسبب ضعف بصرها ومع ذلك في صباح هذا اليوم استغنت عن السائق وقادت السيارة بنفسها لتعود من منتجع الأسرة في الجبل إلى موناكو. يمتد الطريق لعدة كيلومترات ولكنه كثير المنحنيات. وعند آخر منحنى كانت النهاية المأساوية لأسطورة جريس كيلي. ولم تهدأ الألسنة وراجت الشائعات.. وهي اتهامات تظهر كل سنة عند الاحتفال بذكري وفاة الأميرة جريس كيلي.. من ضمن ما تردد أن هناك من قاموا بتخريب السيارة بإيعاز من عصابات المافيا.. وأن الأميرة كانت ضحية لثأر قديم.. وتبين أن السيارة كانت سليمة لا أثر لتخريب مسبق.

وبعد ٢٠ سنة قررت الأميرة ستيفاني ٣٧ سنة أن تخرس الشائعات التي تعذبها منذ وفاة والدتها من حادث السيارة المشئوم. قررت لأول وآخر مرة أن تضع نهاية للأقاويل البشعة ويكفي أن حياتها كلها تأثرت بهذا الحادث.

لم تخرج ستيفاني سليمة من الحادث. أصابتها كسور عديدة وجراح بدنية ومعنوية.. وأكثرها ايلاما اكتشافها عند مغادرتها المستشفي بأنها متهمة بأنها هي

التي كانت تقود السيارة وليست امها. وتؤكد بأنها لا تلوم نفسها عن أي شيء سوي أنها عاشت بعد هذه المأساة.

وتقول ستيفاني بثقة وحسم : لم أقم أبدا بقيادة السيارة لأني لم أكن قد حصلت بعد على رخصة القيادة وكنت قد انتهيت فقط من تعلم القيادة وكان والدي حازما بخصوص هذا الموضوع. وأول رجل شرطة في موناكو كان سيسعده أن يوقفني في الحال وأنا أقود بدون تصريح الشاهد الوحيد سائق شاحنة على الطريق هو الذي أكد أن أمي هي التي كانت وراء عجلة القيادة. وفي سرعة البرق هوت السيارة في منحدر الجحيم. لم نستخدم يومها حزام الأمان وإلا كنت توفيت في اللحظة إن قوة دفع السيارة قذفت أمي على المقعد الخلفي وأنا داخل السيارة. تحطم الجانب الأيمن تماما واضطر رجال الإنقاذ إلى إخراجنا من الجانب الأيسر حيث عجلة القيادة فاعتقد الكثيرون أني التي كنت أقود السيارة. لم أعد أتحمل مثل هذه الشائعات.

وبعد ٢٠ سنة يسألونني عن كافة التفاصيل.. أنا لست جهاز كمبيوتر ولا إنسانا آليا.. لا أتذكر كل التفاصيل.. ما أذكره أنها كانت لحظة رعب.. مثل أي حادث سيارة يقع على الطريق. الجميع هرعوا للإنقاذ.. رجال مطافئ ورجال شرطة.. وإذا سئل أحد منهم عن ترتيب الأحداث لن يستطيع الإجابة. كنت جريحة ومصابة في رأسي وعنقي وأسناني ولساني.. ولهذا لم أستطع المشاركة في تشييع جنازة أمي.. كنت طريحة الفراش في المستشفي لا أستطيع الحركة وتابعتها عبر التليفزيون في حجرتي .

وتضيف الأميرة ستيفاني..

أقاويل وإشاعات.. أدت إلى خلق حكايات غامضة عن الحادث.. اعتقد أني لا أستحق مثل هذه الآلام.. وأرجوكم كفاكم.. اتركوا لي حقي في تربية أطفالي بهدوء وأن أتقدم في حياتي بسلام. إن الإصرار على سرد هذه الحكايات يعذبني..

وتسترسل الابنة في حديثها.. و تقول : بعد هذا الحادث عشت حياتي بسرعة كبيرة جدا بدنيا ومعنويا لأني بعد أن كدت أفقد كل شيء أردت أن أفعل كل شيء. فقد أدركت أني في لحظة كدت أن أفقد حياتي نفسها ولذلك أقدر كل لحظة أعيشها إن من لم يعش الألم أو الموت عن قرب لا يمكنه تقدير الحقيقة. كان أملي كبيرا عندما أخبروني في المستشفي إني سأستطيع السير من جديد ولكن سعادتي اختنقت بداخلي عندما أخبروني بوفاة أمي.

وقال أحد الشهود وهو قريب جدا من الأسرة.. جدير بالذكر أن جريس كيلي في هذه الفترة كانت تعالج بالكورتيزون لمشاكل في الدورة الدموية. والصور التي التقطت في هذه السنة تبين انتفاخا خفيفا في وجهها يسببه هذا الدواء.

جاء التشخيص الطبي الأخير نزيفا حادا في المخ. ولن تجدي أي جراحة لأنها في حاجة إلى معجزة .

التفت الأسرة حول سرير ستيفاني. وفي الحجرة المجاورة بالمستشفي ترقد الأميرة جريس فاقدة الوعي تماما. وفي الساعة العاشرة لفظت النجمة الأميرة أنفاسها الأخيرة. وصدر البيان الرسمي يحدد الوفاة بيوم الثلاثاء ١٤ سبتمبر هذه هي الحقيقة.. بقي أن تتصوروا عذاب ورعب ستيفاني الشابة وهي وحدها وسط هذه الكارثة ألا يكفيها أنها رأت أمها تموت بين يديها. أرجوكم لا تحملوها أكثر من ذلك.. لا تحملوها ذنبا لم ترتكبه. وأضم صوتي لصوتها.. اتركوها تواصل حياتها في سلام.

بقي أن نقول إنه بعد رحيل جريس كيلي بدأت صحة الأمير رينيه الذي صدمه رحيلها تسوء، و ظلت لسنوات طويلة تنهار تدريجياً من فرط تألمه، و كذلك لأن اللعنة لم تنته بمصرعها، و لكنها امتدت لطول سائر أولاده .. فضائح .. اغتيالات، حتى توفي الأمير فجر يوم الرابع من يوليو عام ٢٠٠٥، بعد حكم استمر أكثر من ٥٥ عاما، في أطول فترة حكم في أوروبا، على عرش إمارة تولى حكمها بحكم الأمر الواقع ابنه الأمير البير الذي أصبح البير الثاني.

ورغم رحيل كيلي قبل عقود، إلا أن مسابقة عالمية أجريت في عام ٢٠٠٦ لاختيار أجمل وأحب الممثلات في تاريخ السينما، إلا أن النتيجة لم تحمل ممثلات الجيل الحالي اللاتي تملأ صورهن أغلفة المجلات وشاشات التلفزيون.

في الحقيقة احتوت القائمة لأجمل النساء على الإطلاق ونشرتها مجلة" New Woman "على بعض من هؤلاء ولكنهن لم يظهرن في المراكز الأولى من القائمة التي جاءت على رأسها أسطورة هوليوود جريس كيلي و بعدها في الترتيب أودري هيبورن.

وكشفت المسابقة أنه حتى بالنسبة لنساء العالم الآن لا تزال كيلي تسحرهن بما كان لها من أناقة وجمال طبيعي تعجز الكثيرات عن تقليده، وإن كن يحلمن بالوصول إلى درجة من الأناقة والسحر التي تميزت بهما نجمة هوليوود و موناكو.

وصوتت ٥٠٠٠ امرأة على القائمة التي ضمت ١٠٠ اسم ». وتلت هيبورن أميرة موناكو، غريس كيلي، التي كان تحولها من ممثلة محبوبة إلى أميرة قصة من القصص الخيالية في القرن العشرين. وتلت كيلي صوفيا لورين ومارلين مونرو.

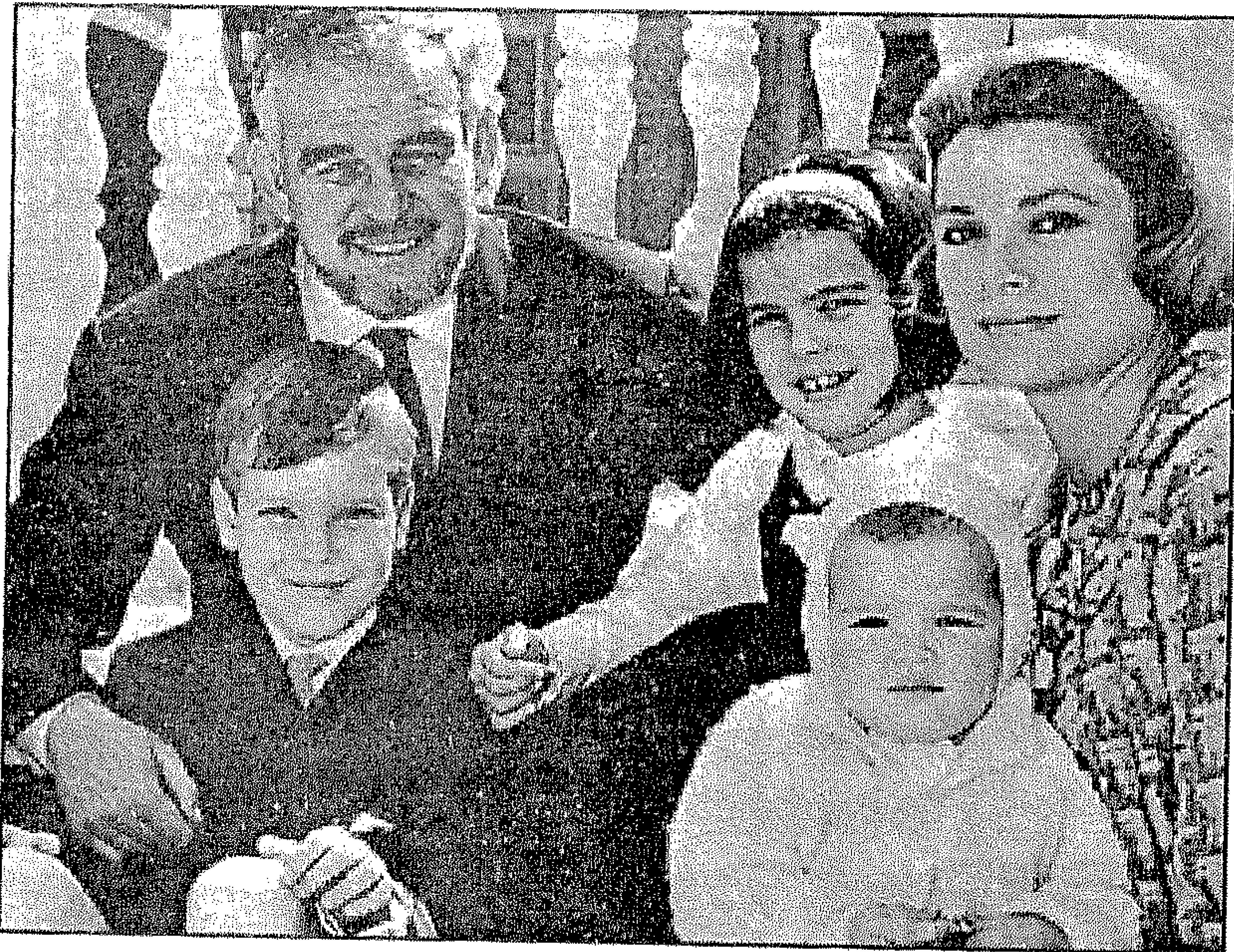
ورغم سيطرة الجيل القديم من جميلات هوليوود على بداية القائمة، الا ان بعض النجمات الحاليات دخلن في المنافسة واحتللن مواقع متقدمة أمثال انجلينا جولي التي جاءت في المركز السادس، فيما احتلت باريس هيلتون الرقم ٩٩ في القائمة، وهو ما اعتبره معدو الاستفتاء علامة على أن الشهرة وحدها لا تصنع امرأة أنيقة وجذابة.



نجمة هوليوود الساحرة جريس كيلي بعد أن أصبحت أميرة موناكو بارتباطها بالأميررينيه .



لقطة من الزفاف الأميري .. زواج القرن العشرين .



الأسرة السعيدة قبل أن تنفصم عراها وتنقلب سعادتها إلى شقاء !!

٢ - الأميرة كارولين

لا حب يدوم ولا زوج يعيش !!



•• ولم تجد الأميرة بعد مصرع الأم سوى الفشل ومصرع الرجل الذي أحبت !!

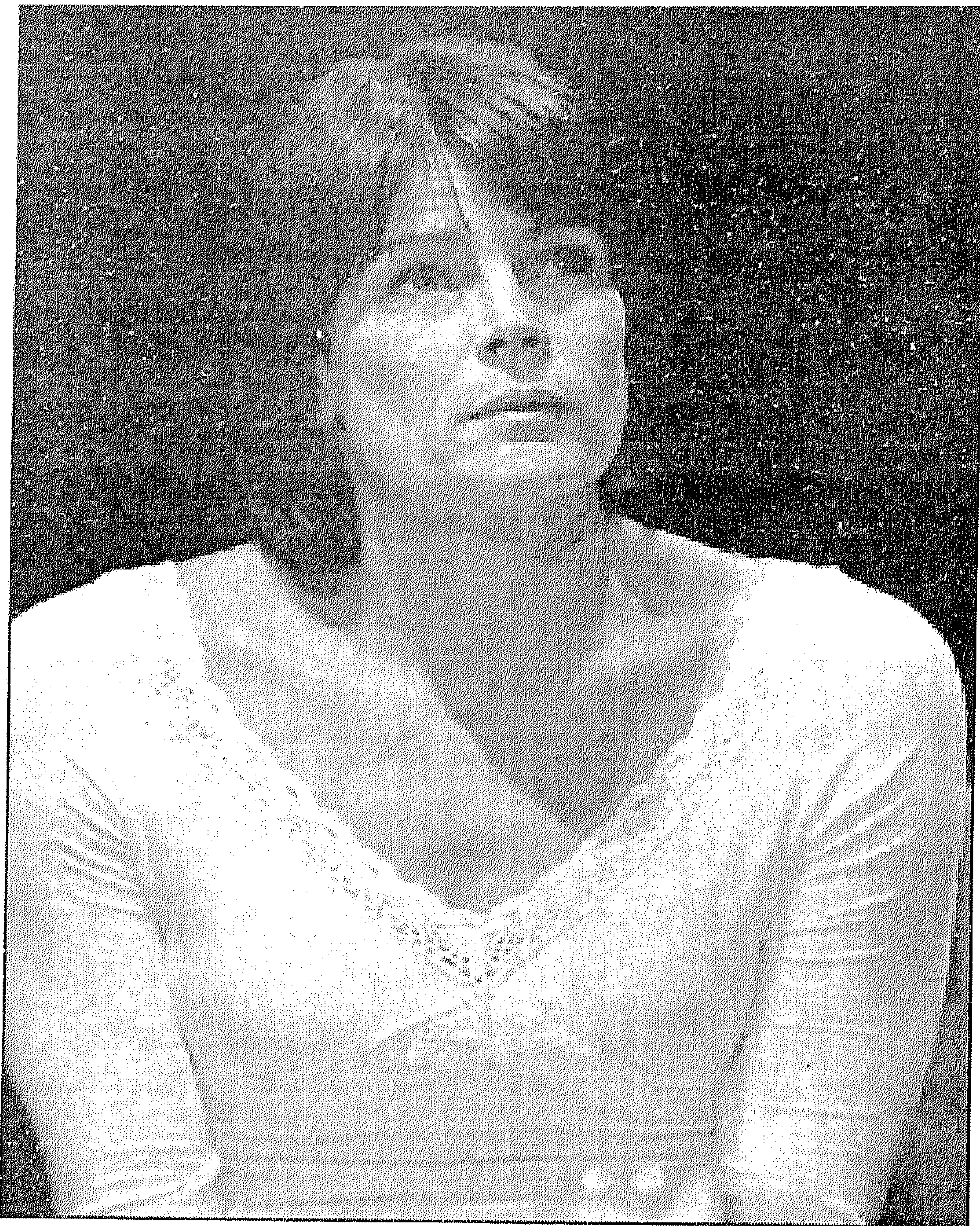
بعد ثلاثة أيام من صدمتها برحيل والدها رينيه الثالث أمير موناكو، تواجه الأميرة كارولين صدمة ثانية تتمثل في الأزمة الصحية التي فاجأت زوجها الأمير الألماني أرنست ـ أوغست دوهانوفر واستدعت إدخاله غرفة الإنعاش في مركز الأمير غرايس الطبي في مونتي كارلو. ويبلغ دوهانوفر، وهو الزوج الثالث لكارولين، الحادية والخمسين من العمر، وأفاد الأطباء بأن حالته حرجة لأنه يعاني من التهاب في البنكرياس يتطلب علاجا مكثفا.

وكانت كارولين، وهي كبرى أبناء أمير موناكو الثلاثة من زوجته الأميرة الراحلة جريس كيلي، قد تزوجت في مطلع شبابها وخلافا لرغبة أسرتها، من فرنسي يدعى فيليب جونو، يكبرها في السن كثيرا. وأدى فشل ذلك الزواج إلى اشكالات مع السلطات الدينية التي تحرم الطلاق لأتباع الكنيسة الكاثوليكية. وانتظرت الأميرة سنوات إلى أن وافقت الكنيسة على اعتبار زواجها الأول لاغيا، الأمر الذي أتاح لها الارتباط بالثري الإيطالي الشاب ستيفانو دي كاسيراغي، وأنجبت منه ثلاثة أبناء.

ولقي الزوج الثاني مصرعه في حادث سباق للزوارق السريعة، فجاءت وفاته صدمة مفجعة لكارولين التي كانت الحياة قد بدأت تبتسم لها بعد مقتل والدتها في حادثة سيارة عام ١٩٨٢. لكنها قاومت احزانها وتشبثت بما اشتهر عن ابناء اسرتها من حب للحياة، وعثرت على سعادتها مجددا في الزوج الثالث الذي يحمل لقبا نبيلا يفوق لقبها الأميري. وانجبت كارولين طفلة من الأمير ارنست ـ اوغست الذي صارت تعرف باسمه: «أميرة هانوفر».

٣- الأميرة ستيفاني

المصائب لا تأتي فُرَادَى !!



•• وراحت تأخذها الحياة من مصيبة لأخرى وأصبح لقب أميرة آخر شيء يمكن أن يجلب لها السعادة !!

اعتادت الأميرة ستيفاني ابنة أمير موناكو الراحل رينيه والنجمة العالمية الراحلة أيضا جريس كيلي التمرد على التقاليد الملكية خاصة فيما يتعلق بأمور الزواج والطلاق فرغم انتمائها الملكي وسلالتها ومكانتها الاجتماعية فقد ضربت عرض الحائط وخالفت إرادة عائلتها في معظم زيجاتها وارتباطاتها.

فمن زواج من حارسها الشخصي إلى إنجاب من حارس آخر، إلى ارتباط عاطفي بمدير سيرك، إلى علاقة مع كبير الخدم في القصر، وبعدها زواج مفاجئ في سويسرا من لاعب في سيرك يصغرها بنحو عشر سنوات، من دون حضور أحد من أفراد عائلتها، وحتي من دون إعلامهم بالأمر. وكانت الأسرة المالكة وأعيان موناكو قد أعلنوا عدم انتماء الأميرة للأسرة لإساءتها الشديدة لسمعة والدها الأمير رينيه في مرات عدة، فهي لا تكاد تخرج من مغامرة حتى تدخل في أخرى.

فحكايتها مع أبطال السيرك معروفة للجميع وشكلت محكا ومنعطفا قاسيا لعلاقتها مع عائلتها ومجتمعها وطبقتها ككل وكانت الأميرة التقت شخصا يدعى فرانكوني وكان يعمل بالسيرك وانجرفت هي في علاقتها معه لدرجة أنها تركت البذخ والجاه وبدأت تتجول برفقته مع أطفالها الثلاثة لويس وبولين وكامي وكانت تنام في داخل خيام السيرك مع أولادها مما أثار سخط أسرتها الملكية.وكانت ستيفاني قد تورطت في علاقات مع العديد من الأشخاص منهم سائق فورمولا فرنسي ومحتال عالمي والممثل جان كلود فان دام.

ولعل فضيحتها مع حارسها الشخصي دانيال دوكرييه هي الأقوى بسبب إنجابها منه طفلا وطفلة واستمرت معه رغم تفاقم الأزمة خاصة مع والدها والأسرة المالكة.

ثم أقامت علاقة مع شاب من أصل فرنسي انتهي الأمر به إلى مقتله على يد إحدى العصابات .

آخر أخبار الأميرة هو ما حدث في شهر ديسمبر عام ٢٠٠٦، عندما حكم على سائق سيارة أجرة وقع في غرام أميرة موناكو ستيفاني التي انتظرها أمام منزلها "ليقدم لها علبة شوكولاتة" لكن عثر على مسدس في سيارته بالسجن عشرة أشهر مع النفاذ.

وقال مصدر قضائي إن الرجل أعلن اولا في ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٦ عبر فاكس للقصر الأميري مجيئه إلى منزل ستيفاني في الإمارة "لتسليمها علبة شوكولاتة" بحسب أقواله. وعند وصوله إلى المكان ترك بطاقة مع حاجب المبنى يطلب فيها الإعلان عن وجوده "في حال نزول امرأة شابة".

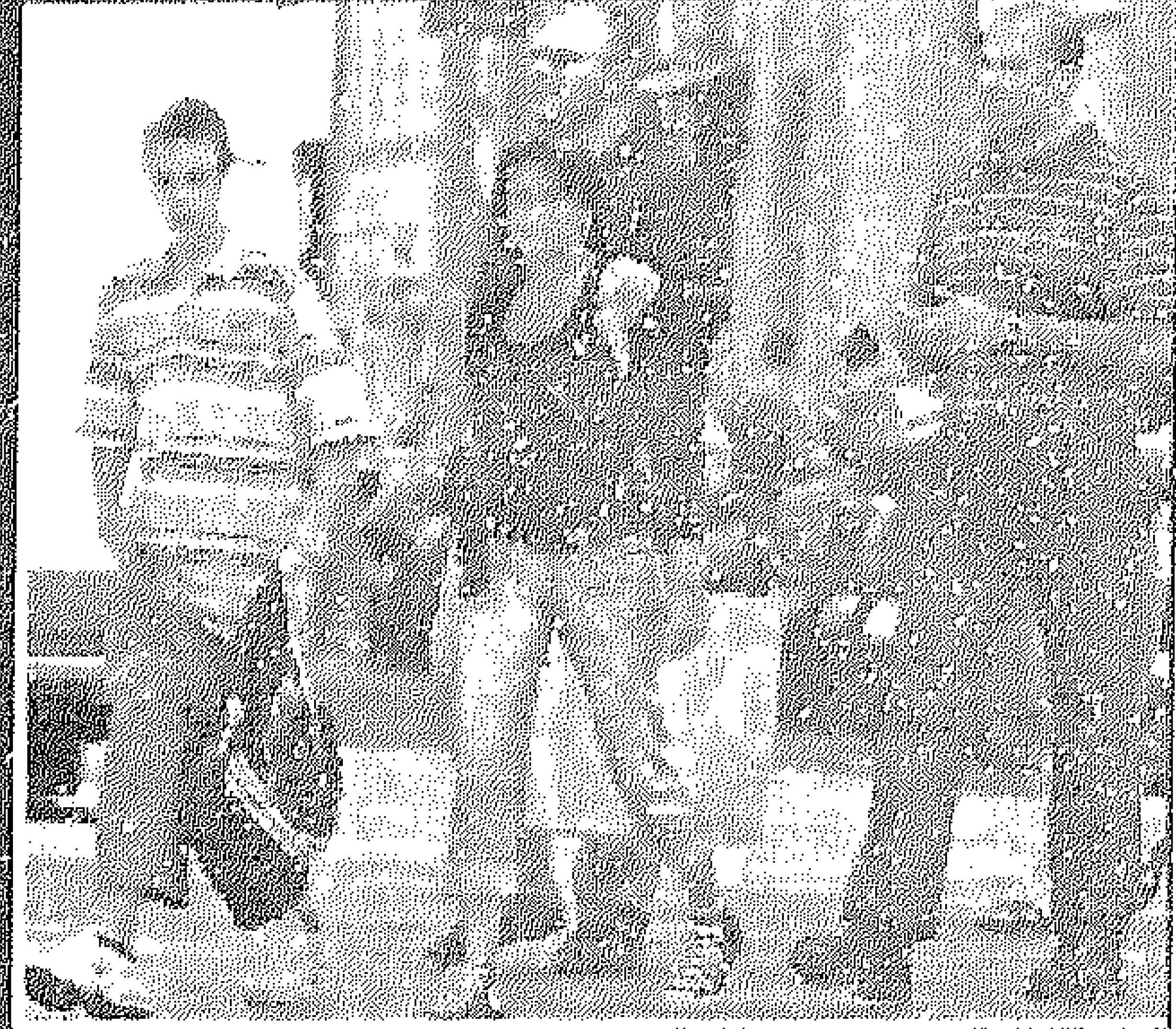
وحينئذ أمسك به رجال الشرطة الذين عثروا معه على عدة رصاصات كما عثروا في صندوق سيارته على مسدس وذخائر أخرى.

وعثر معه ايضا على قنبلة مسيلة للدموع اقر بملكيتها لكن قال ان السلاح وضع في صندوق سيارته بدون علم منه.

وخلص طبيبان في علم النفس إلى أن سائق سيارة الأجرة يعاني من "جنون الحب" وهو اضطراب نفسي يدخل من يقع ضحيته في وهم انه محبوب ويمكن ان يؤدي إلى دوامة "امل وغضب وحقد واعتداء" حيال الشخص الذي يقع في غرامه.

وكان سائق سيارة الأجرة استاجر في مناسبة عيد ميلاد الأميرة الأربعين لوحة إعلانية عند مدخل موناكو كتب عليها "عيد سعيد ستيفاني".





STEPHANIE OF MONACO FINDS SON LOUIS IS A TALL ORDER ON A PARIS SHOPPING TRIP

Princess Stephanie of Monaco always turns heads when she steps out with a handsome young man, but on this occasion onlookers might have been doing a double take for an entirely different reason. The tall male companion joining the Monegasque royal on a Paris shopping trip is actually her 14-year-old son Louis, who now towers over his mother as he hits his teen-years stride.

While her sister Caroline's four children are seen often at official engagements, Stephanie's three kids are less frequently in the spotlight. And so it may come as a surprise to see how her firstborn little boy, whose father is her ex-husband Daniel Ducruet, has sprung up.

Deep in conversation, and dressed alike in distressed cropped jeans and trainers, it's clear that despite their height difference, Stephanie and Louis haven't grown too far apart.

Having started out as such a tiny bundle (below, with parents Stephanie and then-husband Daniel Ducruet), it's hard to believe that little Louis, born in 1992, now easily towers over his mum (above and left)



ستيفاني دائماً حديث الصحافة وفي الصورة مع ابنها من زوجها القتيل الذي تظهر معه وابنها الرضيع أسفل الصورة قبيل مقتله !!

٤ - الأمير البرت ..

وطفل غير شرعي !!



•• ولم يفلت الأمير من لعنة العائلة ولا يزال يبحث عن نفسه ليضع حداً لحالة الضياع العاطفي التي لازمته طويلاً !!

اعتلى الأمير ألبرت الثاني عرش إمارة موناكو في ختام مراسم بدأت عندما أدى الأمير الشاب اليمين الدستورية أمام رعاياه بعد وفاة والده الأمير رينيه بثلاثة أشهر من الحداد .

وكانت مراسم اعتلاء الأمير العرش قد تعرضت لتشويش بعد اعترافه بأن لديه ابنا غير شرعي يدعى ألكسندر عمره أقل من عامين.

وقبيل ذلك لم يكن الأمير ألبرت طرفا في أي فضائح شابت الأسرة الملكية في موناكو، أسرة غريمالدي، التي تحكم الإمارة منذ ٧٠٠ عام.

فقد حرص الأمير العازب على إبقاء حياته الخاصة في إطار بالغ الخصوصية رغم الشائعات بإقامة علاقات مع ممثلات وعارضات من الحسناوات.

وقد صرح لمحطة إذاعة فرنسية بأنه لا يزال يود في الزواج في يوم مًّا، ولكن فقط في الوقت المناسب.

وقال : " أنا لم اقل قط إنني لن أتزوج، ولكني لست متعجلا ذلك" .

و يعتبر الأمير ألبرت الآن أشهر عازب في اوروبا، وبعد تتويجه أميرا على إمارة موناكو أصبح موضوع زواجه شيئا مُلحًّا مما جعل أحدي المجلات الفرنسية ترشح له ست فتيات ليختار من بينهن واحدة .

ولقد أوضحت المجلة أن الأمير صاحب المغامرات النسائية المتعددة يفضل الشقراوات لكنه يحب السمراوات ايضا على ان تكون من عائلة عريقة !؟

جاءت في القائمة الأميرة مادلين ٢٣ سنة الابنة الكبري لكارك جوستاف ملك السويد والتي انهت علاقتها مؤخرا مع صديقها والمشكلة أنها من الممكن ان تسرق الاضواء من أميرتي موناكو شقيقتي العريس والفتاة الأخرى هي جونسون ٢١ سنة و هى ممثلة أمريكية جميلة ولها إسهامات سياسية مع حزب الديمقراطيين وتعيد للاذهان فكرة زواج جريس كيلي والدة البرت من الأمير والد رينية ثم ايفانكا ترامب ٢٣ سنة ابنة المليونير الامريكي الشهير دونالد ترامب، وقد عاشت الرخاء والرفاهية منذ مولدها بالاضافة لجمالها وتستطيع ان تكون عونا لالبرت في جذب مزيد من الاستثمارات للامارة ثم لاعبة التنس ماريا شارابوفا ١٨ سنة بطلة ويمبلدون ٢٠٠٤ وهي شديدة الثراء وعيبها الوحيد رغم صغر سنها انها كانت متزوجة من قبل .

ثم تم ترشح ناعومي كمبل التوب موديل، السمراء صاحبة أجمل سيقان في العالم والتي لها شهرة عالمية لكن معروف عنها طيشها ونزواتها المتعددة وأخيرا سارا بيساسيني ٢٨ سنة ابنة الممثلة الراحلة ردمي شنايدر وهي تسير على نفس نهجها ومعروف عنها النضج والاتزان، فهل سيأخذ البرت بنصيحة المجلة أم أن له رأيا آخر في شريكة الحياة والتي ستقتسم معه عرش موناكو؟

10

الفصل العاشر

لعنة جورج الثالث

حكايات مأساوية ونهايات دراماتيكية!!



١ - الملك جورج الثالث ..

زرنيخ .. صرع .. جنون !!



●● وبعد كل هذه السنين اكتشفوا أن سم الزرنيخ كان هو السبب في إصابته بنوبات جنونه التي قتلته !!

قصة عائلة جورج الثالث ملك بريطانيا و آخر ملوك أمريكا قبل استقلالها عن بريطانيا، قصة تشبه كثيراً الأساطير الإغريقية التي تناولت عائلات منكوبة حلت عليها اللعنة فسسقط الجميع ضحية لها، و دفع الجميع ثمناً لهاً و في مقدمتهم الملك نفسه !!

جورج الثالث من المملكة المتحدة جورج الثالث عاش (١٧٣٨- ١٨٢٠) هو ملك بريطانيا العظمى وآيرلندا (١٧٦٠-١٨٢٠)، وأميرا ثم ملكا على هانوفر (١٧٦٠-١٨١٥ ثم ١٨١٥-١٨٢٠)، وكان حفيدا للملك السابق جورج الثاني.

حاول أن يقحم نفسه وبقوة في الحياة السياسية، أراد أن بفرض سلطته على البرلمان. قام بمحاولة القضاء على مظاهر الحرب التي أشعلتها المستعمرات الأمريكية، وكان يرفض تماما فكرة استقلال أمريكا عن بريطانيا، إلا أن الأمور تطورت في غير صالحه في النهاية. عايش أحداث الثورة الفرنسية، وكانت إنجلترا القلعة الأوروبية الوحيدة التي صمدت في وجه حملات نابليون. نقص اهتمامه بالسياسة منذ سنة ١٧٨٨ في أعقاب ظهور أعراض اختلال عقلي حيث كانت تنتابه نوبات صرع، و قال المقربون أن لعنة حلت عليه بسبب مس الجن له، ثم تطور المرض حتى أجمع الكل على أن الملك لم يعد قادرا على مزاولة نشاطه، فنُصِب ابنه جورج الرابع وصيا عليه في عام ١٨١١ .

وفي شهر أغسطس عام ٢٠٠٥، استبعدت دراسة علمية الربط بين الغيبيات ومصرع الملك جورج الثالث، أو أن مسًّا من جني كان سبباً في مرضه و موته . وربطت الدراسة بدلاً من ذلك بين الزرنيخ وجنون الملك جورج الثالث و موته !!

حيث وجد أخصائيون في علم السموم كميات كبيرة من مادة الزرنيخ السامة في شعر ملك بريطانيا جورج الثالث، يعتقدون أنها قد تقدم تفسيرا لتصرفات كان تصدر عن الملك، واعتبرت في حينها نوعا من الجنون.

وكانت عوارض الجنون التي عانى منها جورج الثالث استحوذت على اهتمام العديد من العلماء الذين درسوا تصرفات هذا الملك الذي حكم بريطانيا في فترة الثورة الأمريكية ضد الحكم البريطاني.

وكان الباحثون أعادوا عوارض جنونه، في دراسة نشروها عام ١٩٦٩، إلى خلل في الدم يعرف باسم "بورفيريا" وهو مرض نادر.

و لكن دراسة تم نشرها مؤخرا في المجلة الطبية The Lancet أوردت أنه تم اكتشاف هذه الكميات الكبيرة من الزرنيخ في عينات من شعر الملك.

ويعتقد الباحثون المسؤولون عن هذه الدراسة أن نوبات الجنون المعروفة عن هذا الملك ربما يكون سببها هذه المادة السامة.

ورغم أن السطور التي خطها الملك جورج الثالث في التاريخ هي سطور انتصار المملكة على نابوليون وتوسيع سيطرتها على العالم، إلا أن التاريخ يذكر هذا الملك أيضا بصفحات الانكسار أيضا، بعد خسارة المستعمرات الأمريكية، ويذكر خصوصا بصفحات تحكي أيام فقد عقله.

ويستدرك الباحثون ليؤكدوا أن ما اكتشفوه لا يتعدى كونه واحدة من النظريات الممكنة، خصوصا أن تاريخ مرض الملك يتحدث عن أوجاع قوية في بطنه كان يعالجها بأدوية قد تكون ربما هي سبب تكون مادة الزرنيخ بهذه الكثافة في جسده.

٢ - الأميرة كارولين ..

ضحية ومجرمة في آنٍ واحد !!



•• وبعد ظهور إشاعة بأن كارولين قد حملت سفاحا، أمر الملك بإجراء تحقيق في هذا الشأن وأطلق على هذا التحقيق اسم "التحقيق الحساس" !!

كان هذا الزواج سياسيا ما في ذلك شك أو من جهة آخرى كان الملك قد ضاق ذرعا بسلوك ولي عهده الذي كان يعاشر سيدة تدعى مسز فتز هربرت معاشرة الازواج فأراد أن يضع حدا لسلوكه المشين، وكان ولي العهد شديد الإسراف إذ بلغت ديونه في عام ١٧٩٢ مايقرب من نصف مليون جنيه، الأمر الذي حدا برئيس الوزراء أن يعرض الأمر على الملك، فقبل ان يسدد ديونه على شرط أن يتولى رئيس الوزراء إقناعه بالزواج من كارولين، وعلى هذا الأساس رضخ ولي العهد لأوامر أبيه في هذا الزواج مرغما.

ونعرف من خلال الأحداث أن الدوق برنزويك والد كارولين أحد قواد الألمان الذين وقفوا إلى جانب انجلترا في حربها ضد فرنسا، وكانت والدتها الأميرة أوجتا أخت الملك جورج الثالث، ولم تكن كارولين جميلة بل كانت قصيرة القامة غير متناسقة الأعضاء، كما أنها لم تكن صغيرة السن بل كانت وقت خطبتها إلى ولي عهد أنجلترا قد ناهزت الثامنة والعشرين ربيعا.

ويقول بعض المؤرخين إن كارولين كانت غير متزنة في أحاديثها بل رماها بعضهم بالجنون.. كما كان مظهرها الخارجي غير حسن وتميل إلى الفحش في الكلام.

وكان ولي العهد يجهل تمام الجهل كل هذه النقائص التي تشين كارولين، ولم يتجاسر احد من الوزراء الذين سبق لهم ان قابلوها وتحدثوا إليها ان يفضوا لولي العهد بذلك، وأن يكاشفوه بحقيقتها وذلك خوفا من الملك الذي كان شديد الرغبة في ان تتم هذه الزيجة بأي ثمن!

المهم أن الملك أرسل بوزيره اللورد مالسلبوري إلى دوق برنزويك للاتفاق معه وتحديد ميعاد لإتمام العقد، وعندما تقابل الخطيبان لأول مرة في انجلترا، اتضح

ان كلامنهما لم يفز باعجاب الاخر، فقد كاد يغمي على ولي العهد عندما شاهدها، حتي انه طلب إلى احد مرافقيه ان يسعفه بكأس من البراندي.

أما هي فقد حملقت في وجهه ببلاهة وقالت لوصيفاتها بالفرنسية (انني أراه ضخما جدا).

وعقد الزواج في ٨ من ابريل سنة ١٧٩٥ بكنيسة (الشايل روبال) وكان ولي العهد في حالة يرثي لها عند اجراء مراسيم العقد، فقد علت وجهه صفرة شديدة، وقيل انه كان ثملا امام كارولين فقد كانت على العكس مبتهجة أشد الابتهاج.

وكان من الطبيعي ان يدب الخلاف بينهما حتي بعد ان انجبا الأميرة شارلوت.. وكان كل واحد منهما يعيش في جناح خاص!

وكان الناس يكرهون ولي العهد لأنه كان مغامرا وزئر نساء، ومسرفا شديد الإسراف في كل شيء حتي بلغت ديونه ستمائة ألف جنيه! وكانوا يحبون كارولين.

وفي عام ١٨٠٤ قام نزاع بين الزوجين على رعاية طفلتهما الأميرة شارلوت، وقد حدث هذا عندما ظهرت إشاعة بأن كارولين قد حملت سفاحا، مما حدا بالملك أن يجري تحقيقا في هذا الشأن وأطلق على هذا التحقيق (التحقيق الحساس) وثبت من هذا التحقيق بأن الاميرة كانت على علاقة مشينة ببعض ضباط الحرس، وانها كانت تعاشر (وليم أوستين) وهو شاب وسيم (ابن مربية ولي العهد) معاشرة مشكوكا في أمرها كثيرا.

وعندما رفع نتيجة هذا التحقيق إلى الملك جورج الثالث، امر باستبعاد اسم كارولين من البلاط الملكي، وقد التمست من الملك أن يستمع إلى دفاعها فلن يأبه لها.

وكان رجال البلاط فيما عدا العدد القليل منهم يحقدون عليها حقدا شديدا لاستهتارها وسلوكها الشائن، ولكن غالبية الشعب الذي لم يكن يدري عن سلوكها شيئا كان في جانبها.

وعندما مرض الملك عين ولي عهده نائبا له، وكانت هي تعيش وحدها في قصر كنجتون ويتردد عليها بعض من كانت على صلة طيبة بهم مثل الشاعر المعروف اللورد بيرون، والكاتب الكبير شارلز لابي، وغيرهما يوغرون صدر الأميرة ضد زوجها لكراهيتهم له.

رغم حب الشعب لها فإنها لم تستطع ان تستغل هذا الحب لمصلحتها، بل ذهبت إلى أوربا تتجول في مختلف مدنها لمدة ست سنوات، وهي تحيا حياة بوهيمية لاتليق بمركزها، واصطفت لنفسها وصيفا ايطاليا يدعي (برجاس).. وأخذت ألسنة الناس تتحدث عنها، ووصل الأمر إلى زوجها فقرر ان ينفصل عنها بأية وسيلة.

ومات الملك جورج الثالث وتولى بعده ولي عهده باسم جورج الرابع، وعندما علمت كارولين بذلك قررت العودة لتكون بجانبه على العرش!

وكانت فرصة أمام الملك للتخلص منها، وكان تحت يده وثائق هامة تثبت عليها الخيانة الزوجية بطريق قاطع، فتقدم إلى مجلس اللوردات برسالة تلاها على المجلس يوم ٦ من يونيو سنة ١٨٢٠، يتهم فيها زوجته بخيانته أثناء وجودها في أوربا.

وعلمت هي بذلك فأرسلت إلى المجلس رسالة تنفي عن نفسها هذه التهم، وأن لديها الشهود على ذلك ولكن اللجنة السرية التي كانت تفحص الوثائق والمستندات التي تقدم بها الملك انتهت إلى القرار الآتي:

استبان لهذه اللجنة من فحص المستندات والوثائق المقدمة ضد الأميرة كارولين، وثبت لديها بطريق قاطع انها أثناء وجودها خارج الجزر البريطانية قد سلكت سلوكا مشينا لايتفق وكرامة مركزها.. إذ شهد عدد كبيرمن مختلف الطبقات، وفي مختلف دول أوربا، شهادة تقطع بان الاميرة كانت على علاقة جنسية مع شخص اجنبي وكانت تعيش معه معيشة مبتذلة. ولما كان هذا السلوك من جانبها لايمس شخصها وحدها بل يمس الشعب البريطاني باجمعه، وكرامة التاج فإن اللجنة تنصح باتخاذ اجراء تشريعي في هذا الشأن.

تقدمت كارولين بدورها إلى المجلس بطلب آخر ألحت فيه على هذا المجلس بالموافقة على سماع شهودها، وكان نصيب هذا الطلب الإهمال التام.

وبعد أيام تقدم نائب مدينة ليفربول إلى المجلس يقضي بحرمان كارولين من حقوقها وامتيازاتها كزوجة للملك، وفي الوقت نفسه بفصم عرى الزوجية بينهما، وكانت المذكرة الايضاحية المرفقة بهذا المشروع، تتضمن شرحا وافيا لما نسب إلى كارولين، إذ بدأت بسرد تفاصيل مغادرتها لانجلترا عام ١٨١٤، وكيف أنها أثناء وجودها بمدينة ميلانو بإيطاليا قد اتخذت لنفسها وصيفا من بيئة وضيعة يدعي (برتولمبو برجاس).

وتذكر المذكرة هذه العلاقة الشائنة ثم تطالب أن تحرم الأميرة من لقبها كملكة إزاء سلوكها المعيب إذ أنها لاتستحق بعد ذلك شرف الاستمرار كزوجة للملك، وأن هذا الزواج يعتبر لاغيا بمجرد صدور المرسوم بذلك من جلالة الملك بناء على رغبة أفراد رعيته الأوفياء الممثلين في هذا المجلس الموقر.

حاولت كارولين من جانبها عرقلة سير القانون، فتقدم اللورد واكر في ٦ من يولية باقتراح بطلب فتح باب المناقشة فيه وسماع أقوال كارولين وشهودها وقد أخذ الرأي على هذا الاقتراح، فوافقت عليه الأغلبية على أن يناقش في جلسة سرية لايحضرها إلا الأميرة والمدافعون عنها.

وفي مساء يوم ١٩ من أغسطس اجتمع البرلمان الإنجليزي بمجلسيه، وبدأ في مناقشة مشروع القانون، واتفق الرأي على استدعاء الأشخاص الذين سئلوا في التحقيق السري وكانت كارولين حاضرة في هذا الاجتماع.

نودي على الشاهد الأول (تيودور ماجوش) وما أن سمعت كارولين اسمه حتي أسرعت إلى خارج القاعة وهي في أشد حالات الهياج قرر الشاهد أمام المجلس بعد حلفه لليمين أنه كان خادما للأميرة أثناء وجودها في أوربا، وأنه يعرف برجاس

عشيقها ويعرف أنه من بيئة وضيعة، وقد اختارته الأميرة وصيفا لها لأنه كان وسيما وقال إنه كثيرا ما رأى الأميرة تتردد ليلا على غرفته وهي بملابس النوم، وتحدث عن سلوكياتها معه عندما سافر مع الأميرة إلى تونس، وسوريا وكيف كان يدخل معها الحمام دون رقيب!!

وأما الشاهدة الثانية فكانت (لويز ديمونت) السويسرية وصيفة الأميرة التي قالت إن هذا الوصيف كان يشارك الأميرة غرفتها مرتديا ثياب النوم، وقد لاحظت أن سريرا واحدا من السريرين اللذين بغرفة الأميرة هو الذي استعمل فقط.

ولم يحضر أحد من شهود الأميرة كارولين ودافع عنها المحامي الشهير بروجرام الذي لم يجد مايدافع به عن الأميرة إلا بتلاوة فقرات من خطابات كان قد أرسلها إلى الأميرة الملك الراحل جورج الثالث، وفي هذه الخطابات يشيد بحسن أخلاقها وصفاتها الحميدة و أنها خير زوجة لابنه ولي العهد. وقال بان شهادة الشهود بنيت على إشاعات لايمكن أن ترقى إلى مرتبة الدليل في مثل هذه الدعوى الدقيقة.

والغريب أن الشعب كان متعاطفا مع الأميرة لكراهيته للملك، ولم يصدق هذه الاتهامات وعندما احتفل في ١٩ من يوليو سنة ١٨٢١ بتتويج الملك جورج الرابع ملكا على البلاد، حاولت كارولين أن تقحم نفسها على هذا الاحتفال بدخول مكانه، إلا أنها منعت من الدخول.

وبعد شهرين من تتويج الملك قضت كارولين نحبها، ونقل جثمانها عبر البحار إلى موطنها الأصلي ألمانيا، حيث ووريت التراب في مدينة برنزويك بجوار أسلافها.

٣- الأميرة إيميليا ..

لم تسلم من اللعنة !!



•• كان من جراء ذلك ان الأميرة إميليا حزنت ونحلت وماتت ثم ترددت شائعات من داخل القصر أنها انتحرت !!

كانت الأميرة أميليا أصغر أولاد جورج الثالث ملك إنكلترا وقد اشتهرت بجمالها الرائع وصفاتها السامية وكان الملك جورج كثير الهموم لما يلحق المملكة من مصائب لأن أولاده جميعهم تعلقو ببنات من العامة فوجه عنايته إلى ابنته إميليا وكان يحبها محبة شديدة وهي أيضا تقابله بالمثل إلا أنها ما عتمت أن وقعت في حب الجنرال شارل فتزروي وكان من المقربين في بلاط أبيها فأحبها كما أحبته ولكن إخلاصه للملك جعله يكتم حبه فكان من جراء ذلك أن الأميرة إميليا حزنت و نحلت وماتت ثم ترددت شائعات من داخل القصر أنها انتحرت !!

وكانت آخر كلماتها أنها أوصت الأميرة ماري أن تبلغ شارل محبتها له وهذه إحدى رسائلها.. قالت :

حبيبي شارل

أرقت -البارحة كثيرا فلم تغمض عيني ولا استقر بي سرير حاولت كثيرا أن أطبق اجفاني فكانت رسالتك الاخيرة تزيد في شجوني وتبعد عني النعاس ولو انك علمت ما سيكون من تأثيرها في ما خططت منها حرفا واحدا ليتك اليوم قريب مني ليتك إلى جانبي فكنت ترى ما ابقاه لي حبك من حشاشة ذائبة وكبد لا تلبث أن يقضي عليه اليأس فأن كان فؤادك قد دب اليه شيئ من الفتور فلماذا تجعلني اعلل نفسي باحلام ذهبية ؟ولماذا تخدعني بغرام اشبه بسحابة صيف تلوح قليلا ثم تنسحب قليلا ألم افتح لك قلبي وافرغ لك ما فيه من حب وآمال فلماذا تحاول ان تستر عن مكنونات فؤادك وتسدل عليها حجابا يحول بيني وبينك أراني معذبة لأجلك يا شارل فإن كان هذا العذاب جزاء حبي لك فانعم به إني أستعذب كل عذاب من أجلك إلا الفراق فإن كان قد قضا به عليَّ فما أشقى القلب الرازح تحت ثقل الحب .

ايميليا





صورتان إحداهما لجورج السابع والأخرى لزفافه إلى إميليا.

مصادر و مراجع

١-غاندي رجل من المدينة البيضاء- أسك زاد – محيط – إعداد - مي كمال الدين.
٢- المهاتما غاندي.. داعية اللاعنف - الجزيرة – ٦يونيو ٢٠٠٢.
٣- "إنديرا غاندي".. المرأة الهندية الحديدية!! أحمد إبراهيم - لَها أون لاين- ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٢ .
٤ – عدى صدام حسين – ويكيبيديا.
٥- محاولة اغتيال عدي صدام حسين وأسطورة الجدار الأمني الموهوم – عبدالحسين الساعدي- الحوار المتمدن – ١٩ يناير ٢٠٠٨.
٦- قصة الأيام الأخيرة في حياة عدي وقصي صدام حسين – خالد المالك – الحياة- ٧ جمادى الثانية ١٤٢٤.
٧- عدنان خير الله طلفاح – ويكيبيديا.
٨- مارلين مونرو كانت ضحية جريمة اغتيال بسبب علاقتها مع بوبي كيندى – صحيفة لوس أنجلوس تايمز – ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٥.
٩- "أمير أميركا" يحكي مأساة جون كيندي الابن – الرياض – ١٦ فبراير ٢٠٠٣
١٠- الآلة التي قتلت كيندى – فهد عامر الأحمدي .
١١- سرحان بشارة سرحان.. هل قتل روبرت كينيدي؟- سي . إن . إن -١٦مايو ٢٠٠٨ .
١٢- الكشف عن وثائق جديدة عن اغتيال كيندي الرئيس الأميركي السابق يتوقع أن تثير مجموعة من نظريات المؤامرة - الشرق الأوسط - ٢٠ فبراير ٢٠٠٨.
١٣- فيلم جنسي لمارلين مونرو وربما جون كيندي يباع بمليون ونصف مليون دولار – وكالة أنباء رويترز -١٥ أبريل ٢٠٠٨.
١٤- ابن غير شرعي لجون كيندي - صحيفة " بوسطون هيرالد " - ١٥ فبراير ٢٠٠٨ .
١٥- تفاصيل جديدة حول عملية اغتيال الرئيس الأمريكي جون كيندي ١٦- د .سمير محمود قديح -٢٨مايو٢٠٠٨ .

١٦- قتل كل من عارضه... بمن فيهم أبناء عائلته - الشرق الاوسط- أول مارس ٢٠٠٨.
١٧- زواج رياض غالي وشقيقة فاروق يشعل فتنة طائفية في مصر- الفجر - ٢يونيو٢٠٠٨.
١٨- الملكة الضليلة - سامي النصف - ٢ فبراير ٢٠٠٨.
١٩- أسرار السياسة والحب - محمود صلاح .
٢٠- الأميرة والحب - الأهرام - ٢٦ مايو ٢٠٠٥.
٢١- من أشهر المحاكمات التاريخية - بيركنهد - تعريب المستشار محمد زكي إسحق .
٢٢- جورج الثالث - ويكيبيديا.
٢٣- كتاب النهاية المأساوية لآل رومانوف - بيير لوران-٢٠٠٥ .
٢٤- نكبة البرامكة - الزمان -١٣يونيو ٢٠٠٨ .
٢٥- الخليفة هارون الرشيد يتخلص من البرامكة - مفكرة الإسلام.
٢٦- المافيا تستغل تاريخها الإجرامي في الضغط على الإدارة الأمريكية - باسم توفيق - الراية - ٢٦نوفمبر٢٠٠٦.
٢٧- لغز موت الملك لويس السابع عشر- الدكتور أنطوان المر .
٢٨- شهادات وتقنيات الحمض النووي تفك طلاسم رفات أسرة رومانوف القيصرية- نيويورك تايمز - ٢٧نوفمبر٢٠٠٧.
٢٩- روسيا في مرحلة الفتنة في بداية القرن السابع عشر الميلادي - الدكتور عمر شعار.
٣٠- إعادة دفن أم قيصر روسيا - بي . بي . سي- ٢٨- سبتمبر ٢٠٠٦.
٣١- من جرائم العصر .. اغتيال إنديرا غاندي وابنها راجيف غاندي - الوحدة - ١١ ديسمبر ٢٠٠٦.
٣٢-غاندي والساتياغراها - رغداء محمد أديب زيدان -٢٩ سبتمبر ٢٠٠٧ .

٣٣- هل تطبيق سياسة اللاعنف في حياتنا مهمة مستحيلة؟ - موقع الركن الأخضر.

٣٤- باكستان وحكم العائلات- أحمد زيدان- الجزيرة.

٣٥- فاطمة مرتضى بوتو: لـ المجلة:أنا وبنازير على طرفي نقيض.. ولا أؤمن بتوارث الزعامة- سليمان منذر الأسعد – مجلة المجلة – ٣ يناير ٢٠٠٨.

٣٦- مذكرات أيوب خان و سيناريو طبق الأصل في الهند - نبيل السجيني - القدس العربي.

٣٧- كتاب يكشف أسراراً جديدة عن العائلة كما يروي سر العلاقة بين عرفات وآل غاندي – أحمد سعيد سليمان - الراية .

٣٨- أفكار طائرة : مأساة ملك وعرش - صلاح منتصر.

٣٩- مأساة نازلي وبناتها- خديجة حمودة.

٤٠- مفكّر عراقي: خمسة أسرار خطيرة ستدفن مع صدام حسين في حال إعدامه – حيان نيوف- العربية -- ٠٧ نوفمبر٢٠٠٦.

٤١- نكبة البرامكة في تاريخ بغداد العباسية صعود إلى القمة ثم هبوط إلى الجحيم- توما شماني – موقع ناصرية . نت-٦ مارس ٢٠٠٨.

٤٢- بيوتات سادت ثم بادت.. " البرامكة "- فوزية الخليوي.

٤٣- أمير موناكو كتب السطر الأخير.. رحيل قصيدة حب - ميادة العفيفي- الأهرام العربي – ١٦ أبريل٢٠٠٥ .

٤٤- مثلث الشهرة والبيزنس والسلطة - ماجدة خير الله – أخباراليوم- ٨أغسطس٢٠٠٤ .

٤٥- جريس كيلي - جريدة المصوّر - العدد ١٣٦٢ - ٢٠يناير ١٩٥٦ .

٤٦- الأمير.. في انتظار شهرزاد ! - أخبار الناس – الأخبار - ١٥ سبتمبر ٢٠٠٥.

٤٧ - البرامكة في بلاط الرشيد والمأمون - سطور من الذاكرة - العدد ٥٩ .

٤٨- ستالين لايزال على قيد الحياة – روي ميدفيديف – ٢٦ مايو٢٠٠٦.

الفهرست

الفهرست

الفهرست

لعنة العائلة

قصص أشهر العائلات المنكوبة في عالم السياسة

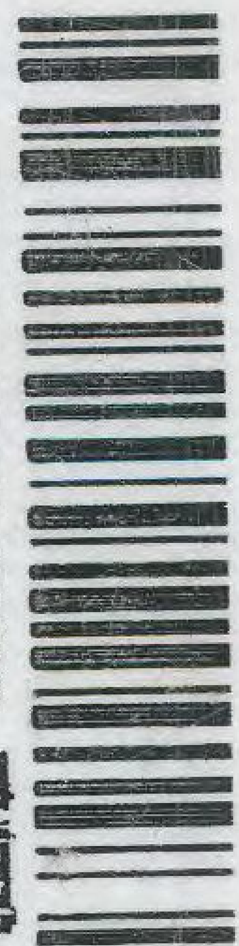
يشير مصطلح "لعنة العائلة" لفاجعة كبرى تحل برب الأسرة الحاكمة أو عميدها، أو أهم أفرادها نفوذًا وتأثيرًا، ثم امتداد هذه اللعنة لتضرب جيلاً، أو اثنين أو ثلاثة من نسله، فيدفعون ثمن الإرث المأساوي، الذي تركه لهم الملك أو الملكة، الرئيس أو رئيس الوزراء، الأمير أو الأميرة، فتكون بانتظارهم نهايات كارثية، يظل التاريخ يتوقف عندها كقصص مثيرة، تحمل الكثير من الدروس و العبر.

و يدلنا التاريخ على عشرات الأسر الحاكمة، التي حلت عليها "لعنة العائلة" فأصابتها في مقتل، وقضت على حياة أصحابها، أو أحالت حياتهم إلى عذابات لا تتوقف، وآلام لا تنقطع !!

وفي هذا الكتاب سنطالع قصصًا وحكايات يندى لها الجبين لأشهر العائلات المنكوبة في عالم السياسة، ومنها اللعنة، التي أصابت عائلات كيندي في أمريكا، وغاندي في الهند، وبوتو في باكستان، ورينيه وجريس كيلي في موناكو، والبرامكة في الدولة العباسية، ونيقولا الثاني في روسيا، ولويس السادس عشر وماري أنطوانيت في فرنسا، والملك فاروق و الملكة نازلي، والأميرة فتحية والأميرة فوزية في مصر، وجورج الثالث والأميرة كارولين والأميرة إيميليا، وصدام حسين وولديه عدى وقصى، وأخيه برزان، وصهره حسين كامل، وابن عمه عدنان خير الله، وغيرها من العائلات التي حلت عليه لعنة أطاحت بها فسقطت معها !!

هذا الكتاب أشبه بشريط سينمائي طويل يروي الوجه الآخر لعالم السيا
يتحول النفوذ والثروة والسلطة لكارثة لأصحابها، ومن يأتي بعدهم من نس

Salama 010 15 17 873




I.S.B.N. 977-376-414-1
9 789773 764142

